قصة

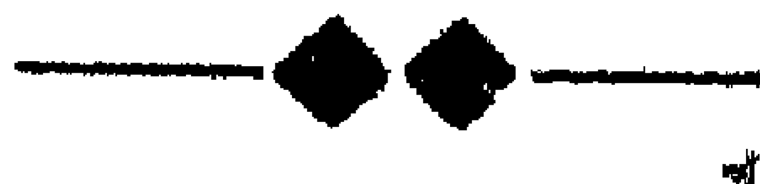
فيروز شاه

ابن الملك ضاراب

كن عارفاً بأحاديث الأولى سلفوا … يزيدك العرف آداباً على أدب
ورب نفع عزيز لست تدركه … بدا بما أعجمته سالف الحقب

المجلد الأول

(الطبعة الأولى)



ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

مقـــدمة

بعد طلب المعونة من الله سبحانه وتعالى أقول أنه لما قصة فيروز شاه من القصص التي تناقلتها الألسن وحكاها الحاكون وتلاعب بها المتلاعبون فمنهم من زاد في حوادثها ومنهم من نقص في أصلها بما علق في فكره ارتأيت أن أجمع الفكرة في كتابتها إلى تأليف ما أوحش السمع وغاب عن الفكر وشرد عن الذهن إلى أن توفقت إلى ما به المراد وإذا هي قصة من أعجب ما يروى وأبدع ما يذكر فيحق لها فضلا أن تكتب في بطون الأوراق وتحفظ في دفاتر الصحف كما حفظت أجيالا عديدة في صدور الرجال وبالمساعدة من الله جاءت على أتم ما يرام مضبوطة الألفاظ محكمة الأشعار مضطردة الحديث محكمته يروق لسماعها بال كل إنسان فتوافق فئات أهل الآداب وغيرهم معنى ولفظاً ماعدا المدعين الأدعياء فأولئك لهم من أنفسهم الجواب السديد وقد كتبتها بقلمي متكلا عليه تعالى وسلكت فيها مسلك الرقة وسرد العبارات البسيطة المفهومة والتقطت لها الأشعار النفيسة من أقوال أشهر رجال العالم تاركاً التطويل المؤدي إلى الملل ومتحاشيا الاختصار المضيع رونق الحوادث وطلاوتها وعلى كل فاني أكرر طلب المعونة من الله وأرجو المعذرة ممن عف ذيلا وغض طرفا عن الهفوات إذ ليس كامل إلا الله وحده فهو حسبي ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كان فى غابر الأزمان فى بلاد فارس ملك عظيم القدر رفيع الشأن كثير الجنود يقال له الملك بهمن وكان جباراً عنيداً وفارسا صنديدا يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد لها فى الليل والنهار لا يعرف الحلال من الحرام ولا يرعى مودة ولا ذماما ولم يلد له إلا بنتا بكرا ذات جمال رائق وقد توسم فدات يوم دخل عليها وراودها عن نفسها ولم يكن ذنبه يمنعه فمانعته إلا أنه اغتصبها بماله من القوة والسطوة والمهابة فراحت منه حامل بأمر الله تعالى ولم يمض على الملك بهمن المذكور إلا أيام قليلة حتى أهلكه الله فقدموه إلى النار وكانت بنته لم تلد بعد ولم يكن له وريث للملك سواها فاجتمع إليها أرباب الدولة والوزراء والنواب فالتقتهم بالترحيب والاكرام وسألتهم عما يريدون أن يفعلوا فقالوا لها إعلمى أيتها الملكة الشريفة أن وفاة أبيك أثرت فينا تأثيرا عظيما ولم يترك لنا ولدا ذكرا لنسلمه قيادة المملكة ونجلسه على عرش بلاد فارس ولم يكن له إلاك ولذلك قد اتفقنا أن نعرض عليك التاج فاتيناك نطلب منك قبول طلبنا لأن المملكة تحتاج إلى حكمه لاسيما وأن أعداء مملكتنا كثيرون وكلهم يقصدون إذلالنا وتدمير مملكتنا وما نعهده من الحكمة وتصويب الآراء فى زمن المرحوم والدك يحملنا أن نقول لك أننا لا نريد حاكما إلا أنت فقالت انه يصعب على أن أرد طلبكم هذا لاسيما وانى الوريثة الوحيدة لوالدى إنما أريد أن أعرض عليكم أمرا واحـــدا فاذا قبلتم به خدمتكم إلى أن أموت قالوا اننا لا نخالف لك قولا ولا نعصى لك أمرا فالذى تأمرينا به نفعله قالت أنتم تعلمون أن أبى مع ما كان عليه من البطش وحب الرعية وحفظ المملكة كان يعبد النار ويترك عبادة الواحد القهار الذى أوجد الوجود وأهلك بقايا قوم عاد وثمود فهو الاله الذى لا يعبد سواه وقد تعلمت هذه العبادة سرآ من مربيتى وانى أجد فيها لذة داخلية وراحة دائمة وأشعر باطمئنان وليس أرى بينها وبين عبادة النار مناسبة فالنار ليست إلا مادة تشعل بواسطة الخشب نشعلها عند الحاجة اليها ثم نطفئها عند الاستغناء عنها

فكيف نتخذ لنا معبودا من صنعة أيدينا ونترك عبادة الذى صنعنا وصنع كل ما ترونه وما لا ترونه وهو محجوب عن الأبصار فأجابوها كلهم عن صوت واحد أعلى يا سيدتنا أننا إلى مثل هذه العبادة كما تشتهى وإننا نريد أن نتخلص من عبادة النار التى كلما دنونا منها تحرقنا وقد أهلكت منا كثيرا فافعلى ما شئت وعلينا العبادة التى تريدينها وفى الحال علمتهم عبادة الله وما يقولون وأمرتهم أن يعلموا أولادهم ونساءهم ويبثوا هذه العبادة فى كل البلاد وفى الحال حرقت معابد النار وحرمت السجود لغير الله سبحانه وتعالى ثم أن بنت الملك وكان اسمها ورد شاه دخلت إلى دار الحكومه وحضرت أكابر الدولة فبايعوها وألبسوها التاج وأجلسوها على كرسى آبائها وأجدادها وزينت المدينة خمسة عشر يوما ودارت البشائر فى كل نواحى المملكة وعواصمها فجاءوا أفواجا أفواجا يهنئوها بالحكم وفى الحال فتحت الخزائن وأعطت ووهبت ودخلت الجيوش وزارت المعابد وشيدتها وأقامتها وعززت عبادة المولى عز وعلا وصارت من ذلك الحين تحكم وتقضى وتأمر بالعدل والانصاف والمساواة بين عموم الشعب وما مضى على ذلك أيام قليلة حتى ولدت ذكرا لأنها كانت حامل من أبيها كما مر الكلام وبعد أن صرفت أيام الولادة اجتمع اليها رجال دولتها وطلبوا اليها أن تريهم ملكهم وأظهروا لها فرحهم وسرورهم به فشكرتهم على ما أظهروه من الميل والطاعة لها ثم أولمت لهم وليمة فاخرة وجمعت فيها سائر الولاة والقضاة والوزراء وقالت لهم أنتم تعلمون انه توفى والدى ولا ذكر له ولولاى لانقرضت دولتنا وربما وقع الشقاق بينكم فيغتنم أعداء المملكة المحدقون بها هذه الفرصة فيعيثون فى بلادنا ويملكون منها ما تصل اليه أيديهم وربما قاد الأمر إلى اندثار هذه الدولة لا سمح الله التى طالما دوخت البلاد وسادت على العباد ولو لم تقتضى أنى كما هو معلوم كم لوصلتم فيما بعد إلى هذه الحالة التى ذكرتها لكم إلا أن القدر المحتوم أوصله إلى إيجاد نسل وإن كان هو من الهالكين لا محالة إنما العناية الالهية المنوط بها حفظ البلاد وراحة العباد فعلت ما فعلت حبا بكم لا بأبى والآن فانى أعرض عليكم هذا الطفل طالبة منكم أن تعتنوا فى تربيته وتهتموا فى تعليمه وتهذيبه فأجابوها ان هذا ولدك فانت أحق بتربيته وأكثر رغبة فى حياته منا فالك تسلم أمر الاعتناء به وتعليمه فقالت إن كنتم تقبلون بذلك فلى عليكم شرط واحد وهو أن فى نيتى أن أقيم له أساتذة مخصوصين يعتنون به إلى مدة خمسة عشر سنة لا أراه ولا ترونه بحيث تكون كل أيامه أيام علم وتهذيب وبعد ذلك أسلمه لكم فتقيمونه ملكا عليكم وإن كنت أخاف أنكم فى كل سنة تأتون إلى وتقولون لى أرنا ملكنا ولذلك عرضته عليكم من الآن فقالوا لها أيتها الملكة لا نسألك فيه إلى حين تأتينا به

وبعد ان انقضت الوليمة انصرف كل إلى حاله واخذت الملكة ورد شاه تفكر من ذلك الجنين فى أمر ابنها إلى ان خطر لها خاطر فقالت فى نفسها إنى أخاف ان أعتنى بابنى إلى ان يكبر فيعبد عبادة آبائه وأجداده ويبطل عبادة الله وربما انتقم منى أيضا لأنى كنت السبب فى هدم بيوت النار وبعد ان قدحت زناد الفكرة طويلا خطر فى بالها ان تضعه فى صندوق وتلقيه إلى البحر فاذا كان الله يرغب فى سلامته وبقائه ينتشله من جوف الماء ويسخر له من يقوم بخدمته ويرجعه اليها وإلا فيكون قضى عليه بأمر الله المحى والمميت ولما نوت على هذا الفكر أتت بصندوق وطلته بالقار وأخذت الولد فارضعته حتى شبع وبعد ذلك وضعته فى الصندوق ووضعت معه شيئا كثيرا من الجواهر والذهب وربطت فى زنده معصدا كتبت فيه هذا ابن الملك بهمن ولما انتهت من عملها قفلت الصندوق وسارت به إلى ان أتت الشاطىء فألقته فيه وقالت إنى اودعتك عند من لا تضيع عنده الودائع ثم عادت إلى القصر وكتمت أمر ولدها ولم يعلم به احد من رجال مملكتها ودامت فى تعاطى الأحكام والتولى كما كانت قبل ذلك

وأما الصندوق الذى وضعته فى البحر فلاعبت به الأمواج ودفعته الرياح وتسارع به التيار حتى أوصله إلى إحدى موانى بلاد فارس وبالمصادفة والقدر كان ذلك عند انبثاق الفجر وكان صياد فقير يصطاد السمك فلما رأى الصندوق هلع اليه كالمجنون فانتشله من الماء وعاد مسرعا نحو بيته وهو لا يعلم ما فيه ولما دخل بيته فتح الصندوق فشاهد الطفل وكان غائبا عن الوجود ولما تنشق النسيم انتبه وبكى فدفعه إلى زوجته ترضعه وقال لها اعتنى بتربية هذا الغلام وإياك من الافراط فيه فاذا كبر عندنا يكون السبب فى نجاحنا لأنى قرأت ما هو مكتوب على المعصد المربوط فى زنده وهو ابن الملك بهمن ومما زاد ذلك هو وجود هذه الجواهر والذهب أيضا فى هذا الصندوق فينبغى ان نحفظها له لتربيته فيها ولا نعلم سبب وضعه فيه فاكتمى هذا السر إلى حينه وادعى بنفسك أمه وأنا أبوه ثم دعا اسمه داراب وجعل يهتم هو وزوجته به حتى مضى على ذلك نحو اربع سنوات فدفعاه إلى المدرسة لدرس العلوم اللازمة حتى بلغ من العمر عشر سنوات وهو لا يعرف إلا ان الصياد ابوه وزوجته أمه وكان قد تهذبت أخلاقه وتعلم بعض العلوم الفارسية ونشأ على عبادة الله سبحانه وتعالى لأن الصياد كان يعبد الله وخرج قوى الذراع شديد البطش حتى ان اشد الرجال كان لا يقدر ان يصرعه وكانت تهابه كل أولاد مدرسته وفى ذات يوم خرج الصياد الى الفلا ليصطاد شيئا من الوحوش لأنه كان قد ترك صيد البحر وتعلق بصيد البر فأخذ معه داراب فطافا كل النواحى وأوسعا

فى الاحراش دون ان يصطاد ذلك الصياد شيئا حتى كادا يهلكا ظمئا وإذ ذاك قال الصياد لصاراب هيا بنا نرجع يا ولدى فانا لم نجد شيئا فى هذا اليوم فقال له صاراب كيف نعود ونعبر البيداء والبر امامنا واسع فقال له ان العطش قد فعل بى حدا ولم يكن لنا ماء لنشرب فقال إن كنت قد عطشت فأنا أسقيك قال من أين تأتى بالماء والماء بعيد عنا قال اتبعنى فأريك ثم سار به حتى أتى شجرة نضرة فقطع غصنا منها فقبض عليه بكلا يديه وقال له افتح فاك ففتح فوضع جذر الغصن فوقه وعصره فقطرت عصارته فى فمه فشرب حتى ارتوى وقد ذاق ماء عذبا لم يذق مثله طول حياته ثم عصر له فى يده فشرب هو أيضا فتعجب الصياد من قوته وقال بالحقيقة انه هو ابن الملك بهمن لأن ذاك كان من الفرسان المعدودين وهذا حليمته دون ريب وبعد ان صرفا ذلك النهار كله فى الصيد رجعا وقد حكى الصياد خبر صاراب إلى زوجته وقال لها إن سعادتنا قد أوصلت الينا هذا الغلام فبعد ان يكون قد تأكد عنده اننا نحن الذين أخذناه من البحر واعتنينا به وربى على يدنا وكافأتنا على ذلك اطلعنا الملكة عليه وأخبرناها بحاله وعندنا الشاهد على ذلك المقصد الذى نحفظه فيه اسم ابيه ويوم ولادته ولابد ان ننال منه الخير الكثير ويكون لنا عنده شأن أى شأن

وبعد ان مضى على ذلك نحو خمسة عشر يوما قال صاراب لأبيه الصياد هيا بنا يا أبى إلى الصيد فانى اشتقت إلى الخروج وقد مضى علينا نحو من الايام وانت لا تخرج ولا اعلم السبب فقال له فى الغد نذهب ولما كان الغد اخذ كل قوسه وكنانته وخرجا إلى الصيد حتى انتهيا إلى ذلك الحرش فدخلاه وتوغلا بين اشجاره الغضة الملتفة وبينما كانا يطاردان الوحوش ويصطادان الأرانب لاحت من الغلام نظرة فرأى اسدا ولبوة بالقرب منهما فصاح فيه بصوت اجفل منه السبع فترك اللبوة وجاء وقد احتدم من الغيظ فلما رأى الصياد ذلك خاف على الغلام فطلب اليه ان يختفى من امامه وصعد الصياد إلى إحدى الأشجار وهو يرجف من الخوف والوجل واما صاراب فلم يجف ولا ارتاع بل اسرع إلى ساق شجرة فاقتلعه واخذه بيديه وصبر الى ان قرب منه الأسد فرفع ساق الشجرة وضربه به على رأسه فصرعه الى الأرض فأراد الاسد ان يلملم نفسه ويعود اليه فلم يمكنه صاراب بل فاجأه بضربة ثانية وثالثة حتى أماته ولما نظرت اللبوة فعل الغلام احتدها الغيظ فقدحت أعينها شرارة نار وكشرت انيابها وهيأت اظافرها ورأت صاراب تطلب منه الثار فلم يدعها ان تصل اليه حتى ضربها فألقاها صريعة واسرع فوضع رجله على رقبتها واخذ بكل من يديه حنكها ومزقها ولما رأى الصياد فعل الغلام اخذته رعشة عصبية

فنزل عن الشجرة وقال له هلم يا ولدى امشِ فسار وراءه حتى دخلا المدينة ووصلا إلى البيت فاجتمع الرجل بزوجته وقال لها إنه لم يعد فى وسعى اخفاء حالة الغلام فلا بد من أخذه إلى العاصمة وتقديمه للملكة والدته فقد كان منه اليوم ما هو كذا وكذا وأخاف أن يوقع يوما ما بداهية أو يفترسه أسد فنوقع فى الندم ولا أظن أنه يوجد على وجه الأرض من يماثله فى قوة الساعد والجنان فمثله تفتخر بلاد فارس فقالت له صدقت فقد آن الأوان وجاء الزمان الذى فيه يجب أن تحمله إلى والدته وتخبرها بحاله

ولما كان اليوم الثانى سافر الصياد بالغلام وأتى عاصمة الفرس فاقام فى إحدى الخانات ريثما استراح ثم أخذه وسار إلى قصر الملكة فقصد الدخول عليها فمنعه الحجاب وقالوا إنما نطلب لك منها الاذن فاذا سمحت لك أدخلناك ثم دخلوا على الملكة وردة شاه واعلموها أن رجلا يلح بالدخول عليها لأمر يتعلق بها فاذنت له فدخل ووقف بين يديها وقال لها اعلمى أيتها الملكة المعظمة ان لى خبرا أريد أن أرفعه إليك إنما أريد قبل ذلك منك الأمان قالت إنى أمنتك على نفسك فابد ما عندك قال اعلمى يا سيدتى انى رجل صياد اصطاد السمك من البحار وأسير إلى الشواطىء دائما قبل انشقاق الفجر ففى ذات يوم خرجت حسب عادتى حتى أتيت الشاطىء وقبل أن أرمى شبكتى إلى البحر لاحت منى التفاتة إلى صندوق قذفته الأمواج إلى الرمال فدلفت إليه وأخذته عائدا إلى بيتى ولما خلوت بنفسى فتحته فوجدت فيه طفلا رضيعا فتعجبت من حالته وقد زدت عجبا عند ما وجدت فى يده المعصد مكتوب عليه هذا ابن الملك فمن فأخرجته واعتنيت به وأنا لا أعلم شيئا من امره ومن سبب وجوده داخل ذلك الصندوق ومعه من الذهب والجواهر شىء كثير ولما ترعرع علمته عبادة الله سبحانه وتعالى وكنت قد تركت صيد البحر وصرت اصطاد من البر فتولع ان يخرج معى حتى رأيت منه عجايب وهو انه كان يهجم على الأسود فيمسكها بيديه ويشقها شق القماش وإذا قبض على الشجرة بقوته انزل منها عصيرا كل ذلك وهو لم يبلغ سن ١٢ سنة فراعنى أمره وخفت ان ابقيته كاتما أمره يلحقنى غضبك لأن مثل هذا المولود تفتخر بلاد فارس وتضرب الأمثال به لا بعد جيل فلما سمعت الملكة كلامه حركها الحنو فوثبت واقفة على الأقدام وصاحت دون وعى ولا انتباه ولدى ولدى فلذة كبدى أين هو ائتنى به فخرج الصياد وأتى بصاراب فرمت بنفسها عليه تقبله وقدمالت إليه كل الميل وتأكد عندها بما رأت فيه من علامات الملوك الفارسية وبما تحرك فيها من الشفقة انه ولدها الذى القته فى البحر ولا زالت تقبله وهو باهت لا يدرى فى أى مركز هو أصحيح امها ام هو ابن الصياد ورجال الدولة شاخصون اليها لا يعلمون شيئا من حالتها

فاخبرتهم بخبرها وما كان منها فى بادى الامر وكيف أنها خافت من أن يعود إلى عادة النار فسلمته ليد التقادير وأعاد عليهم الصياد حديثه وكيف قتل الاسد واللبوة فتحققوا من أمره وقالوا ان مثل هذا يليق أن يحكم على بلاد فارس فيقهر أعداءها ويبيد محاصميها ثم قالت لهم الملكة وردةشاه ان هذا هو الآن ملككم وقد آن أوان تسليمه الكم فان شئتم فبايعوه بالملك فسلم عرش ابائه واجداده

ثم نزلت عن العرش ونزعت الخاتم من اصبعها والبسته إياه ورفعت التاج عن رأسها ووضعته أمامهم وقالت قد كفانى التملك على هذه المملكة فانى لم أكن إلا وكيلة وقد آن زمان نزعى عن الوكالة فشكرها الجمع على قولها وقالوا إننا لا نعمل إلا ما تأمرينا به وحيث تنازلت لابنك عن تختك فنحن بامرك نرفعه عليه

ثم إنهم بايعوه بالملك وأمروا أن ينادى باسمه فى كل بلاد فارس ودارت الافراح فى المدينة فزينت أسواقها ورفعت أعلام البشائر على جدران شوارعها وتكللت بالزهور سطوح ابنيتها ووردت الولاة تهنى الملكة وردة شاه بابنها وتهنيه هو أيضا بارتقائه إلى عرش السلطنة

وأما الملك ضاراب فانه من ساعته استلم زمام الاحكام وقد عرف من نفسه أنه من سلالة ملكية وأن الصيـاد كان قد رباه فافرغ عليه شعار النعم وأقامه كاتماً لاسراره ووهبه الضياع والقرى وكذلك الملكة وكل من كان يحب الملك كان ينعم عليه ويظهر له شكره حتى صار من أغنى أرباب المملكة وكان فى ديوان الملك وزيران حكيمان يقال لاحدهما دوش الراى وللاخر طيطلوس وكان هذا الاخير أصله من بلاد اليونان خبيراً عالماً بأحوال الدنيا وتواريخ العالم فيلسوفا يعرف بضرب الرمل والتنجيم ورصد الافلاك وكان فى ديوان الملك أيضا سبعة رجال يدعون بالبهلوانية يقال للأول فيروز رستم وهو من الجبابرة العظام أصحاب الوقائع المشهورة والغارات المأثورة والثانى بهمزان العتبى والثالث بهمزان قلى والرابع عبد الخالق القيروانى والخامس طهمور والسادس مرادخت الطرستانى والسابع شهرين الشدلى الطلقى وكان الستة تلامذة فيروز الاول وهو رئيسهم وقد تعلموا منه فنون الحرب أجمعها فضلا عن الفيارة بكل ما يلزم أثناء القتال فى ذلك الزمان وكان فى ديوان الملك أيضا كثير من قواد العساكر والقضاة ورجال المال والكتبة فامتحنهم كلهم ووضع عليهم القوانين الصارمة وأوصاهم بالعدل وحفظ الراحة وبت الامن فاحبه جميع الرعية من الخاص إلى العام لما رأوا منه من التقوى وحفظ العبادة والانعكاف على طالعة الصحف المقدسة ولما أوصله اليهم من النعم والمواهب العزيزة وزيادة معاش أصحاب الخطط وبناء منازل للفقراء والغرباء وبعد أن مضى على ذلك أيام وراق له الوقت وترتبت المحاكم

والأحكام على حسب مشتهاه طلب الخروج إلى ضواحي المدينة للنزهة والفرجة والصيد فجمع بعضا من حاشيته وأعيان ديوانه وسار يطوف تلك النواحي حتى بعد بهم مسيرة ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع انتهى إلى مكان فسيح رحب واسع الجهات كثير الأشجار والمياه جيد الهواء والمناخ فأعجبه جدا ولاح في ذهنه أن يبني مدينة في تلك الناحية فحكى لحاشيته ما خطر له وأمرهم باحضار المهندسين والبنائين والفعلة فحضروا بين يديه فخطط الرسم الذي رغبه ودفعه إليهم ثم عاد إلى المدينة وفتح الخزائن وجبى الأموال قياما بنفقة البناء فكان كل ما يحتاجه البناء يؤخذ من المدينة وكان نحو ٤٥ ألف بناء يبنون ما عدا الفعلة ونحوهم ولما انتهى البناء أمر أن تحاط المدينة بسور عال سمك يبلغ سمكه ٧ أذرع وطوله يبلغ مسير ١٢ ساعة وما لم عرضا وذلك بالنسبة لطول المدينة وعرضها فعملوا وبنى السور وكان هو أول من وضع حجر في أساسه وبمثله فعلت أكابر دولته واقتدت به عموم الرعية ثم دعى تلك المدينة إيران فنقل اليها عرشه وسمح لكل من رعاياه بمكان يسكنه بالنسبة إلى حاله فتم قوالسكان في كل جهاتها ودار سوق البيع والشراء حتى فاقت العاصمة الأولى فسر الملك صار اف مسرورا لا مزيد عليه وعمل عيدا مخصوصا لبناء المدينة وأمر أن يزين أربعين يوما تماما فزينت وبقيت أربعين يوما لا يعرف فيها الليل من النهار فإن الناس في لهو وطرب وغناء والأنوار تشرق في كل جدار من الجدران وكان قد انتشر خبر المدينة في كل المملكة فتقاطر إليها المتفرجون من أقاصي البلدان فزاد ذلك في نجاحها وعمرانها

هذا وما برح والملك صاراف يجتهد في تحسين بلاده وتدبير أمورها حتى بلغ الخمس والعشرين سنة من العمر ومع ذلك لم يخطر على باله قط أمر الزواج وكان وزراؤه يتعجبون في إعراضه عن النساء وكيف لا يميل إلى الزواج ففي ذات يوم كان ديوان الملك محتشدا بالوزراء والأعيان والبهلوانية والقواد فتقدم الوزراء إليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له اعلم أيها الملك المعظم أن المملكة لا تحيى إلا بالعدل والعدل لا يقوم إلا بالحكمة والتدبير والحكمة والتدبير لا يكونان إلا في أفراد الناس ولا سيما في الملوك وأنت بحمد الله بحكمتك وحسن تدبيرك من وجود النسل لك ضروري يحفظ المملكة فيما بعد من الانقسام وما تعلمه ونعلمه أيضا أنه لم يعد ذكر من نسل عائلة كم غيرك فإذا لم تتزوج تكون قد جلبت للمملكة خرابا وللرعية قلاقل وحروبا فمن الأوفق أن تتزوج الآن فيأتيك الأولاد ويكونون لك وزراء فتثبت بهم دعائم الملك وتعلمهم عبادة الله وتختار منهم من يوافق إرادتك وطاعتك

وهذا يطلبه منك الله سبحانه وتعالى فهو فرض عليك فأجاب الملك انى لا أرغب في الزواج إلا لايجاد النسل كما ترعمون إنما اريد ان أسمع بذكر امرأة فاضلة كاملة الأوصاف فقال له وزيره طيطلوس الحكيم إذا شاء سيدى الملك وأمهلنى أربعين يوما ابحث له عن مطلوبه وإنى كافل له إيجاده فانى أعلم أن زوجة الملك إذا كانت حكيمة عاقلة تساعده في الرأى فيرتفع عن عاتقه ثقل قسم من أقسام المعيشة ولا سيما في أمر تربية الأطفال فقال فلمرور إنى عند ما كنت سائحا منذ سنين قليلة دخلت بلاد البربر وهى لملك يدعى ادموس وهذا الملك بنت كان أوانئذ عمرها ١٢ سنة إنما كانت جامعة بين الحكمة والجمال والعقل والآداب اسمها تمر تاج وإنى على يقين ولا أخشى أن أقول أنها أوحد نساء عصرها حسنا وأدبا فلما سمع الملك ذكر هذا الاسم وقع في قلبه موقعا حسنا ومال قلبه بأمر الله إلى صاحبته فوقع في هواها دون أن يراها فقال لفلمرور أريد منك أيها الوزير الأمين أن تذهب ورفيقك طيطلوس إلى حضرة هذا الملك وتذكرا عنده بحق ابنته على السماع واطلباها لى زوجة فقال سمعا وطاعة ثم ذهبا الوزيران من تلك الساعة فهيا نفسيهما للسفر وأخذا كتاب الملك وحملا من الجواهر النفيسة والقماش العالى شيئا كثيرا مما يليق أن يقدم هدايا للملك ومهرا لابنته وركبا وسافرا من إيران حتى دخلا بلاد بربر وكان بهلوان الملك ادموس وكان اسمه رودرمام صديقا لفلمرور فذهبا إلى بيته وسلما عليه فتلقاهما بالاكرام وسألهما عن سبب مجيئهما على غير انتظار فقال له فلمرور إننا مرسلين من قبل الملك صاراب إلى سيدك الملك نخطب منه ابنته تمر تاج ، ونريدك أن تكون لنا مساعدا فى ذلك ففرح رودرمام فرحا لا يوصف وقال انى أعلم أن سيدى الملك يسر جدا فى مصاهرة الملك صاراب وإنى أتمنى أن أقوم له أنا أيضا بخدمة اكراما له ولك لأنك أخى بالعهد ثم صرفوا ذلك اليوم فى أحاديث الملوك وأحوال الممالك ولما كان الصباح ذهبوا إلى قصر الملك ادموس وتقدم فلمرور وطيطلوس وقبلا يديه ودفعا إليه كتاب سيدهما فأخذه وقرأه ثم رفع رأسه وقال لهما على الرحب بكما أيها الوزيران العاقلان والحكيمان الخبيران وقد شرفتما البلادى بقدومكما وأما الآن فأمهلانى إلى حين إعطاء الجواب ثم أمر رديره رودرمام أن يكرمهما الاكرام اللائق بهما متمنيا لهما بدوام العز وذهبا فمضى على الوزير وأما الملك فقد ذهب إلى زوجته وأخبرها بخبر الوزيرين وانه ورد إليه تحرير من الملك صاراب ملك بلاد الفرس يخطب منه ابنته فقالت له زوجته أرنى الكتاب فدفعه إليها فقرأته وسرت سرورا لامزيد عليه وقالت له من أين لنا أن نصاهر مثل هذا الملك الجليل وهو أشد الملوك بأسا وأقدرهم جيشا وأحكمهم عقلا وأوسعهم ملكا على أننا لو فعلنا ذلك لنلنا غاية القدر

أن يعصباعليها بما له من القوة والسلطان ثم قر رأيهما على أن يهيئا بنتهما بمرتاج ويرسلاها اليه

وفي الغد دعا الملك ارموس طيطلوس الحكيم وفيلرور البهلوان وزيري المملكة صارات وقال لهما إني أقدم بنتي معكما إلى الملك صاراب فان زواجها به دليل على حسن حظها وسعادتها وبما أنها وحيدة عندي ليس لي سواها أريد منكما أن تتعهدا لي عنه انه لا يتزوج غيرها وانها هي تكون الملكة وأن الذكر الذي يأتي منها تكون له ولاية العهد فأجاب طيطلوس انى أكفل لك هذا الأمر فان سيدي الملك اوصانا به عندما بعثنا إليك لنعقده معك عنه وبعد أن صرفا مدة الضيافة أذن لهما الملك بالذهاب فجهز بنته بالملابس العوالي ورفعها على هودج مزين بالجواهر والأطالس وسلمهما إياها وكتب كتابا إلى الملك صاراب جوابا على كتابه يهنئه بزواجه ويوصيه ابنته وأن يداريها كونها وحيدته ثم عرض على الوزيرين أن يصحبا معهما عسكرا من بلاده فقال له فيلرور ان الأمر لا يحتاج إلى حشد جيوش فليس في الطريق من مخاصم على انه لو اعترضنا جيش فانى أكفؤ له وحدي وبعد ذلك ودعا الملك ووزيره بودرمام وسارا بمرتاج بعد أن ودعها أبوها وأمها وأوصياها بطاعة زوجها والانقياد لأمره وكانت فرحة بما وصل إليها من زواجها بالملك صاراب لأنها كانت سمع بحلمه وشجاعته وكرامة أخلاقه وعلو شأنه ولما اقتربوا من مدينة إيران أرسلا من الخدم من بلغ الملك بقدوم زوجته وفي الحال أمر الملك بفرش قصره الخاص تهيئا لزوجته وأرسل كامل حواشيه لملاقاتها فخرجت الجنود صفوفا صفوفا وخفقت فوقهم الأعلام وعزفت الموسيقات بالبشر والتهنئة حتى كان يوما يعد من اعظم الأيام ولما قربوا من العروس تلقوها بالترحيب والاكرام فلاقتهم بالبشاشة والأنس وعادوا الى المدينة بفرح لا يوصف وسرور لا مزيد عليه وذهبوا بمرتاج الى قصر زوجها فنزلها عن الجواد وتقدمت اليها الجوار فقبلن يديها ونزعن ثيابها وآنسها بالمشروبات والمأكولات حتى استراحت من مشاق السفر وكان الملك لما رأى ما فيها من الجمال وسمع حلاوة الفاظها ورقة معانيها كاد يطير من الفرح فأمر ان تزين المدينة الى ١٥ يوما ففعلوا وكان الفرح شاملا الكبير والصغير ولما مضى زمان العرس وآن أوان اجتماع الملك صاراب بعروسه دخل عليه طيطلوس الحكيم وقال ان لا ارجوك يا سيدي ان تمهل نفسك إلى وقت اقول لك وانى ارصد لك النجم في رأيت اليوم الموافق اعلمك لأني اعلم انه سيخرج من صلبك طفل تطير عند ذكره شجاعة كل شجاع ويفخر به بلاد فارس على كل من تقدمها ولا ينتج الدهر مثله فيما بعد فامتثل الملك وصبر اياما إلى ان جاءه الحكيم وقال له ادخل يا سيدي في هذه الليلة فان

الزهرة قد قارنت المشترى وهى ليلة سعيدة لا أظن يتوفق مثلها قط ففعل وأتى زوجته تلك الليلة فشهد منها لطفاً وأدباً نادرى المثال وجنى من ورد حسنها زهور الكمال وبات ليلته على بساط الهنا والأفراح ولما شاهد فيلرور أن طيطلوس يترقب الملك فينتظر يوما سعيداً فاختار له جارية بكراً وصبر إلى حين دخل الملك بعروسه فدخل هو أيضاً بجاريته وبالقضاء المقدر حبلت تمرتاج والجارية أيضاً بيوم واحد ففرح الملك وتأمل الخير وصبر نحو تسعة أشهر الى أن حان زمان الولادة فوضع كل من تمرتاج والجارية غلاماً فأسرعت البشائر الى الملك تخبره وهو فى ديوانه ومثله الى فيلرور وزيره فوهب وأعطى وفرق الأموال وأمر باطلاق المسجونين ورفع الأجرة عن رعيته الى ثلاثة أعوام وبعد أن أمضى على ذلك سبعة أيام أتى بالمولود الى مجلس الملك وفقاً للعادة وأتى أيضاً بابن فيلرور فلما دخل ابن الملك تقدم اليه الشاهات والوزراء والبهلوانية كل بمفرده فدعوا له وهنأوا أباه به وبعد ذلك التفت الملك صارفاً الى وزيره وقال من العادة إذا أتى بالغلام الى مجلس أبيه يدعوه بالاسم الموافق فماذا تريد أن تسميه قال انى أرى ياسيدى ان من الموافق ان تسميه فيروزشاه وكذلك سأل فيلرور أن يختار لولده اسما فسماه فرخوزاد وقبل أن ارفض المجلس أمر الملك أن يدفع الولدان الى المراضع والمربين فدفعوهما فكان يرضع فيروزشاه وفرخوزاد من لبن واحد وكان طيطلوس الحكيم قد أوصى الملك أن يحافظ على تربية ولده لأنه سيكون له حديث يذكر جيلا بعد جيل نظراً لشجاعته واتساع ملكه إنما يخاف عليه مما من واحد قال الملك وما هو قال أنه يقع في حب فتاة فيلاقى لأجلها صعوبات كثيرة قال الملك إن الحب لا يكون الا بعد ما يبلغ أشده فان كنت حياً ساعدته على رواحه ولا أدعه يتحرق على جمر الهوى

ولما بلغ الولدان السنة الثالثة من العمر وفطموهما من الرضاع اجتمع عند الملك جمهور من السادات وطلبوا اليه أن يريهم ملكهم فأجابهم وبعث فأحضره على اكتاف القواد فازدحمت الناس افواجاً للنظر اليه وشاع الخبر فى كل المدينة فجرت النساء وتركضت الغلمان وتسابقت الشيوخ وما وصل فيروزشاه الى الديوان الا كانت قد اجتمعت حوله سكان المدينة بأسرهم فبلغ ذلك طيطلوس الحكيم فقال للملك لماذا فعلت هذا ياسيدى قال ان اعيان مملكتى قد اشتاقوا اليه فطلبوا الى احضاره فلبيت طلبهم قال انى لا أوافقك على هذا العمل فانى اخاف عليه من العين وانت تعلم ان اهل مملكتك فرحت لا يوصف لانهم كانوا يخافون انقراض السلالة الملكية لقلة رجالها وهم يكادون لا يصدقون ان لك ولى عهد ولا بد انهم فى كل عام يجمعون الملك ويطلبون نفس هذا الطلب فيكون ذلك ضرر عليه فقال فيلرور انى أرى من الموافق ان

تبنى قصرا فتصنع فيه فيروزشاه وولدى فرحوزاد وتقيم عندهما الخدم والحشم والمهذبين والأساتذه فيتعلمون العلوم النافعة وتمنع الناس من الدخول إلى القصر كل هذه المدة بينما يكبر فيروزشاه فقال الملك إنى أفوض إليكما هذا الأمر فدبراه بحكمتكما وأمر فى الحال باحتجاب ولده فيروزشاه عن الناس فحجب وانصرف كل من الناس إلى حاله وفى اليوم الثانى ركب الوزيران وخرجا إلى خارج المدينة فوجدا روضا غض الأشجار غزير الينابيع فأمر أن يبنى القصر فيه فبنى بمدة قصيرة فاختار طيطلوس بعضا من تلامذته الماهرين وقال لهم أريد منكم أن تجهدوا أنفسكم فى تربيه ابن الملك وتعليمه وتهذيبه ومثله فرحوزاد وانى فى كل مده آتى وامتحنهما لأعلم مبلغ ماعلمتموهما فقالوا له سمعا وطاعه واستلموا الغلامين بعد أن وضع فى القصر كامل معداته وعين له الخدم مع اختلاف مراتبهم من طباخين وعسالين وغيرهم وأخذ الولدان فى التهذيب والتربية على انفراد دون مانع يمنعهما أو ناهٍ ينهاهما عن غاية والديهما وأجهد الأساتذة أنفسهم إرضاء لخاطر أستاذهم طيطلوس الحكيم

هذا ما كان من هؤلاء. وأما الملك أدموس أبو تمرتاج فانه عرف بان أتى لابنه غلام وانه أحد يترعرع ويشب شيئا فاختار عمادا يهاديه لانه كان من أفرح العباد لعلمه أنه من ابنه وانه سيكون المالك بعد أبيه وجعل ينتظر الفرص إلى ان أهداه أحد قواد مملكته مهرا كريما من أحسن الخيل هيئة وجودة فأعجبه وكاد يطير عقله من الفرح وخطر له أن يهديه إلى حفيده فيروزشاه وفى الحال أحضر عمال الأسرجة وقال أريد منكم عمل سرج لهذا المهر وعدة كاملة لم ينسج قط على منوالها وانى أدفع إليكم الذهب فرصعوها به فقالوا سمعا وطاعة وفى الحال دفع اليهم الجواهر وهى التى كان قد أتى بها طيطلوس ولم يرى فى مهر تمرتاج ابنته ولم يمض إلا أيام قليلة حتى انتهت عدة الجواد فسرجوه بها وإذا به كالكوكب يضىء فعجب الملك جدا وكان اسم الجواد الكميت وإذ ذاك دعى وزيره رود رمام وقال له أريد منك أن تذهب من قبلى إلى مدينة إيران إلى عاصمة ضيرى فتهديه سلامى وتصحب معك هذا المهر إلى ابن ابنى فيروزشاه فهو يستحق أن يهدى مثل هذا المهر الذى لا أظن انه يوجد مثله فى سائر الممالك ثم كتب كتابا إلى ضيره وابنه يهديهما التحيات وبعث اليهما بالهدايا النفيسة التى توجد فى بلاد برير ولا توجد فى بلاد الفرس مثلها ويسألهما فى تقديم الجواد إلى ابنهما

وفى صباح اليوم التالى ركب الوزير رودرمام بعد أن ودع الملك أدموس يصحب معه بعض الخدمة لخدمته وخدمة الجواد وسار يطوى الفراسخ حتى قرب من ايران ولم يعد بينه وبين المدينة إلا مسافة يوم واحد فأمسى عليه المساء فى غابة

غصة لم ير بدأ من المبيت فيها فنزل وصرف صيوانه هناك وأشعل النار وأنار المصابيح وما استقر إلا القليل حتى دخلت عليه صبية كأنها البدر في الاشراق وعلى يدها غلام ضخم الجثة كبير الرأس فوقفت بين يديه وسلمت عليه وقالت له انى ناصحة لك ياسيدى أن لا تبيت فى هذا المكان فتموت فريسه لروحى قال ومن هو روحك وما الذى أوصلك إلى هذا المكان فى مثل هذا الوقت . قالت اعلم أنى بنت تاجر قصد أبى أن ينتقل من بلده . إلى مسكن إيرانطلبا لتوسيع أرزاقه فأمسى علينا المساء فى هذه الأجمة فنزلنا للمبيت نحن والقافلة التى معنا وما انتصف الليل حتى فاجأنا غول مهول قبيح الخلقة سيء المنظر فسطا على الرجال فأهلكهم ونقلها إلى مغارته يأكلها وأخذ الخيل والجمال قوتا له ولما رآنى ذات جمال لم يلحق بى ما لحق باهلى وجماعتى بل اتخذنى زوجة له فأتيت منه بهذا الغلام وأنا مقيمة فى مغارته كل هذه المدة وهو يذهب إلى الآكام فيفترس مايقع فى يده من الآدميين والحيوانات فيأتى بهم إلى فيأكل ويطعمنى أنا أيضا حتى زهقت روحى من معاملته فقال لها الوزير وأين هو الآن قالت ذهب كعادته ولا اعلم بميعاد مجيئه فانه تارة يعود حالا وطورا بعد يوما أو يومين ولهذا ترانى أنصحك بالرحيل قبل اتيانه فقال لها رودرمام انى لا أخاف من غول ولا من أسد وطالما أوقعت بالغيلان وهى تخاف سطوتى فهل لك أن تصحبنى غدا إلى مدينة إيران فاخلصك من هذا الغول وإن عاد فى هذه الليلة فلنه أمامك فرمت بنفسها على قدميه وقالت إن كنت قادرا على تخلصى فانك تكسب منى الدعاء وانى وقعت عليك أخدمك عمرى بطوله قال كونى مطمئنة فقد صرت فى زمامى وبات تلك الليلة فى ذلك المكان وهو لم يأخذه نوم ولا هدأ له بال خوفا من ان يفاجئه الغول بغتة فيسطو عليه وعلى من معه ولا سيما انه كان خائفا على الجواد المرسل معه ولما اصبح الصباح ولم يأت الغول ركب رودرمام وسار بالجارية ومن معه حتى اتوا المدينة فذهب فيما على صديقه فلروز فيرحب به وانزله فى مكانه وسأله عن سبب إتيانه فاخبره انه مرسل من قبل الملك ادموس بهدية إلى جمشيد فيروزشاه فذهب به الى الملك صارات فقدم له تحرير عمه وانه يهديه السلام واخبره بخبر الجواد فشكره الملك وانعم عليه بالانعام الغزيرة وقد نظر إلى الجواد فأعجبه جدا ولما نظر ان الجواهر التى بعث بها إلى الملك ادموس فى مهر بنته قد اعادها اليه على مهر ابنه فيروزشاه شكر كرامة اخلاقه واعد للوزير احتفالا وكان فيروز قد نظر الطفل والجارية مع رودرمام فسأله عنهما فحكى له خبرهما فقال اريد منك يا اخى ان تهبنى الولد فقال له انى وهبتك الولد وامه فهما لك وانى بعيد عن بلادى ولايخطر فى فكرى ان اصحبهما معى انما اوصيك إكراما لحبى ان

تعتنى بهذا الطفل وتعلمه لأنه وإن كان ابن غول فهو ابن آدمية وسوف تحتاجونه فى المستقبل فيكون ذا افعال عجيبة فشكره فيلزور على قوله واخذ الولد ليربيه وقد دعى اسمه فرزور وفى اليوم الثالث دعا الملك رودرمام وامر سائر حواشيه ان يخرجوا إلى القصر المقيم فيه فيروزشاه ليقدموا اليه جواد جده وكان فيروزشاه فى كل هذه المدة قد قارب سنه العشر سنوات فخرج الملك واتباعه ووزراؤه ووزير جده ولما دخلوا القصر لاقاهم فيروزشاه بحشمة وادب وسلم عليهم وقبل اياديهم واحدا واحدا وبعد ذلك تقدم اليه رودرمام وقبله بين عينيه وقال له إنى اهديك سلام جدك وقد ارسلنى لاقدم لك هـــذا الجواد وهو يدعى الكميت واظن انه نادر المثال فى هذا الزمان فنظر فيروزشاه إلى الجواد فتعشقه وقال للوزير اعلم ياسيدى انى اطلب بركات جدى وهى بكليتى وتعيينى وقد اصاب فى إرسال هذا الجواد لأنى احب الخيل الجياد وليس الآن ما اقدمه إلا احترامانى ودعائى فاقره منى السلام وقبل عنى اياديه ولابد انى ازوره يوما ما فاحاربه على حبه لي ثم دنا من ابيه وقبل اياديه واستأذنه فى ركب الجواد فقال له انى لا اسمح لك الآن لأنك صغير السن وإنما اطلب إلى وزيرى طيطلوس ان يعين لك استاذا يعلمك فنون الحرب ويدربك على ركوب الخيل فاجاب طيطلوس وعين له بهلوانا يعلمه الحرب وركوب الخيل واخذ فيلزور يعلم ولده فرخوزاد وكان قد اتاه غلامان غير الأول فدعا احدهما بهزاد والثانى سلتى وكلهم يخرجون بهلوانية ويكون لهم فى هذه القصة احاديث مهمة واما الملك صاراب فلم يأته غير فيروزشاه ثم ودع الوزير رودرمام الملك وعاد إلى بلاد بربر إلى محل اقامته فكتب له فيروزشاه كتابا إلى جده يشكر فضله على ذلك ومثله الملك صاراب وركب الوزير وسار

وبعد أن مضى على ذلك نحو سنة تقريبا اجتمع الوزراء إلى الملك وقالوا له انا نريد أن نخرج إلى القصر فنشاهد ابنك وننظر ماذا تعلم من فنون الحرب وإلى أى درجة انتهى فسار بهم حتى دخلوا الرض القائم فيه القصر فلاقاهم فيروزشاه اليه وهناك طلب الملك أن يرى ماعند ابنه من الشجاعة والمعرفة فى الفنون الحربية فأمر أن تبرز الفرسان وينصب الميدان ففعلوا واصطفت العساكر والقواد وكل منهم قد قلع سنان رمحه وفعل مثل ذلك فيروزشاه وفرخوزاد وقام القتال بين الابطال فعاركوا وتناولوا وكل منهم رغب أن يصل إلى فيروزشاه فيحوز السبق على رفاقه فلم يقدر أحد منهم على ذلك لأنه كان راكبا على الكميت وهو فوقه كاللولب السريع الدوران فما طلب فارسا إلا لحقه وماطلب من فارس إلا سبقه ثم طلب من أبيه أن أمر كامل القواد بالهجوم عليه ومن قدر منهم أن يصل اليه تكون له جائزة عظمى فأمر الملك

البهلوانية وسائر القواد بأن يكونوا معه صفا واحدا وفيروزشاه وفرخزاد في صف
آخر فاصطف الجميع تحت إمرة الملك في جهة وفيروزشاه وفرخزاد في جهة ثانية ثم
أطلق كل من الصفين العنان وقوم السنان وطلب الصدام واجتهد القواد في الفوز
فكبحوا لأن فيروزشاه لم يترك لأحـــد مجالا حتى فاز على الجميع وفعل فرخزاد
كفعاله حتى كاد الملك يطير من الفرح ولكي يظهر لابنه مقدرته أمر أن ترجع
العساكر إلى مراكزها فرجع كل إلى مركزه وإذ ذاك توسط الملك ضاراب بين
الصفين وقد نظرت إليه كل عين فنزل عن جواده وصاح إلى جميع العساكر هل
فيكم من يفعل كفعلي فأجزيه العطايا وأجعله رئيسا على سائر القواد ثم مد يده إلى
حزام جواده وتمطى بكل قوته فرفعه إلى ما فوق رأسه ثم وضعه ونظر إذا كان
تقدم أحد ويفعل كفعله فتأخر الجمع ولم يقرب أحد منهم وتبع ذلك سكوت طويل
فلما نظر فيروزشاه انه لم يجسر أحد على هكذا فعل أسرع إلى الميدان ونزل عن جواده
وأخذ معه جواد أخيه فرخزاد ووقف بين الجوادين وقال هيا انظروا إلى أيها
الجموع لتعلموا أن هذا الشبل من ذاك الأسد وفي الحال قبض باليـــد اليمنى جواده
وباليد اليسرى الجواد الآخر ورفعهما إلى أعلى رأسه وأنزلهما فصاح الجمع برمته بصوت
واحد فليحيى فيروزشاه وليعش سيدا على بلاد فارس وصفقوا بأيادي الفرح وما منهم
إلا من تمنى أن يقبل يديه ورجليه ووقع حبه في قلوب الجمع فأمر ططلوس فيروزشاه
في الحال ان يدخل القصر فأطاع ودخل القصر ثم قال ططلوس لضاراب الملك اعلم
يا سيدي ان ابنك من الآن وصاعدا يحتاج أن أكون أنا عنده وقت اكثر من الأساتذة
وإني لو كنت أعرف ما مرادك أن تفعل لمنعتك لأن فعل ابنك برفع الجوادين ربما
سبب له ضررا وهو وحيد لك وعموم رعاياك تحبه فإذا لحق به ضرر تخرب البلاد
ويضيع الملك فقال له الملك افعل ما بدا لك فدخل ططلوس القصر ورجع الملك
وقومه وما منهم إلا من يلهج بذكر فيروزشاه ويتعجب من شجاعته وقدرته التي حصلها
منه وأقام ططلوس أستاذا لفيروزشاه مدة ثلاث سنوات حتى خرج أوحد أهل
زمانه بسالة وفصاحة وجمالا وأدبا ففي ذات ليلة خرج فيروزشاه من حضرة أستاذه
ططلوس ودخل إلى حجرته فنزع ثيابه وصلى ونام في فراشه وبينما هو نائم حلم حلما
[illegible] في روض كثير الأشجار وحوله الأنهار فجعل يتنقل في الروض إلى أن توسطه
[illegible] فتاة ممشوقة القوام صبيحة الوجه نحيلة الخصر ثقيلة الردف ذات ثغر بسام
[illegible] الفرح [illegible] إليها وكلمها فاستيقظ وهو [illegible]
[illegible] فاشتغل [illegible] عقله [illegible]

شخص الصبية على باله فيتجدد معه هواها حتى صرف الليـل فى قلق وهيام كما قال فيه الشاعر .

وليـل كأن الله قال له استطل ... فطال إلى أن مد للحشر باعه

كأن عمود الصبح أثقل ظهره ... فرصعه للمشترى ثم باعه

ولما كان الصباح خرج من فراشه حزينا مأيوسا وشخص عروس الليل بنصب عينيه فلحظ منه طيطلوس ذلك ولم يعلم السبب فسأله عنه فقال لا شيء عندى من الأسباب وانى أرى نفسى صحيح البدن فتعجب منه ولاسيما عند ما شاهد منه قلة الأكل والزهد فى كثرة من الكلام والدرس فتركه ذاك النهار ولما كان المساء دخل فراشه وهو فى قلق لايوصف وما استقر فيه حتى اخذته سنة الكرى فعاوده الحلم ونظر نفسه فى تلك الروضة الفسيحة فخفق فؤاده فوقف ينظر يمينا وشمالا أملا ان يرى صاحبته بالأمس فما لبث ان رآها مقبلة وهى تنجلى جلا العروس بين الأتراب فانعطف قلبه اليها وانحدرت خواطره نحوها

أسير وقلبى عندكم لست عالمـا ... بما فيه هابيك اللواحظ تصنع

وما زلت مشتاقا لطيف خيالكم ... وإنى من الدنيا بذلك أقنع

ثم سألها بنت من أنت وأين بلادك فاعرضت عنه بعد ان رمقته بفاتر لحظها ونظرت اليه نظرة الحب المفارق فخطف عقله معها وطار قلبه وعول ان يسير فى أثرها وإذا به قد استيقظ مرعوبا فسمى باسم الله الكريم وجلس فى فراشه منزعج الخاطر موسوس البال وقد عول ان ينام ثانيـة فلم يقدر وتذكر الجارية فبكى وأشار بقول

لا العيد من بعد سكان الحما عيد ... ولا لصبر الذى أبليت تجديد

قد عرفت مقلتى جسمى بادمعها ... إن السرور الذى أبديه تقليد

لو كنت أعلم أن الحب آخره ... يجدى من الحب أعتى المواعيد

سهران ليـل فراق كله سحر ... والسبل مجهولة والنجم مفقود

أشكو النوى فيرق الصخر مستمعا ... لمـا أبث وتبكى حالى البيد

هب انهم بخلوا بالوصل ات لهم ... ما يشغل الفكر تسويف وتمهيد

إذ انس لى طمع فى زور طيفهم ... وإن طمعت فباب النوم مسدود

بانوا بلا عيشنا تصفو مودته ... شوقا ولا ظل ذاك العيش ممدود

إنى لأحسد قلبى حيث يتبعهم ... وأبدن الجسم منى وهو مفقود

وصرف تلك الليلة مابين نوح وتعداد وذكر تاريخ ووجد إلى ان لاح وجه الصباح فقام من فراشه مشغول الفكر وأثار الكدر ظاهرة على وجهه فلما نظره طيطلوس

تكدر كدرا لا يوصف وتيقن أنه لا بد من سبب يدعوه إلى هذا التغيير والكدر فقال له مالك يا سيدى أعلمنى أهل تشعر بوجع أو تشتاق إلى شيء اطلعنى على حالك فأفرج عنك وإن كان بك مرض داوته عما يزيل الشدة عنك قال إنى لا أشعر بشيء وإنى أرى نفسى صحيحا قال إن حالتك لا تخفى على فإن فى وجهك من العلائم والتأثيرات ما لم أره فيك من حين ولدت فلم يجبه فيروز شاه ولما وضع الطعام جلس على المائدة وعول على الأكل فلم يقدر فنهض وصرف ذلك النهار وهو فى هاجس ووسواس حتى ارتبك طيطلوس وخاف كل الخوف على حياة ابن سيده وأجهد نفسه فى الوقوف على خبره فلم يقدر ولما كان المساء دخل فيروز شاه حجرته وأقفل الباب ونام فى فراشه وكان قد أنهك جسمه من معاناة الهيام فغرق فى نوم طويل مدة ساعة وبعدها حلم نفس الحلم الذى حلمه أول ليلة وثانى ليلة وهو أنه وجد نفسه فى تلك الروضة ونظر الصبية وقد قربت منه وهى لابسة ثوبا من الحرير الأبيض فوق جسم لدن ناعم وبيدها قضيب من الخيزران وفوق رأسها أكاليل من الزهر يزين تلك الطلعة البهية وحولها المسكى قائم فى وسط خدها الأبيض الممزوج بحمرة تنبعث منه أنوار لطف وظرف نادرى المثال فلما نظرها تنظر إليه وهى واقفة دنا منها وقال لها من أنت أيتها الملاك السموى وبنت من فقد رميتنى بحر غرام لا أرى لى بدا من الغرق فيه فجودى على باسمك واسم أبيك واسم بلادك قبل أن تفارق روحى جسدى فقالت أما اسمى فعين الحياة وسكتت فقصد أن يعانقها ويقبلها فاستيقظ من منامه كالمجنون وصاح أين ذهبت فهى كانت هنا الآن كيف لا يكون فى هذا الأمر سر وقد زارتنى ثلاث ليال متتابعات نعم لا بد من وجود هذه الفتاة التى تدعى عين الحياة ولا بد أن يكون خيالى يزورها كما أن خيالها يزورنى فإن هذه أمور ربانية إنما أين يا ترى أقدر أن أجد هذه الفتاة وفى أى مكان هل هى فى عالم الأرض أم فى عالم السموات لا لا أظن أنه يوجد بين الجنس البشرى من تحاكى بجمالها ذلك الجمال ثم بكى وأنشد

يا طول ليل قد أطالت ليله شوقا إليك وأنت ذات نفار
ما فارق طرفى من خيالك خطرة إلا يعود بحيرة المحتار
وخيالك الوهمى فوق نواظرى متوهج كالنور فوق النار
ألقى يدى على الخلاء كأننى أرضى معانقة الخيال السارى
وأراها فلا شيئا أعانقه سوى لهب الزفير ومدمع مدرار

وأنشد أيضا

أما آن أن تقضى لقلبى وعوده ويورق من غصن الأحبة عوده

فقد شقه داء من الحب متلف وليس له غير الصبا من يعوده
وما حال مشتاق تنات دياره وأحبابه مضنى الفؤاد عميده
يراقب من دور النسيم إرادة فان جاءه يركى الجوى ويزيده
حكى النجم بين السحب يبدى ويختفى إذا سال أحبابا وسار وقوده
ولو كان يسعى للرمان ممكنا لسار ولكن أثقلته قيوده

وما انتهى من قوله حتى طرق عليه طيطلوس الباب وكان قد سمع كل كلامه وعرف معنى شكواه فقام له وفتح الباب وقال له ما الذى أحوجك إلى الدخول على فى مثل هذا الوقت قال اعلم أنى بت مشغل البال عليك فلم أحدث نوم فرمته الاطلاع على خبرك فقصدت بابك فعرفت حالتك وسمعت كل ما قلته وتيقنت أنك عاشق لامحالة ومثل هذا كنت أخاف عليك لأنى من حين ولادتك أخبرت أباك به فأطلعنى الآن على سبب هذه الحالة التى أنت فيها ومن هذه الفتاة التى تهواها قال ان آدابك قد غشتك فانى لم ألفظ شيئا مما تقول فمن أين يأتينى العشق أو من أين أرى فتاة وأنا فى هذا القصر المنفرد لا أرى إلاك والخدم قال طيطلوس لا تخف عنى شيئا يا سيدى سمعت ما تقول حرفا وحرفا وأنت تعلم أنك وحيد لأبيك وللمملكة كلها وأمك ماولدت غيرك ولن تلد فيما بعد فاشرح لى حالك فأجد لك وسيلة يرتاح بها ضميرك ويهدأ بالك وربما أعرف ماتهواها فآتيك بها وتروحك إياها قال اعلم أنى لا أعرف فتاة إنما الله قصد أن يشغلنى فبعث إلى باحدى بنات كانت حبائله فرمتنى بسهام حب لا أظن أن لى منها بعد نجاة . ثم حكى كل ماوقع له فى الثلاث ليال الماضية وقال له فى آخر كلامه وانى أشعر الآن بثقل حب وأود أن أطرد عن ذهنى كل هذه الأوهام وأبعد عن عينى شخص من رأيتها فلا أقدر بهذه حالتى والسلام فلما سمع الوزير كلامه اضطرب فى داخله لأنه كان خبيرا فى حوادث الايام لكنه أظهر الجلد وقال ان مارأيته اضغاث أحلام ولم يكن فى ظنى أن تسلم نفسك ليد الأوهام على أن كثيرا من الناس من يرى أشباحا وأرواحا وطيورا ووحوشا وغير ذلك فى منامه وعند انتباهه من النوم تزول تلك الاوهام بزوال تخيلها عن ذهنه قال ويلك ياطيطلوس انك تهذى بك خبيرا عاقلا فكيف تكون اضغاث أحلام وقد مر على خيالها بحونتى ثلاث مرات وفى كل ليلة تزيد حسنا وبهاء ارأيت من حلم حلما واحدا ثلاث ليال متوالية فوالله ان فى هذا الأمر سرا عجيبا وان الله سبحانه وتعالى يوحى مالا نعلم على ان الفتاة التى نظرتها هى فتاة يقظة لا فتاة منام فلا بد من وجودها فى هذه الدنيا وهى بانتظارى وقد كتب نصيبى عليها وإنما لا أعلم فى اى بلاد هى قال ان كان لابد ياسيدى من السؤال عنها اخبر اباك بالقصة فيسعى بالتفتيش عنها واينما وجدها لابد

من احصارها قال إياك تدع احد يعرف شيئا من امرى وإلا والله العظيم اهلكتك ورعت نعمتك لانى لا اريد ان يقضى عرضى على يد احد قال اليك فافعل ما تريد ثم اعرض عنه وهو فى قلق لأجله لانه كان يحبه جدا وكان يعرف انه يقاسى من اسباب الغرام الأمور الصعاب فعمد إلى ان يستعمل له الوسائط التى تلهيه عما كمن فى قلبه من الحب ولكن كان كمن يريده وجدا وهياما ودام الحال على هذا المنوال مدة ايام وابن الملك فى ارتباك وانزعاج يرى فى الليل شخص حبيبته ويصرف النهار فى الشكوى ومناشدة الأشعار حتى كاد يسقم ويمرض فضاق صدر طيطلوس من امره وعول ان يخبر اباه بامره الا انه فكر بيمين فيروزشاه الذى اقسم له بانه يقتله ان باح بسره وقال فى نفسه يا ترى لو اخبرت الملك فماذا يعمل فيه اهل يعلم من هى عشيقته وهل يعرف مكانها واخذ يعمل الفكرة فى إيجاد وسيلة يتخلص بها ويخلص ابن الملك فلاحت منه التفاتة فى البر فوجد رجلا آت لجهة القصر فاحدق به فعرفه بانه شياغوس النقاش وهو كان من تلامذته قديما فنزل إليه ولاقاه خارج القصر وسلم عليه وسأله من اين آت فقال له كنت طائفا فى جهات الأرض من مملكة الى ثانية فقال قد اتيت الآن بوقتك لان ملكنا وابن ملكنا فيروزشاه متكدر الافكار فاريد منك ان تسليه وتشغله عله ينسى ما هو فيه فقال سمعا وطاعة فدخل طيطلوس إلى ابن سيده وقال له انى اتيتك برجل خبير باحوال الدنيا وهو شياغوس المصور فمهنته التصوير وهو ينتقل دائما من مكان إلى مكان وانى اريد ان نقيم عندك فيخبرك عما كان يرى فى اسفاره علك تتسلى فترى بانه الخبير لنفسك قال على به فادخله ولما مثل بين يديه اكرمه وقال له اريد منك يا شياغوس ان تطلعنى على الطف ما شاهدت فى اسفارك فانى ارى صدرى ضيقا فعساك تفرج عنى ما بى فيكون على يديك نوال مآربى وكان طيطلوس قد تركهما وذهب فنظر شياغوس فى فيروزشاه فلم تخف عليه حالته فقال فى نفسه انه عاشق وليس يسره إلا الحديث عن النساء والبنات ووصف الجميل منهن فقال له اعلم يا سيدى ان صنعتى نقاش مولع بالسفر فاطوف واحدة فواحدة فاشتغل بها فى عند الملوك والوزراء فاصور لهم الصور الجميلة وانقش لهم النقش الفاخر فى القصور والمعابد ففى ذات مرة كنت فى بلاد اليمن وهى فى اواسط بلاد اليمن وملكها يسمى الشاه سرور وهو يحكم على صنعاء وعدن والطائش وغيرها وكان لى صديق فى تلك المدينة فنزلت عليه ضيفا واقمت عنده اياما ففى ذات يوم كنت فى اسواق المدينة فرأيت الناس يتراكضون فظننت انه حدث شيء فى البلد فاسرعت فى الركض حتى اتيت بيت صديقى فرآنى فى هذه الحالة واستفسر منى عن امرى فقلت له هلم فاريك ثم ذهبت به إلى نافذة صغيرة فى احدى زوايا بيته

وقلت له انظر كيف الناس تتراكض فقال لى ان كان هذا الذى أشغل بالك فاصبر لترى فنظرت إلى جوانب الساحه التى نحن مشرفون عليها وإذا بها تنتهى إلى حديقة ذات أشجار يانعة وأشجار مفتحة عطرة فمن منثور مشور فى كل جهاتها ومن ياسمين يكسوها حلة بيضا ومن ورد قام على أغصانه زكى الرائحة قانى اللون

حيث الاقاح بدار الورد متسق ... والبان قد بان والمنثور منثور
حيث السفسج وافى والهزار على ... أعلى الغصون تغنيه الشحارير
حيث الرياض هبوب ميلها ... والماء قد رقصت فيه النواعير
حيث الشقيق شق الجيب فى حلل ... حمر ودهرى بالأفراح ميسور
حيث الحبيب وفى بالوصل لى كرما ... وجاد فضلا ووافتنى التباشير

وما مضى بعد ذلك ربع ساعة إلا انقطع الذهاب والاياب ثم تبع ذلك صف من عساكر المدينة يمشون بترتيب أرواحا أرواحا حتى انتهوا إلى الروض فأحاطوا به كالحراس وبعد ذلك نظرت إلى صف من الجوارى يبلغن أكثر من ٣٠ جارية كل منهن كأنها القمر المنير وهن يمشين أيضا أرواحا أرواحا ومن خلفهن يا سيدى صبية جل من خلقها لا يمكن لأعظم شعراء الدنيا ان يأتوا على أوصافها ولا يقدر الجل مصورى العالم أن يرسم ما يماثل ذاك الجمال فكل ما خلقه الله فيها فهو كامل وعليها من الحلى والجواهر مالا يثمن بثمن

خلخالها يحكى الأنين وقرطها ... قلق كقلب الصب فى الخفقان
تهوى الأهلة أن تصاغ أساورا ... لتحل منها فى محل الجانى
بخمارها عسق وتحت لثامها ... شفق وفى أكمامها الفجران
سبحان من بالخد صور خالها ... فأذان عين الشمس بالانسان
أمر الهوى قلبى بهيم بحبها ... فأطاعه وبهبته فعصانى

وبجمل ما أقول لك يا مولاى انى طفت تقريبا أكثر من ثلثى الممالك فلم أر صبيه نحاكيها حسنا وبهاء وهى تخطر كأنها الغصن فى ميلاتها وبيمينها قضيب من الخيزران فكاد يطير قلبى شعاعا مما شاهدت فقلت لصديقى بالله عليك أن تخبرنى من هذه الصبية وما اسمها قال هذه عين الحياة بنت الشاه سرور وقد عين لها أبوها ان تخرج إلى هذا الروض فى كل خميس فتنزل وتطوف أولا فى كل أسواق المدينة وأمامها العساكر كما تراهم فاذا صادفوا فى طريقهم ذكرا قتلوه ولو كان ابن يومين ثم انى أحدقت النظر فى ذلك الروض لأنظر ماذا تفعل الصبية فوجدتها قد دخلته وجلست على كرسى من الذهب واجتمع حولها البنات يمرحن ويمزحن وهى تتفرج عليهن نحو ساعتين وبعد ذلك قامت عن كرسيها فتخللت الروض وجعلت تقطف

ما نصح من تلك الأثمار ثم انثنت راجعة حتى غابت عني وقد غاب معها عقلي ورشدي . وبينما كان شياعوس يتكلم كان فيروز شاه غارقا في بحر من الهيام ولما سمع بذكر عين الحياة حول فاه يحقق وعلى وجهه الاصفرار وكاد يقع إلى الأرض وهو ينتظر تمام حديثه فلحظ منه ذلك وخاف مما رآه في وجهه من التأثيرات العشقية فقال له ما بالك يا سيدي قد صرت كالاموات وما هي الاسباب التي تدعوك إلى التحويل قال له اعلم يا شياعوس اني كنت في ارتباك عظيم من أمر هذه الفتاة التي تذكرها وقد ساقك الله إلى لتحكي لي عنها ما رأيته منها واني الآن مطلعك على أمري ثم أخبره بانه رآها في نومه وانه عشقها بالرغم عن إرادته وقال له في آخر حديثه اعلم أنك إذا ساعدتني على نوال مأربي جعلتك من أكبر أصدقائي وأنعمت عليك وتكون أنت مدبر أموري في كل حياتي فقال ثق بي يا سيدي فاني أخاطر بنفسي لاجلك ولا بد من ربط علائق الحب فيما بينكما وقد لاح لي أن أذهب إلى صنعاء اليمن بلاد الشاه سرور وأعلق صورتك في إحدى أشجار الحديقة المحاذية لقصرها واني على يقين أنها متى نظرت صورتك تتعلق بهواك وافعل ذلك على ثلاث مرار في كل مرة أعلق صورة من صورك مختلفة حتى إذا قصدت بلادها تكون قد وقعت في هواك قبل أن رأتك وجرى عليها كما جرى عليك فهل لك أن تسمح لي بتصويرك فقال افعل ما بدا لك فان رأيك حسن ولعل به الخير وتعلقت آمال فيروزشاه بنوال مأربه فطلب منه شياعوس أن يجلس على مائدة الطعام فجلس وأوقف من حوله الخدم والحجاب أفواجا وصوره على تلك الصفة وأظهر براعته فيها فجاءت الصورة متقنة جدا ثم سأله أن يجلس على كرسي من الذهب ويأخذ بيده الصولجان ويقيم من حواليه الوزراء والحجاب ففعل وصوره ثم طلب إليه أيضا أن يتقلد سلاحه ويركب جواده الكميت ففعل وركب على ظهر الجواد بعد أن سرجه بالسرج المرصع الذي جاءه من جده فصوره وكان فيروز شاه كما تقدم فائق الحسن معتدل القوام مما زاد الصور بهاء ورونقا ولما أتم شياعوس عمله قال في الغد يا سيدي اذهب في قضاء حاجتك واعود إليك قريبا ولي رجاء ان آتيك بما يسر خاطرك فاخذه فيروز شاه إلى صندوقه ففتحه وأخرج مقدارا من الذهب وقال له خذ هذه استعن بها في سفرك لعلها تعينك على إتمام مهمتك فاخذها وبات تلك الليلة وفي الصباح ركب وسار بعد أن ودع فيروز شاه ولا زال سائرا حتى وصل إلى بلاد الشاه سرور فدخل على صديقه وسلم عليه فترحب به وسأله من اين أتى فأخبره أنه كان في بلاد الصين عند أستاذه طيطلوس وفي الصباح خرج إلى المدينة واشترى كامل لوازمه وعاد إلى حجرته وجعل ينقش تلك الصور ويرجعها بحسب اللون المرغوب عند النساء إلا أنه لم يكتب اسم فيروزشاه

عليها حيث كان قد أوصاه بذلك ولا زال على ذلك حتى انتهى من عمله فخرج إلى قصر عين الحياة فوجد الرياض محدقة به وتجاه القصر شجرة عالية كاد تبلغ شبابيك القصر إلى الليل فأخذ صورة وتسلق جدار الروض ومشى إلى تلك الشجرة فصعد عليها وعلق الصورة فيها ودار بوجهها إلى جهة القصر وانعكف راجعا ولما كان الصباح فتحت عين الحياة نافذة قصرها المطلة على تلك الروضة وكان من عادتها أن تصطبح في الشباك فتشرب القهوة قبل اشراق الشمس وتستنشق روائح الزهور التي تبعث بها نسمات الاسحار اللطيفة فلما فتحت ذاك اليوم النافذة وقعت عينها على تلك الصورة فأخذها العجب وفي الحال أمرت من ماتها المخصوصه وكان اسمها شريفة فقالت لها انزلى إلى البستان واتيني بهذه الصورة المعلقه في هذه الشجرة فنزلت وأتتها بها ولما وقع نظرها على صاحبها انفتح له في قلبها منزلا رحيبا وحركته دواعي حب كانت قد أعدتها لها يد العناية فشغلت على عين إرادتها بجماله فوضعتها أمامها وجعلت تتأمل فيها وإذا مكتوب تحتها هذه الأبيات

تقمص ثوب اللاذ من فوق لؤلؤ ورصع بالدر الجمان بديدا
غزال كساس لو رأته من السما كواكبها خرت اليه سجودا

فصرفت وقتا وهي تنظر الى الصورة وتأسف كيف ان اسم صاحبها لم يكن مكتوبا عليها لكانت تدرره فتسعى في طلبه ولما طال عليها الحال ولعب بها البلبال لم تر وسيلة الا مناشدة الاشعار فجعلت تقول

ولما حدى الحادون بالبين والنوى وشب لنار الاشتياق وقود
ولم يبق لي من مسعد غير زفرة ودمع وأشواق على ترند
طلبت من القلب اصطبارا فمال لي وللشوق عندي مبدىء ومعيد
لقد كنت صبا والديار قريبة وكيف وعهد الدار عنك بعيد

وصرفت عين الحياة ذلك النهار بين اليأس والرجا وهي تارة تدنوا من تلك الصورة فتقبلها وطورا تقول ماذا ينفعني الرسم اذا غابت عني الحقيقه ولما دخل الليل وآن وقت النوم وضعتها بجانبها ونامت وما استقر في فراشها حتى استفاقت ونظرت من الشباك فوجدت أن الليل لا يزال حالكا فعادت الى فراشها وأقامت فيه الى ان انشق ثوب الصباح وبان من تحته ساطع النور ففتحت الشباك حسب عادتها ونظرت الى الشجرة فوجدت صورة ثانية معلقة في غصن الشجرة فاسرعت الى الحديقة وانزلت الصورة بنفسها ولم تصبر ان تأمر خادمتها باحضارها وطلعت بها القصر ولما وضعتها امام الصورة الأولى وجدت انها الشخص واحد ونظرت مكتوب تحتها

كأنما الحسن لما رأى صورتها قد قال للحسن كن وجها فكان لها

فرمت نفسها عليها وأخذت تقبلها وتمرغ بوجهها عليها فأتت جاريتها شريفة فوجدتها على تلك الحالة فعرفتها وقالت لها ما بالك يا ستاه على هذه الحالة هل جننت أتعملين كل ذلك لأجل رسم زخرف لا أصل له ولا فصل ولو نظرت صاحبها ماذا كنت تعملين قالت نعم إنى أعشق صاحبها قبل أن أراه فهو أجمل رجل فى الدنيا ولا أشك انه من أبناء الملوك وما علق هاتين الصورتين أمام قصرى إلا وفى نيته انه يريني ذاته فهل ياترى أراه قريبا وأبل أشواقى بقبلة وجنابه ثم أنشدت

تأوى والأمانى الكاذبات به تدنو   بديع جمال من محاسنه الحسن
هو البدر لاينكر عليه بعاده   تراه قريبا والبعاد له شأن
أطال على الهجر حتى لطوله   تعلم منه هجر صاحبه الجفن
وعرفني الأحزان حتى عرفتها   فمر أحلها عندى السرور هو الحزن
رشا طلعت شمس البها من جبينه   وماس بها فى قده غصن لدن
فديتك ما هذا التنائى فلست من   يطاق بأن تشتاقك العين والأذن
أظنك تدنو والليالى صبية   بقربك لكن ربما صدق الظن

وكادت عين الحياة تعدم عقلها لو لم تكن ممن يصبر على حوادث الايام وان كانت لم تتعود الشقاء ولا سلكت سبيل الحب قبل ذلك الآن ولو لم تسلى نفسها بالنظر إلى الصورة وتعللها بلوغ الأمانى لوقعت فى اليأس وخسرت عقلها .

وأما شياغوس فانه لما نظر إلى الصورتين قد أخذتا تأكد ان التى اخذتها هى عين الحياة فزاد فرحه وقال فى نفسه لا ريب انها ستقع فى هواه عند نظرها اعتدال قامته وجمال وجهه فصبر إلى ان دخل الليل فاغتنم الفرصة وعلق الصورة الثالثة ورجع ينظر خلف جدار الحديقة ليعلم من يأخذها ولما كان الصباح فتحت عين الحياة طاقتها فنظرت الصورة معلقة فركضت ملهوفة الفؤاد وتسلقت الشجرة وأنزلتها ورجعت إلى قصرها ونظرت إلى وجهها فوجدتها كالصورتين المتقدمتين حسنا وبهاء ونظرت مكتوب تحتها .

يا من يد الرحمن قد خطت على   صفحات خديه السنية لاما
قد تم حسنك بالعذار فمن رأى   بدرا يكون له الكسوف تماما

وبعد أن شخصت بالصورة برهة وهى فاقدة العقل حائرة القوى لاتعى على شيء صاحت واشدة لوعتاه هل خلقت أيها الملاك لعذاب قلب لم يتعذب قط قبل ان شاهد بهاك فأين أنت وفى أى مكان أعلى الأرض أنت أم فى السماء فيالت السماء تنزل صواعقها القاتلة على رأس من نقش صورتك ولم يكتب اسمك وليت يداه تعدمان فقد سبب بلاءى وعذابى . ياليته لا يصور ولا يكتب فقد رسم صورتك

اللطيفة وخط بأنامله خطوط جمالك الباهر ولولاه لما عرفت بأنك تجسدت في بشرة آدمية ثم لطمت على خديها وهي تصيح صياح الألم الناشيء عن الحب القتال وأنشدت

من لقلب ما بين سمر وبيض | من قوام لدن وطرف مريض
مالمن صادم الهوى من نصير | فاليه إذا سطا تعويضي
زارني في الدجى فكان كالبدر الـ | ـتم قد لاح في الليالي البيض
شادن لو يقابل البدر والشمـ | ـس لكانا في رتبة الحضيض
سلب العقل والفؤاد وحلا | في صحرائه الطويل العريض
فنهاري نهار منتظر فيـ | ـه وليلي مادمت ليل المريض

فلندع الآن عين الحياة تتقلب على فراش الغرام وتتحسر ناظرة من صورة إلى أخرى تعض الانامل ولاتستدل إلى نوال المراد ولنرجع إلى شياغوس فانه بعد ماتأكد أن الصورة أخذتها عين الحياة نفسها تأكد عنده وقوعها بهوى فيروز شاه وأمل نجاح مسعاه فقال في نفسه قد انتهى الامر ولم يبق علي إلا أن أعود إلى إيران وأخبر فيروز شاه فيرسل من يخطبها من أبيها أو يأتي بنفسه اليها وهيأ نفسه للرجوع من حيث أتى وكان فيروز شاه من حين ذهاب شياغوس عاد إلى ما كان عليه من النوح والتعداد والاكثار من ذكر عين الحياة ومما زاده غراما علمه بأن حبيبته التي شاهدها في حلمه هي بنت ملك وانها من أبهى النساء حسنا وان ما رآه لم يكن وهما بل حقيقة ولما ضاق عليه الحال دعا بأخيه فرخوراد وقال له قد آن يا أخي أوان فراقنا ولم يعد في خاطري ان أبقى في هذا القصر أكثر من هذا اليوم فابق أنت فيه ولا تطلع أحدا على خبري قال إلى أين في نيتك أن تذهب وأي مكان تقصد فاخبرني لأني لاأصبر على فراقك ولا بد من مرافقتك أينما سرت قال لايمكني ان أفشي لك سري إنما أعلمتك كي لا يشغل لك بال بسببي قال لا أظن انك تخفي عني سرا مع أنك تعلم صدق حبي لك واجتهادي بالقيام بما يرضيك لا سيما وحقوق الاخاء تدعوك إلى ذلك لاننا ما برحنا من حين الولادة حتى اليوم ونحن مع بعضنا لا ينفك أحدنا عن الآخر إلا وقت المنام فلابد من مسيري معك أينما توجهت . لاتطمع في ردعي فان الحياة لاتحلو دقيقة بعد بعدك عني وهل من احد تأتمنه سرك غيري فحكى فيروز شاه أمره لفرخوراد قال انه لم يعد في وسعي ان اصبر عن عين الحياة بعدان علمت أنها في هذه الدنيا تسرح وتمرح بين جواريها وانا أتوجع واتشكى فلابد لي من ان اتأثر شياغوس واسال عن غزالة اليمن واصطاد غزالي بيدي قال إني أرى من الموافق ان تطلع أباك على أمرك فيرسل وزراءه فيأتونك بها وأنت في مكانك دون

ن تخاطر بنفسك قال ان رأيك غير مصيب فانى لا أرغب إلا ان أسير بنفسى ولا أحب ان يعرف أبى بأمرى لانى اعلم انه إذا بحث انى لخطرها من انها ولم يجده تقع بينهما الشرور ويلزم الامر إلى استعمال السيف فيريد المهار ورباحد مالم نكن فى البال فيروحها انوها من غيرى ولا بدلى من المسير قال إذا ترانى على استعداد الرحيل فى ركابك

واتفق الاثنان على مبارحة المدينة وططلوس مشغل عنهما لا يعرف على ما فى نيتهما وقبل انغلاق الفجر بهضا من فراشيهما فتقلدا سلاحهما وركب كل واحد جواده بعد ان اخذا من احتياجهما ما يقتضيه سفرهما وخرجا فنظرهما احد خدم القصر فسألهما أين يقصدان فى مثل هذا الوقت قالا له نقصد الصيد وبارحا القصر وبعداعنه وغابا عن المدينه وهما يجدان المسير ويقصدان بلاد اليمن ولا يعلمان من أى طريق يدخلان اليها وعند ما انتبه فقط طيطلوس فى صباح الغد سال عنهما فاخبره الخادم انهما بكرا فى طلب الصيد فسكت لعلمه انه كان من عادتهما ان يذهبا إلى صيد الوحوش ويوسعا فى البر الاقفر ولما مضى ثلاثة ايام ولم يرجعا شغل فكر طيطلوس ، قال فى نفسه لا بد انهما سافرا عن هذه النواحي وزاد ارتباكه ولم يخبر الملك بامر ولده ولم يعد بعد ذلك فى وسعه ان يخبره فعظم كدره وقلقه وصار فى حيرة والشغال

وكانت بلاد اليمن بعيدة عن إيران مسافه ٤٥ يوما فقطع فيروز شاه ورفيقه مسافة طويله عن المدينة وهما يسألان الغادى والصادى عن الطريق إلى ان صادفا قافلة تسير فى البر فقدما منها وسألاها أين تقصد فقيل لهما انهم يقصدون بلاد اليمن بلاد الشاه سرور وان معهم تجار آخذون بضائع يبيعونها فى تلك المدينة ففكرا انهما يرافقانهم فمشيا بعيدين عنهم وكانت القافلة تسير وهما يسيران منفردان لوحدهما على حدة واحدة فشغل بال رجال القافلة فاجتمعوا وعقدوا مجلسا وقرر رأيهم ان يدعوهما اليهم ويسالوهما عن نفسهما ولما حضرا إلى القافلة سألهما رئيسهما عما تقدم فقال له فيروز شاه إننا مثلكم نقصد بلاد اليمن قال ولما انتما منفردين عنا مع ان قطعة الطرق كثيرون قال إننا لا نخافهم وإن كنتم تخافونهم فإننا نخفركم إلى حين تصلون إلى وطنكم فلم يرتح فكر رجال القافلة من كلامه وزاد قلقهم وقالوا فى انفسهم لا بد من ان يكونا من رفاق قاطعى الطرق وهما يرقباننا الى ان يحضر بقية رفاقهما فصبروا إلى ان كان المساء فنزلت القافلة فى ناحية ونزل فيروز شاه وفرخوزاد فى ناحية اخرى فزاد ذلك خوف اهل القافلة إذ ذاك دعا رئيسهم احد عبيده فاعطاه مائدة عليها من اشكال الطعام الوان ووضع فيه بخورا ، قال له سر بهذه المائدة إلى الفارسين المقيمين هناك واهدهما منى السلام وقل إننا نظرناهما بدون خدم وليس من يصنع لهما طعاما فارسلنا اليهما من طعامنا فاخذ الخادم الطعام وسار حتى وقف امام فيروز شاه ورفيقه

فقدمه اليهما بامهما رسالة مولاه فشكراه على فضله وتناولا من الطعام فأكلا وكانا في شوق إلى الأكل فما لبثا إلا القليل حتى وقعا الى الأرض كالموتى فسار العبد وأحضر جماعته فأتوا اليهما وأوثقوهما بالحبال ووضعوا بهما بحواديهما إلى القافلة . ولما أيقظوهما ووجدا حالهما موثقين قالا لهم ماذا عملنا معكم من الأذية حتى باديتمونا بهذه الفعال قد لاح لنا انكما من رفاق اللصوص وقطاع الطرقات لما رأيناكما تنفردان عن القافلة فاستحسنا ان نجعلكما مثل الرهن عندنا فاذا فاجئنا رفاقكما جعلناكما وسيلة لردعهم فقال فيروزشاه يعلم الله اننا لسنا ممن ترعمون واننا والله العظيم نقصد تعراء اليمن ولا نعرف الطريق فعرمنا أن نرافقكم إلى حين وصولكم وانفردنا لنخفف عنكم أثقالنا قالوا إذا كنتم كما ترعمون فلا بأس عليكم واننا بعد ان نقطع هذه الطريق نطلقكم بحيث تكونون قد أمنا من غوائل شياطين هذه الطريق ثم رفعوا الأحمال وساروا وقادوا أسيريهم معهم فقال فيروز شاه لفرخزاد ما هذه الحالة التعيسة فاني أخاف ان يدخلوا بنا تعراء اليمن على هذه الحالة فنكون معرة عند كل قاعد وقائم ولا سيما إذا عرضونا على ملك المدينة وعرفت ساعين الحياة قال ما يفعله الله فهو خائر ولا بد إن شاء الله تعالى من الخلاص

ولا زالوا سائرين إلى ان أقبلوا على سهل متسع متشعب الطرقات كثير الحجارة فخرج عليهم قطاع الطرق وعددهم أربعون فارسا يحملون السلاح وهجموا على رجال القافلة فالتقوهم ودار بينهم القتال مدة من النهار حتى كاد ينتصر قطاع الطرق على أهل القافلة وقد قتلوا منهم نحو عشرة وعول الباقون على الانحلال فصاح فيروزشاه في التجار ويلكم ادفعوا الينا سلاحنا وخيلنا فندفع عنكم الشر والإ اهلكتم وهلكنا معكم وإننا نقسم لكم بالاله الذي نعبده أننا لا نخون بكم فلما سمع الرجال كلامهما وكانوا قد قطعوا الرجاء من الخلاص دفعوا اليهما السلاح وأطلقوا اسرهما فقصد فيروز شاه ان يركب فمنعه فرخزاد وقال له لا حاجة أن تتعب نفسك فان الاعداء قليلون واني أدفع عنك شر هذه الصدمة ثم صدم القوم وصاح فيهم صيحة صمت لها آذان الخيل ووقع الرعب في قلوب الجميع وقوم السنان وجعل يطعن في صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال وكلما قصدوه صاح وفرقهم وأهلك منهم جانبا وهرب الباقون وهم يستعيذون من شره ويلعنون الساعة التي جاءهم فيها وقالوا بأنفسهم لولم يأتنا هذا الشيطان لكسبنا الاموال والغنائم وأما أصحاب القافلة فانه تقدم من فيروز شاه وشكر فضله واعتذر اليه وإلى رفيقه فقال له لا بأس عليك وانك معذور فيما فعلته معنا فحفظنا على حياتكم إذ لو كان فكرنا أن نبطش بكم لما تأخرنا عن ذلك لأن كل واحد منا كفؤ لمقاومة جيش ملك فطلبكم في غير محله من الآن فصاعدا ولا تظنوا بنا سوءا ثم طلب الانفراد فانفرد مع أخيه فرخزاد

وقد حطت القافلة فى تلك الساحة فاقاما بعيدا عنها إلا أن رجال القافلة كان لا يزال فكرهم يضرب بين الشك واليقين من صفاء باطنهما وقد زاد خوفهم مما شاهدوه من قوة بطشهما واقتدارهما ولما أظلم الليل وتأكدوا نومهما حملوا الاحمال وساروا يسرعون فى جوف الطريق حتى غابوا عن ملك الأرض وبعدوا عنها جدا ولم يكن من سبيل لاقتفاء أثرهم وإذا كان الصباح نهض فيروزشاه من نومه والتفت يمينا وشمالا فلم ير أثرا لأحد من القافلة فتكدر جدا وقال لفرحوزاد أنظرت يا أخى ضعف عقل هؤلاء القوم فانهم ما برحوا فى ارتياب منا ولهذا السبب رحلوا دون علمنا وتركونا وحدنا لا نهتدى إلى الطريق فقال له هلم ما اذا نسير على أثرهم عسانا نهتدى إلى سواء السبيل

ثم ركبا جواديهما وسارا على بركة الله وحسن توفيقه إلى أن انتهيا إلى سهل واسع كثير الطرق فوقفا متحيرين فى اى طريق يسيران وبعد التفكر اعتمدا على طريق فسلكاه وانتهيا منه إلى قلعة منفردة فى ناحية من ذلك المكان تبعد قليلا عن الطريق فنظرا إلى تلك القلعة وإذا خرج منها عشرة فرسان متقلدون السلاح وأمامهم فارس كالهيكل يظهر من هيئته وحركته انه كبيرهم وسيدهم فوقف الاثنان وقد تهيئا للدفاع إذا اقتضى الامر ولما قرب منهما الفرسان صاحا عن فرد لسان هذان اللذان التقيانا فى القتال وفعلا بنا فعلا ذريعا فلننتقم لانفسنا منهما ثم قوموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وارتموا بأنفسهم على فيروز شاه ورفيقه بالتقيام بقلب كالصوان وحاولاهم ثم التقيا بكبيرهم فهجم عليه فيروز شاه وقبض على جلباب درعه ورفعه إلى ما فوق رأسه حتى بان ما تحت إبطه ورمى به الى الارض فجاءه فارس آخر وهو أخو الاول وقصد أن يجول معه فلم يترك له مجالا بل رفسه برجله القاه إلى الارض بقرب أخيه

ولما شاهد الباقون فعله ألووا الاعنة وانهزموا مسرعين نحو القلعة فدخلوها وأقفلوا من ورائهم وفى نيتهم أن يحاصروا داخلها ، ورجع عنهم فيروز شاه

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى



الجزء الثانى

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

بعد أن روى حسامه من ادميتهم فوجد فرحورا قد أوثق الاسيرين فقال له دعنا نقتلهما فانهما من قطاع الطرقات الذين يحرمون عباد الله من المرور ويسلبونهم أموالهم فصاح أحدهما وقال العفو ياسيدى فانا لسنا نقطعة الطرق وإنما نحن أبناء ملوك وقد وقع لنا من الحديث ما ألجأنا إلى هكذا فعل فقال أبناء أى ملك أنتما وما هو أسماكما قال اسمى قادر شاه واسم أخى فاهر شاه وحديثنا أن أبانا كان يحكم فى بلاد الكوفة فلما توفى ترك ملكه لى ولاخى إلا أنه كان لنا عم طماع حسود يدعى الشاه خالد وله بنت جميلة تدعى الشمروح احبها اخى فطلب إلى عمه ان يزوجه بها فقال له لا اجيبك إلى ذلك إلا ان تهبنى حقوق الملك فقبل معه على هذا الشرط وقال له انى اهبك حقى من الارث وهو النصف وذلك نصيبى فلم يقبل عمى وكان يعرف شدة حبه لبنته وقال له ان شئت زواج بنتى حقيقة فاحمل اخاك ان يترك حقه ايضا من الملك فقال له انى لا اقدر ان اجبر اخى وليس فى وسعى ان اهبك ماليس لى فلم يقبل منه عمى ومنعه عن بنته حتى كاد يموت من هواها فلما رأيت حالته شفقت عليه وتركت لعمى حقى وقلت له ان حياة اخى احب إلى من كل ماتملك يدى ثم سلماه ملكنا فجلس مكان ابى حاكما على المدينة ولما سألناه الوفاء نكث وطردنا فأتيت باخى وسكنا هذه القلعة وقد لحق بنا بعض اصحابنا فصرت اسلى اخى بالغارات واشغله عن بنت عمه إلى ان التقى اصحابى بكما فى المرة الاولى فقتلتما منهم ما قتلتما وبعد ذلك جرى بيننا ماجرى فهذا حديثنا والسلام فافعلا ما شئتما واحسانا من جملة العبد فقال فيروزشاه ان قلبى قد تأثر من حديثك واريد ان افرج عنكما لانكما مظلومان ونفس الحر تأبى الظلم وأحب ان أقضى حاجة كل مغرم عل قاضى الحاجات يوصلنى الى حاجتى وإنما عليكما شرط واحد وهو أن تؤمنا بالله العلى العظيم وتتوبا عن ارتكاب المعاصى فقالا إننا آمنا من هذه الساعة فعلمنا عبادة هذا الاله فعلمهما بعد أن حل وثاقهما وجاءوا جميعا إلى القلعة فرأوا ابوابها مقفلة وقد حاصر من فيها فصاح بهم قادر شاه ففتحوا الابواب ودخلوا القلعة وقد تعجب فيروزشاه من متانتها وتحكيم بناها ونزل فى مكان رفيع منها وما لبثوا ان استراحوا حتى قدم لهم الطعام فأكلوا واكتفوا وباتوا تلك الليلة فى القلعة يتحادثون بامر الشاه خالد وفى الصباح نهضوا جميعا وساروا نحو مدينة الشاه المذكور إلى ان وصلوا إلى ضواحيها

فنزلوا عند ابوابها وكتب فيروز شاه كتابا إلى الشاه خالد يأمره بأن يأتي طائعا وان يسلم الملك إلى ابن أخيه ويروح بدونه بالثاني ولما وصل إليه الكتاب تكدر جدا وأقسم على هلاك ولدي أخيه وخرج بعساكره وهو يظن أن خارج المدينة جمعا كبيرا فلما نظر قلتهم ضحك منهم وأمر العساكر أن يشتملوهم على أسنة الرماح فدفعوا فيهم فهجمت العساكر دفعة واحدة فالتقاها فيروز شاه ومن معه بقلوب لا تخاف الموت ولا تهاب وقع الأسنة وقامت الحرب على قدم وساق وفعل فيروز شاه بالعساكر فعل المحل بالحصاد وكذلك فرحوزاد وبقية الفرسان وقد تقوت قلوبهم بما رأوه من فعل فيروز شاه لأنه ما قصد ناحية إلا وفتح فيها طريقا ولا ضرب فارسا إلا وقطعه مع جواده قطعتين وما أقبل المساء إلا وضعضعت أركان العساكر ولم يعد في الامكان اجتماع شملها فانتثرت انتثار الغبار بفعل الرياح وكل يطلب لنفسه النجاة وقد التقى فيروز شاه بالشاه خالد فاستأسره وعاد به إلى الخيام ورجعت العساكر إلى المدينة وأقامت على الأسوار طلبا للحصار وبعد أن نزل فيروز شاه في صيوانه حضر الشاه خالد إلى بين يديه وهو موثوق الأيدي وقال له ويلك يا أثيم أما كفاك بأنك اغتصبت الملك من أولاد أخيك بل طردتهما وأخلفت بوعدك ولم تعطهما ذلك الا تعلم أن الظلم رديء العواقب وأن الغدر يعود بأهله إلى الخراب فاختر لك الآن أحد الأمرين اما الموت واما زواج بنتك بابن اخيك فقال أرجوك العفو فانى أعلم من نفسى بانى ظالم ولم احسب لعواقب الأيام حسابا وقد لقيت جزاء فعلي من الذل والاهانة وها انى اشهدك على انى اروجت بنتي الشمروخ إلى ابن أخي قاهرشاه وتكون بانت الحكم بيننا فتقدم اليه فيروزشاه وحل كتافه وقال له سر إلى المدينة واهتم بحفلة الزواج فقال قادر شاه نخاف ان يدخل المدينة ويحاصرنا فيها فيعود معه إلى التعب قال دعه يفعل ما يريد فان الدخول الى المدينة سهل علي جدا فاذا اخلف وعده اهلكته فسار الشاه خالد وهو لا يصدق بالخلاص وتبعه فيروز شاه وجماعته ودخلوا المدينة وقد فتحها حراس الأبواب عندما رأوا ملكهم قد عاد سالما وقد اصحب معه اعداءه فنزلوا في قصر من قصور الملك واعد لهم ولمن معه فاخره وعملوا بزفاف فامر شاه واقاموا حفلة الزفاف ثلاثة ايام متواليات والأفراح قائمة بين الخاص والعام وبعد ذلك دخل بعروسه ونال بغية مراده

ولما عزم فيروزشاه وفرحوزاد على السفر قال له الشاه خالد أعلم يا سيدي انه ليس لي إلا هذه البنت وقد اروجتها بابن اخي واريد ان اتنازل له عن الملك لأنه ميراث أبيه وهو احق به مني فقال قادرشاه واخوه انا قد تركنا الملك لعمنا فلا نرجع به وانا لا نحب ان نسكن الا في القلعة مرتاحي البال قال فيروزشاه اذا شئتما ان تقيما في القلعة

فعاهداني أنكما لا تفصلان بعد ان شاء الله فعاهداه وعين الشاه خالد الى ابي أخيه العلوفات وسيرهما بأمان مع بنته وودع فيروزشاه وفرخوزاد وساروا جميعا حتى دخلوا القلعة وبعد ذلك قال فيروزشاه الآن قد وصلنا الى مكاننا وقضي وطرنا وأما الآخر سائر في قضاء حاجتي ولم يعد في مكنتي الاقامة أكثر مما أقمت فارتمى على أقدامه قادرشاه وقال له بالله عليك ياسيدي أن تصحبني معك في سفرك فانه لم يعد في وسعي أن أبعد عنك لاسيما وقد زرعت معنا من الخيل مالا نقدر على مكافأته وعليه فاني أحب أن أبقى بخدمتك الى حيث أشتاق الى أخي فأعود اليه فاراد فيروزشاه أن يمنعه فلم يقبل فقال له افعل ما بدا لك

ثم انهم ودعوا قاهر شاه وركب كل منهم جواده وساروا يقصدون الطريق المؤدية الى صحراء اليمن بعد أن أخذوا كل ما يحتاجون به من المأكل والمشارب فودعهم قاهر شاه مسافة طويلة وعاد وهو في غاية الكدر من فراق أخيه وسار فيروزشاه ورفقاؤه يقطعون الطريق مدة ثلاثة أيام فانتهوا الى سهل واسع فنزلوا فيه عند المساء وبعد أن تعشوا ومضى قسم من الليل نام فرخوزاد وبقي فيروز شاه وقادرشاه سهرانين قسما من الليل ثم قال فيروزشاه لقادرشاه قم يا أخي ونم فقال له كيف أتركك وحدك يا سيدي قال نم أنت الآن فانه لابد لنا من حارس وأما لم يأخذني نوم في هذه الليلة فلا يمكنك أن تصرف الليل بلا نوم ولا زال عليه حتى نام ولما خلا المكان بفيروزشاه تذكر عين الحياة فهاج عليه غرامه وهزته أشواقه وتمنى لو أنه طائر لطار اليها وصار يعدد هواه ويفكر في ماذا يصير من أمره اذا وصل اليها وكيف السبيل الى نوال مراده وبعد أن زاد عليه الحال أنشد فقال

بكت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
واني وإن فندت في طلب الصبا لأعلم اني لست في الحب اوحدا
اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا
مهفهفة الأعلى واسفل خلقها جرى لحمه من دون ان يتحددا
من المدمجات اللحم جدا كانها عنان صناع مدمج القتل عصدا
كان زكي المسك منها وقد بدت وريح الخزامى عرفه ينفح الندا
واني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

ومازال على هذه الحالة حتى ضاق صدره وعيل صبره فقصد الخروج الى خارج الصيوان وكانت ليلة مقمرة مشرقة بالانوار فما وصل الى الخارج حتى تبين عن بعد خيل تسير الى جهة وعليها فرسان بايديهم الأسنة وهي تلمع كالماس فكاد يطير عقله وزحمت اليه نخوته وشجاعته فاسرع الى الكمين فاسرج واخذ سلاحه بالعجل

بيده دينار فدفع نصفه إلى صاحب الخان وأمره ان يبيعه له فباعه ثم احتاج أيضا فباع عمده وثيابه الثقيلة ولم يأته ذلك الخراج الطماع على القول ان تحرك شيء إلا بعد ان ضيع منه كل ماعنده وشاهد ان الأمل بالخلاص منه محال فودعه وخرج فرحا بما كان قد أخذ منه وكذلك صاحب الخان فانه عند ماشاهد نفود المال من فرحوراد صار يقطب في وجهه وإذا سأله قضاء حاجة لا يأتيه بها إلا انه كان قد شقي تماما فخرج من الخان مأيوسا حزينا ليس في جيبه بارة واحدة يشتري بها خبزا يسد به رمقه وقد فعل به الجوع فعلا ذريعا وكانت عزة نفسه تمنعه عن التسول ولا يعرف مهنة يشتغل بها ومازال يطوف في الأسواق محتارا لا يعلم ماذا يفعل حتى أمسى عليه المساء فأنف من الرجوع إلى الخان فدخل تحت رواق دكان ونام تلك الليلة وقد لاقى من شدة البرد والجوع ما لا طاقة له على حمله لأنه لم يكن تعود مثل هذا الذل والانكسار ولما أصبح الصباح خرج قبل أن جاءصاحب الدكان ورجع إلى التطوف متكلا على الله حتى وصل إلى دكان بقال يبيع البقول ويبيع العيش والطبخ فوقف بابه ينظر إلى الناس وهي تدخل الدكان تشتري وتذهب وحركه جوعه إلى التقدم فمنعه شرفه حتى وقع في ارتباك وكانت حالته لا تخفى على الناظر فلحظ منه صاحب الدكان جوعه وشاهد فيه سمة الكرامة وعلو المنزلة فتأكد أنه غريب مصاب فحن اليه فدنا منه وقال له من أين أنت يا ولدي فاني أراك غريبا قال نعم إني غريب وقد دخلت المدينة من أيام فقال له ادخل يا ولدي الدكان فان لي كلمة أقولها لك فاصدق أن سمع هذه الكلمة حتى دخل فأمره ان يجلس على المائدة فجلس فقدم له أكلا وقال كل فمالت نفسه إلى الطعام وقصد أن يمد يده فيأكل إلا انه افتكر ان لا درهم في جيبه وربما طالبه صاحب الدكان بالثمن فماذا يحسبه فامتنع عن الأكل فعرف منه صاحب الدكان ذلك وقال له كل ياولدي فان أحد الذين كانوا هنا دفع لي ثمن هذا الأكل وأمرني ان أطعمك قبل ان اذهب فأكل فرحوراد بنفس منكسرة وقلب حزين وبعد ان فرغ شكر الرجل وقصد الذهاب فمنعه الرجل وقال له اعلم يا ولدي انك غريب في هذه المدينة لا مأوى تأوي اليه واني تزوجت منذ زمان ولم يرزقني الله ولدا فاذا شئت تم عندي فاعدك ولدي ويكون لك نصف من مالي وتقيم في بيتي فافتكر فرحوراد برهة في هذا الأمر وأخيرا أجابه الى طلبه وقال في نفسه إن هذه الحالة أوفق لي ريثما يأتي الله بالفرج وأقام في الدكان كل ذلك النهار وفي المساء ذهب به الرجل إلى بيته وحكى لزوجته خبره فسرت به وأكرمته وأنزلاه منزلة الولد وسألاه عن حاله وأين هو فقال ثم اني انا ابن ملك خرجت برفقة أخي من مدينة لأسباب حدثت علينا في الطريق حوادث

التزمنا إلى التفريق فسار كل منا فى ناحية ولا يعلم أحدنا بمقر الآخر وقد أتيت هذه المدينة غريبا بعد أن ضيعت كل ما كان بيدى إلى أن جرى لى معكما ما جرى فقال له البقال إنك من الآن وصاعدا لا تعد تفارقنا فابق أنت فى البستان وأنا فى الدكان ولابد ان الله يكثر الرزق علينا بسببك ودام الأمر على هذه الحالة مدة ايام وكان فرخوراد يقيم فى البستان يلاحظ مزروعاته وقد أخصب خصبا عجيبا ففى ذات يوم طلب من أبيه ان ينزل معه إلى السوق فأجابه وأقام فى الدكان وما عرض للبقال حاجة فى السوق فقال لفرخوراد كن أنت مكانى ياولدى وبع المشترين فانى مضطر إلى الذهاب لأمر مهم ثم تركه ومضى فوقف فى باب الدكان وصار كل واحد يمر من تلك الجهة ينظر اليه فيعجب من جماله وصبوح طلعته فيقف متفرجا عليه حتى اجتمع خلق كثير فقال لهم فرخوراد ما هذه الحالة فان الدكان معد للبيع والشراء فاما ان تدخلوا تبتاعوا وإما ان تذهبوا من امام الدكان فصار كل منهم يدخل الدكان ويقول اعطنى كذا فيعطيه فيدفع له بلا حساب ويخرج مسبحا الله على بديع صنعه ودام الحال على هذا المنوال إلى ان عاد صاحب الدكان فتفرق الناس حياء منه فنظر فلم ير بضاعته قد بيعت كالعادة فقال له ياولدى إن مثل هذا الوقت تكون أكثر البضاعة بقيت فهل لم يصر عليك رواج مع أنى أرى الناس يزدحمون كثيرا عند الباب قال له كلهم كانوا يشترون وقد بعتهم بالدراهم الموجودة فى الصندوق ثم فتح الصندوق فاندهش عندما شاهد كثرة الدراهم وقال من أين هذه كلها قال بعت فيها قال من أين بعت فهاو الرزق فى الدكان على حاله قال هكذا كان يرضى المشترون فسر سرورا لامزيد عليه وقال كن إذا أنت فى الدكان من الآن وصاعدا لأن بوجهك السعادة والتوفيق ودام الأمر على ذلك مدة ايام حتى ربح البقال مالا كثيرا وصار يعد من الأغنياء

ففى ذات يوم بينما كان فرخوراد فى الدكان نظر وإذا بمناد آخذا فى يده قوس نشاب معلق وهو ينادى بأمر الملك ان من قدر على فتح هذا القوس يطلب ما يختار ومن لم يقدر على فتحه فيدفع الف دينار لصاحب هذا القوس وهو بهلوان دخل المدينة وقد ألقى قباحة على قوادها وفرسانها وأهلها وقد عجز عنه الكثير فهل لا يوجد منكم من يقدر على كبحه فيبان امام الملك وكان المنادى ينادى والناس يجتمعون أفواجا من خلفه وما منهم من يجسر على القدوم إلى اجابة طلب الملك ولما قرب المنادى من دكان البقال وسمع فرخوراد كلامه قفز من الدكان ونظر الى القوس وقال انا أفتحه فقال هل تقبل على مثل هذا الشرط قال أقبل فان الأولاد فى بلادنا يلعبون فى مثل هذا القوس فيفتحونه فشخص به الجميع وأما البقال فانه انتهره وقال

له ارجع يا ولدى فان قواد المدينة عجزوا عنه ومن أين لك المال فاذا كنت لا تفتحه يطالب منك المال وإلا فيسجنك الملك قال لا بد من فتحه وسوف ترى خاف القتال وقال للحاضرين اشهدوا يا جماعة ان هذا ليس بولدى ولا يعنينى منه شيء فهو خارج عنى وأنا الآن برئ منه فتكدر فرجوزاد من كلامه وقال للمنادى خذنى إلى الملك فهما شرط على فانى قابل فعاد به إلى الملك وازدحمت الناس من خلفهما وكل يرغب أن يعرف هل فى وسع فرجوزاد ذلك أم لا ولما وقف فى الديوان وجده محتكا من الوزراء والأعيان وأصحاب المناصب وبينهم رجل ضخم الجثة كبير الرأس يكاد الشرار يطير من عينيه فتقدم المنادى وقال للشاه سليم يا سيدى ان هذا الغلام تعهد بفتح قوس الحديد على الشروط التى نلقيها عليه قال له الشاه هل صحيح ما يقوله عنك يا غلام قال نعم يا سيدى انما لى شرط واحد وهو أنه يفتحه قبلا أمامكم خوفا من أن يكون لا يفتح مطلقا ولظهر لعظمتكم عظم قوته من قوتى وإذا فتحه فانى أشرط على نفسى انى امسكه باصبعين من كل يد فافتحه فتعجب الشاه سليم والموجودون من كلامه وما منهم إلا من مال قلبه إليه وتعلق به لأنه كان نجيبا سعيد الطالع فامر له الشاه بالجلوس فجلس وأتى له بشراب ريثما استراح قليلا ثم قال للبهلوان أسمعت كلام هذا الغلام فانه أشرط على نفسه فتح القوس بعد أن تجربه أنت احتياطا من الحيلة والخدعة فقال أصاب فى طلبه فانى افتحه أمامه إنما إذا لم يقدر على إتمام قوله أيمكنه دفع الدراهم أجاب أن لا دراهم عندى إنما أرهن نفسى لخدمة حضرة الشاه وانى أريد الشرط إذا لم أوجه فليؤمر بضرب عنقى فى هذا المكان فنهض الموجودون وقالوا نحن ندفع عنه الدراهم إذا عجز عن قوله وفى الحال نهض البهلوان ومسك القوس بكلتا يديه وتمطى به وأقام نحوا من ربع ساعة وهو يشد عليه إلى أن انفتح ثم أغلقه ودفعه إلى فرجوزاد فاخذه بين أصابعه وهو يضحك مستهزئا واستعان بالله وما لبث أن فتحه باسرع من دقيقة فنهض الشاه إليه وقبله بين عينيه وأمر أن يطرد البهلوان فانخذل وخرج مأيوسا يلعن هذا الغلام وأمر الشاه سليما أيضا بان يؤتى بالخلع فخلعها عليه وألبسه بهلوان تخته ولقبه بحامية بلاده وقد أحبه حبا لا يوصف وعين له قصرا داخل قصره مفروشا بالأثاث الفاخر وسأله عن اسمه فحكى له قصته فزاد حبه له وأعاد اليه جواده وسلاحه فسر فرجوزاد من تحسين حاله ووجد أن القصر الذى أعد له ليس بادنى حالة من قصور الملوك وأقام أياما على هذه الحالة وكان فى كل أسبوع يأمر الملك بان ينصب الميدان حسب عوائد ذلك الزمان لتمرين الفرسان فكان فرجوزاد يفوق على الجميع حتى شاع صيته فى كل المدينة ولم يعد حديث إلا حديثه فى الحانات والبيوت بين الرجال والنسا

وكان للشاه سليم بنت جميلة الوجه مشهورة بلطفها وآدابها اسمها انوش وهى وحيدة فلما سمعت بذكره وقع فى قلبها من هواه شىء فترقبته إلى أن رأته داخلا فى قصره ولما نظرت ما هو عليه من الحسن والجمال لم تعد تعى على نفسها وقالت ان كان هذا زوجى فمن تعد تضاهينى بين البنات فهو كامل حسنا وشجاعة فصبرت إلى الليل ثم دعت قهرمانتها وحكت لها ما وقع فى فؤادها من حب فرخوزاد فقالت لها ما لك ولهذا الأمر فانه غريب عن بلادنا وحبك له ضرب من الجنون قالت انه ليس فى وسعى ترك حبه فهو رجائى وعليه معولى وفيه تشغل أفكارى ولا بد من الوصول اليه فاعملى لى طريقة ولك منى الاكرام الزائد وإلا فانى أموت بعد ان انتقم منك ولما وجدت القهرمانة انه لا بد من طاعتها وانها لا ترجع عن نيتها أجابت إلى سؤالها وقالت لها انك مصيبة فى حب هذا الغلام فهو وحيد عصره مع البسالة والاقدام والحسن العجيب والفصاحة فى الكلام فشكرتها انوش ودفعت اليها عقدا من الجوهر فسرت به وقالت لها قومى بنا لنذهب اليه ونعرفه بنفسنا وننظر ماذا يكون منه إنما كل واحدة منا تلبس ملابس الرجال فاحضرتا لباس الرجال فلبستا وسارتا يسترهما الليل الحالك حتى وقفتا على بابه فطرقتاه فانتبه وصاح من الطارق فاجابته انوش انا من أمراء الشاه سليم نريد الدخول عليك لحاجة ودادية ففتح لهما الباب فدخلا وقد ترحب بهما وأكرمهما وهو متعجب من أمرهما كيف جاءاه فى مثل هذا الوقت واعتذر اليهما كونه لم يكن إلا فى آخر الليل وقد عول على النوم فقالا له اننا لا نريد أن نلقى على عنقك اثقال زيارتنا انما لنا حاجة عندك نلقيها عليك ونريد منك جوابها فجلس فرخوزاد أمامهما فقالت انوش أتعرفنا من نحن قال كلا ياسيدى انما يظهر لى من حالكما انكما من أمراء الشاه سليم وعند ذلك رفعت اللثام عن وجهها فظهرت من تحته بدور محاسنها اللامعة فانبهر منها فرخوزاد وتحير من محاسنها ووقع فى قلبه بغتة من حبها ما كان قد وقع فى قلبها فبقى باهتا فقالت أنوش اعلم انى انا بنت الشاه سليم وقد اتيت اليك لأطرح لديك عظم حبى واسالك بربك ان تعاملنى معاملة الرفق وتقابل حبى بمثله فاقطع عهدا معك على الوفاء ولا يختار احد بادلا عن الآخر إلى ان يسمح الزمان بزواجنا وبكتم هذا السر وانا فى كل ليلة اجىء اليك

فكاد فرخوزاد يطير فرحا عند سماعه عذوبة الفاظها وشرح شكواها من جرى حبه فوعدها بكل جميل واجاب طلبها وعاهدها على الوفاء والمودة وانه لايختار سواها زوجة له وصرفا وقتا وهما بين بث غرام وشكوى وهيام وبين تمكين روابط الولاء لأن كل منهما كان لايصدق فيما يراه ويسمعه ولما انقضى نحو من ساعات ودعته انوش وخرجت وهى مسرورة الخاطر قريرة الناظر وبقى فرخوزاد على ماهو عليه

من محبة الشاه سليم له وتقديمه على كل رجال حكومته لما كان يشاهده فيه من اللطف والظرف والشجاعة والفصاحة ودام مسرورا لا يشكو شيئا إلا فراق أخيه فيروز شاه ويتمنى أن يعرف في أي طريق سار وأين هو

وأما فيروز شاه وقادر شاه فانهما كما تقدم الشرح ما زالا يتقدمان في الطرقات ويسألان عن فرحوزاد ولا أحد يخبرهما عنه بشيء إلى أن وصلا إلى ساحل البحر فوجدا قوما على الشاطئ فتقدم نحوهم قادر شاه فلما رأوه أجفلوا منه وقد ظنوه من طليعة قطعة الطرقات فقال لهم لا تخافوا فإني أريد أن أسألكم عن رجل فقدناه ثم أشار لهم عن فرحوزاد وبين لهم صفاته فأجابوه بأن ما نظره أحد منهم ثم تقدم فيروز شاه وسألهم عن حالهم فقالوا إننا ذاهبون إلى صحراء اليمن غير أننا مرتبكين الآن في أمرنا وقد نزلنا نعقد مجلسا لأننا في خوف عظيم فإذا سرنا في البر فقطاع الطرق كثيرون وإذا سرنا بالبحر فقرصان الروم قد ملأته فلا نسلم من شرهم فقال لهم وماذا تحملون لتخافوا عليه من قطعة الطرق قالوا إننا نحمل بضائع ثمينة تخص عين الحياة بنت الشاه سرور قال ومن هو رئيس القوم فيكم ووكيل البضائع، قالوا هو رجل تأمنه عين الحياة يقال له الخواجا اليان وهو في صيوانه الآن فلما سمع فيروز شاه أن القافلة تحمل بضاعة وإنها لعين الحياة حبيبه تحرك فيه الحب وشعل قلبه نار الذكرى وهاج عليه غرامه فصبر ريثما هدأ روعه ثم قال إذا شئتم أن نرافقكم فإننا نكفل لكم وصولكم إلى بلادكم ونمنع عنكم كل ما يعترضكم فمشوا وراء الخواجا اليان فحضر واستخبر منهما عن مرادهما وإلى أين يريدان الذهاب فقال فيروز شاه إننا نريد أن نذهب إلى صحراء اليمن فقال ونحن أيضا سائرون إلى هناك فقال إذا شئتم أن تنزلوا خيلنا في سفنكم وتأخذونا معكم فندخل المدينة معا وإننا نتعهد لكم بحمايتكم من الروم ومن كل من يعتدي عليكم فأجاب الخواجا اليان بفرح إننا نأخذكما برفقتنا ونستعين بكما على طوارق الحدثان وخيلكما ننزل مركبا لأن في المراكب من العمال عددا كثيرا لنقل البضائع إذا شئنا المسير في البر وبعد أن أقاموا قليلا وأكلوا واستراحوا نزلوا جميعا المراكب وقد احتفلوا بهما كثيرا وأعد لهما الخواجا اليان مكانا مخصوصا ووكل بخدمتهما جماعة

ولما اجتمع فيروز شاه الخواجا اليان على انفراد وقد تعلق كل منهما بحب الآخر قال فيروز شاه يا خواجا اليان أريد منك أن تخبرني عن عين الحياة كيف هي وما صفاتها وما نسبتك إليها قال اعلم يا سيدي إني خادم عندها أمنى لما تعهده في من معرفة الاتجار فتعهد إلى بوكالة قافلتها وهي تحب الأرباح وتتمنى المكاسب وكلما تربحه في الاتجار تفرقه على الفقراء والمساكين فخصصت هذا العمل نفقة لهم ولذلك

برى أنها لا تخسر مرة بل دائما تربح وتكسب فقال وهل الشاه مسرور وأولاده بخير
قال نعم فانى تركتهم على أحب ما يرام من الصحة والاطمئنان وراحة البال إنما أريد
أن أسألك فقل لى من أين أنتما حقا ولا تخف عنى قال نحن من أولاد التجار
خرجنا نتفرج على البلاد وندرس حالة التجارة فى المدن فقال الخواجا اليان لا يمكنى
يا سيدى أن أصدق أنكما من التجار فان ملابسكما ملابس الملوك ومن هيئتكما ما يدل
على الوقار والعظمة ولا سيما أنت فانى كل ما أراه فيك يذكرنى بسيدتى عين
الحياة فقال فيروز شاه انى أخبرك بالصحيح إنما تعاهدنى أن لا تظهر سرى لأحد
وإنك تساعدنى على نوال مرادى فارفع شأنك ونكون لك من الخير الكثير فانا هو
فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وقد خرجت مع فرخوزاد ابن بهلوزر
البهلوان لهذا السر الذى أخبرتك عنه فجرى لنا مع قطاع الطرق من القتال ما ضيع
منى أخى بعد أن أخرزنا النصر عليه ولا أعلم فى أى مكان هو وإنى فى كدر من أجله
فلما علم الخواجا اليان أنه ابن الملك ضاراب نهض قائما على قدميه ودنا يقبل
يديه فمنعه وقال له اجلس وعاهدنى على عدم إباحة السر فعاهده وأقسم له أنه لا يخونه
وانه يحفظ له سره إلى حين يأمره باباحته فحكى له كل ما وقع له من البداية إلى
النهاية وأنه سائر فى طلب عين الحياة فتعجب الخواجا اليان منه ووعده بانه يبذل
نفسه فى صالحه كل هذا والمراكب سائرة والريح موافقة لها إلى أن دنى الليل ومضى
وأتى الصباح الثانى ولما كانت الساعة الثالثة من النهار نظروا مركبين من الزنوج قد
قربا منهم وفى كل واحد أكثر من خمسين نفر من الزنوج وهم طوال القامات مسلحين
بالأسلحة الكاملة فلما شاهدوهم صاحوا وندبوا حياتهم وتأكدوا وقوعهم فى أيديهم
وتقدم الخواجا اليان وهو يبكى ويشكو سوء المصير وقال له يا سيدى قد أقبلت علينا
مراكب الزنوج وهى مشحونة بالرجال فقال لا تخافوا وفى الحال تقلد سيفه وأخذ
طارقته بيده وقفز الى ظهر المركب وفعل مثله قادرشاه الى أن قرب المركبان من
المركب الذى فيه فيروزشاه لانه هو كبير المراكب وانفرد مركب من اليمين
ومركب من اليسار فقال فيروزشاه لقادرشاه كن أنت من جانب وأنا من جانب
فاجابه وفى اسرع من ربع ساعة لصق المركبان بالمركب وارسلا الكلاليب اليه وقفز احد
الزنوج الى مركب الخواجه اليان فادره فيروزشاه بضربة من سيفه ارداه قتيلا فصاحت
الزنوج وزمرت وقصدت ان تحدق عليه فلم يتركهم ان يدخلوا مركبه بل تقهقر
كالغزال وزأر كالأسد الرئبال واخترق جماعة الزنوج وهو يصيح فيهم ويفرقهم
ويضرب بسيفه البتار ويرمى الرؤوس عن الأجساد وما مضى الا القليل حتى اهلك
عساكر الزنوج عن آخرهم فنظر الى الجهة الثانية ورأى قادرشاه فى المركب الآخر

يصيح ويطعن الصدور بسيفه فخاف من أن تفاجئه فاجئة فسار اليه وساعده على هلاك الباقين وفى أقل من ساعتين هدأ الحال وبطل القتال واستأسر جماعة الخواجه اليان مركبى الربوح وقادوهما خلفهما وهم فرحون بالنصر متعجبون من شجاعة فيروزشاه وكادوا لا يصدقون ما نظروه فاعتبرهم من عجيب قتاله ثم دنا منه الخواجه اليان وقبل يديه وقال له اننا نشكر الله يا سيدى الذى أوصلك الينا قبل أن نزلنا المركب وإلا لولاك لكنا هلكنا عن آخرنا لأن ليس فينا من يقدر على مقاومه هؤلاء القرصان لأنهم ما وقعوا بمركب الا استأسروه وسلبوا ماله وأضروا بأصحابه فقال له فيروزشاه صدقت ولكن لا أرى نفسى فعلت شيئاً أستحق عليه المكافأة فانى أريد أن أخاطر بنفسى مرضاة لعين الحياة ويا حبذا لوكان يمكنها أن تحملنى صعب الأحمال فانى أشتاق الى خدمتها فهى وحدها التى تحملنى الى ملاقاة الأهوال وسلوك سبل الأخطار

وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الصباح نظر البحرية الى البر فرأوا أمامهم جزيره فلما تأكدوها جعلوا يصيحون ويولولون فارتبك فيروزشاه وفادرشاه وأخذ كل منهما سيفه وصعدا الى ظهر المركب فقال فيروزشاه ما بالكم ولما تصرخون قالوا اننا خلصنا من الربوح فوقعنا فى مصيبة أعظم قال هل فاجأكم عدو أو تنظرون مراكب القرصان قالوا يا حبذا ذلك انما انظر أمامك فنظره وقال إنى لا أرى الا جزيره تحيط بها المياه وهى تلمع كالمقياس قالوا إن من هذه خوفنا لأن هذه الجزيرة يقال لها الجزيرة المطلسمة فلما تقرب منها المركب تسحبها المياه فتلقيها الى البر ثم تجف المياه وترجع فتبقى المركب على البر فيموت من فيه جوعاً إذ ليس لهم ما يأكلون فسأله فيروزشاه الخواجه اليان وقال له هل فى هذه الجزيرة من المادة المغنطيسية ما يوجب جذب المراكب المحتوية على المعادن أما طلسمت لأسباب وقال إنى أسمع السياح يتكلمون عن هذه الجزيرة بانه كان يسكنها رجل كافر مجوسى يسر بهلاك عباد الله ويرغب الانتقام منهم فكان لا يترك ما فى وسعه فى هلاك البشر ثم افتكر فى نفسه انه اذا مات يموت معه هذا الروح الشرير فاختار هذه الطريقة لايصال أذيته للناس بعد موته كما كانت فى حال حياته وقد هلك فيها كثير من الناس ولا زالت المراكب تحذف اليها كلما قربت منها حتى وقع فيها مركب من التجار فيه حكيم ماهر من حكماء اليونان فاذا لم يجد وسيلة للخلاص اصطنع طبلا كبيرا علقه فى شجرة كبيرة فاذا ضرب على الطبل احدث الماء فى الفيضان وكلما ضرب كلما فاضت حتى أتى الشاطىء فرجع المركب انما الذين يضربون فى الطبل لا يقدرون على الخلاص اذ لا يمكنهم ان يتركوا الضرب على الطبل لأنه حالما يترك الضرب تهرب المياه راجعة قال فيروزشاه ان هذا امر سهل فادر بالمركب الى الجهة

الثانية علنا نخلص من الدنو من هذه الجزيرة إلا أنه ما أكمل كلامه حتى نظر إلى المركب وقد حملته المياه بسرعة وأسرعت به إلى أن ألقته على الشاطئ. ثم هربت المياه فوقف المركب على اليابسة وعلت صيحات النوتيين وجماعة الخواجا اليان وكل يندب حظه أن يكون هو الضارب على الطبل فيفقد حياته فانتهرهم فيروز شاه على ذلك وسأل الخواجا اليان أن يسعوا فى خلاص المركب قال يا سيدى لا أحد يقبل فى أن يخاطر بنفسه ويضرب الطبل فيبقى هو ويحو المركب والباقون قال لا بأس عليكم فأنا أصعد إلى قلب الجزيرة واضرب لكم الطبل فتنجون إنما أرجو أن تهدى سلامى إلى حبيبتى عين الحياة وتعلمها بحالى وتطلعها على ما كان منها علها تأسف على ويكفينى بذل نفسى فى سبيل نجاح مصالحها ثم بكى وأنشد

دعونى لما بى وانهضوا فى كلاءة من الله قد أيقنت أن لست باقيا
وإذا قد دنا موتى وحانت منيتى وقد حانت عينى إلى الدواهيا
أموت لشوق فى فؤاد مبرح فيا ويح نفسى من به مثل ما بيا

وبعد ذلك نزل فيروز شاه من المركب إلى الأرض وعول على أن يصعد إلى الجزيرة فسبقه قادر شاه وقال له يا مولاى انى أحمل عنك هذه الثقلة فانى لا أدعك مطلقا ان تبقى فى هذه الجزيرة واذهب عنك بل أنا أسير فاضرب الطبل فاذا تخلصت انت ففى خلاصك منفعة لك ولى لانك ربما تصل إلى من ينتشلنى من هذا المكان فردعه فيروز شاه فلم يرتدع وقال له لا تطمع يا مولاى فى رجوعى فانى لا أرجع وأنت تبقى هنا فلما رأى فيروز شاه اصراره على عدم الرجوع أمر أن ينقل اليه ما كان فى مراكب القرصان وودع كل منهما الآخر ودعا الجميع لقادر شاه بالخلاص فسار قادر شاه حتى وصل إلى الشجرة المعلق بها الطبل المعدنى وجعل يضرب فيه فسمع له دوى كالرعد القاصف وأخذت المياه تتقدم شيئا فشيئا حتى رفعت المركب وخرج راجعا بالأمان مع المياه وقادر شاه يضرب حتى غاب المركب عن الجزيرة ولم تعد ترى منه كل هذا وفيروز شاه فى بكاء ونحيب لانه خسر فرحو زاد وقادر شاه ولم يبق له رفيق وهو يطلب من الله تسهيل خلاصه من تلك الجزيرة ولا زال المركب سائرا ومن خلفه المراكب حتى وصل إلى شواطئ بلاد اليمن فحمدوا الله على السلامة ونزلوا إلى البر وأنزلوا كل ما فى المراكب وحملوا الأحمال على البغال وركب فيروز شاه جواده ورست المراكب فى المينا وساروا إلى أن بعدوا فى البر على الطريق المستقيم ثم أمر الخواجا اليان ان يعدلوا عن الطريق فسأله فيروز شاه عن ذلك فقال إذا سرنا على هذه الطريق فاننا لا نأمن من الخطر المحـــدق بنا فقال من أين يأتينا الخطر وأنت تقول أننا قد قربنا من بغداد اليمن قال اعلم يا سيدى إذا سرنا على الطريق المستقيم نصل إلى القلعة الجبلية وفى

القلعة المذكورة عبدان عصيا على الشاه سرور وتمردا عليه ولم يقدر على كبحهما وكان قد رباهما عنده وعلمهما الشجاعة وأكرم مثواهما ثم سلمهما هذه القلعة نقيبان فيها كالحرس على البلاد لما يراه فيهما من قوة الساعد فلما استقر حالهما استبدا فأوصلا أذيتهما اليه فبعث اليهما بالعساكر فلم يكن من يقدر أن يثبت أمامهما وقد منع الناس من المرور في هذه الطريق دون أن يعطيا سهم فسر فيروز شاه عند سماعه هذا الكلام وقال في نفسه لا بد من أسرهما وأخذهما بالاغلال إلى الشاه سرور ثم قال للخواجا اليان سر بنا على الطريق المستقيم ولا تخف من أحد فهل بعد أن رأيت فعالي تخاف من عبدين أسودين فوالله العظيم لا بد أن اقودهما إلى مولاك الشاه سرور حفاة عراة بالاغلال والقيود فأجاب الخواجا اليان وأمر رجال القـــافلة أن تسير على الطريق القويم فساروا ولا زالوا سائرين حتى قاربوا قلعة الجبل وكانت على جانب من الطريق مرتفعة قديمة العهد مبنية محصنة بالصخور التي تحيط بها ولما نظر العبدان إلى القافلة قال احدهما لأخيه هؤلاء رجال الشاه سرور وهذه قافلة عين الحياة وقد جاءوا من هنا دلالة على أمنهم لنا فاكراما لعين الحياة لا احب ان نوصل لهم شرا انما مرادي ان ارسل لهم بعض عبيدي يطمنهم عن عدم معارضتهم ويطلب شيئا منهم اربعة رؤوس خيل وكان اسم العبدين قاطر وقطير فأجابه اخوه إلى طلبه وبعثا عبدا بخبرهم بما تقدم فلمـــا وصل اليهم قال لهم ان موالي امرانى ان اعلمكم رضاهما عنكم انما يريدان منكم فقط اربعة رؤوس خيل على سبيل العمارة فقال الخواجا اليان ليس عندنا خيـــل لنرسلها لهما وكل ما معنا هو حمير وبغال وكان فيروز شاه داخل الصيوان وجواده الكميت مربوط عند بابه وهو مسرج بسرجه المرصع بالجواهر فنظره العبد وكاد يطير فرحا وقال هذا جواد يغني عن الأربعة قال هذا ليس لنا بل لرجل رافقنا في الطريق واذا كنت تقدر ان تاخذه فخذه فتقدم العبد وقصد أن يفك الجواد فرفسه برجليه وقصد قتله فعد عنه وجعل يحاول الدنو من مقوده فلم يقدر فلمـــا سمع فيروز شاه صهيل جواده طار عقله فاستل سيفه وخرج الى خارج الصيوان فوجد العبد على حاله فصاح به وساله عن مراده فقال له اني مبعوث من قبل موالي قاطر وقطير لآخذ لهما هذا الجواد وهما لا يتعرضان لكم بشر فقال له ويلك اذهب واخبر سيديك بان يستعد لقتالي فاني قد أقسمت على اعدائهما وان اقودهما الى سيدهما الشاه سرور مغلولي الأيدي والأرجل واياك ان تقرب من الجواد فتعدم الحياة فلما نظر العبد عمل فيروز شاه خاف منه لأنه شاهد الموت واقفا في حسامه فرجع وحكى لسيديه فلعب بهما الغضب وكاد يقضي عليهما وقالا لا بد من قتله واخذ الجواد واما القافلة فلا نتعرض لها

وإذ ذاك ركب قاطر وقطير وانحدرا من القلعة وكان فيروزشاه قد تقلد بلامته وسلاحه وعلا على الكميت فخرج من تحته كالسرحان وهو من فوقه يهتز عجبا ويترنح طربا حتى التقى بهما فصاح به قاطر وقد انخطف عقله عند الجواد وقال له ويلك أيها المكابر نفسه اما سمعت بأخبارنا وشدة بأسنا اما أخبرك رجال القافلة بأننا أحدنا الغفارة من الملوك والأمراء وقد ذل لدينا كل جبار عنيد وفارس صنديد فكيف يصعب عليك تقديم هذا الجواد وقد خاطرت بنفسك ولم تقدمه فدية عنك وتحفظ نفسك سالما من الهلاك فأجاب فيروزشاه ثكلتك امك ايها النذل أنظن انى كمن لاقيت من الفرسان ألا تعلم بأنى أقسمت أن أبيدك مع أخيك الى مولاكما الشاه سرور ليفعل بكما ما يختار وهل لا تعلم ان من دون هذا الجواد خرق القتاد وانه لا يقبل أن يعلو ظهره غير فارسه فهجم عليه قاطر فالتقاه بقلب لا يهاب الموت ولا يخشى حلول النوائب فافترقا والتقيا ودار بينهما الطعن بالرماح الطوال والضرب بالسيوف الصقال مقدار ساعة وبعد ذلك صاح فيروزشاه صيحة اهتز لها ذلك السهل والجبل وانحل منها قاطر فعزم على الفرار فما تركه بل العنان حتى مد يده الى وسطه وانتشله بسرعة تحاكي لمعان البرق وضرب به الأرض فانصرع غائبا عن الوجود ، ولما نظر أخوه قطير ما حل بأخيه لم يعد يملك روعه فامتشق حسامه وفاجأ فيروزشاه وكان أشد من أخيه بأسا فالتقاه فيروزشاه وتحاول وإياه طويلا حتى أتعبه ولما لاح له منه وجه التقصير قبض على أطواق درعه ورفعه عن الجواد والقاه فوق أخيه وكان رجال القافلة حاضرون ومنهم الخواجه اليان وأمر أن يوثق الاثنان فربطوهما وقادوهما ذليلين حقيرين وأما فيروزشاه فانه سار نحو القلعة بطارد عبيد قاطر وقطير حتى دخلوا القلعة وقفلوا الأبواب فصاح فيهم ويلكم ايها اللئام أخرجوا من القلعة وسلموها لى وسيروا الى المدينة فان العبدين العاصيين صارا فى قبضة يدى وسأذهب بهما الى مولاهما يفعل بهما ما يختار فاذا تسدكم التكابر والعصيان اسلموا بالاختيار والا هدمت القلعة عليكم فخرجوا اليه خوفا وسلموه القلعة وقالوا نحن لا ذنب علينا ولا نحن عصاة وانما نحن عند قاطر وقطير نلتزم بطاعتهما فقال لا خوف عليكم ثم أخذ مفاتيح القلعة بعد أن أخذ منها ما كان سلبه وبه قة العصاة وضافه الى احمال الخواجا اليان ثم نزل عن جواده فقدم اليه الخواجه اليان وجماعته وقبلوا يديه وشكروا فضله . قالوا له اعلم ياسيدى ان الشاه سرور اضاع على هذه القلعة كثيرا من الفرسان طمعا فى كسح قاطر وقطير دون جدوى ولا فائدة .

فباتوا تلك الليلة فى أمان واطمئنان وفى الصباح نهضوا وحملوا الأحمال على ظهور الجمال وساروا نحو تعراء اليمن وسار فيروزشاه من خلفهم وهو بعد عنهم نحو نصف

ساعة وهو راكب على جواده كالبرج المتين وأفكاره تضرب فى داخل قصر عين الحياة وهل ياترى توافق على حبه وهو تسهل له الوصول اليها مراما وكيف السبيل الى استجلاب رضاها وكان لايعلم بما فعله شياعوس المصور من انه رمى نقلها من سهام حبه ماجعلها تأن ليلا ونهارا جعلت كل شغلها تلك الصور فلا تفارقها الا قليلا وأكثر الأوقات تضعها أمامها وتأتيها قهرمانتها شريفه بالخمر فتشرب بصحة صاحبها حتى تغيب عن الهدى وهى تتحسر وتنشد الاشعار وتشكو هواها وهيامها وبينما كان فيروزشاه سائرا من خلف القافلة كان يمر على قرى ونواح خالية من السكان مع انها عامرة فتعجب فى نفسه وقال هل لا يوجد سكان لهذه الضياع وكيف هى عامره ويظهر انها كانت مأهولة فما سبب هجر أصحابها لها ياترى وبينما هو بالافكار وتعجب وقدخطر له أن يتأثر الخواجا اليان ليسأله واذ نظر انسانا راكضا يحمل رزمة صغيرة فصاح به فخاف الرجل ووقع الى الأرض وهو يصيح أن لاذنب لى ياسيدى اعفو عنى لأنى من الرعايا ولست من العساكر فانتهره فيروزشاه وقال له ويحك ما هذا الكلام وما الذى تعنيه فاريد منك أن تحكى لى عن سبب فراغ هذه الضياع من الأهالى لأنى غريب فانهض ولاخوف عليك من أحد فلما سمع الرجل كلامه هدأ روعه وقال اعلم ياسيدى ان الشاه زوزن كندهار أحد ملوك العجم وميسرة ونيرور اخوى طومار الزنجى ومعهم عساكر كثيرة ملأت السهل والجبل راكبين على الشاه سرور فلما قربوا من هذه النواحى فرت أهاليها الى المدينة خوفا من القتل والسلب وانى كنت منها فلما هربت كنت طمرت فى الأرض حلى زوجتى ودراهمى فبعد أن استقمت فى المدينة خطرلى ان آتى بها فاستخرجت فى الليل واتيت المكان فوجدتها باقية فحملتها ورجعت ولم أر أحداً سواك قال وما هو السبب فى حشد هذه الجموع واتيان الملك زوزن وانصاره الزنوج قال ان الملك زوزكان قد خطب عين الحياة من أبيها فأبى فركب بجموعه وقد استنصر أعداء مملكة بنا الزنوج فأجابوه تحت امره ميسرة ونيرور قال ولما الشاه سرور لم تقبل بزواج بنته ولم يجب طالب زوزن ابن الملك كندهار قال اعلم ياسيدى انه لما شاع خبر عين الحياة فى الكون وطار صيت جمالها فى الآفاق كثر عليها الخطاب من أبناء الملوك والشاهات فمن الصدف الغريبة انه طلبها ثلاثة فى أسبوع واحد وذلك انه ورد على ملكنا ثلاثة وزراء فى آن واحد أحدهم مرسل من قبل ملك مصر يخطب عين الحياة لابنه صالح ومعه الهدايا الفاخرة والجواهر الثمينة والثانى من قبل قيصر لابنه الامير انوس والثالث من قبل كندهار لابنه الشاه زوزن فاحتار ملكنا فى أمره وتعجب من هذه الصدفة فجمع وزيره طيمور واعيان مملكته وسألهم فى ماذا يجب وقد سأل بنته فلم تقبل

أحدا منهم قالوا له ان من الرأى الحسن ان ترد الثلاثة وتخبرهم ان بنتى لا تقبل الآن بالزواج سيما وأنى لا آمل ان أزوجها صغيرة وبذلك لا تقع تحت لوم أحد من هؤلاء الملوك وإلا إذا سمحت فيها لواحد تكدر الآخر وكلهم من أبناء الملوك العظام وهكذا فعل فانه أرجع هدايا الملوك مع وزرائهم ورد لهم جواب كتابهم بالامتناع فما كان من ابن ملك مصر الا انه احل عقله فقيدوه بالسلاسل وابن كندهار اذ كان من الشجعان قام على أبيه وطلب منه ان يسير الى حرب الشاه سرور فقال له انى اعلم أننا لا نقدر على مقاومته ان لم نستعن بالملك طومار سيد بلاد الزوج فارسل كتابا فبعث له بالعساكر الجرارة وبعث أخويه ميسرة وسرور فجاءوا الى كشمير الى بلاد كندهار فترحب بهم ثم أمر ابنه بالركوب فركب بعساكر من العجم وجاءوا جميعا عصبة واحدة يطلبون الانتقام من سيدى الشاه سرور ويسمون بنته عين الحياة وحيدة زمانها فلما دنوا من هذا المكان فرت الأهالى وأخبرت الشاه سرور فتكدر لانه لم يكن ينتظر من هؤلاء هكذا عمل فبعث الى عماله كالشاه سليم والمندر ملك عدن والطائف وغيرهما فجاءوا جميعهم على عجل وقد نزل الاعداء فى الجهة العليا من المدينة عند الجبل الأخضر وخرجت اليهم عساكر المدينة تحت امرة أولاد الشاه سرور وهم أسد وشجاع وازبر وقام القتال نحو خمسة عشر يوما فى بادىء الأمر قبل وصول النصرات فتاخرت رجالنا وأسر ابن ملكنا أزبر وحينئذ خرج الشاه سرور والشاه سليم وبقية الملوك بعساكرهم وكان عدد جيوشهم يبلغ الأربعمائة الف مقاتل ولم تنقطع الحرب بينهم وكادت الأعداء تبطش بنا لولا بهلوان الشاه سليم واسمه فرحوزاد فانه فعل أفعالا لا تذكر مدى الأحوال إلا أن مولاه الشاه سليم منعه من القتال خوفا عليه لانه نظر أن العدد كثير وكل العمل عليه فعلم أنه لا بد من أن يهلك فلحبه له منعه ولم يدعه يبرز ولا ريب الآن فى أن عساكرنا تاخرت لأن زور وميسرة ويبرور من الابطال المعدودة كل واحد منهم يقاوم جيشا وحده فهذا ما أعلمه والسلام

فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام قلب الضياء فى وجهه كالظلام فدار جواده وأسرع حتى أدرك القافلة فدعا الخواجا الياس وقال له أتعلم ماهو جار فى المدينة فقال لا فحكى له كل ما سمعه من الرجل وقال إنى أقسم بالله القادر الجبار أن لا أدخل المدينة حتى أفرق كل هذه الجموع وأقتل زور وميسرة ويبرور والا كيف أكون أنا فى قيد الحياة وبطمع فى الوصول الى عين الحياة طامع فلا بد لى من أن آتى الى جهة الجيوش فاجعلى منزلا فى الجبل واذ ذاك نظر من فعالى فوق ما نظرت قال الخواجا الياس اعلم ياسيدى أن ذلك من عظم سعدك وانى على يقين من كل ما تقول فلا بد من أن يحتاج الشاه سرور الى من مثلك اذ لا قدرة له على مقاومة هذه العساكر الجرارة قال صدقت ان ذلك من توفيق البارى لنظر الشاه

سرور فعلى وتعلم عين الحياة إنى قاتلت فى سبيل خلاصها من هؤلاء الأوغاد وإذ اقتضى الحال سرت إلى بلادهم وخربت ممالكهم ولا أدع أحدا فى الدنيا يذكر عين الحياة بشفه ولسان وأنا حى على وجه الارض

فهذا ما كان من الخواجا ليان وفيروز شاه وأما ما كان من الشاه سرور فانه كان مشتغل بالقتال مع عساكر الأعداء وقد صرف عدة أيام فى محاربتهم دون أن يحرز نصرا يوما واحدا بل كان النصر للأعداء فى كل يوم حتى هلك من عساكر المدينة عدد كبير وفى صباح أحد الايام اصطفت العساكر وترتبت يمينا وشمالا وعولت على الهجوم وإذا بيبرور أخى طرمار توسط الميدان وطلب البراز من فرسان الشاه سرور وكان طويل القامة عريض الهامة تكاد تلحق رجليه الأرض لعظم طوله فبرز اليه أحد أمراء الشاه سرور فتحاول وإياه ساعه ثم طعنه فى صدره فأرداه قتيلا فبرز اليه غيره فألحقه به ولا زال كذلك حتى قتل نحو عشرين أميرا من قواد المملكة فأحجمت عنه الفرسان وقد خافته وعلموا أن لا أحد منهم يقدر على مقاومته ثم رجع الجيشان إلى الخيام ورجع بيرور إلى أخيه وابن الملك زور فتلقوه بالاحضان فقال لهم إن من الموافق أن نهلك أولا أمراء الشاه سرور وقواده وبعد ذلك نهجم على المدينة فلا يعود تقدر العساكر على الثبات أماما إذ تكون فقدت قوادها وبهذه الواسطة نتمكن من خراب المدينة وأخذ عين الحياة فاستحسنوا رأيه كان فيروز شاه قد وصل واتخذ فى إحدى كهوف الجبل مقاما مع الخواجا ليان وجماعته وشاهد فعل بيرور فتكدر وقال فى الغد لابدلى من أن أكيد هذا الفارس وآخذ على نفسى عهدة القتال ولما كان اليوم الثانى ركب فيروز شاه وأقبل من جانب العساكر ينظر هل يبرز ذلك الفارس أو تحمل الجيوش على بعضها فوجد أن بيرور فى وسط الميدان وهو يطلب من يبارزه من أمرا الشاه سرور وقد تأخروا عنه وهو يشتم ملكهم والشاه سرور يصيح فى الفرسان ولكم أيها الأمراء هل ترضون بالعار والذل والشنار أما فيكم من يقدر على قتال هذا الفارس فكانت الفرسان تسمع كلامه وما فيهم من يجيب سؤاله فلعبت المروءة فى رأس فيروز شاه وقال فى نفسه الآن يعلم فصلى ويعرف الأبطال مرتبتى فصاح بصوت كالرعد القاصف ارتجت له تلك السهول والوديان وسمعه كل إنسان فمالت اليه الانظار وتوجهت نحوه الافكار وقد أطلق الكمير فخرج من تحته كالسهم الطيار وصدم بيرور صدمة فيروزية فالتقاه بهمة قوية وأخذ معه فى الطعن بالرماح والضرب بالصفاح وهو يدور من حوله كالدولاب حتى سد عليه طرقه وطرائقه ورماه بالحيرة والارتباك ولم يعد يرى مجالا للهرب ولا امتداد على الثبات وكذلك جميع الفرسان قد بهتت من خفة قتاله وسرعة حركاته ولا سيما

فرحوراد فانه زاد لهمه الى ذلك الفارس وقال إن الجواد جواد أخي فيروزشاه والقتال فاله إما من أن يصل الى هذه الديار وذاك معه قادرشاه وهذا وحده وعاد في وسواس من هذا القتل والشاه سرور في فرح زائد وهو يقول للشاه سليم إن هذا الفارس غريب الديار ولا أعلم إن كان هبط من السماء أو اخترق الأرض فخرج منها وبينما هو كذلك وإذا بفيروزشاه قد صاح صيحة ثانية أشد من الأولى ورفع سيفه في يده وقال له خذها من يد فارس الأعجام وسيد الصدام ومهلك الجبابرة العظام وضربه ضربة قوية فنزل يهوى وقد سمع له دوى ورعيد فأخذه يدور في الطارقة وقد أيقن بانه هالك ونظر الى الدنيا نظرة المودع وقد شاهد بسرعة الخاطر سيف فيروزشاه وهو نازل يصحب المنية معه فلم يشعر الا والسيف قد قطع الطارقة ونزل على رأسه فشقه الى تكة لباسه ثم رفسه برجله فوقع كالطود الممدد يخبط بدمه واد ذاك صاح الشاه سرور ورجاله وعساكره جميعا بصوت واحد لاشلت يداك ولا كان من لا يهواك وما فيهم الا من تصور في ذهنه وقع ذلك السيف وعظم تلك الضربة العجيبة وصار كل منهم يتحدث عنها مع رفقه وأما ميسرة فانه لما شاهد ما حل باخيه كاد يطير عقله من رأسه فصاح بالعساكر أن تحمل على فيروزشاه فتتشله على أسنة الرماح فحملت حملة واحدة فالتقاها بجنان قوى وعزم جرى وكذلك حملت عساكر المدينة بامر مالكها وسيدها فقامت الحرب على ساق وقدم ، ودارت رحاها بين تلك الأمم وغنى السيف بصوته المطرب الرنان وتمايل الرمح بقده المعتدل الفتان وصهلت الخيل من التعب والجولان واستغنم فرصة الحرب الجبان فبعد متحجباً سماع الانين فسد منه الآذان واشتبك كل انسان بانسان الا فيروزشاه عروس ذلك الميدان فانه كان كفرح من فروح الجان اوكالبرق يمر بسرعة اللمعان اوكالشهاب اذا انخطف من مكان الى مكان والله دره فارس لم يأت مع صغر سنه بمثله الزمان ولا فعل كفعاله سيف ابن ذى يزن ولا عنترة الفرسان فانه اخترق الصدور بطعانه ودحرج الرؤوس بضرباته وفرق العساكر بصيحاته وصعق العقول بوثباته فكان يقاتل تارة فى اول العساكر وبعد هنيهة يرى فى الآخر حتى حير النواظر وادهش الخواطر ومما زاده نشاطا واقتدارا وعظمة وافتخاراً انه كرة ان تلك الجموع قد جاءت فى طلب عين الحياة محبوبته وانه اذا قصر فى القتال تذهب منه فيموت فى حسرته فكانت دائما نصب عينيه وقد تذكر قول القائل

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع والموت يرقب تحت حصن المرتب
والحصن فى شفق الدروع تخاله حسناء ترفل فى رداء مذهب
والموت يلمع بالعوص وخاطرى يلهو بطيب تذكرت المستعذب

وكان الشاه سرور والشاه سليم وطيفور على مكان عال فى جانب الميدان ينظرون أعمال فيروز شاه ويتعجبون من أفعاله وقد امتلأ قلب الشاه سرور منه فرحاً وقال لولا هذا الفارس لكانت هلكت رجالى وساءت أحوالى فقد أهلك وحده نصف العساكر وبدد شملها فلا بد لى من مكافأته وتعلية منزلته ولا زال القتال إلى أن هجم الزوال فتقهقرت عساكر الزنوج إلى الوراء وما صدقت أن نشر الظلام رواقه حتى يتيسر لها الرجوع إلى الخيام وتتخلص من سيف فيروز شاه ويتحرر من شره وبلاه وإذ ذاك رجع كل من الفريقين يطلب لنفسه الراحة وحل بعساكر الشاه سرور الفرح والاستبشار بعد الذل والانكسار وقد أملوا أنهم فى صباح اليوم الثانى يهلكون الباقين بهمة ذلك الفارس العجيب الأعمال وأما فيروزشاه فانه رجع متوغلا بين الادغال حتى أتى الخواجا الياس فحكى له بما فعل فشكره على ذلك وقال له ما كان قدومك إلا لسعادة هذه البلاد فانها كانت تخرب لا محالة ثم نزع عنه الثياب وبات تلك الليلة يتذكر محبوبته عين الحياة فلم يأخذه نوم ولا فتر عن ذكرها دقيقة وهو يطلب سرعة مسير الليل ليرجع إلى الحرب ويبدد تلك الجموع ويدخل المدينة علّه يتوصل بأقرب وقت إلى عين الحياة مالكة قلبه وسالبة لبه وقد تذكر ما كان رآه منها فى منامه فهاج عليه خاطره وأقلقه هيامه وأنشد لسان هواه

هيفاء كالغصن الرطب إذا انثنت يختال فى ثوبى حلا ودلال
تسبى القلوب بأسرها فجميعهم فى أسرها لكن بقيد جمال
يا وجهها الحاوى لبهجة روضة أنواره أنت العزيز العالى
إذ فيك كل عجيبة ما بين تفاح وورد يانع ولآلى
والشهد والخمر الحلال وقرقف مع برده يسلى ولست بسالى
يا جفنها الغزال كم من عاشق لك فى المحبة مثل شن بالى
عجباً تميت العاشقين ونحن لم نعرف سوى الأحياء للعزالى

وكان الشاه سرور على مقالى الجمر من غياب فيروز شاه وقال للشاه سليم والله انى أخاف أن يغيب هذا الفارس فيضيع منا النصر الذى أحرزناه بسببه فياليته جاء عندنا لكنا جللناه بعمامة أو يا لتذا بعثنا له من دعاه الينا وبات تلك الليلة فى ارتباك وخوف وحين نهض واستراح وأما فرخسرة أخو سرور فانه بعد أن عاد إلى الخيام جعل يندب أخاه ويبكى مقتله فأتى نهره الشاه سرور وقال له لا يليق البكاء بمن كان مثلك فاصبر على نفسك وانهض إلى أخذ الثار فخذ أبطالك وتقدم بين الفرسان فقال له انى أقسمت أن لا ادع سيفى يمضى إلا وأكون قاتلا أو مقتولا

ولما كان الصباح اصطفت الفرسان يميناً وشمالا فبرز فرخسرة إلى الميدان وكان

أشد بأسا من أخيه وأعظم هيكلا وأصحم جثة ولما توسط الميدان صاح على رأسه أي فرسان اليمن وملوكها وشاهاتها من كان منكم ذا بطش واقتدار ويرغب في اكتساب المجد والفخار ويدعى البسالة والاقدام والثبات في العراك والصدام فليبرز إلى في هذه الساعة ويمتحن في هذه السوق ما عنده من البضاعة فاني لم أعد أصبر عن قتالكم ولا عادني وسعي أن أتأخر عن نزالكم بعد أن قتلتم أخي أشجع قتلة وفعلتم بجيشنا أقبح فعلة وان كان لا يوجد فيكم من يجسر على ذلك فهيا ابرزوا جميعكم فتذوقون امر المهالك فلما سمعت فرسان اليمن كلامه وشاهدت عظم جثته وهول خلقته وقع في قلبها الخوف وجعلت تنظر إلى جهة الجبل وهي تؤمل إتيان فارس أمس وهو فيروز شاه فلم يروا له أثرا فتكدرت خواطرهم وأيقنوا بالعطب ولا سيما الشاه سرور فانه التفت إلى الشاه سليم وقال له انا قصرنا بحق ذلك الفارس وأهملنا أمره ولم نرسل من يدعوه لنقوم باكرامه واني أخاف أن يكون اتفق مع الأعداء فهناك المصيبة الكبرى وكان فيروز شاه عند الصباح عول على الركوب فمنعه الخواجا اليان وقال له أرح نفسك هذا اليوم ودع الشاه سرور يعرف عظم احتياجه إليك فانه لابد أن يتأخر جيشه في هذا اليوم ويرجع القهقرى وإذ ذاك يتحقق ويعلم أنه لولاك لخربت بلاده وهلك جميع رجاله قال اخاف أن تأخري عنه يحدث ما يكدرني ويكدر عيش الحياة قال مهما حدث في هذا اليوم فلا يحدث أكثر مما كان قبل مجيئنا فاصغ إلى كلامي فان فيه خير لك وفائدة سوف تذكرها فيما بعد فأخذته إلى طاعته

ولما قطع رجال اليمن الرجاء من مجيء فيروزشاه تأخروا عن القتال ووقع الرعب في قلوبهم ودام ميسرة في وسط الميدان نحو ساعة من الزمان وهو يطلب مبارزة الفرسان ويشتم عساكر اليمن ويقبح بذكر ملكهم حتى أخذت الحمية الشاه عصفور ابن الشاه سرور فقفز إلى الميدان وقد هان عليه الموت وكان أكبر اولاده فالتقى ميسرة وقال له من أنت أيها العصفور الخالي من الريش فها أنا طالب قتال من قتلك فارجع وابعث إلى قاتل أخي فاني في شوق إلى أحد الثأر منه فاخبرني عنه وعن اسمه قال ان ذاك فارس غريب لم نره قبلا إلا يوم قتل أخيك وفاقد حسك أنا الشاه عصفور بن ملك البلاد لأذيقك كأسا ذاقها أخوك من قبلك ثم تجاولا الاثنان أي جولان وتصاربا بالعمد حتى كلت منهما اليدان وأوسعا في الميدان نحو ساعتين من الزمان حتى ظهر على العصفور التعب والتوان وانسدت في وجهه أبواب الأمان وعرف ميسرة في حاله فطمع في تقريب آجاله مباحاة بالعجل وصاح فيه فاخذ وضربه بعمده بما أعطاه الله من الحيل والقوى فوقع على رأسه فهرسه هو والجواد

سوى فلما شاهد الشاه سرور ما حل بولده طار عقله وكاد يغمى عليه وصاح فى رجاله ويلكم أما فيكم مايأخذ لى بثارى من هذا الفارس ويأخذ منى مشتهاه فدنا منه فرخوزاد وقال له انى أقهر لك هذا الفارس بعونه تعالى ثم صدم ميسرة صدمة قوية فالتقاه بهمة وحمية ودار بينهما دولاب المحال بعمل سرعة القتال دورانا يشغل الخواطر ويحير النواظر حتى تسردق فوقهما الغبار وأخفاهما عن الأنظار فكان فى يد كل واحد منهما عمد من الحديد يديره كيفما يريد ومع ذلك لم يصب أحدهما خصمه بضربة واحدة ولا تمكن من الفرص بالمعاضدة والمساعدة فقصر عن نوال مراده وإطفاء نار فؤاده ولما أعيتهما الحال ألقيا بالعمد وعمد إلى ذات العمد وهى البيض الصفاح التى هى أقرب إلى خطف الأرواح فتصاربا بالغيظ والاحتدام وتهاجما هجوم أسود الآكام إلى أن وقع بينهما ضربتين من يدين قويتين وقعت ضربة فرخوزاد على فخذ ميسرة فجرحه جرحا عظيما إلا أنه بقى مستويا فى سرجه قويا وأما ضربة ميسرة فانها لم تصب فرخوزاد حيث أنه انحدف عن ظهر الجواد إلى بساط الوهاد ثم قفز كالغزال واستوى فى مكانه بأسرع من ريح الشمال ورجعا إلى ما كانا عليه من ضرب يقطع الحديد ويهتك الورد الصيد وقد تعجب ميسرة من فرخوزاد وخفته وتحير من معرفته فى فنون الحرب وسرعته ولا زال إلى أن هجم جيش الظلام مبدرا بوجوب ترك القتال والصدام فافترق الاثنان وهما من عظم التعب يشكان .

قال فالتقى الشاه سرور فرخوزاد وقبله ما بين عينيه وشكره على فعله وقال للشاه سليم أعندك مثل هذا الفارس وبحقه عنى فانى أستوهبه منك لأجعله بهلوان ممالكى وعميد بلادى فقال فرخوزاد لابد فى الغد ياسيدى من قتل ميسرة وأخذ ثأرك منه ولو لم يكن من أشد الفرسان فأنا لما ثبت أمامى كل هذا النهار وأما ميسرة فانه رجع إلى معسكره وهو فى غضب زائد لانصرام النهار قبل قتل خصمه فأتاه الشاه زور وسأله عن حالته فقال لا ريب أن هذا الفارس ند لعين هذه البلاد فانه عمى الصفاة ومع ذلك فلابد لى فى الغد من دفله لانه فاجأنى وأنا نعمان من زرع عصمر الذى قتلته وأما من جهة جرحى فانه لا يعنى ومتى طلعت الحمة يحمر هكذا عن الروح إن لم تكن جرحا عميقا يدمل فى الحال وبات القوم وكلهم فى حديث وما جرى بين فارسيه وهم يرعون رجوع النهار ليعلموا من سينتصر على الآخر

وبعد ما برغت شمس الصباح وارسلت أشعتها على تلك الروابى والبطاح تحركت الجيوش من مراقدها تتأجج بالسلاح وتطلب الحرب والكفاح وتطلب من

العزيز الفتاح التوفيق على الأعداء والنجاح وقبل أن يتم انتظام العساكر وتدريبها برز ميسرة وفى يده عاموده الحديد فلعب به اشكالا حتى حير عقول الفرسان والأبطال ثم وقف فى نصف المجال ونادى فرخوزاد أن يسرع إلى القتال وقبل أن يجيبه إلى سؤاله ويبرز إلى قتاله علت أصوات الفرح من عساكر الشاه سرور وصاحت صياح البهجة والحبور لأنها نظرت فيروز شاه يتدرج من قمة الجبل كأنه قضاء تحدر من الله ونزل وكانت أشعة الشمس تتكسر على جواهر سرج جواده الكميت وأسلحته البيضاء فظهر لها لمعان كلمعان البرق وكان كالكوكب الوضاح ولم تكن من عين إلا ونظرت اليه نظر المتعجب ووقع الفرح بعساكر اليمن كما وقع الخول على أعدائهم المختلفين ولم تكن إلا قليل من الدقائق حتى وقف فيروز شاه بين الصفين وقبل أن يفصل العنان فى مضمار الجولان أشار بسيفه لعساكر اليمن إشارة السلام ثم هزه فى جهة الأعداء توعدا بالانتقام وبعد ذلك أطلق لجواده العنان فخرج من تحته كالسرحان يثب وثبات الغزلان ويسرع على أجنحة الطيران ثم هجم على الزنوج من جهة اليمين فقتل منهم قتلا ذريعا وفتك بجموعهم فتكا شديدا وعاد يخب مضرجا بالدماء إلى جهة الشمال وفعل بالأعجام أشنع فعال حتى شفى قلبه وفرح كربه كل هذا وميسرة واقف كالصنم وقد وقع عليه الخول وحل به البكم وصار كمن يتعجب على عظيم فعاله اعلم كم هى درجة معرفته فى قتاله فوحده أسرع من البرق اللامع ومن الشهاب الساطع فلم يشعر إلا وقد صدمه صدمة الجبابرة العظام وصاح به صيحات أسود الآجام فالتقاه ميسرة بقوة ومقدرة وقال له أهلا بقاتل أخى ومحرق فؤادى فاليوم آخذ ثارى وبوالى مرادى وقد فتشت عليك بالأمس فلم أقف لك على أثر ولو نظرتك لا تبعتك بالشاه عصفور وتركتك عبرة بين البشر لتعرف من مثلك ما له من المقام ولا يتطاول على الملوك العظام والجبابرة الكرام فلما سمع فيروز شاه أنه قتل عصفور كاد يطير من عينه الشرر وقال له ويلك يامعدن الخبث والفجور أهل قتلت ابن الشاه سرور فهاذا ياترى جرى على قلب عين الحياه حبيبة فيروزشاه ثم حمل يلعن الساعة التى جمع بها من الخواجا اليان وتأخر عن القتال حتى كان ما كان فلم يأخذه بعد ذلك وهن ولا توان بل زأر زئير الأسود الكواسر وفاجأ ميسرة بضرب متواتر وعزم على الاسراع فى أخذ الثأر قبل فوات ذاك النهار فلم يعد يسمع بينهما إلا صياح ودمدمة وزمجرة وهمهمة وعمد تشرع وطوارق تلمع وحوافر خيل تقدح شرارا وشديد ضربات تثير من الدرق نارا وداما فى أخذ ورد وقرب وبعد وافتراق والتحام وهجوم وصدام وقد رفع فوقهما الغبار أكثف رواق وتطاولت بالنظر

إليها الأعناق تطلب الوقوف على نهاية هذا القتال الذى لم يسمعوا بمثله من قديم الأجيال . ولا شاهدوه فى أحد من الأبطال وقد تقدم كل من الصفين إلى قرب الاثنين وفى مقدمة عساكر العجم فرخوزاد وهو مبلبل الخاطر خافق الفؤاد وترجح ان ذلك الفارس هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب ولم يبق عنده شك ولا ارتياب . لا سيما وقد عرف جواده الكميت الذى بعثه له جده فأكد ظنه وثبت الصحيح عنده وأما الشاه سرور فانه التفت إلى وزيره طيطوس وقال له أريد منك أن ترسل من الأمراء خمسة عشر أميرا فيقفون فى طريق هذا الفارس ويأتون به إلينا لنكرم مثواه لأنى على يقين من انتصاره على خصمه وأخاف أن تذهب منفعته فى الخسران لاسيما إذا لم يبق بينه وبين خصمه شيء فى هذا اليوم فامتثل أمره وبعث الأمراء المذكورين بعد أن أوصاهم بتقديم الاحترام لفيروز شاه وأن يأتوا به إلى ضيافة الملك

هذا وبنار القتال لا تزال فى استعار واشتعال بين ميسرة وفيروزشاه الأسد الريبال حتى مضى أكثر النهار ومالت الشمس طالبة الاستتار فتذكر فيروز شاه ان فوات مثل هذه الفرصة يجرعه أعظم غصة ويحط من قدره عند محبوبته وأبيها فلا تسر منه ولا ترضيها وقد لاحت منه التفاتة إلى أخيه فرخوزاد فرآه بالقرب منه يحدق به وهو مستعد للقتال والطراد فزاد به الفرح واتسع صدره وانشرح فزاد فى عزمه ودنا من خصمه وصاح فيه صيحة قوية ارتجت منها السهول ومالت لخوفها الخواطر والعقول وسحب فى يده الحسام حتى بان من تحت افرنده الموت الزؤام وقال له خذها من يد فيروز شاه صاحب عين الحياة وضربه ضربة فيروزية مصحوبة بويلات المنية فوقعت على درقته فقطعتها نصفين ونزلت على كتفه فشطرته إلى خاصرته شطرين فمال عن جواده يكدم الأرض قتيلا ويصافح التراب حقيرا ذليلا فعلت صيحات تلك العساكر ما بين شاك وشاكر فاحتدم الشاه زورعيطا وترحا وتهلل الشاه سرور سرورا وفرحا واما فيروز شاه فانه اقتحم بنفسه ذلك البحر المتلاطم ، وهو يقاتل ويصادم وينشد

أكرّ وتحت النقع يحلو لى الكر	واصبر جهدى لا يعز فى الصبر
ومهجتى كثر الخضوع إذا أتت	إلى وفى كفى المهندة البتر
هلموا بنى السودان نحوى فاننى	أخوض المنايا لا اضيق فى الصدر
فديتك يا عين الحياة بمهجتى	فهل رأيتنا حى لم يك الصبر
فسوف ترى الأعداء يحط فصيحهم	فصبر فلم يمحوا وان وسع البر
أسد لدى تسيارهم طرق الرحا	ويقرب شخصى منهم أنما فروا

أنا ابن ضاراب أنا الضيغم الذى ... إذا هز سيفى يشبع السبع والنمر
أعين حياتى لا حياة لواحد ... من القوم حتى يملأ البر والبحر
وإلا أخوك اليوم ينهض راضيا ... ويطلب اعداهم وقد عاده العمر

وقد سمع فرخوزاد كلامه وانشاده فتأكده عند ذلك أنه أخوه حق التأكيد ففعل كفعاله وكذلك صاحت رجال اليمن مستبشرة بالنصر وزوال المحن وفى تلك الساعة راح سوق الحرب فتاح الشجاعة فتقدمت الفرسان بأشت جنان وأقوى بنان تفضل الثبات على الشتات وترجو النصر واكتساب الفخر فعمد السيف القرضاب فى الصدور والرقاب وانفجرت الدماء سائلة على الوطاء كأنما ميزاب السماء وتدحرجت الرؤوس وزهقت النفوس من هول ذلك اليوم العبوس الذى لم يسطر مثله فى بطون الطروس وكان فيروز شاه ينادى لعينيك ياعين الحياة وفرخوزاد من وراءه يدافع عنه وهو لا يراه من كان يصيح بأصوات كالرعود ويسطو سطش الأسود ويخطف بسرعة اللمعان ويحدق نحفه الطيران حتى كان على جموع السودان أصعب وقوعا من الموت على بنى الانسان فاجهد نفسه فى تفريقهم بما أعطاه الله من قوة الساعد والجنان رجاء أن يظهر فضله على بقية الفرسان فيعلم الشاه سرور ماله من المنزلة وعلو الشأن فى مقام الحرب ومجال الطعان فيقع من قلبه بأرفع مكان ويحصل على نعيمه وهو آمن واطمئنان

قال صاحب الحديث وما أقبل ال ذلك النهار وعلت وجه الشمس طلمة الاعتكار إلا وتفرقت تلك العساكر يخلط الأول بالآخر لا يصدقون بالخلاص من يد ذلك القناص الذى جار اهم على فعلهم بأشد قصاص ورجعت عساكر الشاه سرور تصفق من الفرح والحبور وتشكر أفعال مخلصها الذى حماها وأعادها مجدها وعلاها وبددها جموع عداها فبالت بذلك فخرا وجاها وأما فيروزشاه فانه اغتنم فرصة سواد الليل واتجه نحو الجبل بقصد الخواجا اليان وقد شفى فؤاده وبرد غليله وهو بفرح لا يوصف ومابات ان اعترضه أولئك الأمراء الذين بعثهم الشاه سرور كما تقدم الكلام فصاح فيهم واستفسرهم عن خبرهم فقالوا له انما أتينا من قبل ملكنا ندعوك إلى وليمته وأن تقبل ضيافته جزاء على جميل فعلك فقال لهم اذهبوا إلى الشاه سرور واخبروه بانى لا املك نفسى لأنى مملوك الخواجه اليان وقد اشترانى من بلاد السودان فوصلنا فى هذه الأيام فوجدنا المدينة فى ضيق وحصار فقصدنا الجبل خوفا على بضاعة سيدى عين الحياة ولا يمكن ان اذهب معكم الآن وفى الغد أرسل مع سيدى الخواجه اليان فاقبل اياديه واقبل نعمته فتعجبوا من كلامه وكيف ان الخواجه اليان قدر أن يتوصل الى مثل هذا الفارس الذى لايوجد مثله بين الانس والجان

ثم رجعوا إلى سيدهم واخبروه بما سمعوه من فيروزشاه فتعجب الملك وقال لوزيره طيموز سمعت بان مثل هذا الفارس يملك أو يباع ويشترى ان ذلك لمن اعجب العجب فوالله لابد من اكرامه وترفيع منزلته ثم التفت إلى فرخزاد وقال له خذ معك فى عدد ثلاثين أميراً من أمراء مملكتى وعظمائها واذهب إلى الخواجه اليان وآت به مع مملوكه بعد ان تقدم له مسروريتى منه فعرف فرخزاد ان فيروزشاه لا يريد ان يظهر نفسه فاخفى خبره ونهض فى الحال وهو لا يصدق ان يصل اليه وسار معه الامراء والمقدمون وأما فيروزشاه فانه وصل إلى الخواجه اليان فسأله عن حاله فقال له قد انقضى الامر وتفرقت العساكر بعد ان قتلت ميسرة وما كان معك لى أمس من النزول إلى ساحة القتال الا شراً ووبالا على عين الحياة لانه قتل أخوها عضنفر ولا بد أن تتكدر وتصعب عليها الامور فياليتنى لم أسمع منك فلا كان يوما تكدر فيه عين الحياة فقال له ان ذلك بتقدير من الله ثم أخبره فيروزشاه بخبر الفرسان الذين بعثهم الشاه سرور ليأخذوه إلى المدينة وكيف اخبرهم انه مملوك اشتراه الخواجه اليان من بلاد اليونان فقال له ما هذا الكلام يا سيدى وهل من مثلى لا يصلح أن يكون خادما لك يملك بطلا مثلك وسيداً لم ينتج الدهر مثله فالاوفق ان تظهر نفسك للشاه سرور ولابد انه يسمح لك بزواج بنته قال أريد منك ان تجيب إلى ما اقوله لك وتصادق على قولى بانى مملوك عندك والا اذا عرف انى ملك وابن ملك يمنعنى بنته فلا أقدر أن أراها فى كل آن ولاسيما وقد علقت الحرب بسببها فلابد من عوده العساكر من العجم والسودان لاحدها فلا يسمح بزواجها الآن لى وأبقى محروما من الوصول اليها وأما اذا علم بانى مملوك لا يفكر بانى أطمع فى بنته فأراها فى كل مساء وصباح فاجابه الى طلبه وقال له انى أخبر الشاه سرور انى اشتريتك مملوكا لخدمة ستى عين الحياة

ثم باتوا تلك الليلة وفى صباح اليوم الثانى نهض فيروزشاه فركب على جواده الكمين وأمر الخواجه اليان أن يحمل الاحمال ويسير فى أمره وقال له انى اتقدمك قليلا وانتظركم قبل دخول المدينه وسار مقدار نصف ساعة حتى وصل الى شجره كبيرة فجلس تحتها فلما لم ينظر الخواجه اليان فلاحت منه التفاتة الى جهة السهل والجبل فرأى شرذمة من العساكر تبلغ نحو الالف فارس عظيم الهيكل ضخم الرأس وكلهم يسيرون الى جهة المدينة فتعجب من أمرهم وجعل يحدق بهم حتى حاذوه واذ ذاك نظر ان واحداً من تلك العساكر انفرد وجاء نحوه فصبر عليه الى أن قرب منه وقال له أأنت من جماعة الشاه سرور أجابه نعم فماذا تريد قال أرسلنى مولاى لاستخبرك عن حال الشاه سرور وهل هو منتصر أو لا قال له ومن هو سيدك وما يدعى

وما هي عاقبتك منه فقال له إن سيدي قد جاء لنصرته ولهذا السبب يجب ان يعرف اذا كان في احتياج اليه اولا قال له ومن هو سيدك وما يدعى وما هي عاقبته قال ان اسم سيدي هولاك ابن الملك هورنك الفارس القسور والبطل الغضنفر وقد ارسله ابوه الملك هورنك لمساعدة الشاه سرور ونصرته على اخصامه مع الف فارس من الروح الاقوياء وفارس عساكره مئون واما غايته فانه يرغب في رواح الى عين الحياة لأنه سمع بانه لا مثيل لها في هذه الايام فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام انبعثت به نار الحمية فهاج كما تهيج فحول الجمال وما أمهل السائل حتى ضربه بالحسام على وسطه شطره الى نصفين ورمى بنفسه على رفاقه وهو يقول ويلكم أولاد الزناء أتركتكم تصلون الى عين الحياة وأنا في قيد الحياة فدونكم ضربا يهد الجبال ويقصر الآجال ويدهش الأبطال بعجائب الأعمال أو احترق أولئك الفرسان كما يحترق الذئب الجائع الحرفان وجعل يضرب ضربا يدهش الابصار ويحير الافكار ولما رأى هولاك ابن الملك هورنك فعل فيروزشاه أدهشه واعماه وصاح ويلكم أيها الانذال أتخافون من خيال فتتركون له المجال ليفعل مثل هذه الفعال فقطعوه بالسيوف الهندية وأذيقوه شر المنية ليعلم من كان مثله مقدار نفسه ولا يفعل فعله فاحاطت به الفرسان من كل صوب ومكان . وصوبت نحوه عوامل المران وقصدت هلاكه بغير توان فلم يمكنها من امالها ولا تركها تتوسع في مجالها بل زاد في صياحه وغاص بحر حربه وكفاحه . فرمى الرؤوس عن الاجساد كما ترمي الاكر الأولاد وفي تلك الساعة وصل فرخزاد فوجده في اشد نزال وطراد وهو يحترق الفرسان والآحاد ويفرق الصدور والاوراد فصاح لله درك أيها البطل فمثلك يحمي الممالك والدول . ثم حمل على الفرسان فبددها في تلك البراري والقيعان والتقى فيروزشاه بهولاك ابن الملك هورنك يصول ويجول ويحيي رجاله ويهيج كالغول فلما دنا منه ورآه تذكر أنه جاء طامعا في عين الحياة فرفع يده بالحسام حتى بان تحت ابطه وضربه من فؤاد ملآن من الغيظ والحنق فوقع السيف على محكم رقبته براها ووقع ملقى الى الارض كساقي النخلة يخط دمه وتأثر هو وفرخزاد ورجاله بالفين حتى اجلوهم عن تلك النواحي بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد نجا الامير ميمون وهو يركض حتى وصل الى البحر فنزل المركب بمن معه وأتوا هورنك أبو هولاك فعزوا اليه مقتل ولده وفقد عساكره فغضب لذلك غضبا عظيما وسوف نعود الى ذكره وأما فرخزاد فانه اجتمع بفيروزشاه بينما كان رفاقه يجمعون الخيل والاسلاب فقبلا بعضهما وقال له فيروزشاه أنت هنا يا أخي وأنا أبكي عليك الليل والنهار واطوف البر والبحر اسأل المسافر والمقيم لا اعرف عنك خبرا ولا أكن أظن انك

تصل قبلي الى تعراء اليمن فكيف تسهل لك دلك فحكى له بالاختصار كل ما جرى عليه من أحكام الله حتى وصل إلى الشاه سليم ونال عنده الحظوى وكيف جاء معه إلى تعراء اليمن وقال له وأنت يا سيدى كنت قد رافقت قادر شاه والعشرة فرسان ولم أراك إلا الآن فاين رفقاك فحكى له ما توقع له وقال له أريد منك يا أخى أن لا تذكرنى باسمى ولا تظهر أمرى خوفا من أن أحرم من النظر إلى عين الحياة وأعدم الوسائط التى تمكنى من تمكين روابط الحب بينى وبينها قبل الزواج فاجابه إلى سؤاله وهما من أفرح عباد الله بلقياهما بعضهما وفى تلك الساعة أقبل الخواجا اليان والقافلة فسلم عليه فرحوراد وقال له اعلم ان الشاه سرور بعثنى إليكم مع هؤلاء الامراء لأقوم بخدمتك وخدمة مملوكك وان أدعوكما اليه لانه قد سر منك سرورا عظيما باشتراك لهذا المملوك الذى أحرى به أن يكون من طبقة الملوك ولما وصلت إلى هذا المكان وجدت مملوكك يقاتل الفرسان وحده فتعجبت منه حتى بددها جميعها وهى نحو ألف فارس فسأل الخواجا اليان فيروز شاه عن تلك الفرسان فحكى له ما كان منهم وكيف انهم جاءوا طمعا بعين الحياة فتعجب الخواجا اليان من توفيقه وقال له

انتهى الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث

الجزء الثالث

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

ان هذا العمل لابد أن يسر الشاه سرور لأن هولاك هذا مكروه منه وما جاء إلا وفى نفسه أن يصحب معه عين الحياة لأنه اغتنم هذه الفرصة وقال فى نفسه اما آخذ عين الحياة برضى أبيها فأساعده على أعدائه واما أنضم إليهم وآخذها سبية وقد لقى شر عمله ثم أخذ رأس هولاك وعلقه فى رقبة قاطر وساروا جميعا نحو المدينة وقبل أن يدخلوها أسرع فرخوزاد إلى الملك وأخبره بقدوم الخواجا اليان ومملوكه وقال له اعلم يا سيدى أنى توجهت من حضرتك وقد صحبت معى الأمراء الذين أمرتهم بالمسير برفقتى حتى توسطنا الطريق فوجدنا مملوك الخواجا اليان أو بالحرى مملوك ستى عين الحياة فى عراك وصدام مع نحو أكثر من ألف فارس من الزنوج أعداء المملكة فلله دره فانه قبل أن يتركنى أساعده فرقهم بعد أن قتل كبيرهم هولاك ابن هورنك لأنه علم منهم أنهم يقصدون أخذ عين الحياة فأخذته الغيرة والحمية وقال كيف تكونون هؤلاء من السودان ويطمعون فى مثل عين الحياة وقد قال يا سيدى إنه لما حكوا له ذلك وكان قد أخبره الخواجه اليان انه اشتراه لخدمة عين الحياة لم يعد فى وسعه الاصطبار فأهلكهم مع سيدهم وبعد ذلك جاء الخواجه اليان لأنه قد تأخر لتحمل القافلة فلعته أمرك وجميعهم آتون وسوف يدخلون المدينة فى هذه الساعة ويصلون إليك فعجب الشاه سرور وقلبه يطفح من الفرح وقال لوزيره طيمور والله لولا مملوك الخواجه اليان لكنا هلكنا لا محالة فهو مخلص لبلادى وعرضى معا فلله دره وكيف مثل هذا الفارس يباع فى سوق المماليك فلا شك أن الذى باعه لم يعرف قدره فسوف نجازيه إن شاء الله على فعله ونرفع منزلته فقال له طيمور ان الله بعثه إليك ليحامى عن بلادك ويدفع عدوك وقد أصبت فيما قلت لأننا لولاه لكنا الآن فى أيدى الأعداء وكانت بنتك ونساؤنا فى بلادهم يقاسون الذل والعار

وفى تلك الساعة دخل الخواجة اليان ووقف بين يدى الشاه سرور وبعد أن سلم عليه فقال له أراك وحدك الآن فأين مملوكك فانى مشتاق إلى أن أراه فقال له بالباب يا سيدى ينتظر أمرك ليقبل أياديك فأمر له بالدخول فدخل بحشمة وأدب وقد أدى فروض التحية بلسان فصيح أسكر كل من حضر فأمر له بالجلوس فجلس وأكرمه إكراماً زائدا ثم قال للخواجه اليان كيف اشتريت هذا المملوك ومن

أى البلاد هو فقال له انى اشتريته من بلاد اليونان لخدمة ستى عين الحياة لأنه نجمى وعرفت انه لابد أن يصحبها ولما كنا فى وسط البحر فاجتثنا مراكب الزنوج ولولاه لكنا هلكنا واستأسرنا الأعداء فتعجبت من أعماله ولم أكن أعهد فيه مثل هذه الشجاعة ولما نزلنا البر وعولنا أن نعرج عن الطريق المستقيم خوفا من عبدك قاطر وقطير العاصيين فى القلعة الجبلية فسألنا عن السبب فاخبرناه فلم يدعنا إلا أن نسير من قرب القلعة حتى إذا قربنا منهما انحدرا إلينا فاسرهما وقادهما الملك ذليلين حقيرين موثقين ثم كان ما كان منه مع أعدائك ومهاجمى البلاد بما أكد لى أنه لا يوجد نظيره فى هذا العصر قال الشاه سرور صدقت فهو مخلص لاولادى ولذلك لا يليق بنا ان يكون من جوق المماليك فمن النهار منذ الان بهلوان بلادى وعميرها وسيكون عندى دائما رفيع مقام مع فرحوزاد العجمى وأعطيهما مكانا داخل قصرى يسكنانه ويكون لهما الخدم والحشم وأرتب لهما العلوفات العظيمة وأحكمهما بعساكرى وإذا كان عندى مثل هؤلاء الفارسين لا أخاف من ملوك الأرض باجمعها ثم أمر باحضار العبدين قاطر وقطير وأراد أن ينتقم منهما فقال له فيروزشاه أسألك يا سيدى أن تعفو عنهما لأنهما من جهلهما عصيا عليك وأما الآن فقد عرفا أنه يوجد من ينتقم منهما إذا عادا إلى ما كانا عليه فاطلقهما الشاه سرور ثم قدم الخواجا اليان ما كانوا قد ربحوه من الزنوج وقال له وهذه أيضا حصلنا عليها وأضفناها إلى تجارة ستى عين الحياة وفى الحال أخذ الشاه سرور دواة وكتب إلى بنته عين الحياة يقول لها اعلمى أننا بينما كنا فى أشد ضيق مع الأعداء وقد فقدت أخاك من سيف العدو بعد أسر أيضا أخوك الآخر الذى لم يزل حتى الآن فى يد الأعداء وقد أرسل إلى بلادهم انعم الله علينا بقدوم وكيل قافلتك الخواجا اليان ومعه فارس لم تلد النساء بمثله يدعى انه مملوك اشتراه لخدمتك من بلاد اليونان اسمه فيروزشاه أبيض الوجه جميل الطلعة معتدل القامة واسع العينين والصدر راكب على جواد يدعى الكميت من أحسن الخيل الجياد مسرج بسرج لا يوجد مثله عند أكبر ملوك الدنيا وهذا الفارس قاتل ميسرة وأخاه وبدد شمل الأعداء بمدة قريبة وارجع إلى مملكتى ربحها بعد الخسران وقد سميته بهلوان ممالكى فلكى تكونى مسرورة بذلك وتمحى ما لحق لك من الكدر أخبرتك بذلك حالا قبل أن اذهب إليك واخبرك منى وبعد أن ارسل هذا الكتاب انعم على الخواجا اليان بالأموال الغزيرة واعطى مثل ذلك فيروز شاه العبد فوقف فيروز شاه إذ ذاك ودعا له بدوام السعادة والاقبال وقال له اعلم يا سيدى كل ما عند الملوك هو لرجاله وانى لا أروم نعمك إنما اسمح لى أن اهبها لأمرائك لأنهم فى حاجة إليها أكثر منى لأنى مملوك وهم السادات واريدهم على ذلك ما أقدر عليه ثم فرق المال

على الأمراء الحاضرين وأخرج من حر ٥ قطعة من الجواهر دفعها اليهم أيضا بالأسواء وقال اقبلوا هذه منى خدمة لكم فهى ليست من قدركم فلما نظر الشاه سرور إلى فعله تعجب غاية العجب وقال إلى وزيره طيفور من أين له مثل هذه الجواهر الذى لا يوجد بعضها فى خزائنى قال لا ريب أنه مكتسبها بسالته وإقدامه ومن كان مثل هذا الفارس لا يصعب عليه بصلا عن الحصول على مثل هذه الجواهر الحصول على بلاد وممالك وغير ذلك

وبعد ذلك أخذ فيروز شاه وفرخوزاد إلى المكان الذى أعد لهما وهما فى إكرام زائد وقد قدم لهما كل ما يحتاجانه وكانا يشكيان لبعضهما عظم الفرح والسرور الذى نالهما بلقاهما ببعضهما وبإقامتهما داخل قصر الشاه سرور قريبين من مكان عين الحياة وذهب الشاه سرور إلى قصره ودخل على بنته عين الحياه وكانت عندما وصلتها كتابة أبيها تاقت نفسها إلى مشاهدة هذا الفارس ودعت خادمتها شريفة وقالت ويلك ياشريفة إن صاحب هذه الصفات هو نفسه صاحب الصور الى عندى والكمين الذى راكبه هو نفس الجواد الراكب عليه فى الصورة وما جاء إلى هذه البلاد إلا لأجلى وقد فعل ما فعل حبا فى فأسأل الله ان يسهل لى أن أراه قريبا لأتحقق ذلك ثم جعلت تئن وتشكو وتلهف وقد تجدد شوقها وكاد يفرغ صبرها إلى ان دخل عليها أبوها فقامت له وقبلت يديه فقبلها بين عينيها وكان يحبها كثيرا فلا يطيق فراقها ثم جلس بجانبها وقال لها وقد رآها لابسة السواد ارفعى عنك هذه الثياب فنحن الآن نفرح ولسنا نحزن وإن كان فقد أخوك فقد خلصت المملكة وبحوت أنا وأنت وجميع رجال مملكتى وأموالى من يد الأعداء وما ذلك إلا بعناية القدرة الى بعثت لنا بهذا الفارس الصمدع وهو المملوك الذى اشتراه لخدمتك الخواجا اليان فقالت له وأين هذا المملوك وهل هو باق فى المدينة أو رحل عنها قال كيف يرحل وهو يفتخر بنفسه مبتاعا بالدراهم وقد طلب إلى ان اسمح له ان يذهب إلى بلاد الأعداء لخلص أخاك والانتقام منهم فما سمحت له الآن لانى أعلم انهم لابد ان يعودوا الينا لاخذ الثار فاذا كان غائبا عنا نقع فى الخسران وربما نسبب ما هو ليس فى الخاطر الآن تحقق قلب عين الحياة عند سماعها من أبيها هذا الكلام وقالت له إياك يا أبى أن تطاوعه على ذلك أو تسمح له أن يفارق هذه البلاد فاننا فى احتياج اليه ومثل هذا المملوك يجب ان يكرم ويدخر لحين الحاجة قال إنى أكرمته غاية الاكرام وعينت له مكانا داخل قصرنا مع فرخوزاد وجعلته حامية البلاد ورئيس القواد وعينت له من يقوم بخدمته إلا أنى تعجبت مما أمره وهو انى أنعمت عليه بالمال الكثير ففرق

النفيسة التي لا توجد إلا عند الملوك ومرقها عليهم أيضا فظهر لي أنه كريم النفس غير أني لا أعلم من أين يصل إليه مثل هذه الجواهر . فراد من كلامه هيامها وتأكدت أنه ليس هو بملوك وانه ما جاء إلا لأجلها وقد أراد ان يخفى نفسه فلا يظهرها واعتمدت على الاستكشاف عن حقيقة خبره من الخواجا اليان وقالت لأبيها وماذا كافئت الخواجا اليان لأنه هو اشترى المملوك واحضره فهو الأصل والسبب لما أنت فيه قال اني انعمت عليه بالمال قالت وما هذه المكافأة في جنب هذا العمل العظيم النفع . قال فماذا تريدين أن افعل معه قالت اريد ان تجعله وزيرا عندك لأنه حسن الرأي والتدبير قال كنت قد فكرت بذلك إلا انى اخاف من تكدير وزيرى طيفور قالت ان بمملكتك تحمل اكثر من وزيرين فاجعل طيفور الوزير الأكبر والثاني الوزير الأصغر قال اصبت انى استوزره ان شاء الله فى الغد ثم اقام عندها إلى المساء وعاد عنها وهى فى ارتباك وقلق تفرح تارة لدى تصورها انها ستشاهد من أحبته حقيقة وتحزن اخرى عند ما تفكر انه ربما يكون غير صاحب الصور وبعد ذهاب أبيها دعت شريفه وقالت لها ويلك يا شريفة قد عيل صبرى وإذا صبرت هذه الليلة على مثل هذه الحالة لا ريب فى انى مائتة لا محالة فهيئ نفسك لنزوره فى هذه الليلة ونتحقق خبره فاجابتها إلى طلبها واتت كل واحدة منهن بملابس الرجال فلبستها وتقلدت بالسلاح وتلثمت حتى لم يعد يبين منها غير عينيها وحينئذ تسلقتا السطوح فقطعت سطح قصرها وصارت تنقل من سطح إلى آخر حتى وصلت إلى المكان الذي كان قد اخبرها به ابوها انه اعده لفيروز شاه فدلت منه إلى صحن الدار وطافت حول شبابيك الغرف وكانت مفتوحة فوقعت عيناها على فيروزشاه وفرحوزاد نائمين كل منهما فى فراش إلى جهة ولما رات فيروز شاة لم تعد تقدران تملك روعها او تسكن خفقان قلبها وزاد بها غرامها وتحرك هيامها وقالت لشريفة اليس هذا صاحب الصور قالت بلى يا سيدتى هو بعينه قالت ويلك اطرقى الباب ودعينا ندخل لأرمى بروحي عليه واطفى ما بقلبى من نيران هواه قالت ان كنت تحبينه يا سيدتى فاتركيه ينام مرتاحا لأن له زمان فى السفر ولا سيما بعد مقاساة عناء هذه الحرب وحيث قد تحققت انه هو المطلوب فيمكننا ان نعود اليه فى الغد بشرط ان تتمالكى نفسك امامه وتتعدى عنك الطيش فلا بد من نوال المراد انما بالتأنى والدراية قالت اصبت . ثم عادتا من حيث أتتا ولما كانتا تسيران فوق السطوح طرت فى الحياة عبدا من عبيدها بفعل الفحشاء بعنده وكانتا قد اعتادتا أن يجرينا ذلك دائما فى ذلك المكان فلما رأت ذلك كاد يطير عقلها وقالت فى نفسها أيجرى مثل ذلك فى قصرى ولا علم لى ثم استلت السيف وتقدمت منهما وهما مشغلان عنها آمنان من مرور احد من

ذلك المكان فلم يشعرا إلا والسيف قد وقع عليهما فقتل العبد والجارية هربت فلم تدمها جرماً من الفضيحة وكانت عين الحياة ذات معرفة بفنون القتال ولها قلب الشجاع من الرجال ولا زالت سائرة حتى دخلت غرفتها ونزعت عنها ما عليها من ثياب الرجال وقالت لشريفة احضرى لى الصور وأتينى بالنقل والمدام كى لا أضيع هذه الليلة فى مشاهدة وجه حبيبى وان كنا اليوم نشرب مع الرسم فان شاء الله فى الغد نشرب مع نفس الحبيب ونحصل على المطلوب ففعلت شريفة ما أمرتها به سيدتها ووضعت لها الآنية الذهبية ووضعت الصور أمامها على الكراسى فناولت قدحا شربته وانشدت

على كل عضو فى دارت لحاظه ... كؤوس غرام قد ملئن من السحر
ثملت بها وجداً ولم أصح صحوة ... فهاأنا بين الصحو حيران والسكر
معاذ الهوى أن يرتجى من يد الهوى ... خلاصى وان يقضى بغير الهوى عمرى
لئن كان لى عن مذهب الحب مذهب ... فلا برحت روحى تعذب بالهجر
نعمت بهذا العيش والموت دونه ... إذا كان يرضيه ولو كنت فى أسر

ثم رمت نفسها على الصور تقبلها وتمسح بوجهها عليها وتتأوه وتحترق حتى غشى عليها فرفعتها شريفة وصبت على وجهها ماء الزهر وسقتها من الشراب العذب ما انعش نفسها وأعاد اليها روعها وأجلستها على كرسيها وبعد ان هدأ جأشها أخذت كأساً ثانية فشربتها وأنشدت .

تسربل من مهابته جلالا ... وأشرق وجهه الباهى جمالا
وماس بقامة غصناً رطيبا ... وأرسل من لواحظه نبالا
رقيق الخصر ذو طرف كحيل ... لعمرك أنه يأبى الاكتحالا
جنى الورد من خديه أضحى ... وحارسه النجاشى صار خالا
ترقرق فيه ماء الحسن حتى ... نرى بناسوته ماء زلالا

ثم أخذت كاسا ثالثة وأنشدت

أنا فى القرب وفى البعد أنا ... ليس فى الحالين لا عنكم غنى
أوصل الأشياء عندى حبكم ... وهو فى وسط فؤادى مكنا
لكن الأيام أشكوها لكم ... جورها قد أورث الجسم الضنا

ولا زالت عين الحياة على هذه الحالة تشرب بصحبة صاحب الصور وتنشد الاشعار تشوقا إلى قربه وهى تعلل نفسها بالاجتماع به فى ليل الغد وتود لو تنقضى الساعات القلائل التى كانت تراها أطول من شهر الصوم ولما مضى الليل رفعت الصور ونامت فى فراشها تعبة من عمل الليل تنتظر قدوم الليل التالى لتعاود ما فى عزمها من زيارة فيروز شاه وأما فيروزشاه وفرخزاد فانهما فى ثانى الأيام فلبسا ثيابهما

وخرجا إلى ديوان الملك فاحتفل بهما الحاضرون وأعد الملك لهما مكانا رفيعاً ولما استقر بهما المقام حتى قدم المجلس الخواجا اليان فأدناه الشاه سرور منه وقال له انى قد فكرت بالأمر انى لم أقدرك حق قدرك ولم أحرك مكافأة استحقيتها لا بتياعك هذا المملوك وقد تقرر فى فكرى أن أنصبك وزيرا ثانيا فى ديوانى بعد طيفور فدعى هو الوزير الأول وأنت الثانى وأفرغ عليك من الانعام جزيلها فقال له الخواجا اليان أرجوك يا سيدى أن تسمح لى بعدم قبول مثل هذه النعمة منك لأنى لست أهلا لها ولا أحسن القيام بها لأنى لم أتعود ادارة مهام ولا أعرف ما يجب على أثنـاء قيامى فى مثل هـذا المنصب لأنى ربيت تاجراً أعرف ما يربح من الصـناعة وما يخسر لا سيما أنتم الحكام كالتاجر من مركبه حالة الهدو يصادف فيه طريقا أمينا إلا أن هبوب أى ريح من الأرياح يبحه فيذهب براكبه إلى الهلاك وأخاف ان بدا منى قصورا وغلطت بأمر هلكت وبعـد فى غضبك قال انى لا أعاملك إلا بالرفق واللين واشهد على هؤلاء الوزراء وانى أسامحك ثلاث سقطات عظيمات تركتها بحيث يمكنك فيما بعد أن تتعلم من التجربه والامتحان فشكره الخواجا اليان وقبل منه ذلك ودعى بالوزير اليان وهنأه جميع الحاضرين وإذ ذاك دخل العبيد يحملون العبد المقتول الذى قتلته عين الحياة اثناء مرورها فى السطوح وقد شاهدوه مجدوفا إلى جانب القصر ولم يعرفوا قاتله ولما شاهده الملك ارتاع وسألهم أين وجدوه فقالوا له داخل القصر فالتفت إلى طيفور وقال أيكون الشاه سرور ويقتل فى نصف قصرى قتيل ولا أعلم قاتله فاذا كان يجرى ذلك فى نفس بيتى فماذا يا ترى يجرى فى الطرقات العامه وفى البرارى وبين نقبة الرعية فقال له لا بد يا سيدى من الوقوف على القاتل ثم دعا بأربعة من العبيد وقال أريد الليلة أن تخرجوا بعد الساعة الرابعة من الليل وتكمنوا على سطوح القصر وتنظروا إلى جوانبه ولاحظوا كل ما ترونه ولا تتركوا حركة تقع بعد تلك الساعة من أحد داخل القصر أو خارجه أو فوقه وأخبرونى عن كل ذلك حين قدوم النهار فقال سمعا وطاعة ثم أخذوا العبد ودفنوه وأما فيروز شاه وفرخزاد فانهما ذهبا إلى محلهما وهما فى حيرة من وجود القتيل بالقرب منهما وقال فيروزشاه انى لا أرغب أن أتداخل فى أمر هذا القتيل وكيف يكون داخل القصر ويقتل قتيل ويخفى قاتله مع أنه قبل اليوم لم يجر أمر كهذا وبعد أن دخلا غرفتهما قدم لهما الطعام فأكلا وشربا القهوة ونحو الساعة الثالثه صرفا من كان بخدمتهما وأقاما يتحادثان فى كل ما طرأ عليهما وما اتفقاه وقال فيروز شاه لنا يومان فى هذا القصر ولم نر عين الحياة ولا عرفنا مقرها وانى لا أحب أن نضيع الوقت سدى فقال فرخزاد لا بد من انك تجتمع بها ومن تأنى نال ما تمنى فاصبر واحكم عملك تنال مرادك

وبينما هما فى مثل هذا الحديث إذ سمعا حركة أقدام على السطح قال فيروز شاه الأوفق أن نجعل أنفسنا نائمين لننظر إلى أين تنتهى هذه الحركة فاذا تعدت تتبعها علنا نعرف شيئا عن أمر القتيل وإذا قربت منا نعرف ماالقصد منها لأنى أخاف أنه ربما وجد فى القصر من يقصد لنا ضرا فعملا وأقام كل منهما إلى فراشه

قال وكان صاحب تلك الحركة عين الحياة وخادمتها شريفة لأنها صبرت إلى أن اسود الليل وأمنت من نظر الرقباء فلبست ملابس الأمراء وتلثمت كما فعلت بالأمس وكذلك فعلت قهرمانتها شريفة تزيت بزى الأمراء وحملت الصور على عاتقها وتسلقا السطوح حتى قربا من مكان فيروز شاه فنزلتا إلى الطاقة فنظرت عين الحياة فوجدتهما نيامًا فقالت بالعجب كيف ينامان فى مثل أول الليل ثم أمرت شريفة أن تبقى الصور خارج الغرفة وأن تطرق الباب ففعلت وفى الحال نهض فيروز شاه وفتح الباب وبقى فرخوزاد متناوما فدخلت عين الحياة وشريفة فرحب بهما وأجلسهما إلى صدر الغرفة وقد تعجب من زيارتهما له فى مثل هذا الوقت ثم قال لهما أرجو كما المعذرة فانى صرفت الخدم قبل الآن ولم يكن فى ظنى أن أحدا يزورنا فى مثل هذا الوقت قالت له عين الحياة نحن ماأتينا إلا لنراك وليس فى قصدنا أن نثقل عليك وكان عند فيروز شاه بقية شراب فسكب كاسين وقدمهما لهما فأخذت عين الحياة كاسا من يده وجعلت تمعن فيه ولم يعد فى وسعها الصبر على كتمان أمرها لأنها رأت فى محاسنه ما كاد يذهب بعقلها ويبعدها عن الصواب فارتاب فى أمرها وكاد يكشف عن الحقيقة لو لم تكن متنكرة بملابس الرجال وعبر من نظر قدومها عليه فقالت له حتى الساعة لا تعرفنا فقال إنى لا أذكر فى ذلك لأنى نظرت كل أمراء الشاه سرور وتعرفت بهم إلا كما فانى لم أراكما فمن تكونان فشربت الكاس وقالت له اجلس فاننا نريد أن نبسط لديك أمرا أتينا نطلبه ثم أمرت شريفة ان تأتيها بالصور الثلاث فنهضت وأحضرتها بين يديها فنظر فيروز شاه اليها وكاد يطير عقله وقال لله درك يا شاغوس فقد أجدت ثم نظر فلم ير اسمه فكر وتفسر وقال إن الرجل لم يرد ان يظهر أمرى فقالت له أتدرى هذه الرسوم رسوم من قال لا أدرى ولا أعلم من أوصلها اليك قالت هى صورك لامحالة وان التقادير قربتها منى لتلقى على عاتقى حمل هواك الثقيل ولولم تأبى فانى كنت هالكة وانا عين الحياة بنت الشاه سرور قد اتيت اليك دخلة عليك لتقبلنى خطيبة تحفظ ودك وترعى عهدك وتفديك بنفسها وتقدم لك جسدها ضحية عند قدمك فاقبلنى اهلى ثم رفعت اللثام الحاجب بدر حسنها الفاتك الفاضح والقت نفسها عليه فطاع عقل فيروز شاه عند سماعه كلامها وعاد لا يعرف نفسه فى اى حاله ولا يدرى بماذا يحييها بل ضمها إلى صدره

ساكتا وقلبها وقلبه يحقق من شدة الوله ومما أصابه من ملاقاته بغتة وتبين له من حال طلعتها فوق ما كان يخطر ومن لسان حالها ماقاله الشاعر

أفديك بالنفس وما دونها ما قيمة الأرواح أن تقبل
يا غصنا مال إلى غيره من ذل حبيك على مقتلي
يا أعدل الناس فى ظلمه ويا أحق الناس من مطلي
وحدت تعذيبك مستعذبا فاهجر إذا شئت وإلا صل

وكان كل منهما يحسب نفسه من أسعد البشر باجتماعه بالآخر إلا أن عين الحياة كانت فى لهفة زائدة وبعد ذلك قالت له أريد منك أن تطلعنى على نفسك من أنت وابن من قال أنا مملوك اشترانى الخواجا إيان من بلاد اليونان قالت لست أنت مملوك بل أنت صاحب هذه الصورة قال لست أنا هو وقد طفت كثيرا ولم أكن أرى من هو على هذه الصفة إنما سمعت رواة الأخبار والسياح يقولون إن فى إيران العجم ملك اسمه صاراب له ولد اسمه فيروز شاه منفرد فى حسنه وشجاعته وكنت أشتهى أن أراه فلم يتيسر لى فأظنه هو هو صاحب هذه الصور فمسكته من يده وضغطت عليها بحب وقالت له استحلفك بالله العظيم وبجمال عين الحياة وبرأس أبيك ألست أنت فيروز شاه ابن الملك صاراب صاحب هذه الصورة وإن كنت تخاف إفشاء سرك أمام بنت قمرماتى الحاضرة فهى كاتمة سرى وتعرف ما أنا به من إظهار نفسك فلما سمع كلامها وقد شهد دمعها ينساب فوق روض خدودها كالمجارى فلم يعد فى وسعه الانكار فقال لها أنا هو فيروز شاه ابن الملك صاراب وما خرجت من بلادى إلا لأجلك وقد أرسل الله لى شخصك فى نومى وزارنى طيف خيالك فصحبت من بعده بنار غرام فصادف قلبا خاليا فتمكن فيه ثم حكى لها كل ما وقع له من حين نشأته إلى منتهى سفره وقيامه أمامها وقال لها فى آخر كلامه وأما هذه الرسوم فلا علم لى بها وقد أتى شاعوس فلم يجئ لى سبل الوصول اليك وبعث إلى قلبك من حبى بعض ما دفعت إلى قلبى من حبك وها أنا الآن بين يديك قتيل فى هواك أرتجى رضاك وأنشد

يا ربة التيه الذى تاهت به روحى أقليه وراعى الحالا
إن كان صدك للمتيم عكسا رفقا فصبرى عنك صار محالا
عزمى وجسمى ذاك زال وذا وهى فارقنى الحالى فالتجلد زالا
لم قلبك القاسى أبى أن يهتدى من لين عطفك والخوار توالى
دمعى وثغرك لؤلؤ متماثل ودمعى وخدك أصبحا أمثالا
نهداك قاما فى سما فلك البها كالفرقدين سناهما يتلالا
وظلام شعرك فوق صبح الفرق كم يجلو على قد درى العسالا

يا للهوى كم تتركى لسواك من   حسن فصار جميعه لك مالا
حتى عدت كل الملاح حواسدا   لك والثريا تستفيد جمالا
لكن أنا وحدى الدليل على الهوى   وأرى مذلته لدى جلالا

فلما سمعت كلامه وإنشاده ترنحت طربا ومالت تحركها عوامل الحب المرسل من قبل ملك الطبيعة البشريه وقالت له إنى أشكر الله إذ لم أحب إلا من أحبنى وقد صار حبنا الآن معتدل العيار وإنى اعاهدك انى احفظ حبك وأرعى عهدك واسلم نفسى لى قوة الموت من ان اسلمها إلى غيرك واريد منك ان تعاهدنى على عهدى فأقسم لها صرفا قسما طويلا من الليل وهما فى شكوى وهيام وشرح حال وذكر غرام وبعد ذلك قامت عين الحياة وودعت فيروز شاه فاراد ان يوصلها فامتنعت وقالت إنى لا احتاج إلى معين اثناء مسيرى فى قصرى وخرجت ومن خلفها شريفة فتسلقا السطوح عين الحياة من افرح الناس باجتماعها بحبيبها وهى لاتصدق بوقوع ما دار بينها وبينه من مبادلة الاشواق ومداولة العتاب ولما نصفت الطريق اعترضها العبيد الاربعة الذين اقامهم طيهور للوقوف على قاتل العبدواوارادوا ان يقبضوا عليها وهم لايعرفونها فصاحت بهم وبادرتهم بضرب النار فقتلت ثلاثه انفار منهم والرابع هرب ورمى بنفسه من على السطوح رجاء بالسلامة ولما خلا لها المكان اسرعت فسارت إلا غرفتها وهى فى مزيد فرح من نجاح مسعاها ومالبثت ان استقر بها المقام حتى نادت بقهرمانتها وبنت قهرمانتها وقالت لها احضرا لى بواطى المدام وصفالى الصور حواليها واسقيانى صافى الأقداح ودعانى أتمم ما بقى من هذا الليل فى خمرة الحب فقد كنت قبل اشرب على ذكر الحبيب وانا لااعرفه فكان يخالط سرورى كدر البعد واليأس وأما الآن فقد صار حبيبى فى يدى أراه ويرانى فى مثل هذه الساعة يطيب بها التعاطى ويا حبذا لوكان موجودا معى الآن ويسكب ويسقى

ونديم بهت ليلا فيها   وهو سكرا يميل شرقا وغربا
قال لبيك قلت هات اسقنيها   فتردى وقال طوعا وحبا
فسقانى ثلاثه وتحسى   بعض كاس فردها واكبا
قلت أفديك من نديم مطيع   لو رأى طاقه بها ما تأبى
ثم وسدته وعدت إلى الشر   ب لوحدى فما استلذذت شربا
إن طيب المدام بين الندامى   وسرور النديم فيمن احبا

فأحضر لها ما امرت به وجلست بمن معها إلى جانبها تنشدها الاشعار وتكثر من ذكر فيروز شاه وتحكى فى جماله وشجاعته وتعاطيها الخمرة رائقة صافية وهى تشرب لذة لم يشبها كدر وما اصطحبت حتى ثملت وكادت لاتعى ما امامها فرفعتها شريفة إلى فراشها فنامت وشغلتاها بحوران نذكر من تهى

وفى صباح اليوم الثانى نهض فيروز شاه وهو مسرور الفؤاد وقد قال لأخيه فرخوزاد ما أدركنا من سعرة فقد تسهل لى طريق الوصول إلى عين الحياة وما صرفت فى حياتى ليلة ألذ وأهنى من ليلة البارحة فقال له فرخوزاد أدام الله ياسيدى عليك أيام السرور وصفاء العيش وراحة البال والليلة أمس لاتحسب من ليالى الهناء فى جنب ما سوف تقضيه مع عين الحياة من طيب الليالى فهنأك الله بها وهنأها بك وجعل اجتماعكما مقرونا بالسعادة والتوفيق ثم لبسا ثيابهما وأتيا ديوان الشاه سرور فجلسا فى مرتبتهما ومن حولها الأمراء والأعيان وما استقر بهما الجلوس طرفة عين حتى دخل العبد الذى نجا من سيف عين الحياة وحكى إلى الشاه سرور الوزير طيهور ما كان من أمرهم وأنهم صادفوا لصين الواحد يحمل على عاتقه شيئا والآخر يسير فى مقدمته مدججا بالسلاح فأرادوا القبض عليهما فابتدرهم المقدم بالقتال فقتل ثلاثة منهم ونجا هو فارا فزاد غضب الشاه سرور وقال إلى طيهور ما هذه الحالة أيكون مثل ذلك داخل قصرى ولا أعرف خصمى وماذا تقول عنى رجال مملكتى وكيف يحق لى بعد ان أقاص احدا على هكذا جريمة أو ألوم رجال دركى على عجزهم عن إيجاد القتلة وفى ميدان قتل وسرقة ولا أعلم ماوراء ذلك أيضا فقال طيهور لابد من إيجاد القاتل ومجازاته فى هذه الليلة إن شاء الله ثم همس إلى العبد أن يكمن فى ذلك مع تسعة من رفاقه ومن وقعوا به يستأسروه وإن عجزوا عن أسره يقتلوه فأجاب إلى ذلك وانصرف وعاد من بعده الحديث إلى ذكر الحادثة وأخذ كل يتعجب فى وقوع هذا القتل فى باب الملك وكل منهم يلوح فى فكره خاطر وقد كثرت الأقاويل واتسع باب الظنون والشكوك حتى انفرط المجلس وسار كل فى طريقه وسار الملك إلى قصره وهو فى مزيد غضب لا يعى على ما بين يديه وكذلك فيروز شاه وفرخوزاد فانهما عادا وهما يتحادثان بهذا الأمر وقال فيروز شاه والله لقد قصرنا فى اكتشاف هذا الأمر والبحث عنه فأجابه فرخوزاد دع أمن ذلك فانا ما أتينا إلى هذه البلاد إلا لاقتضاء حاجتك وما يبدأ لى يكون حفاظا فاجتماعك بعين الحياة أهم من السؤال عن مثل هذه الأمور فدعها للوزير طيهور فقال فيروز شاه أن عين الحياة إنما هذه الليلة فإنها تأتى دون شك وفى موافقة لك أكثر مما ست موافقتى لا يمكنها المقام فى قصرها ولا تقدر عليه وتترك لذة الاجتماع بك وطيب حديثك وإنها والله لمعذورة فى ذلك لكل معنى فيك علة كبرى للعشق من الرجال فكم بالحرى من النساء وبعد ان استقر بهما المقام فى غرفتهما قدم لهما الطعام فأكلا والشراب فهنئاه وصرفا الخدم وأقاما بانتظار قدوم عين الحياة

وعند الساعة الثالثة نهضت عين الحياة وهيأت نفسها ولبست أفخر ثيابها وتقلدت بحسامها حسب عادتها وقالت لشريفة هلمي لنسير إلى ملاقاة الحبيب قالت أرجوك ياستي أن لا تذهبي الليلة فلا بد من أن هناك يكون قد أكثر من العساكر على السطوح وإذا وقعت بأيديهم ينكشف الأمر وتظهر الحقيقة ونفتضح أية فضيحة قالت ويلك ياشريفة أتحسبيني أخاف الرجال وأنا حبيبة فيروز شاه رب الشجاعة والاقدام فذكره يعلمني كيف أسطو على الابطال فقلي كلامك وارعى خوفك وأكدي انى أفضل الاجتماع بمن تحبه نفسي على كل شيء ولو لقيت الموت وأي فضل لى في الغرام إذا لم احتمل به اثقل الأحمال وألاقي به اشد المصائب والمصاعب فنهضت شريفة وسارت من خلفها ولا زالا حتى قطعا المسافة وارتميا إلى صحن الدار فشعر بهما فيروز شاه وخرج لملاقاتهما وتناول عين الحياة بيده وصافحا بعضهما بقلب ثابت على العفة محافظ على شدة الحب والهيام وجلس الحبيبان يتعاطيان أقداح الهناء ويشرحان ما في قلبيهما من الهوى وطلبا من الله قرب زمان رباطهما ورفع ما يكون عثرة في رواجهما وقد غفل عنهما كل رقيب وحاسد ولا زالا على مثل ذلك إلى ان انقضى قسم كبير من الليل وعولت عين الحياة على الذهاب والرجوع من حيث أتت فنهضت وودعت فيروز شاه بدموع سخية ناشئة عن فؤاد مملوء من الحب فطلب فيروز شاه ان يرافقها وقال لها انى أخاف أن يكون على السطوح احد بانتظار اللصوص والقتلة فتقعين بأيديهم قالت لا لزوم لمسيرك معي فانى ان كنت وحدي وصادفت أحدا بما ذكرت أقدر ان اخلص منهم وإذا عرفوني لا يمدون إلى يدا إنما إذا كنت أنت معي ينكشف أمرنا ولا نعود في الامكان نجتمع فقال صدقت وبعد انقضاء مدة الوداع صعدت السلم وتسلقت السطوح وبقى فيروز شاه في شاغل عليها وقال لفرخزاد إني أخاف ان يلتقيها الخدام ضمن الموت لا محالة بعدها ولم يكن إلا القليل حتى سمع صوت صياح الخدم على السطوح واستغاث القتلة درأ على مساعدتها ولما وصل إلى سطح غرفة سمع يقولون قد وقع بيدنا لص واحد والآخر هرب فهوى به إلى الأسفل ثم انحدر من تلك الجهة فاحتدم فيروز شاه وشغل باله وقلق راجعا وهو يقول ماوقع بأيديهم إلا عين الحياة وبات تلك الليلة ساهرا قلقا لا يأخذه هدوء ولا يرتاح له بال

وكانت عين الحياة كما تقدم الكلام فارقت فيروز شاه وما وصلت إلى مكان قيام العساكر الذين أمرنا ان طيطلوس الوزير أمرهم ان يكمنوا في تلك الليلة حتى فاجأتهم فاستلت سيفها وصاحت فيهم فاخبرتهم تضرب من وقف معارضا لها حتى فارت بنفسها والتهى الباقون بشريفة لأنها قصدت ان تفعل كفعلها فلم تقدر بل وقعت بأيديهم فشدوها بأسرع من طرفة عين ونزلوا بها إلى أرض القصر ينتظرون الصباح

ليقدموها إلى الشاه سرور وهم يطوبها رحلا وأما عين الحياة فانها حالما وصلت إلى غرفتها نزعت ثيابها وهي تعض الارم على وقوع ست قهرمانتها بأيدى الجند وفى الحال دعت رئيس خصيان قصرها الخواجه عنبر وقالت سمعت أن جماعة أبى قد مسكوا لصا فاذهب إليهم واطلبه لى مهم وقل لهم إن مرادى أنظره وفى الصباح أبعثه إلى أبى فذهب إليهم وبلغهم قول مولاته فلم يتأخروا عن إجابة سؤاله فدفعوا إليه شريفه فاخذها ودفعها الى عين الحياة ولما وصلت اليها فرحت بها فرحا لا يوصف وآمنت كشف خبرها وهنأتها بالسلامة فشكرتها شريفة على فعلها وقالت لها ألم أقل لك يا ستناه أن لا تذهب فى هذه الليلة قالت لا بأس فانى قادرة على خلاصك أينما كنت إنما الخوف من ظهور خفايا سرنا فهيا انزعى عنك ثيابك وآتى بصفرة المدام وصفى لى الصور لنلهو هذه الليلة المكللة بالنجاح ونشرب بصحة الحبيب فنهضت تفعل ما أمرتها سيدتها ثم قالت عين الحياة للخواجه عنبر ان لك عندى الاكرام الزائد والعطاء المزيد إذا كتمت أمرى وأجبت أبى إلى ما اخبرك به وهو أنه إذا دعاك بالأمس وسألك عن الأسير فقل له ان عين الحياة طلبته وبعد أن رأته أمرتنى بالمحافظة عليه إلى حين الصباح أقدمه لك فوضعته فى غرفة فى الاسفل وعدت إلى خدمة ستى وقدسيته وفى الصباح طلبت منى أن آتيك به فوجدته هرب وأظن أن رفاقه قد خلصوه وهربوا به وإياك من إظهار الحقيقة والإسهاب فى موتك ورأيت منى عوض الخير شرا فوعدها بكل ماعرضته وعاد إلى قصره وجلست بين الصور تشرب وتطرب وخادمتها تعاطيها وتكثر لها من حديث اجتماعها بحبيبها فشدها قول القائل

أسر القلب شادن بدلاله واستبى اللب منه لطف خلاله
من بنى الفرس مترف أشنب الثغـ ـر مدام المحب صفو زلاله
ثغره زانه التبسم والجفـ ـن وانكسار والخد عنبر خاله
فهو بدر يقله خوط بان فوق دعص غدا له كعقاله
قادنى نحوه الغرام وقلب ولع بالهوى كثير احتياله
فاحتسى كاس حبه كل عضو حيث ريحان صونى فى اختياله
فغدا يسمرنى الشوق والقلـ ـب كما شاء موثق فى حباله

وهكذا صرفت تلك الليلة وهى بين شرب مدام ومناشدة أشعار ولما كان الصباح أعادت كل شيء إلى حاله وصارت تنظر ماذا يكون من أمر أبيها . وأما فيروزشاه فانه خرج مع فرخوزاد إلى دار الحكومة وهما فى ارتباك وانشغال لا يعلمان إن كانت عين الحياة فى أيدى القوم أم خادمتها وزاد كدرهما خوفا من ظهور الأمر

واماشاه السر قد خلا المجلس وجلسا فى مقامهما وكل منهما يحمل سلاحه حسب العادة وبعد جلوسهما بقليل أتى الجند وأخبروا طيهور أنهم مسكوا أحد اللصين والآخر فر يطلب النجاة وقد ستره عنهم سواد الليل وقصر الحال وإن الخواجه عمر جاءهم بامر مولاته وطلب اللص الممسوك فسلموه إياه فدعا الشاه سرور الخواجه عمر وساله عن اللص فقال له ما سمعه من بين الحاة فغضب لذلك الشاه سرور وقال له لابد لى الآن من قتلك لانك خائن حلت بين وقوفنا على القاتل وبين غايتنا ألا تعلم أنى أحب أن أبذل بيت المال كله فى سبيل إظهار القتلة الذين تجاسروا على وطئ دستى وخرق هيبتى وفى الحال أمر أن يؤتى بالسياف فارتجف قلب الخواجه عمر وتردد فى بيان الحقيقة إلا أنه قال أخيراً خير لى أن أموت من أن أبيح بسر سيدتى عين الحياة وصبر مسلما تدبير أمره إلى الله سبحانه وتعالى وأما الوزير طيهور أدرك أن باطن الأمر سرا وأن الخواجه عمر لا يقدر على اظهاره وفكر أيضا أنه إذا ترك الملك يبعد أمره بالخواجه عمر يقع هو تحت غضب عين الحياة وكان يعلم منزلتها عند أبيها وانه لايصح لها رأيا فقال للشاه سرور انك إذا أمرت بقتل الخواجه عمر تكون قد ظلمته لانه لاحق عليه بفرار اللص وكان يمكنه أن يترك خدمة عين الحياة ويلتفت إلى المحافظة عليه وإذا قتلته لابد من تكدير كريمتك وانى أعدك أننا نقع على اللصوص فى هذه الليلة إن شاء الله فاعف عن الخواجه عمر إكراما لخاطرى وارضاء لسيدتى عين الحياة قال قد عفوت عنه انما بشرط أنك تأتى فى الغد بالخائنين ثم عفى عن الخواجه عمر فذهب وهو لا يصدق بالنجاة حتى أتى قصر مولاته فحكى لها ما كان من أبيها ولولا الوزير طيهور لكان أهلكه فغضبت لذلك وقالت له لو دعاك أبى مرة ثانية فلا تذهب اليه ولو جاء بنفسه

فهذا ما كان منها وأما ما كان من الوزير فانه استدعى ثلاثين عبدا من الاشداء وقال لهم اكمنوا هذه الليلة على سطح قصر الملك ومن وجدتموه يتسلق السطوح فالقوا عليه القبض أو اقتلوه ولا تدعوه يفر وإذا عجزتم عن ذلك فنادوا بالعساكر لمعونتكم لانى أمرت القائد بان يكون تحت القصر لمساعدتكم وان يحيط القصر بالجند كى لا يفر اللصوص وأخبر أيضا القائد أن يفعل ما ذكر ويكون على مزيد الانتباه والتيقظ وإذا سمع بالصياح من جهة السطوح يسرع إلى مساعدتهم وان باب القصر يكون مفتوحا طول الليل لدخوله ٥ ٥

وعند دخول فيروز شاه إلى منزله أتى بالعشاء فأكل مع فرخورزاد وهما يتحادثان بامر عين الحياة فقال فيروزشاه انى كنت فى مزيد قلق أن تكون عين الحياة التى وقعت بايدى الحراس ولا ريب انها كاملة الاوصاف لا تخلو منها مزية حسب الفطرة

فانها على جانب من الاقدام وعلو الهمم وقل من كان من الرجال يماثلها بالشجاعة وقوة البأس والأعجب من ذلك حسن درايتها وتدبيرها فقد سعت بخلاص شريمة قبل طلوع النهار وانكشاف حقيقة الحال قال فرخوزاد ان مخاطرتها إلى هذا الحد غير محمودة العقبى وإن دامت على هذه الحال ينكشف أمرها قبل تدبير طرق الخلاص ولا سيما هذه الليلة فان طغرل قد وعد بالقاء القبض عليها ولا نعلم الطرق التى اتخذها لذلك قال انى خائف عليها جدا ولذلك أحب أن اسير أنا إليها ولا أدعها تسير إلينا واطلب منها كلامها الأخير فى شأن الزواج وأخذ عليها العهود والمواثيق وفى الغد نرجع إلى إيران واطلب من أبى أن يخطبها من أبيها فان أجاب كان خيرا وإلا فأخذها بالرغم عنه قال فرخوزاد ان فى ذلك ثمة كبرى والأولى أن نأخذها معنا إلى بلادنا ومن معنا من عساكر الجن أرسلنا به البلاء والحث على أننا نصل إلى بلادنا دون أن يعلم أحد بنا فانهم لا يعلمون إلى أين مصيرنا ومن أى البلاد نحن قال فيروزشاه انى لا أرغب أن آخذها سرقة بل أن تكون لها عرس يذكر بين السادات والملوك لم يسبق له نظير وذلك قليل فى حب الحصول على من هى من مثل عين الحياة وبعد أن اسود الليل سوادا حجبت به خيالات الأشباح نهض فيروز شاه فلبس أفخر ثيابه وتقلد بحسامه وأخذ الطارقة إلى كتفه وأفرغ عليه المجن وقد حسب حساب الكامنين وأن يجرى معه ما جرى مع عين الحياة وتسلق السطوح ونام فرخوزاد فى فراشه بعد ذهابه وهو يدعو له بتوفيقه ونجاحه وأما عين الحياة فانها بقيت غضبى على والدها إلى أن أتاها عند المساء فوجدها على تلك الحالة فسألها عن السبب فقالت له ألا تعلم السبب وقد أمرت بقتل رئيس حصان قصرى لأجل فرار لص قال لا بأس عليه قد أطلقته إكراما لك ولولاك لكنت قتلته لأنه بعد وقوع اللص فى يدنا خرج منها : قالت وأى ذنب عليه لأنى كنت نائمة فأيقظتنى غوغاء العبيد وقلقلة الجوارى فسألت وأنا مندهشة فأخبرونى أن المحافظين قبضوا لصا فأرسلت رئيس الخصيان بأنى به فعجل وكيف تكون أنت أبى ويخالف لى أمر وبعد أن رأيته أمرته أن يلقيه فى الأسفل ويعود إلى خدمتى لأنه لم يعد يأخذنى نوم فأجاب إلى ما أمرته ولم أقدر ان أنام إلى الصباح ولم يمكنه أن يفارق خدمتى وقد نسيت ونسى هو أيضا اللص حتى تسهلت له طرق الخلاص قال لابد من وقوع اللصوص الجاسرين على قصرى فى قبضتنا هذه الليلة لأن طغرل وكل نحو ٣٠ عبدا للقيام من هذه الجهة وأخذ غير ذلك من الاحتياطات بما يؤكد لى وقوع المتعدين وأما أنت فاعفى عن تعدى على خادمك ثم جعل يقبلها وكان يحبها حبا لا يوصف حتى وعدته بانها راضية عن عمله وقبلت يديه ثم تركها وذهب الى مكانه وبعد ذهابه أكلت

ما أحضر لها من الطعام وطلبت إلى امة قهرمانتها أن تستعد للتسير إلى فيروز شاه قالت اسمحي لي يا سيدتي ان اقول لك ان هذه الليله صعبة العاقبة ألا سمعت ما قال أبوك من تكثير الرحال وأخذ الاحتياطات المقتضية لوقوع من يحار السطوح في الآن فقالت لا اضطرار لي عن الذهاب إليه فكيف أنام دون أن أراه او اسمع عذوبة الفاظه فهذا لا يمكن أبدا ولو كان بذلك موتي وهلاكي قالت اني لا اسلم معك بالذهاب وعليك أن تستشيري والدتي اسما فهي ادرى مني ومنك بهذا الامر وهي تعرف خفايا أمرك ولا تريد لك إلا ما به خيرك فدعت قهرمانتها الكبيرة واستشارتها في الذهاب وحكت لها كل ما توقع منها وما سمعته من ابيها قالت اني لا اشور عليك بمبارحة منزلك وهذه الليلة وإذا شئت ان تكوني سعيدة مع حبيبك فاستكي ريثما يهدا الحال ويختفي هذا الخبر ويرتاح فكر ابيك وبعد ذلك يمكنك ان تصرفي الليالي بطولها دون ان يعلم بكما احد وهذا الذي اشوره عليك فاستصوبت عين الحياة كلامها وصبرت وهي في ازدياد شوق واضطراب خاطر وامرت شريفة ان تحضر لها الصور وتصف لها باطية المدام كما سبق لها من عوائدها ففعلت وجلست تعاطيها وفي تلك الساعة شعرت بوطيء اقدام على السطح فقالت لقهرمانتها ان صح حذري يكن القادم حبيبي فيروز شاه فانه قد استبطأني ولم يقدر على فراقي فجاء إلي فلا ريب انه اشد مني حبا واحفظ ودا وما اتمت كلامها حتى دخل عليها فيروز شاه فنهضت مسرعة إلى لقائه وسلمت عليه بعد ان قبلته في عارضيه واجلسته إلى جانبها وترحبت به وهي لا تصدق بوجوده عندها وكان الفرح يطفح على قلبها المملوء من الحب ثم امرت شريفة ان تعاطيه خمرا ففعلت وصرفت تلك الليلة مع محبوبته وهو يشرب صحتها وهي تشرب بصحته ويتنقلان بنقل محاسن وجهيهما ولا يشبعان من النظر إلى بعضهما ومن بث ما في قلبيهما من لوعة الوجد التي لا تنقضي إلا بالوصول ومع كل ذلك فكان يشربانه من الخمر قويهما على تمكين عرس الشوق إلى الدنو من بعضهما وهما لا يشعران بفعل الخمرة

فديت حبيبا زارني بعد صده ... ومن رقه واللحظ حيا بقرقف

سقاني ثلاثا يا خليلي وانها ... شفاء لذي سقم وراحة مدنف

وكانت هذه الحالة حالتهما إلى آن أوان الانصراف فنهض فيروز شاه ودنا على قدميه وقال لعين الحياة اعلمي يامن هي عندي أعز من روحي وأغلى من حياتي اني عولت في الغد على الذهاب إلى بلادي لأطلب من ابي يخطبك من ابيك لي زوجة لان قيامي هنا لا يأتي بجدوى فالسعي بر باط التزوج امر لا بد منه واخاف ان يطول علينا المطال فيحدث ما لم يكن في الحسبان فاريد منك ان تزودني بقبلة

الفراق وتعذيبي بالقيام على الحب الذي لا أشك أنه ثابت فيك لا يتغير بتغير الحوادث . انما أريد ان اعرف قلبك من جهة ما ربما يحدث بيننا وبين أبيك لأنه ان امتنع عن إجابة طلب ابي ولم يقبل ان يعطيك لي لا بد من أن يغضب ابي لذلك فيبعث فيرورزا بالعساكر فيحربون بلاد أبيك لا محالة فهل إذا وقع ذلك تبقين على عهد الولاء ولا يعطلك وقوع الحروب بيننا وبين أبيك فتفطر لذلك قلبها وسال الدمع من عينيها على صفحات خديها الشفافين كما تساب اللؤلؤ فوق صفائح العاج فمسحها فيرور شاه وعلم أن بكاها لفراقه فقال لها لا تبكي ولا تجزعي فان ما يملك هو بقلبي وإذا صبرنا على فراق بعضنا أياما قليلة نتم فيما بعد لذة الاتحاد الأبدي واي شيء احب لدي ولديك من قيامك عندي وفي قصري والى حين نقطف ثمار الرواح الناضج بحرارة الحب ونشاهد بعضنا في الصباح والمساء وكل دقيقة فنزل هذا الكلام على قلبها نزول العافية على قلب السقيم وقالت له عجل بما أنت طالب واسرع إلى ازالة هذه الموانع بأي حالة أردت فان حبك اعماني وعيني عن الهدى حتى عدت لا اعرف الطريقة الواضحة التي تكمل بزواجنا واصبحت لا أروم إلا بقاءك عندي فاعذرني وأما ما تطلبه من ثباتي على الحب إذا وقع بينكم وبين أبي الحروب فاني أعدك اني كما تعهدني لا تغيرني تلك الحوادث مهما كانت ثقيلة واذا هلك ابي من هذا الصدد يكون قد نال جزاء عناده انما ارجوك ان تزرعوا خيمة السلامة ولا شيء أحب إلى من أن ينتهي زواجنا واني وابوك في وفاق وسلام قال ان تلك فروض علينا وما أمرنا الله به نفعله ثم عانقها وعانقته ولا تسل عما الوقت ملآت وبللا بدموعهما ثيابهما وكادت بين الحياة ان تقع إلى الأرض وقد أغمي عليها فرفعها بين يديه إلى فراشها وأمر شربة ووالدتها اسما أن تسكبا على وجهها ماء الورد وماء الزهر وتفرغان الجهد في تسكين جأش غرامها وحملها على الاصطبار إلى حين إيابه فوعداه بذلك وإذ ذاك نفر إلى السطح وهو كالطير الجارح وقلبه في ضعف مزيد من تأثيرات الفراق الذي لا شيء اصعب على المتحابين . .

ان يوم الفراق قطع قلبي قطع الله قلب يوم الفراق

وفيما هو سائر على السطوح وليس لديه ما يفكر به أو يشغله الا أمر محبوبته وخيال جمالها الدائم الخطور بين يديه وأمام عينيه وصل إلى المكان النائم به العبيد فصاحوا به فلم يلتفت اليهم ولا أجابهم بشيء ولا عرفهم بنفسه بل شهر سيفه البتار وابتدرهم بضرب صادر عن قلب زاهد في الحياة فاحاط به العبيد ووقفوا بأسيافهم العبيد وأكثروا من الصياح فادركهم العساكر التي أقيمت من طيفور تحت القصر وعددها خمسة وثلاثون الف نفر وتسلقوا السلالم تسابقوا إلى قتال فيرور شاه والعبيد

يصيحون هذا اللص فاذا بحا لا سحو من غضب الشاه سرور كل هذا وفيروز شاه فى قتال وعراك وصدام واشتباك . وهو يضرب الصدور ويحرقها والهامات ويشقها حتى ازدحمت عليه العساكر من كل مكان وهى تصيح من عظم ما نالها من مقاساة قتاله وتطلب الفتك به وكان بعضها يقع على السطوح وبعضها يداس بالأرجل وكان قصر المجال يضعف فيروزشاه ويقلل قواه لأنه كان راجلا وكان يعلم أيضا أنه على السطوح وانه لا يمكنه الكر والفر والتوسع فى القتال خوفا من أن تزل به قدمه فيقع إلى الأسفل وكان الليل حالكا حتى كاد لا يرى ما بين يديه لولا نور الشرار الذى كان يتطاير من وقوع حسامه على الطوارق مما كان يسهل للعساكر أن يروا شخصه فيزدحمون عليه ويضايقونه من كل الجهات حتى كلت يداه وزهقت نفسه وفى تلك الساعة استيقظ فرخوزاد فسمع الصياح قد ملأ الجو وأكد وقوع فيروز شاه فى قتال عساكر الشاه سرور فطار عقله وفى الحال استلم سيفه وطارقه وقفز إلى السطح فشاهد ازدحام العساكر وهى على ما ذكر فبادرهم بالضرب واخترقهم حتى قرب من أخيه وشاهد حالة هذا والعساكر تصيح قد جاء اللص الثانى فاقبضا على الاثنين إلا أنه كان لا يصل احد اليهما إلا وتخطف روحه بأسرع من لمح البصر وسمع طيطور والشاه سرور فبادر إلى ساحة القصر فاخبرا بأمر اللصين وثباتهما فامرا أن تلقى عليهما الكمندات وجعلا يرسلان العساكر إلى فوق وانتبهت عين الحياة على نفسها وسمعت غوغاء القتال فقالت والله كشف الأمر ومسك المحبوب وجعلت تطلب من الله خلاصه وهى فى قلق وارتباك وعولت أن تقتل نفسها فمنعتاها شريفة ووالدتها وقالتا لها عليك بالصبر والتأنى والصلاة إلى الله فهو السميع المجيب وكان فيروز شاه وفرخوزاد فى قتال أحر من لهيب النار عند اشتعالها فى يابس الحطب وقد أيقنا بالهلاك والوقوع فى قبضة الاخصام لان الكمندات كانت تحدف عليهما وهما يقطعانها بهمة تحاكى همة الأسود الضارية بعد أن يقاسيان أشد المصاعب وأعظمها وكانت ظلمة الليل وضيق المجال وازدحام الرجال والخوف من السقوط إلى الأرض أكبر علة لضعفهما وقبل أن يبزغ فجر اليوم القادم مسك فيروزشاه وفرخوزاد بعد أن احمر بالدماء انهارا وكوما جثث القتلى تلولا وأكواما فربطوهما بالحبال وصاحوا يعلنون القبض عليهما وأخبر الشاه سرور وطيطور بذلك ففرحا ونادياً أن يؤتى بهما وعرفت عين الحياة بذلك فاخذت تصرخ وعولت على الهلاك بنفسها فلم تساعدها قواها على ذلك بل خارت عزائمها وغاب رشدها فوقعت إلى الارض مغمى عليها فاسرعت خالاتها اليها الفهرمانة والجوار واخذن يرششن الماء على وجهها هذا ولما أحدق قواد العساكر بفيروزشاه وعرفوه بأخروزاه وهو مقيد وقالوا والله

لم يكن في خاطرنا ان نمد اليكما يدا ولو عرفتمانا بنفسكما لفتحنا اليكما طريقا ولم نعد نعلم
الحراس ماذا يفعلون أيسحبونهما إلى حضرة الشاه سرور ام يطلقون سبيلهما هذا
والشاه سرور ينادي ان يؤتى بهما فلا يجاب فسأل عن الخبر فقيل له هذا مملوكا الخواجا
الاثنان وفرخزاد فبعث من احضرهما بين يديه وقال وانكما أهذه مجازاتي عندكما ومقابلة
الجميل الذي فعلته معكما وقد القيتكما في نصف قصري ومن حرمي والأكل الذي
آكل منه أطعمتكما منه وخدمي تخدمكما ولم انقص قدركما عني فماذا تريدان أن تسرقا
من قصري ثم ذهب إلى دار الحكومة وجمع أعيان مجلسه وامراء دولته واحضر
امامهم الأسيرين فما منهم إلا من اضطرب وارتبك وما هان عليه هذا الأمر لأن
الجميع كانوا يحبونهما ويتمنون لهما الخير ما عدا طيمور فانه كان يبغضهما ولا سيما
فيروز شاه لأنه كان يحسده على ما جمع الله فيه من القدرة وقوة البأس والجمال
والفصاحة ولما وقفا في وسط المجلس وهما مقيدان بالقيود سألهما الشاه سرور
ماذا كنتما تطلبان ان تسرقا من قصره فقال انا لم نرد ان نسرق شيئا وإنما قد صعب
علينا من افعال اللصوص في الليلتين الماضيتين وقتلهما العبيد فاتفقنا ان نربط نحن
فلما نكشف الأمر ونقدم خدمة لك وعندما قدمنا من العبيد بادرونا بالقتال فقاتلناهم
بالمثل وهم لا يعلمونا وقد ظنونا لصوصا وسترنا سواد الليل عن اعينهم إلى ان كان
ما كان ونحن نقسم لك انه لم يكن في قصدنا سرقة شيء من قصرك والبرهان ان
لا شيء ممنوع عنا فقال طيمور صدقتما وانا اعترف انكما لستما تطمعان في مالي وشاهدي
أن ما فرقه احدكما على رجال دولة الملك وخدمه لا يقابل بمثل ومن كانت هذه
صفاته لا يطمع بغير الحريم وإن صح فانكما تقصدان اختطاف بنت سيدي الشاه
سرور عين الحياة فوقع هذا الكلام على فيروز شاه وقوع الجبل على رأسه واما الشاه
سرور فقد زاد به الغضب وتأكد ذلك وقال أبلغ من قدر المماليك الوصول الى
بنات الملوك وفي الحال امر ان يوضعا في نطع الدم الى ما بعد الظهر واذ ذاك
تضرب رقابهما في حضرته ـ فاخذا مكبلين بالسلاسل والقيود وفيروز شاه يندب
حظه وبعده عن عين الحياة ويقول لا بد ـ ان الله يسهل لنا طريق الخلاص فانه لا يترك
من يلتجىء اليه وكانت اسما الى زمانة بعثت بالخواجه عمر الى ديوان الملك وامرته
ان ينظر ماذا يجري فرجع اليها [illegible] فقالت له عد الى الديوان حتى ترى الأمر
ينقضي وقد اتى فيروز شاه الى [illegible] الشاه سرور وقال له ان هذين الاسيرين
هما من شرفاء العالم والأول الذي تقول انه مملوك الخواجه الان هو فيروز شاه ابن
الملك ضاراب والثاني هو فرخزاد بن [illegible] الملوك ومتى عرفهما [illegible] طلعوهما
فرجع ولما توسط النهار ازدحمت الاقدام في ساحة الميدان وما من احد من [illegible]

المدينة ورجالها إلا وهو يبكي على حياة هذين الشابين ويأسف عليهما وجلس الملك وإلى جانبه طمور ومن حوله بقية الأمراء وما منهم إلا من سأل العفو عنهما لم يقبل لأن طمور كان يهيج غضبه بكلامه ويحركه على سرعة إعدامهما ثم أتى بهما كالجانيين لساحة الاعدام وقد أحاطت بهما العساكر بحصرهما من كل جهة ثم قدم فيروزشاه أولا وربطت عيناه وهو في ثبات لا مزيد عليه ولم يقطع رجاءه من الخلاص بل يقول في نفسه انى لا أقتل والله ينجينى لانه يكرم أبى وليس له سواى فكيف يفجعه فى واحد الجلاد السيف ونادى حسب العادة إذا كانت شفقة أو رحمة بقلب الملك فلم يجب ودار حوله المرة الأولى ووقف برهة ثم نادى وطاف الثانية ووقف برهة وعول على الثالثة وإذ ذاك قدم الخواجه عتبر وهمس فى أذن الشاه سليم ما أعلمته به القهرمانة فنهض فى الحال وحال بين الجلاد وفيروز شاه وقد دفع الجلاد إلى بعيد بقوة عظيمة فغضب الشاه سرور من عمله وقال له ما هذه الأعمال ألأجل فيروزاد الابحى تخرق هيبتى وتبطل أوامرى بحضرتى وبين أعيانى فلولم يكن من كبراء عمال مملكتى لفعلت بك فعلى بهما فدع الجلاد ينفذ أوامرى فصاح الشاه سليم بصوت سمعه البعيد والقريب وقال إنى ما فعلت إلا بصون مملكتك من الدمار وحفظها من الخراب لانك لو قتلت هذين الطفلين لا بلبث ان تدك حصونك وتداس عساكرك وتفنى قواتك وتهلك رجالك وتهلك رجالك ويندثر اسم مملكتك إلى الابد قال ويحك ما هذا الكلام اهل لأجل مملوك الخواجا اليان ورفيقه تقع كل هذه الامور قال كيف لا وأنت تعلم ان الملك ضاراب ملك إيران وبلاد فارس هو اقوى الملوك بأسا واشدهم مراسا واعظمهم امرا وقد قهر كل سلطان وجبار فهو الذى يصطاد الاسود بيديه ويزعج الجبال بصوته ويرعب الاسود بهيبته وكيف وقد اخبرتك السياح وارباب القوافل وحكت لك الرواة الصادقون ان بهلوان البهلوان بهلوان الملك ضاراب قد ساد على كل جبار عنيد وبطل صنديد فلا يصعب عليه أمر من الامور فان قصد احتراق قلعة احرقها أو هدم حصن لدكه فماذا يفعلان إذا عرفا انك قتلت ولديهما وانى ادركت ان الاول الذى هو الآن تحت سيف الجلاد هو ارفع منك نسبا واعظم مجدا وهو فيروزشاه ابن الملك ضاراب وان الثانى هو بهروز البهلوان وها قد اخبرتك لتكون على بصيرة من امرك وتعلم ان فى العجلة الندامة بحيث لا ينفعك الندم فيما بعد

ولما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع فى الخبل والاندهاش وقال ما هذا الذى تقوله مع ان الخواجا اليان اخبرنى انه اشتراه من بلاد اليونان قال انى اقول الحق وما فى قولى ارتياب ولا تردد وفى الحال امر الشاه ان تفك عيناه ويقدم

الاثنان اليه فقدما فقال أحدهما الأكيد من انتما هل كما يقول الشاه سليم من ان أحدكما ابن الملك صاراب والآخر ابن فيروز البهلوان قال ان جل ما نعلمه عن أنفسنا هو انى قد خلصت لك أموال بنتك من قرصان الزنوج وجماعة من رعيتك أيضا وبعد ذلك اسرت لك قاطرا وقطيرا اللذين صرفت زمانا فى محاربتهما واهلكت كثيرا من الرجال فى سبيل كبحهما حتى عجزت عن ذلك وأخيرا خلصت لك بلادك من الدمار ونفسك من القتل وصدت بنتك من السبى وذلك بقتلى سرور وميسرة وفتكى بعساكرهما وعساكر الشاه زور ومنع الحصار عن المدينة وارجاع الأمن إلى بلادك بعد الخوف والرعب وفوق كل ذلك فقد قتلت لك هولتك ابن الملك هوربك لما بعثه أبوه اليك ليزوجه بنتك عين الحياة ومن كل ما تقدم يظهر لك من نحن وبماذا يجب أن تعاملنا عوضا عن معروفنا معك وجميلنا الذى يعترف به كل فرد من أفراد رعيتك ما عدا وزيرك طيفور الذى أشار عليك بهلاكنا جزاء على حراستنا على السطوح لنعلم من المعتدى على قصر ملككما قال الشاه سرور انى لم اسألك عما ذكرت بل أريد أن تخبرنى من أنت وهل ابوك الملك صاراب قال انى لا أعرف الملك صاراب ولا اعرف غيره وانما اعرف أنى مخلص بلاد الشاه سرور ومخلص حريمه فقال طيفور ان الشاه سليم غلطان فى كلامه كيف يكون هذا ابن الملك صاراب الفارسى ويخدم الخواجا اليان ولو كان كما قال لما كان يخفى نفسه وهو تحت القتل وسيف الجلاد فوق رأسه إلا إذا كان فى نيته سبى حريم الملك او اختطاف بنته ومع ذلك فى قتله خير ورفع العار وحفظ ناموس المملكة قال الشاه سرور ادعوا لنا الخواجا اليان لنسأله عنه فلما حضر بين يديه قال اريد منك ان تطلعنى على حقيقة هذا الذى تدعى أنه مملوكك وقد أخبرت أنه ابن الملك صاراب وهو ينكر ذلك فارتبك الخواجا اليان فى أمره وفكر أن صرح للملك بواقعه الحال لصعب على فيروز شاه وان أخفى أمره ربما قتل أو لحق به ضرر من كذبه على الشاه سرور وبعد التفكر قال اعلم يا سيدى أنى بينما كنت ذات يوم عند شواطىء بلاد العرب جمعت مجلساً من قافلتى وأخذت أخابرهم أهل نسير فى البر إلى بلادنا أم فى البحر لأننا ان سرنا فى البحر لا نأمن عائلة الزنوج الذين انتشرت مراكبهم فى البحار للسلب والنهب وان سلكنا البر لا نأمن من قطعة الطرق الذين عتوا وتجبروا ولم يحسبوا حسابا للملوك الزمان وأمراء القبائل وفى تلك الساعة أتانا هذا الرجل الذى أمرت بقتله ودخل بيننا وسمع كلامنا فوعد لنا بالدفاع عنا وأنه يحمينا من أعظم الملوك وأشد الفرسان وانه لا يدع شرا يصل إلينا او كنا إذذاك فى ارتباك من أمرين خطيرين وكان معه رفيق آخر فنزلنا البحر وهاجمتنا القرصان فدافع عنا دفاع

الأسود وخلصنا ثم وقعنا على الجزيرة المطلسمة وكنا فى خوف من الهلاك فهدانا بروفيه ثم مررنا على قلعة الجبل وحكيت له قصة قاطر وقطير فاستأسرهما ثم جئنا البلد فوجدنا الحصار عليها فقصد بنا الجبل وجرى ما تعلمونه بعد ذلك وهذا كل ما أعلمه من أمره وغير ذلك لا اعلم فقال له الشاه سرور كيف اخبرتنا اولا انه اشتريته من بلاد اليونان قال هو طلب منى ان اقول عنه ذلك وتهددنى إذا قلت غير ذلك بالقتل وانا لا اعلم سر المسألة حتى الساعة ولا اعرف من هو ولا ابن من فزاد الأمر اشكالا على الشاه سرور واستشار وزيره فيما يفعل فقال له الأوفق ان يرفعا إلى السجن ريثما تنجلى الحقيقة وتظهر الامر وكان قد خاف طيفور من ان الشاه سرور يطلق سبيلهما فاشار عليه بابقائهما بالسجن وفى اعتقاده انهما لا ينجيان من الاعدام فاخذ الى السجن

وفى اليوم الثانى تجتمع الأمراء واخذه فيروز شاه وطلبوا من الملك اخراجهما فابى فقصدوا اخراجهما بالقوة وثار معهم جمهور من الأهالى فقصدوا السجن وكان عددهم نيف عن العشرة آلاف فبلغ ذلك الشاه سرور والوزير طيفور فجمعا شرذمة من العسكر وقصدا السجن وهناك قام القتال ووقعة واقعة كبرى استقامت نحو ساعتين وبعد الجهد افرج الرعية عن القلعة واحتاط الجنود بها من كل صوب ومع كل ذلك فالاهالى فى هياج زائد وعدهم الشاه سرور باطلاق سبيلهما الا انه يريد ان يحقق حسبهما ونسبهما وابن من هما ثم امر بنقلهما إلى قصره وان يبقيا هناك تحت المحافظة فى راحة وسكون فاخذا إلى القصر الذى كان فيه وحجر عليهما فى احد حجراته وكان فيروز شاه فى هم لا مزيد عليه من اظهار حقيقة امره وقد قال لفرحزاد انى ألومك على ذلك لأنك انت الذى اطلعت الشاه سليم على امرنا ولو لم يكن عنده علم منك عن حالنا لما حكى ما حكاه فاقسم له انه لا يعرف لذلك سببا ولما وضع فى قصر الشاه قال فيروز لا بد لعين الحياة ان تزورنا فى هذه الليلة ولو تحملت اصعب المشقات عندما إذا عرفت اننا قريبان منها

واما عين الحياة فكانت فى حالة يأس تطلب لنفسها الموت فى كل دقيقة ولولا ملازمة شريفة ووالدتها لها لكانت قتلت نفسها وبعد ذلك بلغها وجود فيروز شاه فى القصر فسارت عند منتصف الليل وقد اصطحبت شريفة معها ولما وقفت بباب الحجرة وجدت الخدم قائما على أبوابها فعرفتهم بنفسها وقالت لهم افسحوا لى الباب فانى ارغب ان ارى هذين الغريبين اللذين فعلا ما فعلا وعكرا راحة المدينة واحب ان اتفرج عليهما فقالا لها ان اباك اوصانا بان لا نفتح الباب لاحد دون علمه ونخاف من انه إذا عرف بذلك قتلنا وانا لا نقدر ان نخالف لك امرا فنفتح لك الباب بشرط ان

لا تدعى أباك يطلع على إتيانك فى مثل هذا الوقت قالت إنى لا أدع أبى يعلم بإتيانى فاحرصوا أنتم على ذلك ثم فتحوا لها الباب فدخلت ولما شاهدها فيروز شاه ترفل فى ثياب البهاء والجمال وآثار الذل والانكسار واقعة على ذلك الجبين الزاهر الزاهى أخذه الفرح وعلاه الكدر فاجتمع به الحالتان فى وقت واحد ونهض يثقل بقيوده وصافحها وصافحته وأخبرته بعمل قهرمانتها وأنها اعلمت أباها بالحال ليخلصه من الاعدام فقال انه كان احب لدى الموت من وقوف الملك على أمرى ولا سيما إذا عرف ما وقع بينى وبينك من الود وروابط الولاء فيصعب عليه وربما حكى الناس بحقك فانى أرى الموت أسهل من ان تكونى موقعا للملامة ومرمى لسهام اللوم قالت لا شيء مما تذكر إنما تدبير أمر خلاصك ضرورى علينا وبعد ان صرفت وقتا قصيرا انصرفت وهى تبكى وتتوجع لحالته وباتت تلك الليلة فى بحر من الهموم والاكدار

وفى ثانى الايام بينما كان الملك مجتمعا بأكابر دولته وكبراء مملكته وكلهم يسألونه إطلاق سبيل فيروزشاه ومكافأته بالجميل والاحسان على فعله الحسن وطيمور يمانع ويدافع وإذ ذاك دخل حاجب الديوان وأخبر بوجود رسول بالباب فأمر بدخوله فدخل ودفع للشاه سرور كتابا فدفعه إلى طيمور الوزير ليقرأه علنا فإذا به من الملك فوربك يقول فيه اعلم أيها الخائن انى كنت قد بعثت اليك بولدى مع ألف بطل من خاص رجالى وأصحبته بكتاب اليك أرجوك فيه ان تزوجه بنتك عين الحياة وقد رغبت بمصاهرتك على أمل أن نكون يدا واحدة ويتصل حبل النسب بيننا فكان منك أنك قتلت ولدى وأهلكت رجالى ولم تحفظ عهد الجوار وها أنا قاصد اليك بعساكرى ورجالى وفى نيتى ان أميتك شر ميتة فسلم نفسك إلى وإن دافعت فانى أخرب بلادك وأهلك رجالك لا أبقى احدا من مدينتك وأحمل بنتك سبية لعساكرى والسلام على النار ومن طاعها وسحقا له والويل لمن عصاها ولم يمش بها ولما سمع الحاضرون هذا الكتاب ما منهم من قدر ان يبدى كلاما وبرز على قلب الشاه سرور الخوف والحزن وخاف عاقبة الامر وتأكد دمار بلاده لانه كان على غير استعداد لملاقاة قوم الملك فوربك وبعد ان أطرق إلى الارض برهة رفع رأسه واستشار وزيره فى ماذا يفعل فقال لا شيء الآن من الاقامة بالحصون وتكثير العساكر حول المدينة مكتفين بالدفاع ربما تستمد نجدة الاعراب فى مملكتك فيأتون وعسى أن يأتيه الفرج عن قريب وكان ركب القوم يدرك فى الغد وبعد الغد فأمر الشاه سرور فى الحال ان تحصن الحصون وتقام العساكر على الاسوار وتدخر المأكول فاجرى ما أمر به ونقل احتياج الجند إلى الحصون وأقاموا يستعدون للدفاع وأرسل الشاه سرور جواب تحرير فوربك مع رسوله يقول له فيه اعلم ان سيوفنا حداد ورماحنا مداد

وعندنا من العساكر والآحاد ما يكفي لدفعك عن المدينة وصدك عنها سنين وأحوالا وها نحن في أمان كما مقيمين على الحصار وحصونها منيعة فافعل ما أنت فاعل فلما وصل هذا الخبر إلى هوررنك اسودت الدنيا في عينيه فأرغى وأزبد وحلف انه لا يرجع ما لم ينتقم من أعدائه ثم أمر العساكر ان تقرب من المدينة ففعلت واحتاطت بها احاطة السوار بالمعصم وضيقت عليها من كل الجهات وفي اليوم الثاني هجمت عساكر هوررنك على المدينة فقفلت الابواب في وجهها واشتبك القتال بين كلا العسكرين وتراسلت رسل المنايا معلنة برواج سوق البين وعلا من الفريقين الصياح وودعت الاجسام الارواح لما تأكدت انه ليس لها عن منيتها براح وكثر البكاء والنواح عند الجبان الملتاح وعظمت المسرات والافراح عند الفارس المناوس لما شاهد الحرب يدور رحاها ونار المعمعة يشتعل لظاها وصفقات القتال يتسع مداها وكان كلما تقدمت عساكر الروح من الاسوار دافعتها عساكر المدينة فارجعتها عنها الا انها كانت تهجم هجمات الاسود فلا يؤثر في اجسامها سهام اليمانيين ولولا مناعة الحصون لما رجحت ذلك النهار عن الدخول الى المدينة وعند المساء عاد كل من الفريقين عن القتال يأخذ لنفسه الراحة وباتوا ينتظرون الصباح الى ان بدا نوره يطرد ظلام الليل الفارس امامه فثارت الروح وقد وطدت نفسها على الهجوم في عزيمتها وهي تعد نفسها ان تدخل المدينة غنيمة لا تفات وبات من البيض صيلات وكان يزيد في بسالتهم وشجاعتهم فصاحوا صيحة واحدة وهجموا على المدينة من كل ناحية حتى اسود الجو من الغبار وأجفلت الوحوش من ارتفاع صياح القوم حتى خيل للناظرين ان ذلك اليوم يوم النشور قد خرجت النفوس تؤدي حسابها وهي تردد آثامها وما كانت به وصادفت الروح المدينة مصادمة قوية فدافعتهم رجال المدينة بقوة وحمية ودام القتال على مثل تلك الحال إلى المساء فرجعوا عنها وهي في فرح واستبشار [illegible] الا انهم هدموا بعض الاسوار والحصن كاد ينهدم وفي المساء اجتمع [illegible] بوزيره [illegible] وشكا اليه قرب زوال الحصون وفقدان الذخيرة [illegible] على تسعير الحرب [illegible] دخل هوررنك المدينة لا يشفق على احد ولا يرحم احدا ولا يرعى حرمة النساء ولا سيما إذا وقعت ابنتي بيده فانه يهلكني لا محالة [illegible] طيمور [illegible] عن هذا الامر فاني ادبره بنفسي ولي رجاء بالنجاح وفي الغد [illegible] ما افعل وسأدفع [illegible] هجمات الاعداء وأرجع لك هوررنك [illegible] قال لا عدمتك من وزير [illegible] على [illegible] المملكة وبات طيمور تلك الليلة ينتظر اتيان الغداة الى ان حل فدعا اليه رجلا اسمه الخواجا عوض وكان هذا من كبراء التجار يقصد دائما بلاد الملك هوررنك ينقل البضائع من اليمن اليها ويأتي منها

بالصنائع إلى اليمن وفى كل مرة يصحب معه من هدايا اليمن شيئا كثيرا إلى هورنك ووزرائه حتى أحبه الجميع وصار له عندهم منزلة كبرى وكان طيمور يعلم ذلك فقال له أريد منك أن تذهب إلى الملك هورنك وبيدك راية الامان وإذا وقفت بين يديه تعطف بخاطره وأخبره أن الذى قتل ولده هو فيروز شاه ابن الملك ضاراب وفرحوزاد ابن فلرزور وأخبره بخبرهما وقل له ان لابد للشاه سرور بذلك وانه لما علم منهما ذلك احتال عليهما ووضعهما فى السجن أملا ان تدفعهما الىك إذا جئت تطلب ثار ولدك أو ندفعهما إلى طومار ثار أخويه ورده فوق ذلك ثلث مال اليمن غرامة مقابلة لعدائه وإيابه من بلاده وأخبره ان ملككما لو نظر ولده وهو آت ليروح بابنته لروحه بها وقبل بمصاهرته ويسأل عن ذلك من بقية الألف فارس الذين نجوا من سيفيهما فاجاب الخواجه عوض إلى ذلك ووعده بكل جميل وبذل الجهد فى سبيل نجاح مسعاه لأنه كان يعلم منزلته عند هورنك وكان هورنك يشتاق أن يراه وخاف أن يقتل مع المقتولين فأوصى به رجاله أن كل من قتله يقتله ومن أتاه به حيا مكرما أجزل عطاه ورفع مرتبته ولما ظهر الخواجه عوض حاملا الراية البيضاء كان الملك هورنك قد صف عساكره وأصدر أوامره بالهجوم فأهبت لذلك وقد أشرعت الأسنة وعولت على اطلاق الأعنة غير أنه أوقفها عندما تبين راية الامان خارجة من المدينة فصبر الى أن يتجلى له وجه الأمر وأمر الرجال بالوقوف وهو يقول لهم قفوا قليلا فانى أرى راية الصلح قادمة علينا وعلى كل حال فانى لا أقبل الصلح مالم أستوفى حقى من خصمى وآخذ ثار ولدى وفى تلك الساعة وصل الخواجه عوض بين يديه ففرح به فرحا لا يوصف وقال له الحمد لله الذى جئتنا من نفسك فانى كنت فى اشغال بال بسببك لأنى أتذكر صدق ودك ولا أريد أن اعاملك إلا بما تستحقه من الإكرام وكان أكثر خوفى أن يصيبك أحد أتباعى وهو لايعرفك ولهذا قد شددت بأوامرى على الجميع فقال ان كنت تحفظ لى حق عبوديتى وترعى صدق خدماتى لك التمس منك اجابة سؤالى والنظر بعين الخير فيما أبديه فلديك قال انى أصغى اليك واسعفك فى كل ما تسأله الا أنى لا اسمح لك العفو عن قاتل ولدى هولنك قال انى ما اتيت إلا لأخبرك بامر الصلح وادفع الىك قاتل ابنك وهو فيروز شاه ابن الملك ضاراب فارس الفرس ورفيقه فرحوزاد ابن فلرزور البهلوان ثم قص عليه خبرهما الى ان اوصله كيف أنهما قتلا ولده وشتتا الألف فارس الذين كانوا معه وان كسرا عساكر الزوج وقتلا يعرور واخاه ميسرة وقال له فى الآخير وهذا مكافأتى بالاصفاد بقيام ان اشد الاوجاع وكان قد خطر لسيدى ان يرسلهما

اليك من الاول إلا أن بعض الأمراء معه وأشار عليه أن يبقيهما عنده ومن جاء منكم بالأول سلمه إياهما وبذلك يكون معذورا لأنه لامعرفة له بقتل ابنك بل أن حكي له ذلك وقد أخبرني سيدي الشاه سرور انه يدفعهما إليك لأحد منهما بالثأر و يزيدك فوق ذلك ثلث مال اليمن عن هذه السنة فيجمعه ويدفعه اليك فطر هورنك إلى الأرض متفكرا ثم نظر إلى الخواجه عوض وقال له قد أجبت سؤالك اكراما لك فما بك في أى وقت يحضر الشاه سرور وعده ياتيني بقاتل ولدى وبالمال الذى ذكرته . قال أرجوك أن تضرب أجلا لايتعدى أكثر من سبعة أيام فوافقه هورنك الى ذلك وأمر عساكره بالرجوع عن المدينة وأن ينزلوا على بعد منها ففعلوا وقد علموا بعقد الصلح.

وأما الخواجه عوض فكر راجعا فرحا بنجاح مسعاه حتى اجتمع بطيمور وأطلعه على على أمره واتجاح ماموريته فشكره الشكر الجزيل ودخل على الملك بديوانه وأعلن وقوع الوفاق بين العسكرين على الشروط التى ذكرت فارتبك الملك من كلامه وقال له ماهذا يحسن فكيف يمكني بعد أن علمت أن أسيرى هما فيروزشاه ابن الملك ضاراب وفرحوزاد ابن فلزور أن أسلمهما الى أخصامي بعد أن خلصا مملكتي من الخراب .

وكان الشاه سليم حاضرا فقال للشاه سرور انى أنصحك أن لا تنقاد الى هذا الرأى الوخيم فتندم حيث لا ينفعك الندم لأنك لا تلبث أن ترى عساكر العجم تزدحم فى ميادين هذه البلاد تحت أمرة ذاك الأسد الملك ضاراب الذى يذل لديه كل جبار صنديد انما الرأى عندى أن تطلق فيروزشاه ورفيقه وترد اليهما سلاحهما وجوادهما وتعتذر اليهما وهما يكفيانك شر هورنك وجنوده وتكون بذلك قد تلافيت الشرور .

قال طيمور ان ذلك لايمكن لأننا نخاف أن يتفق فيروزشاه وهورنك وتكون المصيبة أعظم وليس عندنا الا أن نسلمه فأوعدنا به واذا جاءنا الملك ضاراب أطلعناه على الخبر وحكينا ان ابنه اغتصبه منا هورنك فيلتزم أن يسير فى اثره ومن منهما اهلك الآخر كان لنا به نعم الرفيق فاستحسن الشاه سرور مقاله وامر فى الحال ان يبدأ بجمع الأجرة لتقدم فى نهاية السبعة ايام الى العدو مع الأسيرين فعاظ هذا الفعل الأمراء وقالوا كيف نسلم مخلص بلادنا الى الذبح والعذاب فقال لهم طيمور ان هلاك اثنين خير من هلاك الوف ومن سبي الحريم ونهب الاموال وقد قيل يختار اخف الضررين فافحم بكلامه وشاع هذا الخبر بالمدينة حتى عرفه الكبير والصغير وبلغ فرحوزاد وفيروز شاه هذا الامر فأيقنا بالهلاك وقال الاول انى لازلت أعلق نفسى بالنجاة مادمت فى هذه الديار واما الآن فقد قطع حبل الامل لان هورنك ينتقم مما ثار ولده فى الحال فياليت لا كانت تلك الليلة التى تسلقت بها السطح ولم يعد باحدنا اصطبار عن مشاهدة عين الحياة فياليت الملك هورنك يقتلنى

فدية فى ثاره عنك لانك وحيد ويتعلق بك نظام مملكة برمتها من ممالك العالم الكبرى فقال فيروزشاه انى لا أتحسر على مافات وكل هذه العذابات وما هى أشد منها والموت أيضاً لاتحسب شيئاً فى جنب لذة تلك الليلة التى جمعتنى بحبيبتى وإنى لست خائفا من الموت لأنى أعلم أن الله يعلم براءتى ويعرف تقاوة أنى وينتشلنى من الموت وإذا سمح أن يميتنى فلى ثقة أنه لايحرمنى من النظر إلى عين الحياة مرة أخرى وذلك يحملنى أن أقبل الموت بفرح لامزيد عليه لأنى لا أطلب من دنياى أكثر من ذلك قال لابد لعين الحياة بعد أن تسمع بخبرنا أن تأتى فتزورنا ولاسيما إذا علمت بأننا سنقدم صحبة الطلم إلى الملك هوروك وبات فيروزشاه وفرخزاد يندبان حظهما وكل منهما معلقا قلبه فى جهة فكان أحدهما يعشق عين الحياة والآخر قلبه عند بنت الشاه سليم التى مر ذكر حديثها معه وانه هام بها ونزلت من قلبه بارفع موضع فهذا ما كان منهما وأما عين الحياة فانها لم يكن عندها خبر من ذلك اليوم الخامس فلما علمت على ماذا عقدت شروط الصلح فغاب وعيها وعادت كالمجنونة تروم أن تقتل نفسها ولا تقدر لأن شريفة ووالدتها كانتا تمنعانها عن الاتيان بمثل هذا الفعل ويقويانها وهى تصفق على خدودها وتمزق اثوابها وأيقنت بممات حبيبها ففضلت لأجله الممات وترك هذه الحياة وهى تصر بعزمها على قتل نفسها ولا زالت تقاسى عذاب الضجر والملل وتعانى وجع شدة قطع الرجاء وتحاول إعدام نفسها فلا يتيسر لها إلى أن أظلم الليل الذى يهيج لغرام كل محب شوقا إلى من يحب فتذكرت ما مضى عليهما من الليالى المحفوفة بالأنس والهناء فأنشدت وأنشدت

أحبابنا أين ذاك العهد قد نقضا	وأى وصل بأيام الوصال مضى
وأين إيمانكم بالله إنكم	لاتبرحون بسخط فى الغرام رضا
عودوا فقد أوحش النادى لبعدكم	عنه وأظلم ما قد كان منه اضا
لما رميتم سهام البين عن ملل	صيرتم كل قلب فى الهوى غرضا
أشكو إليكم سقامى من فراقكم	تالله لا جوهراً أبقى ولا عرضا
حسبى محافظة أنى أموت بكم	وجداً ولست أرجى عنكم عوضا

وصرفت نحوا من نصف الليل وهى عادمة العقل فاقدة القوى لا تعرف ما بين يديها ولا ماينهى عليها وإذ ذاك خطر لها أن تزور فيروزشاه وتودع من النظر إليه وكانت مصممة كل التصميم على قتل نفسها وأن لا تبقى بعده يوما واحدا لانه بعد ما تتصور أنها كانت السبب له فى كل هذه المصائب لأنها لو لم تقبل العهد لما ثارت تلك النار ولا عرف أحد بحبهما ولا اطلع أبوها على أسرار فيروزشاه وكان هام بها الاجتماع به زمنا طويلا فدعت شريفة وكشفت لها عن مقصدها وطلبت

منها أن ترافقها فاجابتها وسارتا تحت اسوداد الليل حتى قربت من طاقة سجن فيروز شاه وكان الباب مقفلا عليه من الخارج وهو فى ذاك الوقت جالسا بالقرب من فرحوزاد يتحادثان بما وقع عليهما من المصائب وكيف أنهما سيقادان دليلان إلى الملك هوربك مع أنه لو أطلقهما الشاه سرور لكانا أهلكا الملك هوربك وبددا شمل عسكره ورفعا الذل عن المدينة وبينما هما على ذلك وقفت عين الحياة فى النافذة فلمح فلب فيروز شاه اليها قبل أن يتحققاوانعطف على غير وعى منه إلى قربها ولما تحققها سقط عن قلبه جبال من الأحزان والمصائب ولم يعد يفكر بكل ما قاساه وما يقاسيه حيالها وحينه وقد شاهد ما رسم على وجهها من رسوم اليأس والبكاء فتأثر لذلك وقال لها فدتك نفسى بوقت كنت أنتظر مجيئك فيه وكنت أخاف من أن يمضى الوقت وأسلم إلى الأعداء قبل أن أراك وبذلك أكون فى عذاب أشد من عذاب جهنم لأنى أقدر أن أحمل كل عذابات هذه الدنيا بصبر جميل وتخف عنى إذا تذكرت معانيك وحبك الخالص لى وانى على يقين انى لو ذكرتك ساعة إعدامى لمعتنى الذكرى وأعادت إلى الحياة واخافة الأعداء بينما تصمت على البقاء فاكرهه فلا لذة إلا بك ولا هناء إلا بقربك ولا نظن أن حالتى هذه تدوم على ما ترينها فسوف تنقضى أيام البؤس ويأتينا النعيم على أحب ما نطلب إليه فتنهدت عند سماع كلامه وقالت له يا حبذا لو كنا جميعا الف لكنما لا نفكر من هذه الدنيا بشىء ولا نرى فى شىء من خصائصها وحل ما كان بهم كلا منا أن يلصق بالآخر جسما وروحا فنمرح روحانا ونصرف الحياة على بساط رحب من المسرة والصفاء أما الآن فانى أرى حياتى ذميمة وان الله لم يرغب فى اجتماعنا لأنى أتصور أن هوربك سيأخذ منك ثار ابنه ولا يبقى عليك مطلقا ولكى لا أسمع بهذا الخبر المشئوم عزمت عزما ثابتا ووطدت نفسى الى أن أقتل ذاتى فى هذه الليلة أو فى نفس يوم تسليمك للعدو إذ فى مماتى راحتى وفى بقائى شقائى فقاطعها عند سماعه تلك الكلمات القاسية التى وقعت على فاه وقوع السهم الحاد. قائلا ان كلامك هذا سحر لفؤادى يقيده بقيد عذاب لا يفك منه إلى يوم القيامة فان هذه الحالة التى أنا فيها هى عروس لنفسى فهى ما زالت تغرى بذكرك وبأمل الفرح والقرب منك وكنت أود أن تخففين أثقال سجنى بعذوبة كلامك فعاملتنى معاملة العدو المهين فبالله عليك لا تعجلى على بنفسك فتذهبين بحياتى إلى الفناء وتقودينى إلى الهلاك بذلك فربك تصبرى إلى أن تأتيك خبر إعدامى ويصلك ما يفعل بى الملك هوربك فربما اتسع لى باب الخلاص ونجوت من الهلاك وعاد إلى مجدى وجاهى وعدت إلى ملكى فاذا نصير إذ ذاك وأى شىء يمكنني أن أتسلى ايحلو لى حينئذ غير الموت فاصبرى ولا تهلكينى بيدك ولا تهلكى نفسك بيد

اليأس ولا تقطعي الرجاء قبل حلول أوانه واجهدي نفسك بأن ترسلي خبرا إلى ان بما يمكن من السرعة وبعد تسليمي للعدو اطلبي الكمين من أبيك لئلا يملكه أحد غيري وأخيرا أسألك بحرمة الحب أن تعاهديني ان لا تفعلي بنفسك ضررا فقد وهبتها لي وانى حريص عليها فلا اسمح بوقوع أدنى ضرر عليها فنفسك وكلك لي . وأنا أسأل الله ان يطلقني من أسرى لأسر قلبك وأحسن معاملتك فتصلين إلى الزمان الذي أحكّك وتطربيه وعما قليل سترين عساكر العجم تحرق أسواق هذه المدينة بعد أن تدك حصونها وتذيق أهلها أمر العذاب وتمحو آثاري أينما وجدت وعند من كتب فكاد أن لا يبقى في عين الحياة حزن بعد سماعها الألفاظ العذبة من حبيبها وتعلق لها أمل كبير بخلاصه لتأكدها ان الله لا يترك خائنيه ولا يسمح بفقدان ملك عظيم جامع بين اللطف والظرف والشجاعة والكرم ويحرق قلب أبيه عليه وهو من الأتقياء الأبرار وقد يتعلق عليه نفع عظيم من عباده جل وتعالى وبعد أن صرفا وقتا من الليل على تلك الحالة عادت عين الحياة وهي تطرف أدمع الفراق من أعين مقرحة بطوارق الحدثان وبقي فيروز شاه عادم الوعي كثير الهم والاكدار يندب حظه ويلوم نفسه على تهوره إلى هذا الحد فقد كان من الواجب عليه أن يأتي فيطلبها من أبيها كعادة أبناء الملوك مصحوبا برجاله ووزرائه وكان أصعب شيء لديه بعد فرقة عين الحياة مبارحة أبيه وماذا يصير به الذي عليه بما يحل به وكانت هذه الأفكار تقلقله وتزيده حزنا ولا يمكن القارىء أن يتصور حصر تلك الحالة التي كان فيها فيروز شاه

انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع



الجزء الرابع

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

وعين الحياة إلى حدها الأخير على أن الأول كان جلودا صبورا واسع الصدر والثانية كانت رقيقة الحاسة تتأثر بفعل أقل الأشياء وكانت تتغلب عليها أميالها فلا تقدر على دفع عناد الزمان فانها بعد مفارقتها فيروز شاه وصلت إلى قصرها ودخلت غرفتها وارتمت على فراشها تقاسي عذاب البعاد وهي تلهج باسم حبيبها فكانت تارة يغمى عليها وطورا يعود اليها روعها فتعيد ذكر الحب ولولا قهرماناتها اسما ويدنها شريفة لكانت قضت نحبها فانهما كانتا تلازمانها وتشجعانها وتأسيانها بالمشمومات والمنعشات

وفي اليوم السابع وهو نهاية الأجل المضروب جمع طيفور الأموال المتفق عليها فرفعها على ظهور البغال وأحضر فيروز شاه وفرخزاد وهما بالقيود إلى حضرة الشاه سرور ولما أوقفا بين يديه قال لهما أخطرتما خراب مملكتي حتى ألزمتماني أن أسلمكما إلى العدو فاخبراني ماهو السبب الذي لأجله خرجتما من بلادكما وأتيتما بلادي فقال له فيروزشاه ماخرجنا من بلادنا إلا لأجل الفرجة على البلاد وقد قادتنا الصدفة إلى بلادك ثم بعد أن افترقنا وقع أحدنا بيد الشاه سليم فوصل اليك وأنا الآخر رافقت الخواجا اليان فجئت اليك ولأجلك انى خلصت لك أموالك من الروح ونحن في البحر ولما كنت في الطريق أتيتك بالعبدين قاطر وقطير طائعين بعد أن عجزت عنهما وأهلكت لك ميسرة ومسرور وبددت عساكر أعدائك بعد أن كادت تدخل المدينة وتستبيحها وهو الملك بهزاد الذي كان جاء في طلب بنتك فقتلته صونا لعرضك من التسليم ليد الروح العلوج فهلا تذكر كل هذه الأعمال الطيبة حتى تقابلنا بالقبح ونحن ما تسلقنا السطوح إلا لكشف الغريم فدعيتمونا باللصوص ونحن يعلم الله أننا لا نقصد ضرا بك والآن إن شئت فادفع لنا سلاحنا وجوادينا ونحن نتعهد لك بقتل هوزنك وإجلاء عساكره عن المدينة فقاطعه طيفور وقال له كذبت فما قصدكما إلا الوصول لحريم سيدي الشاه سرور والتعدي على عرضه وما خرجتما من بلادكما إلا لهذه الغاية ولم تذكرا جملة بكما وقد ظفر بكما الخدم فرصدكما في نفس قصره بين حريمه وفي الحال أمر الشاه سرور بأن يلحقوهما بالأموال إلى هوزنك ويسلماليه فاحاطت بهما العساكر وقصدت سحبهما فقال فيروز شاه لما تحقق أنه سيقاد إلى عدوه ويحك ياشاه سرور فانك تعمل على هلاك نفسك وخراب بلادك فلا يغشك كلام طيفور فهو قليل الرأي سيء التدبير فالحقيقة أنا هو فيروز شاه

ابن الملك صاراب وهذا فرحوراد بن فيلزور البهلوان الذي إذا فتح فمه يردرد مدينتك بأسرها ولا بد أن تكون قد وصلتك أخباره وعما قليل تشاهد عساكر إيران كالنمل الزاحف فمن بعد إذ ذاك يقدر أن يخلصك من بين يدي الملك صاراب ورجاله فاسمع إلى ما أشرت به عليك وادفع الينا سلاحنا فصرح عنك وتخلص من الويلين فصاح طيمور أبعدوهما من حضرة الشاه سرور وسيروا بهما إلى الملك هوربك ليرحل عنا ومتى جاء الملك صاراب نعلمه أن أولاده في بلاد السودان فيتدبر منه إلى الملك هوربك ونحن لا دخل لنا بهما فأخذتهما عساكر المدينة وسارت بهما وكان الخواجا عمر حاضرا في الديوان لأن عين الحياة أرسلته ليطلع فيما ينتهي من أمرهما فعاد اليها وأخبرها بحالها فزاد بلاها وعولت على قتل نفسها فلم يمكنها لأن قهرماناتها كانت لا تفارقها دقيقة ودامت في حالة البكا و الكدر وأدخل فيروز شاه وفرحوراد إلى بين يدي هوربك مع الأموال والتحف والهدايا المرسلة اليه مع طيمور من الشاه سرور وتقدم طيمور إلى بين يديه وأهداه تحيات سيده فقال له هوربك من أنت قال انا وزير الشاه سرور ومدبر مملكته وقد بعثني اليك بثلث الأموال المتفق عليها وهاك فيروز شاه ابن الملك صاراب قاتل ابنك وهذا رفيقه فرحوراد ففرح هوربك لكثرة ما شاهد من الأموال والهدايا وشكر طيمور وقال له اهد سيدك مني السلام فاني كنت أظن انه هو المعتدي على ابني وهو الذي قتله لأن الذين نجوا لم يخبروني بتفصيل الحادث ولا من قتله بل نعوا إلي مقتل ولدي والآن تراني راض عن مولاك واني أعاهده على الصلح وأعاقده على الوداد والمحبة ثم أمر أن يدفع إلى طيمور بدلة من خاص ثيابه ويدفع اليه جواد من جياد الخيل ولما وصل لطيمور إنعام الملك رجع وهو فرحان بنجاح مهمته مسرور الفؤاد فأمر باعداد فيروزشاه وفرحوراد لانه كان يكرههما ويبغض أن يراهما حوفا من أن يقل ميل الملك من نحوه وبعد أن سار طيمور أمر هوربك أن تصف العساكر ذات اليمين وذات الشمال وأن يؤتى بالأسيرين فيقتلا أمام عينيه وعلى مرأى من كل العساكر وأن ينادي فيها بها أن هذين اللذين قتلا ابنه فعلت الصيحة بين تلك الصفوف واجتمعت تزدحم فوق بعضها ووصل الخبر من أولها إلى آخرها حتى لحق الكبير والصغير ووقف فيروز شاه أولا في نصف الساحة وهو مقيد الأرجل ومربوط الأيدي لا يحسن حراكا فأيقن بالهلاك وصلى إلى الله سبحانه وتعالى وبكى حسرة على احتراق أبيه وشوقا إلى حبيبته لا خوفا من الموت ولا ضجرا من الموت وبكى عليه فرحوراد أيضا وهو يود لو كان يمكنه أن يفديه أو يقتل هو أولا فلا يشاهد أخاه مضرجا بدمه أمامه وهو مصفد الأيدي لا يقدر على دفع الأذية عنه ولما أتى الجلاد وأخذ

بيده السيف وعوب على إبعاد أمر سيده نهض أحد أمراء الملك هوربك وكان اسمه الأمير ميمون وقبل الأرض بين يديه وقال له إنى أرجوك ياسيدى ان تأخر قتل هذين الأسيرين إلى حين وصولنا إلى الديار قال ولما ذلك قال ان سيدتى زوجتك الملكة شيطانة لاتصدق انك حدت لها ثأر ولدها ولا تشتفى لها كبد إلا اذا نظرت قاتل ولدها ينحر أمامها وربما اشتهت أن تعدمهما بيدها قبل قتلهما لأنها بحرقة كبرى على فقد ولدها ولا تطيب خاطرها مالم تشاهد بعينيها وتنتقم بيدها وكان ميمون يرغب فى تأخير أجل فيروز شاه لما شاهد فيه من حوادث الكمال ودلائل الشجاعة .

فلما سمع الملك هوربك هذا الكلام رآه عين الصواب وقال لقد أصبت بقولك هذا فانى كنت نسيت ان الملكة شيطانة أوصتنى ان آتيها بقاتل ولدها إلى ما بين يديها لتأكل من لحمه وتشرب من دمه وقد أقسمت يميناً أنها لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا تنام بفراش ان لم تأخذ ثأرها من عدوها ولولم تنبه إلى ما أشرت اليه لكنت وقعت معها فى مصيبة أكبر من هذه المصيبة لأنها عنيدة متعنتة ثم أمر الملك بأن يرد فيروز شاه وفرخوزاد الى الأسر وان يحافظ عليهما الى الغد وفى صباح اليوم التالى نهض الجيش برمته تهيأ للرحيل وشد فيروز شاه وأخوه على جوادين وقد قال الأول للآخر ما السبب حتى أبقوا علينا بعد ان كادوا قربونا للذبح قال لا أعلم إلا ان تلك إرادة الله فانه يرغب فى بقائنا فانى بينما كنت أنظر الملك بعين دامية وقلب منفطر وقد دار بك السياف لاحت منى التفاتة الى جهة هوربك فوجدت أحد أمرائه وأشار عليه كما تقدم منه وكلمه بكلام لم أسمعه وفى الحال منع قتلك وأمر بالمحافظة علينا ولا أعلم سبباً لذلك قال انى أرجح ان السبب هو ان يقتلونا فى بلادهم أمام نسائهم وشيوخهم أو ربما هيؤوا لنا طريقاً آخر للموت وانى أشكر الله فاننا قدمنا للموت مرتين ونجونا منه بأسباب سهلة هينة وأسأل الله ان ينجينا من المرة الثالثة

ولم يتعال النهار حتى حملت الاحمال واعتلت الفرسان فوق الجياد ومشت العساكر صفوفاً وفى وسطهم فيروز شاه وفرخوزاد كما تقدم مشدودان بالحبال يقاسيان عذاب الهون ولا زالوا فى مسيرهم يقطعون البر حتى انتهوا الى الشاطئ حيث كانت المراكب تنتظر قدومهم فنزلوا فيها وانزلوا معهم كل ما أتوا به من أموال بلاد الشاه فيروز وسافروا بالبحر ايام بموافقة الريح حتى رست السفن فى موانى بلادهم فصعدوا إلى البر ونقلوا كل الاثقال والحمل معها ودخلوا بالاسيرين الى السجن ودخل هوربك على زوجته وهى فى حالة نواح وبكاء تعدد ولدها فى الليل والنهار فلما قرب منها بشرها بانتصاره على الأعداء فقالت هل اخذت ثأر ولدك قال إنى قد تسلمت قاتلى ولدى وعزمت على قتلهما فى الحال وبعجيل اجلهما وانا فى بلاد اليمن إلا ان ميمون منعنى

عن ذلك وأشار علي ان اقتلهما امامك وهما اثنان من البيض فانتبهت الى ذلك وعدت بهما اليك لاقتلهما امامك على حرنك يخف قليلا وتطفى جمرة من جمرات قلبك المستعرة نيران التحسر والتوجع قالت لقد فعل ميمون صوابا فلو قتلت قاتلي ولدي بدون ان أراهما لا شفى لي كبد ولا يهدأ عيشي مالم أدس برجلي فوق رأسيهما وأجرع جرعة من دمائهما قال ها الآن في يدنا فأمري ان يعين يوم لهلاكهما تتجمع به المدينة بأسرها ليعلم الصغير والكبير اننا ما تقاعدنا عن اخذ ثارنا من عدونا لاسيما وقد اخبرني طيفور وزير الشاه سرور ان احدهما فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد الفرس وثانيهما فرخوزاد ابن فيروز البهلوان بهلوان الملك المذكور فهما من اولاد الملوك فلما سمعت الملكة شيطانه كلام زوجها فرحت وقالت له انه بعد ثلاثة ايام تكون قتل الاسيرين مشنوقين فهيء نفسك و دع اهل مدينتك لتحضر في هذه الساعة وتشاهد هلاكهما فأجابها الى طلبها ودعا بكافة اعيانه وشاع الخبر في المدينة كلها فانتظر الكبير والصغير الوقت المعين إلى ان حان فازدحمت فيه الاقدام واجتمعت النساء والرجال والشيوخ والاطفال والاماء والعبيد إلى ساحة المدينة وجلس الملك هورنك وزوجته وهي لابسة السواد واضعة التراب على رأسها ولم تكن إلا القليل حتى اتى بفيروز شاه وفرخوزاد لبين يديها وهما مقيدان بالقيود فلما رأتهما امعنت فيهما فأطرقا برأسيهما إلى الارض ثم قالت لزوجها أهذين الصعلوكين قد قتلا ولدك قال هما بعينهما قالت إني لا اصدق ذلك فان ابني ضخم الجثة كبير الهامة بطل من الابطال وهما لا يعادلان ضخامة يده فكيف يمكنهما ان يصلا اليه قال لا اعلم ذلك قالت ان صدقني ظني فان الشاه سرور قد غشك بالحيلة ليبعد عن بلاده ثم قربتهما منها وكانا في يأس وحزن وخوف من أن يقضى عليهما ودعت الترجمان وقالت بالّلسان الزنجي اسأل لي هذين الابيضين كيف قدرا على قتل ولدي مع انهما قصيران وهو طويل ضخم فسألهما الترجمان عن ذلك وقال لها أجيبا الملكة على هذا السؤال فانها تتعجب من ذلك وتريد ان تعرف كيف قتلتما ولدها قبل ان تقتلكما قال فيروز شاه لأي سبب نقتله ونحن لا نعرف لنا دما ولا أوصلنا لها أذية ولا قتلنا لها ابنا وليس في وسعنا أن نقتل عصفورا فكيف يمكننا أن نقتل آدميا قال أليس الشاه سرور سلمكما إلى الملك هورنك بأنكما قاتلا ابنه وكان في نيته ان يقتلكما حال وصولكما إلا انه ابقاكما لتراكما الملكة قال إن الشاه سرور قد مكر لسيدي الملك لأننا نحن لم نقتل ابنه بل نحن مملوكان اشترانا لخدمة ابنته من بلاد العجم فأقمنا عنده هذه السنة وفي هذه الايام ساقنا اليه وقال لنا إني اريد ان اقدمكما للملك هورنك لأن له

عادة علينا أن نقدم له فى كل سنة مملوكين لخدمة زوجته فيقيدكما حتى توصلا إليها فان أعجبتماها أنعمت عليكما وأكرمتكما وإن لم تعجباها أرجعتكما فرسل لها غيركما وإذ كنا مماليك لم يكن فى وسعنا الاعتراض فقيدونا وقدمونا لسيدى الملك ومن حين وصولنا فى يده ونحن فى إهانة وعذاب لانعلم لنا ذنبا وكنا منتظرين أن نتشرف بين يدى سيدتى لتنعم علينا والآن تتهموننا بقتل ابن الملك فنحن لانعرف أن نحمل سكينا ولا نقدر أن نركب جوادا وحالنا تشهد علينا فبلغ الترجمان كلامه إلى الملكة حرفا بحرف فنهضت واقفة مغصبة من زوجها وقالت له أنذهب مع جيوشك وقوادك لثار ولدك إلى بلاد اليمن وتعود بهذين الصعلوكين وتريد أن تقنعنى أنهما قاتلا ولدى ألم يكن عندك عقل تفكر أن مثل هذين الغلامين لايقدران على مقاومة من هو كابنك فكيف يترك الشاه سرور يمكر بك ويستصغر عقلك فلا بد لى من أن أذهب بنفسى إلى قتاله وأخرب بلاده لأنك عاجز عن القيام بذلك فاسودت الدنيا فى عينى الملك هوربك قال إنى أقسم بمعبودى أنى سأذهب إلى بلاد اليمن وأخربها من أولها إلى آخرها وأنتقم من هذا المخادع المنافق لأنه لم يخطر لى هذا الخاطر وقد صدقت أن هذين الغلامين ماقتلا ابنى وغاب عن ذهنى أنهما يعجزان عن مثل هذا العمل فبالحقيقة أنه ما قتل ابنى إلا الشاه سرور أو أحد أولاده أو أمراء مملكته ويريد أن يقنعنى بهذين المملوكين الغريبين ويجعلهما فدية بولدى وإلى الآن لا أمهلهما بعد بل يجب أن أبقيهما فى جزيرة الطينا عند السجان صعلوك وبعد عودتى أجعلهما فى خدمتك فسر بهذا الكلام الملكة ، قالت هكذا يجب أن تفعل ثم أمر هوربك أن يكتب كتاب إلى امير جزيرة طنا يأمره بأن يحفظهما عنده كاسيرين ويسلمهما إلى السجان صعلوك وبعد ان كتب الكتاب ارسله مع احد قواده وارسل معه فيروزشاه وفرحوزاد فسار بهم حتى دخل مدينة الطنا فسلمهما إلى حاكم المدينة وبلغه رسالة الملك واعطاه كتابه فأجابه بالسمع والطاعه ودعا إليه فى الحال السجان صعلوك وقال إن هذين الأسيرين قد ارسلهما إلينا الملك وقد اوصانا ان نحافظ عليهما ولا نهينهما إلى حين ان يطلبهما فاخذهما السجان ورجع إلى سجنه فوضعهما فيه وقدم لهما المآكل الطيبة والمشارب الصافية وأكرمهما غاية الاكرام لأنه مال قلبه إليهما وقد شاهد فيهما سمة الكرامة والكبر فعرف بذكائه انهما من اولاد الملوك او الوزراء وكان فيروزشاه وفرحوزاد يداومان على الصلاة والشكر لله على بقائهما فى قيد الحياة بعد أن قطعا الرجاء من السلامة وايقنا بالهلاك والممات ففى ذات يوم سألهما الصعلوك السجان عن هذه العبادة التى يعبدانها وعن الصلاة التى يصليانها فقال له فيروزشاه إننا نصلى فرضا وجب علينا لله وهو العلى الخالق الأزلى الحاضر فى كل مكان واحد

الوجود المحجوب عن الأعيان قال وما هي صفات هذا الاله قال هو نور ساطع لا يقدر ان يراه العيون ولا يقدر العقل أن يتصور حقيقة كيفيته وهذا برهان ألوهيته انه فوق إدراك عقل خليقته وليس للمصنوع حق ان يعرف حق قوة الصانع فكل ما تراه على الأرض من حيوانات وحشرات ونباتات فهي تسري بمعرفته وتثبت بعلمه وما في البحر من اسماك وما في الجو من طيور تتحرك بعلمه وتتنقل بادراكه وما تراه في السماء من الاجرام الثوابت والسيارات فهي من صنعه وقد جعل لها طريقا فلا تتعداها وكل ذلك قد خلقه بكلمة واحدة اي بقوله للشيء كن فيكون فقال الصعلوك من اين استدللتم على وجود هذا الاله قال استدللنا عليه بواسطة الأنبياء والمرسلين كابراهيم وموسى وغيرهما وكل منهم يخبر بوجود هذا الاله القدير واثبت دعواه بالبرهان فقد جعل موسى العصا حية واخرج من الصخر ينبوعا وغير ذلك مما يثبت ان البشر لا يعلمون هذا السر وانه يعمل بقوة ذلك الباعث الذي أخبروا عنه وقد تناولوا الاعن امور كثيرة تمت بعد الاشارة إليها من قبل بزمان طويل قال إني صدقت هذا الاله هو موجود وهو الواجب على كل العباد ان يعبدوه فزدني من البراهين المقوية لحجته قال إن البراهين كثيرة إذا تمعنت فيها نكاد لا ندركها فكل ما في الانسان برهان لأنك مثلا لو وضعت يدك على خشبة او حجرة او مادة باردة او حارة لشعرت من نفسك بقوة الحاسة التي اوجدها فيك حالة المحسوس وماهيته على انك لو وضعت خشبة لما وجدت تلك القوة تاثيرا ومثله ان الانسان اذا قصد ان يبلغ ارادته لآخر فقد اوجد فيه هذا الاله سبحانه وتعالى خاصة النطق وذلك انه يحرك لسانه فيطرح الفاظا مركبة من حروف تبين المعنى الذي يخطر في نفسه وذلك ان الهواء يحمل تلك الالفاظ المطروحة فيقدر على ها اختصاصها ويقدر بواسطتها ان يعرف معنى تلك الالفاظ وما هي غاية محاكيه وكذلك النظر وجعل فيروزشاه يبرهن له عن قوة الله سبحانه وتعالى بما ينطوي تحت دائرة الادراك حتى تبين له ان السجان صعلوك قد مال كل الميل وسر من معرفة هذه العبادة فقال له اخيرا و فوق كل ذلك ان هذا الاله يسمع ويجيب نداء مناديه ويساعد ملاذيه قال اذا كنتما ترعمان انه يغيث مناديه فكيف لا تناديانه ليخلصكم من هذه الضيقة ويبعدكما عن يد عدوكما قال فيروزشاه نعم إنه يجب طلب مناديه لانه رحوم محسن الا انه صارم ذي القصاص فقد طلبناه فاستجاب دعانا وانما نحن نستحق ذلك لانه اوصانا طاعة والدينا وان لا نأتي أمرا الا بعلمهما اما نحن فقد خرجنا من بلادنا كعصاة على والدينا لم نعلمهما بامرنا وسببنا لهما بعملنا هذا الكدر العظيم والانشغال البال ولا ريب فانهما حتى الساعة لا يعلمان بنا ولا بأي مكان نحن فقصد الله قصاصنا كي لا نعود فيما بعد الى

مثل ذلك وكي نحفظ ما أوصانا به دائما ولما دعوناه لم يتركنا فقد قدمنا للذبح ثلاث مرات وهو ينشلنا من تحت سيوف الجلادين وأكبر برهان أقدمه لك أنه نقلنا من بلاد إلى بلاد حتى أوصلنا إليك لنهديك إلى عبادته لنرحما وتسهل لنا طرق الخلاص قال صدقت فاني قد ملت من كل قلبي إلى هذا الاله وإني أرى في قلبي من نفسي فرحا وارتياحا فلا شك أني سأفديكما بنفسي وأخلصكما من هذه الديار فقد أردت منكما أن تعلماني كيفية عبادته وما هي الصلاة التي يجب أن أصليها فأخذ فيروزشاه يعلمه قواعد الايمان بالله وكيفية الصلاة ويشرح له عن وصاياه حتى آمن حق الايمان وابتدأ بتدبير طريقة الخلاص لهما من ذلك الوقت

تقدم معنا في بداية الكلام عن فيروزشاه أنه سافر ولم يعلم أباه صاراب وان طيطلوس كان في كدر من عودتهما بعد غيابهما ثلاثة أيام والآن نعود إلى سياق الحديث وذلك أن طيطلوس وقع في حيرة عظيمة وارتباك قوي يكاد لا يعرف في ماذا يجيب الملك إذا سأله عن ابنه وجعل يكتم أمره من يوم إلى يوم وكلما طال الوقت يزيد خوفه ويعظم قلقه وهو يتردد في إخبار الملك بغياب ابنه إذ أنه يعلم انه لا بد من أن يعرف أخيرا بغيابه فيلومه على كتمان أمره وكان يؤمل عودته من يوم إلى يوم إلى أن قطع الرجاء أخيرا وثبت عنده كل الثبوت ان فيروزشاه سار بخوخ وبته الي رآها في الحلم وانه ربما وقف على خبر من خبرها حيث انه كان يتأكد لديه انه سيلاقي بسبب العشق اهوالا ويلاقي عذابات شديدة وبعد ان مضى على فيروزشاه مدة ليست بقصيرة دخل طيطلوس على ابيه واخبره بغياب ولده وقال له إنه غاب ولا اعلم بمحل غيابه وكنت ظننت في بادىء الأمر انه ذهب للصيد فانتظرته اياما فلم يعد فشغل بالي قليلا إلا اني كنت اعلم انه يحب الرياضة والجولان وقد سألني في ذلك ففكرت انه ربما نزل على بعض مدن مملكتنا فبعثت الرسل من رجالي يسألون عن ذلك فعادوا ولم يخبر في احد منهم انه رآه فزاد لذلك قلقي واتيت إليك مطلعك على أمره لترسل الرسل إلى العواصم فتسأل عنه وربما يكون قصد بلاد جده فنزل عليه فلما سمع الملك صاراب هذا الكلام خفق فؤاده وتلاعب به الغضب فكاد يفعل فيه لولا تغلب مربي الرقة والحلم وبقي نحوا من ساعة لا يعرف فيما يتكلم وقد شعر بانسلاخ جنانه لان فيروزشاه كان وحيداله وكان يحبه لكمال خصاله وبسالته وهو يأمل فيه الخير والنجاح في المملكة وقد أخفى عنه طيطلوس حالة الحلم ومن رأى فيه لانه علم أنه لو أخبره بذلك لا تهم من لكتمه عنه الخبر من الأول وكان يقول انه كان من الواجب أن يخبرني لكنت أبعث باني إلى المدينة وبعثت من يأتي له بهذه الصبية التي رآها لو كانت داخل حدود فارس ولكنت أعرض عليه بنات مملكتي

وبنات ملوك العالم ممن أعجبته أزوجته بها ولذلك كتم أمر عشقه عنه . وأما الملك فبعث بالرسل حالا مصحوبة بالكتب إلى كافة بلدان مملكته يسالهم عن ولده ويامرهم بالتفتيش عليه ومثل ذلك إلى الممالك المجاورة وإلى عمه أبي زوجته تمر تاج ولم أت على ذلك إلا أيام قليلة حتى شغلت عموم المملكة الفارسية بأمر غياب فيروز شاه وما منهم إلا من قام بنفسه للتفتيش والسؤال عنه ولكن بدون نتيجة وصارت الرسل تعود وراء بعضها بالخيبة وضياع المسعى حتى كاد يفقد عقل الملك صار بابه محتجب في بيته قائما على الصلاة والصوم والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يحفظ ولده من عوائل الحدثان وأن يرجعه إليه ودام على مثل ذلك أياما إلى أن كان ذات يوم دخل عليه ويلزور وكان الآخر في حالة يأس وكدر ومعه دوش الرأي وزيره الثاني وقال له ياسيدي ان قلبي من جهة ابنك وفرخزراد باطمئنان فهما في قيد الحياة وهذا لا اشك فيه لأنهما ما خرجا إلا وفي نيتهما التسوح في البلدان وذلك لثلاثة أشياء اما طلبا للفرجة على البلدان والاطلاع على حال العالم وسكان البلدان واما بقصد الزواج وقد خطر لهما أن يدورا في ممالك العالم ليقفا على حالة بناتها ويبطران في التي تكون موافقة والثالث ربما كان لأجل مبارزة الفرسان وقهر الأبطال فاذا كان غايتهما الأمر الاول فاني لا أخاف عليهما وأما إذا لأجل الغايتين الثانية والثالثة فاني أخاف وقوعهما بالمخاطر والغدر بهما لا سيما وقد سمعت من زمن قديم من طيطلوس ان ابنك سيقاسي بسبب العشق أمورا عظاما وهذه بداية الدخول في ذلك العشق قال الملك وماذا نعمل بعد ذلك ومن أين نعرف مكان وجودهما لنسعى في طلبهما اجاب انه لا يقدر على الوقوف على خبرهما إلا طيطلوس فهو حكيم حسن التدبير فمن الموافق ان تدعوه اليك وتطلب إليه أن يرجع ابنك وابن فلزور وتقول له إما سلمتهما اليك وانت ملزوم بارجاعهما الينا ولو لم نتقاعد عنهما لما تمكنا من السفر ولو احترنا من حين سفرهما لكان في الوسع ابقاءهما وارجاعهما ومعرفة حالهما وتصرف له أجلا معينا فمتى نظر نفسه واقعا في هذه الصعوبة يقدر ان يعرفنا بحسن مساعيه شيئا عنهما قال الملك اصبت ثم خرج إلى الديوان ودعى طيطلوس اليه وقال له نفس الكلام الذي دار بينه وبين وزيره فارتبك طيطلوس في امره ونظر إلى حالة الملك فوجده على غير الاستوا فراد خوفه وعلم انه لا بد من ان ينتقم منه إذا وقع على ابنه أمر وبعد الفكر قال له أرجوك يا سيدي ان تمهلني أياما فاني اسعى بقدر امكاني واتكل على الله ان يوصلني إلى طريق الصواب قال له اني امهلك المدة التي تختارها ولا احب في التضييق عليك انما اطلب ان لا تعود إلى فينا بعد إلا وخبرا ابني معك

قال فخرج طيطلوس مأيوسا حزينا لا يعلم من أي جهة يمكنه أن يفحص عن

ابن سيده أو يقف له على خبر وصرف أكثر من ثلاثة أيام وهو فى هم وكدر لا مزيد عليهما وقد سدت بوجهه أبواب التدابير ولم يعد يعرف الوسيلة اللازم اتخاذها لذلك وكان خوفه عظيما جدا من أن يكون فيروزشاه قد قضى نحبه أو وقع بمصيبة لا يمكنه الخلاص منها ولا لإظهار أمره وفى اليوم الرابع جلس وهو يفكر فى هذا الأمر ويحسب ماوراء ذلك من الصعوبات وما لحق بالمملكة من الكدر العام والارتباك من جرى تهامله وعدم اكتراثه لأن الملك كان قد انقطع عن الاتيان إلى الديوان كل الانقطاع وترك ملذاته وكره النظر إلى أحد وقد دخل عليه الوزراء والبهلوانية مرارا وسالوه الخروج إلى دسته خوفا على المملكة من الخراب فلا يصغى ولا أجاب إلا بقوله لهم إنى لا أرغب فى ملك ولا أطمع فى حياة بعد ابنى ولا يطيب فى عينى النظر إلى وجه إنسان والمملكة كانت تتقلب على نيران الحزن وقد انفطرقلوبهم من فراق ولدها وتقرحت أجفانها من البكاء والتعداد والرعايا باتوا فى شاغل عظيم وخافوا سوء المصير من أنهم يصلون إلى الخراب بعد ذلك العمران وحسبوا حساب الأعداء الذين كانوا يرجعون عند ذكر ملكهم قد أشغلت كل هذه الحوادث فكرطيطلوس فبات ينظر إليها باهتمام ويستعظم الحالة العامة القلقة ويلوم نفسه على عدم انتباهه وضياع حكمته فى مثل هذه الظروف وقد سدت عليه الحوادث طرق المعرفة وعمت أفكاره عن النظر فى وجه الحقيقة مع أنه كان قد ترجح له فى فكره أن فيروزشاه سار فى طلب الفتاة التى رآها فى حلمه ثلاث ليال متواليات وقد سألها عن اسمها فقالت له عين الحياة وكان يعلم أن الشاه سرور له بنت اسمها عين الحياة قد انتشر صيت جمالها فى الآفاق وعرف بها البعيد والقريب وتناقلت أخبارها على أفواه المسافر والمقيم كما كان يتناقل خبر الملك ضارب وبطشه وعظم سلطانه

وفيما طيطلوس على مثل هذه الحالة خطر له أن يخرج إلى خارج المدينة إلى القصر الذى تربى فيه فيروزشاه عله يستدل من أثر هناك على ما يريح ضميره فذهب إلى القصر ففتحه وفتش فيه عله يجد كتابة أو دليلا فلم يجد وإذ ذاك لاح له وهو فى إحدى نوافذ القصر رجل من بعيد راكب على هجين وهو ينهب الأرض نهبا قد علاه وعث السير وهو يتقدم إلى جهة القصر وعيناه تحدقان إلى جهته فلما نظره خفق قلبه فرحا ولا سيما بعد ما تأكده أنه شاعوس القاش تلميذه وقال فى نفسه لا بد من أن يكون هذا الرجل خبير بأحوال العالم قد وقف فى أثناء تطوافه على خبر من جهة ابن سيدى فأسرع إلى خارج القصر ولاقاه بفرح وانشراح لا يوصفان وكان قد وصل ونزل عن هجينه . فتقدم وقبل أيادى طيطلوس فقبله وسأله عن سفره ومن أين آت قال إنى كنت فى بلاد اليمن فى عاصمتها وأتيت إلى سيدى فيروزشاه بعرض أحب أن أطلعه عليه قال إن فيروزشاه

قد غاب عن هذه الأوطان من مدة أيام حتى كادت تخرب المدينة لغيابه ولا يعلم أحد سبب غيابه ولا أى جهة قصد سوى أنى وحدى قد اطلعت على حلم حلمه وذلك أنه رأى فتاة فى نومه سلبت منه عقله وأشغلته عن كل شاغل وحل عنده ذلك الحلم محل الحقيقة ولم يعد له ذكر إلا ذكر تلك الفتاة وقد قالت له إن اسمها عين الحياة ولم تقل له بنت من هى فلما أكثرت بهذا الأمر ولم أطلع أباه وإذ ذاك قد جئت إليه فمكرت أنك تقدر أن تبعده عن أفكاره وبعد ذهابك وجدت فيه تغييرا اطمأن له بالى وتركت السؤال منه عما كان يخطر له أن يعمل إلى أن كان ذات ليلة غاب مع فرحوزاد ولم يخبر أحدا ومع ذلك كنت أؤمل عوده أو أن أقف من أحد على مكان وجوده فلم أخبر أباه بذلك إلى أن طال المطال ولم يعد فى وسعى إلى إخفاء عنه فأعدت إليه خبر غيابه فكاد يصيبه الجنون مع ما هو عليه من العقل والحكمة وسعة الصدر ووقع عموم الرعية فى الكدر والخبل وقد طلبوا إلى بعد ذلك أن أرجع لهم ابن ملكهم وملكهم كما استلمته فلم أقدر على الخلاف وقد وافقهم الملك صار ابن على طلبهم وهو منقطع عن الملك لا يطرق أحد ولا ينظر إلى أحد وإن دام الأمر على هذه الحالة تقع المدينة فى حالة فوضى وتفرط سبحة الانتظام ولا يعلم إلا الله ماذا يكون بعد ذلك فلما سمع شياغوس هذا الكلام أطرق إلى الأرض مليا ثم رفع رأسه وقال أظن ياسيدى أنه قصد تخراء اليمن بلاد الشاه سرور فى طلب بنته عين الحياة التى شاع صيتها فى أربع جهات الدنيا فهى نفسها التى رآها وإن فى ذلك أمرا من الله عجبا ولا ريب أنه سيتزوج بها ويحصل عليها مع أن كثيرا من الملوك والأمراء قد ردوا عنها إذ لم يكن فيهم من هو نظيره فتنور وجه طيطلوس عند سماعه هذا الكلام وانفتحت وجه الحقيقة وقال لاريب انها تلك التى رآها لكن من أين عرف بها ومن أوصل له خبرها وأعلمه ببلادها قال هو أنا ياسيدى وذلك لما سألتنى أن أدخل عليه فى المرة الاولى طلب إلى أن أقص عليه كل ما رأيته فى سفرى فحكيت له ما وقع فى تخراء اليمن وما نظرته من عين الحياة ووصفت له جمالها وكان ذلك من غرائب الصدف على غير علم منى بأمره فصادف وصفى طبق الحلم الذى حلمه فعلق بى وسألنى المساعدة فحكى لى بعد ذلك عما رآه فى نومه من الصفة فعجبت لذلك ووعدت المساعدة واشترطت عليه أن يطرق إلى أن أعود إليه ثم حكى شياغوس إلى طيطلوس عن الصور التى صورها وكيف أنه لما طرق بلاد الشاه سرور علمها عندما رأته عين الحياة وكيف سلبت محبته بمجرد نظرها إلى تلك الصور حتى أنى رأيتها تأخذها من على الشجرة فعجب طيطلوس من هذا الصادف الغريب فقال وهل بعد عودك لم ترى الطريق فيروزشاد

ولا سمعت عنه خبراً قال كلا يا سيدى بعد أن خرجت من المدينة وقصدت العودة سمعت بإتيان عساكر كشمير العجم مع الامير رور لأنه طالب عين الحياة وحجة له فردته خائبا بعساكره يأخذها سبية رغماً عنها وعن أبيها وقد استنصر طومار الزنجى فأمده بالعساكر وبعث معهم بسرور وميسرة وهم من أبطال القبال المعدودين ولذلك التزمت أن أسلك غير الطريق القويم واتى على عجل على فيروزشاه يمكنه أن يساعدا شاه سرور ويأخذ عين الحياة قبل أن أخذها غيره وحيث الآن قد غاب عن المدينة فلا بد أنه قصد تلك البلاد ولم يعد له صبر إلى حين إيابى وقد عرف الحبيب قال صدقت فهو دون شك قد طرق بلاد اليمن وإنى أطلب منك الآن يا شاعوس بحق المعروف الذى لى عليك والعلم الذى علمتك إياه أن تجيبنى إلى سؤالى وتقول إلى الملك ما أخبر لك به قال مر يا سيدى فإنى أطيعك واتقاد إلى أمرك لأنك أستاذى ومهذبى قال أريد منك أن تقول للملك انك نظرت ابنه وفرخوزاد فى الطريق وانهما أعلماك بسفرهما إلى بلاد اليمن وأرسلاك لتعلم أبويهما بذلك قال كيف أقول للملك إنى نظرت ابنه وأنا لم أنظره قط قال يمكنك أن تقول له ذلك لأنه مؤكد عندى وعندك أن فيروزشاه وفرخوزاد هما فى بلاد الشاه سرور وبقولك هذا تكون قد أرحت فكر الملك وطمأن باله وينعم عليك بالأموال العزيزة وتخلصنى أنا أيضاً من غضب الملك وتكون قد فعلت معى جميلا لا أنساه إلى الأبد وتكون قد ساعدت فيروزشاه لأنه ربما يكون فى ضيقة فيسرع الملك فى السؤال عنه ويشغله قال صدقت وذلك من الصواب لأنى أؤكد أن فيروزشاه سيقع فى حرب الزنوج لندافع عن عين الحياة وبعدها من أعدائها ويرضى بذلك أباها ولو كلفه هذا أن يرمى بنفسه إلى أعماق المهالك والمخاطر

وبعد أن استراح شاعوس قليلا فى القصر سار مع طططوس وهما فى حالة سرور إلى أن دخلا الديوان فوجداه خاليا من الملك وأكثر الأعيان فجلس طططوس فى مكانه وأجلس شاعوس إلى جانبه وأرسل خبراً إلى الملك ليحضر إلى الديوان وأعلم الرسول أن يقول له إن رسولا أتاه بخبر عن ابنه فلما سمع ذلك نهض مدهشا وأسرع إلى دار الأحكام فوجد المجلس قد غص بالوزراء والأمراء والأعيان وكان قد شاع فى دار الملك ظهور أمر فيروزشاه فتسارعوا إلى الوقوف على الأمر الواضح ولما دخل الملك نهض الجميع وقوفا وكانت تلوح على حضرة الملك سمة الفرح وهو لا يصدق أن يسمع خبرا مسرا عن ولده وبعد أن جلس نهض شاعوس وقبل الأرض بين يديه فهش فى وجهه وقال له أوجز أيها الرسول واستهدف لوقوع إنعامى عليك فإن راحتى بيدك الآن وكدرى متعلق بك وبخبرك قال ليس معى يا سيدى إلا أخبار سارة وقد بلغنى أنك بانتظارها الساعة بالساعة قال اخبرنى ما وراءك

وهل ابني فيروز شاه بخير وهل شاهدته مشاهدة عيانية وماذا قال لك قال اعلم ياسيدي انى رجل تعلمت النقش والتصوير وبرعت بهما براعة كلية واذا كنت أود أن أعرف رجلا أعرف من بهذا الفن اتخذت السفر مهنة فاصبح فى بلاد وامسى بغيرها وأنا أنقش على الآثار القديمة والبنات العجيبة وأرسمها على اختلاف الانواع ففى هذه الايام كنت فى صحراء اليمن ضيفا على بعض معارفى

وبعد أن أقمت فيها أياما خرجت منها قاصدا هذه المدينة وقد مررت فى طريق على عدة عواصم وقرى وما تجاوزت نصف الطريق ووصلت الى سهل واسع مكسو بالاشجار والازهار الاوتيت فارسين يسيران طردا فلما نظرانى تقدما منى وكنت راكبا على هجين فاسترفقانى وكان أحدهما عليه من الهيبة والوقار ما يكل عن وصفه لسانى وهو يعلو جواد من أجرد الخيل الى رأسها عينى فسألنى عن حالى ومن أى البلاد آت فأخبرته انى آت من صحراء اليمن وقاصد بلاد الفرس فقال وهل نظرت بعينيك بنت ملك ذاك البلد قلت نعم انى أعرفها وقد شاهدتها مرارا قال أتقدر أن تصفها لى فوصفتها له كما كنت قد رأيتها فلما سمع كلامى صفق من الفرح ورقص طربا وقال هى هى بعينها واسمها عين الحياة قلت نعم وقد أخذتنى الدهشة من كلامه وعجبت من حاله وقلت له أيضا من أين تعرفها أهل رأيتها ذات مرة قال رأيتها ثلاث مرات متواليات وذلك فى حلم وقد عينت ذكرت لى اسمها واسم أبيها وبلادها وشخصها لا يزال حتى الآن يلوح بعينى فقلت والى أين قاصد الآن قال انى أقصد بلادها ولم أعلم أحدا وانى أنا فيروز شاه ابن الملك ضاراب وهذا فرخوزاد ابن فلمرور البهلوان وقد خرج معى اكراما لى فلما تأكدت أنه ابنك سجدت له وتمنيت أن تكون عين الحياة له لانها أجمل بنات الدنيا وأعقلهن فقلت له يا سيدى ان عين الحياة هى وأنت هى فكلا كما موافق للآخر يصلح له فكأنكما واحد فوفق الله مساعيك وبلغك آمالك وزادك مجدا وجلالا فانعم الى بما وصلت اليه يده وقال لى أريد منك أن تذهب الى أبى وتقبل من أياديه وتخبره بحالى وتعلمه أنى ما كتمت عنه هذا الامر إلا حياء منه وخجلا من هيبته وقل له أن يعم على برضاه وأن لا ينسانى فانى سائر الى بلاد أجملها فادنى اليها حب عين الحياة الذى حاولت كثيرا أن أدفعه فلم أقدر فأكدت أن ذلك فعل العناية الالهية وقد بعثتها لى فى الحلم فلما سمعت كلامه أجبته بالسمع والطاعة وقبل ان فارقنى أنشدنى هذين البيتين

بلغ أبى منى السلام وقل له ان شاء ربى للديار أعود

فليرضى عن ذنبى ويحصره لان برضاه تبيض الليالى السود

وكان طيطلوس قد علمه كل ذلك وأوصاه بالحرص عليه فاطمأن بال الملك

صار أبا وأوعب قلبه فرحا وأفرغ على شياعوس سوابغ نعمه وغمره بجزيل العطا ووهبه الضياع والقصور وأمر أن كل من أحب فيروز شاه كافأه على بشارته فتسابقت اليه العطايا حتى صار يعد من الأمراء الفخام والأعيان العظام وبينما هو على مثل ذلك وإذا بخادم الملكة تمرتاج قد دخل على الملك وقال له انه قد وصل إلى سيدتي الخبر ان رسولا جاء من قبل ابنها يفيد بوجوده حيا ويخبر بمكان إقامته فتطلب اليك أن ترسله اليها بما أمكن من السرعة لأن قلبها يغلي على نار الاستعجال فأمر الملك في الحال أن يسير شياعوس اليها فنهض لوقته وسار برفقة الخادم حتى دخل على الملكة فلاقته بشاشة وأمرت ان يؤتى له بالشراب وسألته عن ولدها فأعاد عليها ما كان قد أخبر به زوجها من الأول إلى الآخر فزال ما كان مستوليا على قلبها من الحزن والكدر وزادت له العطايا وشكرته على إيصال الخبر اليها

وكان ذلك يوم أفراح على عموم الرعية الذين علموا بوجود فيروز شاه وقد كثرت الأقاويل من جهته وجهة تشققه لعين الحياة وكذلك الملك فانه قال بنفسه لو أخبرني ابني عن أمره وأطلعني عن حبه لعين الحياة لكنت ساعدته بما يقتضيه مصلحته وزوجته بها وهو على سريره وبات تلك الليلة في هواجس وهواجس لا يعرف كيف انتهت اليه حالة ولده وهل يقدر ان يصل إلى محبوبته وهل يظهر نفسه وان ظهر نفسه هل يجيبه الشاه سرور إلى زواج بنته وهو على تلك الحالة ولا علم لابنه بوجوده فترجح عنده أن الشاه سرور لا يزوجه بنت الحياة وهو على تلك الحالة وسيما وهي وحيدة بحسنها محبوبة جدا من أبيها وليس من الواجب ان تزوج إلا كما تزوج الملوك أولادهم وتلاعبت به الأفكار تلاعب الريح الشديدة بفروع الأغصان فكانت تميل من جهة إلى جهة لا يقدر ان يعرف كيف تصرف ولده في هذا الأمر وكان يفكر أيضا أن ولده حكيما شجاعا مقداما لا يخاف [illegible] من تدبير أمره لا سيما [illegible] ولما كان اليوم الثاني دعا الملك وزراءه و[illegible] وقال لهم اني لا أحب ان [illegible] الأوان [illegible] أشور تكم ذلك [illegible] على البحث والاستطلاع على حاله [illegible] أي طريقة تكون ذلك ومن يمكنه ان يقوم بمثل هذه المهمة [illegible] وقال أحد أمامه [illegible] الملك [illegible] [illegible] في [illegible] هذا الخاطر [illegible] وذكرت [illegible] شجاع قادر على الوصول [illegible] وهو [illegible] رسله إلى [illegible] فيرى أمه [illegible] وصل [illegible] وهل [illegible] يمكنه أن يساعدها [illegible] وجب الأمر قال ومن هذا الغلام قال هو بهروز [illegible] العلام [illegible] من نحو ١٢ سنة تقريبا الا [illegible] الذي أرسل مع الجواد الكميت من عند عمك [illegible] زوجتك قد وجده في الطريق

والديه فسألها عنه فأخبرته ان غولا اغتصبها فأتت منه بهذا الطفل وقد أسكنها مغارة في البرية ولاتقدر على مبارحته خوفا منه واستصحبها الوزير وابنها معه لما نزل تلك وحكى لي قصة الغول عرفت ان هذا الغلام لابد من أن يكون له شأن عظيم فاستوهبته منه فوهبني إياه فاعتنيت به وعلمته ماهو لازم لأن يكون شجاعا عيارا فخرج فوق ما كنت أومل وعمره الآن اثنتا عشرة سنة إلا انه ضخم الجثة كبير العمال لا قدر أحد من الرجال أن يعمل أعماله وحسبي ان أقول انه ابن غول وتربية مزرور وكفى فلما سمع الملك والحاضرون تعجبوا منه وقال الملك أريد منك أن تأتي بهذا الغلام فأجاب به طائعا وأمر باحضاره فحضر وهو كبير الرأس مفتح الأعيان ضخم الساقين قوى الأعصاب حاد البصر فوقف بين يدي الملك وبعد ان دعا له بطول العمر والبقا قال إن عندك مزرور قد تشرف بين يديك الآن ويسألك أن تنتدبه لخدمة أو مهمة فاني أقوم بها على أحسن مايشتهى وطالما كنت أرغب في الوقوف بين يديك لتراني وتعهد إلى بخدماتك وقد كان سيدي مزرور يخبرني أني سأكون في خدمتك عمرى بطوله وهذا الذي كان يسرني ويحملني أن أجهد نفسي بالكد والجد لأكون على استعداد للقيام بخدمتك وها قد جاء اليوم المعين وابتدأ دور تشرفي بوجودي على الدوام عند أعتابك فسر الملك جدا من فصاحته وطلاقة لسانه وكاد لا يصدق انه ابن ١٢ سنة وبعد النظر اليه طويلا وقد تعجب من حالته أجابه أني دعوتك لأمر مهم وفي مثل هذا الأمر يمكنك ان تظهر لي حبك وخالص خدمتك لأنك تعلم ان لاشيء أعز عندي من ولدي وهو غائب الآن عني وقد أخبرت أنه سافر إلى بلاد الجن بطلب عين الحياة بنت الشاه سرور ولم أعرف شيئا عن حالته أثناء وجوده فيها أهو في بؤس أم في نعيم فأريد منك ان تذهب إلى تعزاء الجن تكشف لي الصحيح عن أخباره وتسرع إلى بالوعد ولك مني جزيل الثنا ومزيد الاكرام فان هذه خدمة كما اطلبها فأصنعها لاني أرصدك وأسرك وأقربك من سيدي فيروز شاه بواسطتها وألزم خدمته إنما أرجوك أن تصحب معي رفيقا يرافقني في سفري هذا لعود الملك بالخبر لاني إذا تشرفت بمقابلة سيدي فيروز شاه لا يعود يمكنني أن أفارقه أو أتركه وحده وإن قلبي يحدثني انه في احتياج إلي فاستصوب الملك صواب كلامه وزاد عجبه من ذكائه فدعا شاعوس اليه وقال له أريد منك أن تصحب مزرور إلى بلاد الشاه سرور وتأتيني بأمر ابني ولك مني مزيد العطاء مع الثناء الجزيل فقال سمعا وطاعة في هذه لوازمنا ومااحتاج اليه في سفرنا وسيرنا على بركات الله ولما اجتمع شاعوس بطيطلوس قال لمزرور المحتمل أن لا نتوفق في ماتحن ساعون به فيغضب علينا الملك لا سيما إذا عاد فيروز شاه وأخبره أنه

لم يرني قط ولا أخبرته بشيء فتكون الآخرة أشر من الأولى قال لا بأس عليك من شيء فان فيرور شاه هو دون ريب في بلاد عين الحياه وأنت تعلم حالة المحب انه يرغب في اللقاء بالقرب ممن يحب وأي مكان يمكنه أن يقصد غير ذاك المكان وله فيه قلب خفوق بين الرجاء واليأس فكن مطمئناً فهو في بلاد الشاه سرور إنما لا أعلم أن كان بخير أو بشر ومتى اجتمعت به أخبرك له ما كان منك ومن أبيه وقل له اني لما وجدت أباك في أتون من الحزن وقد انقطع عن الناس وعن الديوان ووقعت البلاد في بحار من القلق والاضطراب قصدت تسكين الحال لعلمي أنك ما فارقت أباك وقومك إلا لأجل عين الحياه وبذلك يكون فيرور شاه مسروراً منك حبا براحة أبيه لا سيما وأنك تعلم من بادىء بدىء بأمره وأنت الذي حققت له الأمل بعين الحياة وأخبرته بمكان وجودها وأنت الذي بذرت في قلبها بذر حبه وأوصلت حبه فلا يكافئك إلا بكل شيء حسن فقط عليك أن تخبر سرورا وأبينا في الطريق بصدق الواقعة وتعلمه أنك ما بطرت فيرور شاه في الطريق وان كلامك هذا ما كان من قبيل الظن والتخمين حتى إذا ما تيسر لكما أن نقفا على خبره في تعراء اليمن لبرافقك إلى غيرها والأمل ان تعودا بخبر عنه

وفي اليوم الثاني سار الاثنان وهما سرور ابن العول وشاعوث وقد لبسا ملابس الفارس وتقلدا بالخناجر من تحت الثياب وأخذا ما يلزمهما من معدات السفر بعد أن ودعا الملك ووعداه بكل جميل وأنهما لا يعودان باذن الله إلا وهو معهما أو يأتيانه بخبر منه ولما كانا في الطريق وقد جلسا على بساط الأرض لأجل الاكل والراحة قال شاعوث لرفيقه من حيث الآن قد تمكن الود بيني وبينك وقد أكلنا الزاد معا يجب أن أطلعك على سر هذه المسألة لتعلم يقينا ما في باطنها وظاهرها لا سيما وان غايتنا واحدة وهي الوقوف على خبر من جهة فيرور شاه وفرجو زاد فقال لي بالاصغاء والمعذرة إذا وجدت خطأ في عملي فقال اني أعدك بكل ما أنت ترجوه وان كان في هذا الامر سر حتى أطلعني عليه لنكون على بصيرة من عملنا ونعرف الطريق المؤدية إلى الصواب وإلى نجاح مسعانا قال اني لم أر فيرور شاه كما أخبرت الملك عيانا إنما كان من الامر ما هو كذا وكذا ثم حكى له حقيقة الأمر وكيف أنه جاءه إلى القصر وشرح له قصة عين الحياة وكيف صور الصور وجعلها سبيل لوصول معنى حاله لها وكيف وقعت سواه من جرى ذلك وقد عاد ليعلمه بها فلم يجده وقد علمه طيطلوس أن يقول ما قاله من أنه صادفه في الطريق وقد ترجح عندهما أنه سار إلى بلاد اليمن وكان ذلك بنية اطمئنان الملك واهداء روعه فقال سرور لقد أصبت بعملك هذا فان فيرور شاه هو دون ريب في بلاد اليمن لأنه ربما كان قد استطاع

فخاف من احباط مساعيك أو ربما لم يمكنه منه الزائد الجد من الصبر إلى حين رجوعك فما أنك قصد الاجتماع بك هناك فيكون قريب الاستخبار عن معشوقته وانى أشكرك على فعلك هذا لانك لو لم تقل ما قلته للملك لما كان بعثنى إلى هذه الخدمة وقلدنى مهمة هى من أكبر المهمات لانى مرسل إلى حضرة من تحبه ولى كثيرا وأتمنى أن أكون دائما بين يديه وهو سيدى فيروز شاه جنة كل عين وهذا جميل لا أنساه لك طول الحياة وأنا الآن على يقين من أنه هو عند عين الحياة أو بالقرب منها وان مهمتنا هذه ستكون حسنة النتيجة محمودة العقبى فاطمأن شياعوس لكلامه وأثنى عليه وبالغ عنده حسن عمله وسلم أمره لله فى حسن الختام ثم عادا إلى المسير يطويان الأرض كشحا ويقتربان أحثه السير سرعة ويجدا حتى قربا من مدينة اليمن ولم يبق بينهما وبينها إلا مسافة يومين فقط إذ لم يقع لهما عائق فى الطريق وبالمصادفة والقدر أن عين الحياة كانت قبل وصولهما إلى المدينة بيوم قد رأت حلما فانتبهت من سكرة الفكر منه ودعت الهاتف بهرمانيا شريفة وقالت لها انى رأيت فى المنام أن طيرين قد خرجا من إيران العجم يقصدان بلادنا وقد وجهت نظرى إليهما فوجدتهما عقابان باعناقهما إلى جهة يقصدان الجهة التى أنا واقفة فيها وكأنهما يطلبان إلى أن أخبرهما عن أمر فيروز شاه فاستيقظت قبل أن أقدر أن أخبرهما بشىء قالت ان الهاجس الذى يسكن دائما فى دماغك يريك ما هو مثل هذا الحلم مما يتعلق بالحبيب وربما كان ذلك بشيرا لك لأنه قد طال الملك أن يوصل خبره الى أن فيشغلك عن ذلك وانهمكت على البكاء والنواح عوضا ان تسعى فيما فيه نجحه وله وبرفع الاذى عنه فلو كنت بعثت من أول الأمر من يوصل الخبر الى ايران لكان تدارك الملك صاراب أمر ابنه وربما هو باق للآن فى قيد الحياة فيسعى فى خلاصه وقد أخبرتك كثيرا أن تدعى عنك هذا اليأس وتتمنى فى ما فيه نفع حبيبك قالت صدقت ولكنى ما كنت أن الأعداء لا تقوى عليه ومنتظرة أن أعرف شيئا من أمره فان كان قد قضى عليه فأميت نفسى وأكون قد وفيت حق الصحبة وبعد ذلك لا فائدة فى اخبار أبيه اذ يكون قد قضى عليه ولا بد من بعد أن تقوم الحروب بين الملك صاراب وبين أبى إن وقع هذا الخبر عن الملك صاراب حيث انى أظن أن ابنه باق فى قيد الحياة اذ لم يصل إلى ما يخبر باعدامه وضميرى لا يزال يحدثنى بهذا التأويل فانى كلما قصدت أن أدفع أفكارى بأن الملك فيروزشاه لا بقى حيا ساعة ينهض ضميرى ويخطئنى ويحتم لى بقاءه حيا والآن عزمت أن أخرج إلى خارج البلد قصد النزهة عسانى أجد بعض الاخبار او ارى أحدا يقصد إيران فأبلغه الخبر قالت لها ان ذلك فى الامكان فاستعدى لذلك من الآن وإذا خرج لك وتمكنك أن تفعلى ذلك كل يوم حيث تبقين على ذلك مدة أيام وفى أثنائها لا بد

من الوقوف على أمر جديد فمشت عين الحياة ودعت أباها اليها بحضر وقبلها فى جبينها وقد تعجب من دعوتها اليه فى مثل ذلك الوقت فقالت له انى أريد منك أن تسمح لى بالخروج إلى النزهة خارج المدينة فانى فى ضيقة صدر وقد خطر لى أن ذهابى يوما بعد يوم ربما يخفف عنى ما أنا واقعة به فما صدق أن سمع كلامها حتى أجابها اليه وقد أوعب قلبه فرحا لانه كما تقدم أنه كان يحبها حبا شديدا وكان ما يراه فيها من الحزن والكآبة دون أن يعلم لذلك سببا شغل له باله من نحو شهرا وكلما يراها منقطعة يزيد همه واجتهد فى معرفة الحقيقة فلم يقدر أن يفهم منها إلا أنها منحرفة الصحة ضيقة الصدر دون أن تعرف هى نفسها لذلك سببا ولما سألته بالخروج أنعم بالجواب وقال لها مرى بأى وقت تانى أعد لك المعدات وأبعث فى صحبتك المغنيات والخدم والمآكل الطيبة والمشروبات فقالت انى لا أريد شيئا من ذلك وانى سأخرج بملابس الرجال بحيث لا يعرفنى أحد وأصحب قهرمانتى فقط وجل ما أريد منك أن تسمح لى أن أركب الكميت الذى بقى عندك من بعد فيروز شاه وانى لا أقصد البعد عن المدينه إنما أقصد التجول فى ساحاتها وبساتينها لأزيل عن صدرى هذه الضيقة وقد وصفوا لى هذا الجواد فربما أجد شاغلا يقعدنى عن حالتى الحاضرة قال إليك ما تطلبين والملك لا يكون عظيما حتى لك ورغبتى فى راحتك واطمئنان بالك

وبعد ذلك بحو ربع ساعة لبست عين الحياة ملابس الرجال وتقلدت بسلاح فيروز شاه الذى كان قد أخذ منه وركبت على جواده الكميت المسرج بالسرج المذهب المزركش بأنواع الجواهر حتى كان يخطر لمن لا يعرف الطريقة أنها من أولاد الملوك العظام ويلوح لمن يراها من بعد وكان يعرف فيروز شاه أنها هى نفسه لا فرق بينهما وخرجت من أبواب المدينه وهى تضرب بأعنتها الى جهة البر ومن خلفها خدمها وجوارها وكان أبوها قد بعث بخمسة من قواده وأمرهم أن يخرجوا كحراس عليها فيقيمون فى مكان بعيد عنها تحت نظرها وإذا رأوا ما يكدرها أو دعتهم اليها فيسرعون لخدمتها ويكونون على نشاط ولما خرجت طلبت أن يفرق الجمع عنها ونزلت فى مكان عند قارعة الطريق بعيد عن المدينة مقدار ثلاث ساعات وكثير من خدمها طلب التوسع والصيد وكذلك الأمراء وقد وجدوا البر آهلا بالاحراش على ...ن الحياة من حادث أما هى فانها كانت فى شاغل وانشغال وعيناها تجولان فى تلك المسحات تنظر تارة إلى اليمين وطورا إلى الشمال ولا زالت على مثل ذلك وكلما لاح شبح من بعيد تتوهم أنه من الذين بأبيها بالاخبار فتحصرهم الهواجس الهم من أحوالهم إلى أن نظرت غبارا منعقدا فوق هجين يعلوهما فارسان غريبا الشكل فانعقف

عليها اليهما وترجح عندها أنهما من جهة بلاد فارس فدعت خادمها وقالت له أريد منك
ان تسرع إلى هذين الرجلين وتدعوهما إلى أي قل لهما ان ابن الشاه سرور يريدكما
وهو نازل في هذه الناحية وأتني بهما حالا وإياك من أن يفوتاك فأسرع الرجل نحوهما
الى ان استوقفهما وقال لهما ان سيدي يدعوكما اليه وقد أوصاني ان أبلغكما سلامه ويرجوكما
ان تحضرا عنده فانه يرغب أن يراكما فلا من يكون سيدك قال هو ابن صاحب هذه
البلاد أي ابن الشاه سرور وقد خرج اليوم للنزهة فرآكما منفردين فأراد الطرق
أمركما حتى اذا كنتما تحتاجان أمرا قضاه لكما فسارا معه وقد نظرا الى جهة عين الحياة
فتبين لهما أنها ذات ظرف وبداعة فهم ان يصلا اليها فقال كاد بهروز ان يصرخ
على غير وعي وقال لشاغوس ألا ترى ان هذا الرجل هو فيروزشاه وهذا جواده الكميت
قال اني كنت أردد في ذلك انما لم يتأكد عندي هذا كون الرجل قال لنا انه ابن الشاه
سرور انما أقول لك بالحقيق ان هذا الشاب هو نفس عين الحياة بنت الشاه سرور لأن
شخصها من حين رأيتها لا يزال مرسوما في ذهني لا يتغير منه ولو زيت بالف زي انما
أتعجب كيف ان جواد فيروزشاه معها وهي لابسة غير ملابس النساء فهذا لا ريب
مما يؤكد لنا وجوده عندها فيجب اذا والحالة هذه ان لا نكتم عنها أمرنا علها توصلنا
اليه فتخبره بحالة أبيه وبلاده انما لا يجب ان نظهر لها أسماءنا بل ان نرى ما يكون
منها ونسمع اخبارنا عن سيدنا ولم يكن الا لمحة بصر بعد ذلك حتى وقفا بين يديها
وقد حياها بأسنى التحيات وقدما لها فروض التعظيم والتبجيل فأمرتهما ان يجلسا الى حجر
بالقرب منها فجلسا ثم سألتهما من أي البلاد هما وأي البلاد يقصدان وقالت لهما ما دعوتكما
الا لعلمي بأنكما من الأعجام وأظن انكما من ايران العجم فقال لها بهروز نعم
اننا من تلك النواحي وقد أتينا نطلب حاجة من هذه الديار قالت فلولا عن حاجتكما فاني
ربما أقضيها لكما أو أوصلكما اليها قال لو لم نتأكد من انك تظهرين الحالة لما كان في
وسعنا ان نطلعك على أمرنا قالت من انا ومن أين عرفتماني قال شياغوس اعلمي
يا سيدتي أني انا راسم تلك الصورة التي هي الآن عندك وانت نفسك عين الحياة
وقد رأيتك يوم أخذت الصورة بدلك من الشجرة ولا يزال شخصك يلوح لعيني
فلا تستتري عني بثياب الرجال ولا غيره والله عليك ان تخبريني عن فيروز شاه ابن
ملك الأهل فهو بلا ريب عندك لأن أباه مواجه على مثال الجمر لا يسر بشيء الا بالاخبار
عنه فهو وحده وقد هجر ملكه وسلطانه وترك لذات الدنيا وانقطع عن مواجهة
الناس بعد بعده وقد رأيناك فسررنا بلقائك فقالت لهما بعد ان ابعدت عنها
كل الخدم ولم يبق قربنا منها الا شرونه حيث قد وصلتما الى قول ان تدخلا المدينة
وعرفتماني بين لي إرادة العناية والآن اخبركما عن فيروز شاه الخبر اليقين واني كنت

فانتظاركما الآن لأن الله قد أرسل لى فى الحلم أنكما آتيان إلى فشغل لذلك بالى وطلبت من أبى الخروج إلى هذه الناحية على أمل أن أرى من أودعه الخبر وقد وصلتما إلى الآن جئتمانى فقال بهروز اخبرينا وأوجزى بالمقال فاننا قد فرغنا صبرا قالت اعلما أن فيروزشاه هو الآن أسير فى بلاد الملك هورنك ولا أعلم ماذا جرى عليه بعد غيابه عنا ثم أخذت عين الحياة فى أن تشرح لهما بالتفصيل ما وقع لهما مع فيروزشاه وما توقع له أيضا من حال دخوله فى جزر دالين إلى حين تسليمه إلى هورنك وحكت لهما بطشه بالأعداء وقتله بيروزروميسرة وإجلاء العساكر المحاصرة المدينة عنها وقتل هو الملك وكان آبيا لطلبها وشرحت لهما ما كانت قد سمعته عنه من الخواجا اليان أثناء سفرهما فى البحر وفى البر قال فلما سمع بهروز هذا الكلام انسكب الدمع من عينيه وقال لعين الحياة إن أباك قليل التدبير عديم الأمانة فهو غادر ظالم قالت ما لنا والفكر فيما مضى فلننظر فى تدبير الحال ونرى ماذا يكون من أمر ايصال الخبر الى الملك ضاراب بأسرع وقت. قال بهروز انى عزمت على أن أطرق بلاد السودان وأسعى بخلاص سيدى ولا عدت أرجع الى بلادنا الا وهو معى وقد خطر لى أن أعيد شاغوس الى ايران ليطلع الملك ضاراب على ما وقع على ابنه فلعله يسير فى طلبه فاذا كان لا يزال حيا يرجعه والا أخذ بثأره قالت هذا هو الصواب انما أريد أن أكتب كتابا الى الملك أبى حبيبى وأخبره بكل ما وقع وأدفعه الى شاغوس يوصله اليه قال اكتبى الكتاب فى هذا النهار فلا بد من السفر حالا وفى الحال عادت عين الحياة الى المدينة ومعها شاغوس وأما بهروز فانه ودعهما ولم يقبل أن يدخل المدينة بل قال انى لا أضيع ساعة ربما تنفع فى خلاص سيدى وسار يقصد بلاد الزنوج وسوف نأتى على خبره فيما يأتى ان شاء الله وقد حملت عين الحياة كتابا الى فيروزشاه سيأتى ذكره وكتبت كتابا إلى الملك ضاراب تقول فيه .

من عين الحياة المسكينة المفارقة الى الملك ضاراب ملك بلاد العجم المعتدلات الله

بعد السلام عليك وتقديم الاحترام اللائق أخبركم أن سيدى فيروزشاه دخل هذه البلاد رغبته أن تتخذنى زوجة له وهو فى طريقه قد رافق أحد . كلامه وحارب بصاحبى الخواجا اليان فقهر الزنوج فى البحر وحده وقاد مراكبهم أسيرة الى جزرنا وأتى القلعة الحصينة وكان بها غاصبان يقال لهما فاطر وقطير وقد أهلكا كثيرا من عساكر أبى وتمردا عليه وقطعا الطريق حتى استفحل أمرهما فأسرهما وجاء بهما أسيرين ولما قرب المدينة وجد عساكر العجم وعساكر الزنوج محيطة بها على شك فتحها وذلك أن الشاه زور ابن الملك كشمر خطبنى من أبى وأبيت فاستنصر عليه

الزوح فقصدنا من كل صوب ففرق ابنك تلك العساكر نحو ثلاثة أيام وقد قتل برور وميسرة أخوى طومار ودخل المدينة مكرما ومحلا وهو يدعى بأنه بملوك من بلاد اليونان وقتل أثناء ذلك هولنك ابن الملك هورنك الزنجى لما علم أنه جاء ليخطبنى من أبى وقد أخذه لعمله هذا كل قواد أبى وعموم رجال النمس إلا طمور ويرأبى فإنه كان يوشى ادن أبى عليه إلى أن حدث حادث وذلك أن اللصوص كانوا يقصدون قصر ابنك وقتل لذلك جملة من العبيد فقصد أن يكشف بنفسه هذا الأمر مع رفيقه فرحوراد فاتهموهما باللصوصية وقبضوا عليهما بعد أن أوقعوا بالعساكر وأهلكوا منها عددا غفيرا وكان يخطر لأبى أن يطلقهما فمنعه طمور وقاده إلى قتلهما بداعى أنهما نصدا ابن الاضاع عرض الملك ولما جاء هورنك يطلب ثأر ابنه وقد ضاق المدينة وكاد يدخلها عنوة جمع أبى مجلسه واستشار رجاله فيما يفعل فشار عليه الشاه سام أن يطلق فيروزشاه وفرحوراد ويرد إليهما سلاحهما ويستعين بهما على الأعداء فيدفعانهم ويخلانهم عن المدينة فعول على هذا الرأى فخوفه منه طمور وأخذ على نفسه عهدة المصالحة من الأعداء وإذ ذاك قد عرف أن أحدهما ابنك والآخر ابن فرور البطل المشهور وعلى ذلك قد سلم ابنك ورفيقه إلى هورنك بداعى أنهما هما اللذان قتلا ابنه فأخذهما وسار عائدا بهما وبالمال الذى دفع إليه منه وبعد مسيره لم أعد أعلم شيئا عن فيروزشاه وكنت قد زرته مرارا وخطبنى من نفسى فعاهدته على الولاء وحفظ العهد وكان قبل وقوعه فى يد أبى عول إلى الرجوع إليك ليسألك فى أن تخطبنى من أبى ولما كان فى يد أبى وقد عزم على إرساله إلى هورنك زرته فى سجنه تحت سواد الليل فشكا إلى ثقل الحالة التى وقع فيها وقال لى إن كان ذلك قصاصا لى من الله حيث خرجت من بلادى دون علم أبى فكأنى خالفت طاعته وكنت أصبرته أنى مزمعة على قتل نفسى فمنعنى وقال لى لا تخافى فإن الله لم يفجعنى إلى حد الموت لأن أبى من رجاله فى حافظ على طاعته فلا يطلبه بأن يفجعه فى وقد سألنى أن اوصل خبره إليك واستنهضك إلى إعانته واستعطفك إلى معصرة ذنبه إلا أنى كنت قليلة الصبر ضعيفة الأمل فانطرحت على فرش الأحزان أنتظر الأخبار المكدرة لا تهمنى نفسى وفى ليلة أمس جلست أرطبها بدموع الأحزان وقصدا مكان إقامتى وهما يطرقان إلى ويقدمان لى هدية تحوى قاسة قطعت منها ة فخرجت إلى الخارج بعيدة عن المدينة لأصدق الخبر فكان الأمر كما رأيت فى حلمى لأنى الثت أن صادفت الماشيين عاوس وبهروز فأعلمتهما بكل ما كان من أمر سيدهما فأسرع الثانى إلى بلاد هورنك إلى خلاص سيدى ابنك والثانى عزم إلى الرجوع إليك فأصحبته بهذا التحرير ملتمسة إليك المعذرة والصفح عن ابنك ومسعفة لك للاسراع لخلاصه

والاجتماع به باقرب وقت لانه لايخفاك أن اولاد الملوك والأمراء لا تزال تتفاطر على أبي بطلبي وأنا أردهم بالخيبة والفشل وانما أخاف من أن تخرب بلاد أبي بسببي ويأخذوني سبية فدبر بحكمتك ما تراه حسنا وانقذني من شر هذه الورطة الوبيلة مع المحافظة على شرفي وناموس أبي والسلام

ثم طوت هذا التحرير وختمته وسلمته الى شياعوس وقد ارتاح بالها نوعا وأملت الخلاص من يد المصائب اذ قد ألقت بثقل حملها على عاتق غيرها وباتت تنتظر الفرج من الله سبحانه وتعالى وأما شياعوس فانه ركب على ظهر هجينه وكان قد أبقاه خارج البلد وأطلق له عنان الجري فخرج كالريح قاصدا مدينة ايران ولا زال مجدا في المسير حتى دخلها ووقف بين يدي الملك صاراب وأخذ يشرح له كل ما كان من أمره وأمر بهروز وما سمعه من عين الحياة ثم دفع إليه تحريرها فقصه وقرأه وجعل يبكي من فؤاد حركته محركات الجوى فنزل عن كرسيه وجلس على الارض وقد عظم عليه الحال وزادته المصائب فتقدم منه وزراؤه فرفعوه اليه الصبر والنظر في عاقبة الأمر وتدبيره وأن لا يعطي نفسه طلبها من الحزن وقال له فيلزور ان الاهتمام بأمر ولدك وولدي يوجب السرعة عما يكمل لنا ارجاعهما الينا وانا نشكر الله على كل حال وقد أوصل الينا خبرا عنهما بعد أن كنا لا نعلم في أي ارض هما ولا نقدر على السير الى مساعدتهما ونهض الملك حزينا كئيبا لا يعرف الحالة التي وصلت الى ابنه وهو في بلاد الزنوج أهل قضى عليه أم لا يزال حيا وما استوى الملك جالسا الا وانحبك من جانبه مجلسه ودار به رجال الشورى وجعل كل منهم يبدي رأيا بأمر ابن الملك ورفيقه وقد اجمع رأي الجمع على السير الى بلاد هوز بلك وتخليصهما ومن ثم يأتون الى تعراء التي يطلبون بالشاه بهروز ويزفون عين الحياة عليه غصبا عنه ويخربون بلاده على رأسه واذ ذاك نهض فيلزور وقال في أرى أن لا بد من المسير على كل حال انما لا يخفاكم أن بهروز قد سار الى بلاد هوزبك لخلاص فيروزشاه واني على أتم يقين أنه ان أدركه حياته شاله ولو كان في اعماق السجون وقد فكرت انا بينما نجمع الجيش برمته ونعد العدد والمؤن يكون قد مضى على ذلك وقت طويل وأرى من الموافق أن نبعث بتحرير مع عيار من عياري بلادنا الى الشاه بهروز نطلب منه ان يتسبب في خلاص فيروزشاه قبل قدومنا عليه وانا واصلون اليه بعد ايام فنباشر الحرب قبلنا وتهدده تعسا كرنا ونعلمه انا مصرون على خراب بلاده واحتقاره على احتقاره اولادنا مثلما سلمهم للاعداء فان اجاب فلا نطلبه ونتفق معه على خراب بلاد الزنوج ونزوج فيروزشاه بابنته برضاه واختياره هذا اذا كان بهروز لا يتوفق في سعيه واني اريدكم بأ كدا اننا لا نصل الى بلاد الزنوج الا وفيروزشاه فيها واذا قصد

الشاه سرور عداوتنا وأصر على العناد قلعنا آثاره وخربنا دياره وأخذنا بلده بالرغم عنه فاستصوب الجمع هذا الرأي وأخذ الملك صاراب فكتب إلى الشاه سرور ما يأتي.

باسم الله من الملك صاراب ملك بلاد فارس إلى الشاه سرور أبي عين الحيـــاة وسيد بلاد اليمن

قد وصلتني الأخبار وطرق مسامعي أن ابني فيروزشاه طرق بلادك مع رفيقه فرخزاد وذلك أنه كان قد رأى في نومه شخص بنتك عين الحياة ثلاث مرات في ثلاث ليال وقد سألها عن نفسها فأخبرته أمرها ولهذا عشقها ورغب في زواجها دون أن يراها وقد سار من بلادي دون علمي وإلا لو اعلمني بحاله لكنت أزوجه بها وهو في حجر مملكتي لأن من فضله تعالى ملكنا واسع ومالنا غزير وهيبتنا واقعة في قلوب ملوك الأرض بأجمعها وما دخل ابني بلادك إلا بعد أن قاسى بسببك شر الأهوال ودافع عنك دفاع المحب الصادق حتى حفظ لك شرفك وناموسك وصان عرضك ومنع بلادك من الدمار ونفسك من الاستئسار ولما تعدى اللصوص على قصرك قصد يكتشف بنفسه عنهم ويقودهم إليك كما قاد إليك فاطراً وقطيرا فاجتمع عليه جيشك ومسكوه وعزمت على قتله ولم تتذكر جميله معك وسعيه في تخليصه لبلادك وكنت أولا لا تعلم أنه ابني ولما عرفت أنه من سلالة ملكية كان من الواجب أن تراعي حرمة الملوك وتطلق سبيله وتتخذه لك معينا ونصيرا بل اسمعت مشورة وزيرك طيفور الوخيمة وألقيته في أسرك إلى أن جاءك هورنك منتقما وحاصر مدينتك وقد نصحك الشاه سليم نصيحة مخلص وشار عليك أن تفك فيروزشاه وفرخزاد وتسلم إليهما سلاحهما فيدفعان عنك هورنك ولو كنت عاقلا لقبلت منه نصيحته واتخذت لك سندا متينا لا يتزعزع مدى الأيام لكنك غششت بكلام طيفور وسلمتهما إلى هورنك وفي ظنك أنك تتخلص من الملك صاراب بعد أن تصنع له ولده مع أني لو كنت جاهلا مثلك لسرت في الحال إلى بلادك وانتقمت منك جهرا. فعلك مع ولدي ولكني بعثت إليك بهذا التحرير كي لا أظلمك في ما عولت أن أجريه وهو أنك تذهب أمامي إلى بلاد الملك هورنك وتسعى في خلاص ولدي ورفيقه اما بالقوة واما بالسياسة وتخوف الملك هورنك من بأسي وإذا تخلص ولدي أريد أن تزفه على ابنتك عين الحياة فهي التي حملته إلى سلوك هذه المخاطر ومقاساة هذه الأهوال وإن أبى هورنك تباشر الحرب معه إلى أن أوافيك فاني عما قليل سأنهض من مكاني رافعا راية النصر فوق رؤوس جيوشي وقد عزمت أن أفتح ممالك اليمن وأذلها وأسير إلى هورنك وأحمل عليه الصباح يقام من كل باح لأنه كافر بدين الله سبحانه وتعالى لا يراعي حرمة الدين ولو كنت أنت من العاقلين

وتعرف فضله تعالى لما سلمت المؤمنين إلى الكافرين بل اتكلت عليه وخلاصك ونصرك والسلام مني فكن حكيما لا تكن جاهلا

وبعد أن فرغ من التحرير قال أريد من يوصله إلى الشاه سرور على أجنحة السرعة فقال طيطلوس ان عندي غلاما قد ربيته وهو من أكبر العيارين حسن الرأي عالي الهمة اسمه شيرنك فهو يأخذ هذا التحرير ويسير به ويأتيك بالجواب قبل أن ينقل من هذا المكان ثم دعا بالغلام فحضر بين يدي الملك فأعجبه جدا ودفع إليه الكتاب وقال له أريد منك أن تعجل في مسيرك وتنظر لي ماذا يكون من الشاه سرور فقال سمعا وطاعة وأخذ الكتاب من يد الملك بعد أن قبلها وودع الاثنين وخرج يجد في سيره وأقام الملك بعده يجمع جيوشه ويرتب قواده ويهيء لوازم حمله ويدبر أمرها ولم يمض لى ذلك إلا أيام قليلة حتى دخل شيرنك بلاد اليمن فلم يلتفت إلى يمين ولا شمال ولا مال إلى جهة بل أسرع بالوصول إلى ديوان الشاه سليم ووقف بالباب واستأذن بالدخول عليه وان يعلموه أن معه تحريرا مهما فأراد عيار الشاه سليم واسمه هلال أن يمنعه من الدخول وطلب أن يأخذ منه التحرير فيوصله بنفسه فلم يسلمه أياه بل قال إني مأذون أن لا أسلمه إلا ليد الشاه السرور وآخذ منه الجواب اما كتابة واما شفاها فاستأذن له فدخل والديوان كامل فوقف في وسطه وأخرج الكتاب وناوله ليد الشاه فأخذه وامعن فيه فوجده مختوما بختم الملك صارات سيد بلاد فارس فعلم أنه يتعلق بمسألة ابنه فدفعه إلى طيمور يقرأه علنا فتناوله منه وفض ختامه واستصغى الجمع إلى قراءته وقرأه من الأول إلى الآخر والجمع برمته صاغ يسمع كلام الملك صارات وما منهم إلا من خاف عاقبة الأمر وأيقن بالخراب والدمار الا طيمور والشاه سرور فانهما لم يتأثرا لهذا الكلام بل زادهما كبرا وحمقا وعتوا ولم يلتفتا الى سلامة قلب الملك صارات ولا ندما على فعلهما وقال للشاه سرور أكاتبني الملك صارات بمثل هذا الكلام ويلومني على تسليم ابنه للزوج مع انه هو بنفسه خصمهم وقاتل ابن ملكهم ويتهددني وقد غاب عنه أني ملك واسع البلاد مثله كثير الأجناد مسموع الكلام وينسب الى الجهل والتعدي مع أني ما تعديت عليه بل ابنه دخل بصفة جاسوس مرتديا ثياب الغش فلم يطلعني على أمره بل سكن داخل قصري وفي نيته الوصول الى بنتي بغير طريقة الزواج الشرعية ويزعم انه جاء بطلب بنتي مع انه لم يخطبها مني ولا علمت بذلك قبل الآن ولو ساءني فيه لمعته منه وهو على تلك الحالة وبدعي انه يعبد الله تعالى مع اني اعلم ان عموم الفرس تدين الشمس وتسجد بلا ارادة الشرار وقال طيمور ان هذه المكاتبة لا تكن سباب دالى عنده ولا ملك الى مملوكه كانه ظن انه الحاكم علينا والآمر وانا حتى يأمرنا ان نسير الى بلاد هوربك لنخلص له ولده ومن ابن نخلصه له وهو قد ذاق امر كأس وقضي عليه من

زمان وما دام فيروز شاه قد مات فلا نخاف الملك صاراب ولا جيوشه ولا قواده بل إن كان كما يدعي من قوة السلطان وعظم المهابة فلا ذهب إلى الزوج بنفسه ويأخذ لابنه بالثار من أعدائه لأنه هو الذي قتل ابن ملكهم فقتله به وهذا حق عادل لا نتعلق به نحن وما كان أغاظنا عن دخول فيروز شاه إلى بلادنا من الأول إعجابنا بهذه الأسباب كلها وقاد الينا هذه الصعوبات وعادانا مع الملوك وجلب الينا الحروب إلا الخواجا اليان الذي اسوورزته وأنعمت عليه على قبح فعله وانى أشور عليك ان تقتل الخواجا اليان جزاء على فعله لأنه سلك معنا سبل المكر والخداع وأخفى عنا حالة فيروز شاه وادعى أنه مملوك اشتراه من بلاد الروم لخدمة عين الحياة وكان في نيته ان يسلمه إلى عين الحياة ليقيم عندها وفي يدها ولا شك ان غايته ان يخطفها ويسير بها إلى بلاده ويجعلها معيرة عند كل قاعد وقائم فأهاج هذا الكلام غضب الشاه سرور وحركه على انتقام من الخواجا اليان وأمر في الحال ان يؤتى به وكان غائبا عن الديوان فاحضروه مهانا إلى بين يدي الشاه سرور فقال له أنكر ان ما حل الينا هذه الويلات إلا انت وقد أخفيت عنا أمر فيروز شاه وادعيت انه مملوك وقد استوجبت الاعدام على قبح فعلك هذا فرجف قلب الخواجا اليان إلا أنه أعاد ضعفه بمواعيد الشاه سرور السابقة وقال لم يكن من قصدي ان أغش سيدي الشاه ولا امكر بسيدتي عين الحياة وما أخفيت أمر فيروز شاه إلا خوفا منه لأنه تهددني بالقتل ولا خفاك ان من كان مثله يهاب ويخاف ولم يكن في طي انهاس لك رأيت بعلم أني صادق لسيدتي عين الحياة وأريد الآن ان اذكرك بوعدك لي من انك تسامحني بارتكاب الجرائم إلى حد الثلاث مرات فهذه واحدة منها ومن كان مثلك لا يقول ويخلف بقوله قال انى امنع عنك القتل الآن إنما لا أعفوك من القصاص بل يجب ان تبقى في السجن إلى حين تنتهي هذه الأمور ويقع الاتفاق بيننا وبين الملك صاراب ثم أمر ان يزج بأعمق السجون وتقام المحافظة عليه فقادوه إلى السجن وأقاموه وسوف يأتي عنه كلام وأما شبرنك عيار الملك صاراب فقد تكدر من كل ما سمع وقال للشاه سرور أريد منك ياسيدي ان تأمر لي بالجواب فاني مزمع بالرجوع في الحال إلى سيدي وهو بانتظاري قال لا جواب عندي إلا ما رأيت وسمعت فاخبر سيدك بكل ما سمعته وقل له إن ابنه قتل ابن فوربك وفوربك أخذه بحقه عن ولده ونحن لا دخل لنا بينهما ويأمرني بان اسير إلى استخلاص ولده فلسنا نحن تحت أمره ولا نخافه ولا نهابه

فخرج شبرنك من ديوان الشاه سرور متكدر الخاطر وسار عائدا إلى بلاده مسرعا في سيره لا ينام الليل ولا النهار ولا يقيم في مكان حتى دخل إيران بأسرع ما يمكن من

الزمان فوجد الجيوش قد تجمعت والرايات قد نصبت والبلاد ترهج من كثرة السلاح
والكل على أهبة الاستعداد فدخل على الملك صاراب وهو فى مجلسه فتعجب من
حضوره كل من حضر وسأله عما كان من سفره وكيف عاد مسرعا وكادوا لا يصدقون
انه دخل بلاد اليمن وأوصل الرسالة إلى الشاه سرور فحكى كل ما وقع من البداية
إلى النهاية وكيف أن الشاه سرور ينقاد إلى عمل وزيره طيمور وأنه سجن الجراحا
اليان بسبب فيروز شاه فقال الملك صاراب وأين جواب التحرير الذى سلمه إياه قال
لم يعطى جوابا بل قال لى بلغ مولاك كل ما سمعته ورأيته منى وقد خرجت من ديوانه
متكدر الخاطر وفيما كنت سائرا فى المدينة كان يجتمع الى الناس ويحكون عن سيدى
فيروز شاه ويشكرونه على عمله فانه خلصهم من الأعدا وأرواحهم ويلومون
الشاه سرور ويلعنون طيمور بكل شفة ولسان وما منهم إلا من يطلب [illegible] لدولتنا
ولفيروز شاه وقد سألونى أن أبلغك أن لا ذنب على احد من كل بلاد اليمن الا على الشاه
سرور ووزيره وانه ان كان فى يده ان ينتقم لانه فيكون منهما ولا ذنب على البلاد
ولا على أحد منهم فقال الملك انى اعلم ذلك ولا بد لى من كسر شوكة هذا العاتى الذى
لا يراعى حرمة الملوك وقد عمى قلبه جهله حتى لم [illegible] الى مجاورتى فسوف أريه من
يكون [illegible] ومن الخامس ثم بعث الى طيطلوس وقال له من حيث قد تجمع عندنا
[illegible] الجملة [illegible] وثمانين الف مقاتل ما بين فارس وراجل فاخرج [illegible] أمامنا فى
مقدمة وخذ معك ثمانين [illegible] من [illegible] الخميس وانى اسير بعد ذلك فى أثرك بعد أن أقيم
وكيلا عنى وأودع المملكة [illegible] وصلت [illegible] الى البلاد [illegible] مباشر الحرب [illegible] ولا [illegible] طريق
بل انتظر انى فى اثرك ولا تضيع فرصة متى قربتما الى اليمن وتوصلا الى الاستطلاع عما
كان من أمر ولدى فرخزاد وانى أشكر الله حيث لم اكن المعتدى على الشاه سرور
ولا قصدت اذاه قبل ان وصل شره الينا وبعد أن [illegible] وبادرنى [illegible] سلامة ولدى
رحمه الله جل جلاله فانه يعلم [illegible] وانى لم أذنب [illegible]
[illegible] كل [illegible] ولا [illegible] ولا تعتدى
على أحد [illegible] الخميس [illegible] على [illegible]
[illegible] فى طريقهم من [illegible] والقرى وكل مكان [illegible] طاعة
[illegible]
[illegible] طيطلوس
[illegible] لأمر الملك وخرج بعد ان قبل يده ووعده ان يكون على الخطة التى يريدها
منه وانه ان لم يحاربه الشاه سرور لا يتعرض له بل لا يحاربه الى ان يحضر وركب

على جواده وأمر الجيش بالركوب فركب ثمانون الف فارس بطير مقدمة جيش فارس ورفعت الاعلام خفقت البنود وتسابقت العساكر وكلهم يتمنى الوصول الى بلاد اليمن والى بلاد هوربك لخلاص فيروزشاه مليكهم المحبوب لانه كان عندهم بمنزلة اولى يرون الموت اسهل من فرقه عنهم وكان مع الجيش بهمزار قنا وهو من الجبابرة أصحاب البطش والبسالة وخرج الجيش متكلا على الله قاصداً بلاد اليمن وأقام الملك صاراب يستعد للرحيل على اثره بقية الجند المجتمع فهذا ما كان منه واما ما كان من الشاه سرور فانه بعد مسير شهربك وقع في اليأس والندم ولام طيهور على عمله وقال له قد فعلت بنا الجدة فعلا شنيعاً فانه كان من اللازم ان نصطحب مع الملك صاراب ونتخذه عونا لنا وندفع عنا البلايا والحروب لا سيما وان الناس في قلق واضطراب تجاه وقوع الحرب ويهابون عساكر الفرس لانهم اشداء أصحاب اقدام محبين لمليكهم وما من احد في مملكتي الا ويحب فيروزشاه ويتذكر فعله فقال له طيهور كن مطمئن البال فان الذل من شيم الانذال ونفس الملوك تأبى الانقياد الى العار فادفع عنك الوهم واستعد للدفاع ومتى جاء الملك صاراب عدلنا امرنا معه فاما ان نحاربه واما أن ندفعه بالحيلة ونصلح أمرنا معه لانه رجل عادل حكيم لا يحب سفك الدماء وهلاك عباد الله مع عظم بطشه واقتداره وابواب الحيل امامنا واسعة فعلى تدبير امره ودفعه عن مملكتك فارتاح لذلك قلبه وبات على استعداد ينتظر ما يكون من الملك صاراب وما يصل اليه من اخباره

ولنرجع الآن الى فيروزشاه وفرخزاد وهما في سجن الصعلوك وقد تركناهما فيه يعبدان الله ويتكلان عليه في خلاصهما وقد وعدهما السجان بالخلاص لما علم انهما من أبناء الملوك وكان فيروزشاه يعده دائماً انه إذا خلصهما يهلكان هوربك ويقيمانه ملكا على بلاد الزنوج وهو يعدهما من يوم الى يوم فكان ينتظر أن يسمع بسفره هوربك لانه كما تقدم كان في نيته أن يرجع الى بلاد اليمن لينتقم من الشاه سرور ووزيره طيهور حيث قد لعبا بعقله فاخر سفر هوربك ولذلك تأخر خلاص فيروزشاه وفرخزاد وكانت كل ليلة تمر على فيروزشاه أطول من سنة وهو يفكر بأمر محبوبته عين الحياة أهي باقية في الحياة أم قتلت نفسها وهل ارسلت خبراً الى ابيه أم لا وان ارسلت خبراً الى أبيه لا بد له من ان يأتي الى صحراء اليمن فيدمرها وينتقم له من أبيها وبذلك تتكدر محبوبته وتصعب عليها الامر فحمله هذا الظن على الاضطراب والكدر وتمنى ان يكون في بلاد اليمن ليرى ما وقع فيها الا ان باب السجن كان يمنعه وقيده الحديدي يثقل عليه وقد تذكر قول القائل

نجت لمسراها واني تخلصت الى وباب السجن دوني مغلق

المت فحيت ثم قامت فودعت ... فلما تولت كادت النفس ترهق
فلا تحسبي انى تخشعت بعدكم ... لشيء ولا انى إلى الموت افرق
ولا ان نفسي يردهيها وعيدكم ... ولا انى بالمشي فى القيد أخرق
ولكن عرتنى من هواك صبابة ... كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

وكانت الذكرى تقيمه وتقعده وهو يقلب الافكار ما بين محبوبته عين الحياة وأبيها وأبيه وقد طال عليه المطال وهو فى السجن وكلما دخل عليه الصعلوك يسأله أن يفى الوعد كما تقدم ويقول له وعدتك ان أطلقت سبيلنا أقمناك ملكا على هذه البلاد وكاقتلنا ابن هوربك نفله ونريح الناس من شره ويؤكد له المواعيد وان الاله الذى يعبدانه يساعدهما على ذلك فان تدبير أمر العباد بيده وكان السجان الصعلوك يتأكد منهما ذلك

وفى ذات ليلة من تلك الليالى التى كان بها فيروز شاه وفرحزاد أسيرين وهما فى حالة الضجر والملل حلم الملك هوربك حلما أرعبه وأقلقه وهو أنه رأى نفسه فى بريه منفردة وحوله بعض من عبيده وغلمانه وإذا بأسد كبير ضخم الجثة أفطس الأنف هجم عليه وعزم أن يبطش به فحاوله إلى أن رأى نفسه مغلوبا معه ففر منه وقصد الاختفاء من أمام عدوه وإذا بأسد أعظم من الاول وأكبر جثة قد لاقاه من الجهة الثانية فهجم عليه وأنشب أظافره فى صدره وألقاه إلى الارض وأقام فوقه فلاحت منه التفاتة فوجد الاسد الاول قد افترس الذى معه فانتبه مرعوبا متكدرا وخاف من عاقبة هذا المنام أن يكون وبلا ووبالا على مملكته وفى الحال دعا إليه رئيس مفسرى الاحلام عنده وقص عليه خبر الحلم وقال له أريد منك أن تفسر لى هذا الحلم الذى رأيته بأجلى وضوح وتفصل لى ما يكون من أمر هذين الاسدين ولا تخف عنى شيئا وكان الرجل عالما بهذا الفن خبيرا به فأطرق إلى الارض برهة ثم رفع رأسه وقال أريد من سيدى الملك أن يعطينى الأمان فان الحلم حلم سوء إنما إذا تداركته نجوت وتخلصت من شره وأنك قادر على ذلك بوقت قريب فلا يصل بعونه تعالى اليك ضرر قال قد أمنتك على نفسك فاحك ما تبين لك فى الحسبان وما هو مزمع ان يحدث لى وفى مملكتى وبين لى الأسباب الواقعة التى يجب على اتخاذها قال إن الأسدين هما الأسيران اللذان كنت عزمت على قتلهما وإعدامهما وأبقيتهما قيد الحياة وذلك لعظم سعدهما لأنهما سيتخلصان من الأسر ويعاد اليهما سلاحهما فيقتلانك فهذا ما ابينه ولى أشور عليك برأى حسن ان تكتب تحريرا إلى السجان صعلوك تأمره بالتصديق عليهما وان يبعث إليك اعداهما ثم تسير بنفسك اليهما فتقتلهما وترتاح بعد ذلك من شرهما وتعدى بهما قبل ان يتعشيان بك قال صدقت إنى

حطأت فى اتقانى عليهما فما هما إلا عدوان علكتى وما هى الفائدة يا ترى من البقاء عليهما

ثم أخذ ورقة وكتب كتابا إلى حاكم جزيرة الطيا يقول له فيه إنى كنت قد بعثت إليك قبلا بأسيرين من البيض كنت قد أتيت بهما من بلاد الشاه سرور وأوصيتك بقيهما فى السجن عند السجان صعلوك تحت المحافظة والترسيم والآن حيث تذكرت جريمتهما فقد حتمت على قتلهما فى الغد أسير اليك للقضاء عليهما واسهر على المحافظة وإياك من أن يفرا قبل أن أحضر اليك وإلا فملك مكانهما فهما اللذان على ما حكى أن الشاه سرور قد قتلا ابى وكيف كان الحال قتلهما ضرورى حيث وطدت العزم بعد أسبوع ان أسير إلى بلاد اليمن للاخذ بالثأر من صاحبها ولا أريد أن اترك هذين الاسيرين فى قيد الحياة خوفا من تخلصهما بل بحث اعدائهما قال سمرى

انتهى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس

الجزء الخامس

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

ولما وصل هذا التحرير الى الحاكم المذكور استدعى بالصعلوك وقال له ان الملك هوربك سيأتي في الغد الى هذه الجزيرة لاجل اعدام الاسيرين اللذين سلمتك اياهما بعد امد قريب فحافظ عليهما حق الحفظ لئلا يغضب منك قال هما لا يزالان عندي يقاسيان اشد عذاب مضيق عليهما كل الضيق ولما سمع صعلوك هذا الكلام تكدر خاطره خوفا على فيروزشاه وفرخزاد ان يصل اليهما الملك ويقتلهما قبل ان تمكن من خلاصهما وبعد ان فارق الحاكم سار اليهما واخبرهما بكتاب الملك وانه في صباح اليوم الثاني يأتي الجزيرة لاجل اعدامهما فقال له فيروزشاه الى متى هذا المطال فقد وعدتنا بالخلاص فاخبر بوعدك والا هلكنا واتى الملك الينا ونفذ حكمه فينا على انا لو كنا مطلقين الحرية وكان بيدنا سلاحنا لكنا قادرين على الفتك به وبكل عساكره فقال لهما لا بد لي في هذه الليلة من خلاصكما ولو ذهبت روحي فدا عنكما فاما ان اقتل معكما واما ان انجو معكما فشكراه على همته واوصياه ان يأتيهما بسلاح وجوادين بركائبهما فوعدهما وانصرف عنهما وباتا بعده في هواجس وهم حسن لا يصدقان الخلاص ولا النجاة من القتل لان السجان طالما وعدهما ولم يخبر بوعده وقد قال فيروزشاه لفرخزاد لا زالت المنية تقرب منا ثم تبعد عنا ولا نعلم في هذه الليلة ان كان يفي الصعلوك بوعده او يخلفه كالعادة واني ارى انه من الحسن الخوف ما يثبت لي رجوعه عن قوله مع اني متأكد انه صار من عباد الله الصالحين وقد قبل ديننا من كل قلبه وانعكف على صلاتنا وحفظ فروضنا واني من ذلك في حيرة فاجاب فرخزاد ان الله الذي حفظنا الى هذه الساعة هو قادر على تأخير آجالنا واطلاق سراحنا الى بلادنا وان كان يصعب على الصعلوك امر خلاصنا فلا يصعب على الله سبحانه وتعالى فلنسلم اليه امرنا ولا بد ان يجري بين اليوم والغد حوادث

ثم سجدا لله عز وجل ورفعا صوتهما اليه بالاستغاثة وصليا فروض الصلاة وقد ارتاح بالهما الى الخلاص وهما ينتظران تصرم الليل وطلوع [illegible] ومضى قسم منه دون ان يأتي الصعلوك وكانت كل دقيقة تمر عليهما [illegible] نظرهما الى جهة باب السجن وكلما سمعا حركة يخفق قلباهما من الفرح ويظنان ان الوقت قد حان لعلمهما انه اذا طلع الصباح وهما في السجن تقضي عليهما

لا محالة أو يقعان فى مصيدة أخرى تطول لاحلها مدة سجنهما وطال الوقت وهما على ما تقدم حتى جاء نصف الليل ومضى ما بعد النصف بساعة فكادا يقعان فى اليأس وقطع الرجاء وقد قال فيروز شاه فاقد قرب الصباح ولم يأتنا الصعلوك وأظنه لا يأتينا بعد ولا له عين أن يقرب منا أو ينظر الينا فلنركن إلى تدبير التقادير ويمكن أن يقضى علينا ولا نراد بعد فهو جبان يخاف من الموت أو هو عدم الثقة بنا من أننا نقدر أن نفى له بوعدنا أو نجوز وإياه من هذه البلاد وما اتم كلامه حتى فتح باب السجن واقبل اليهما الصعلوك يحمل لهما السلاح الكامل فكادا لا يصدقان بإتيانه وقد بين لهما وجه الخلاص وقال انه قد ابطأت عليكما قال ان تأخيرى إلى هذه الساعة كان هو لاجل ان آتيكما بالسلاح والحبل ثم أخرج من جيبه مفتاح القيود ففكهما وأطلق لهما الحرية التامة ودفع اليهما السلاح فأخذاه وفيروز شاه بمزيد فرح لا يوصف وما صدق ان أخذ السيف حتى زأر زئير الأسود وارتاح باله إلى الفتك بأعدائه وقال إنى بعونه تعالى أشعر الآن انى قد ملكت الدنيا بأسرها وقد انتقمت من اعدائى وملكت عين الحياة فأسأله تعالى ان يوصلنا قريبا اليها وإلى أبى وكان ما يتخلل فكره من أن تكون عين الحياة قد فاتت نفسها لانقطاع خبره عنها يوقعه فى القنوط ويتمنى معرفة الغيب ليعلم ماهو حاصل هناك ثم تعود فتتجدد قوته ويطمئن باله عندما يفكر انها لا تزال حية وانه أوصاها ان لا تفعل شرا بنفسها قبل ان تتأكد حق التأكد موته وهذا لا يمكن ان تكون تأكدته لعدم وقوعه ولا بد من ان تكون قد بعثت من قبلها من يسأل عنه فى بلاد الزنوج ويعلمها خبر سجنه والقاء عليه وكان يحق الركون اليها ويتأكد علاء همتها ولا يعتبر عن اتخاذ الطرق لتسهيل الاستطلاع على أخباره ويطلع ابيه عن حاله أملا بخلاصه فهذا ما فكر كان يزيد نشاطه وبعد ان امتلك السلاح تقلده وقفز كالغزال إلى خارج السجن تلاقى وجه السماء الذى صرف أياما لا يراها وهبوب النسيم الذى ما مر عليه مدة أيام وبعد ان صار فى الخارج ومن خلفه فرخوزاد قال للصعلوك امض الآن لترى بعد ذلك ما نعمله بأذلك واستعد لتكون حاكما على كرسى هوربك فانك فى الأمس كنت صعلوكا سجانا وفى الغد تصبح ملكا مطاعا فقال له أرجوك يا سيدى ان تنظر فى طريق الخلاص فقد أحصرت زورقا تسيرونه وتبعد عن هذه البلاد فذلك ولا تتقون فان الملك هوربك رجل جبار وجيشه كثير وأخاف ان تقعا فى يده مرة أخرى فلا يبقى عليكم ولا تعود تسهل الكما الخلاص كما تسهل الآن قال كيف نذهب من هذه البلاد ونبقى على الملك هوربك فلا تخاف من شيء واتبعنى إلى قرب الشاطىء لترى ما نكون من أمرنا ومن الملك عند قدومه

وبعد ذلك ساروا إلى جهة البحر وأقاموا هناك بانتظار الوقت المعين لاتيان هورنك ومن معه ولم يكن إلا القليل حتى أشرق وجه الصباح وانكشفت مستورات تلك النواحي فنظر فيروز شاه إلى جهة البحر فرأى مركبا آتيا يخترق المياه يقصد جهة الجزيرة فقال إن هذا المركب يحمل الملك ويسرع به إلى سوق المنية فهو يظن بنفسه انه آت للانتقام منا ولا يعلم أننا بانتظار الانتقام منه وقد استعد كل منهما إلى القتال وقد مالا من جهة الشاطىء إلى جهة ثانية وصبرا نحو من ساعة حتى رست السفينة وخرج منها هورنك ورجاله ونزلوا إلى البر وكان حاكم الجزيرة أعد لهم الخيول ونزل لملاقاتهم وحالما رآه الملك وكان فى خوف عظيم على نفسه من جرى الحلم الذى تقدم ذكره وقال له ألا يزال الأسيرين فى السجن قال نعم وهما تحت الحفظ والترسيم إلى ان تأمر بقتلهما أو تسليمهما اليك قال لا بل قتلهما لأنى ما أبيت إلا لاعجل فى ذلك ويرتاح بالى من جهتهما ثم عزم على المسير وإذا بفيروز شاه وفرخوزاد قد وقفا فى طريقه وكان يتقدمه جماعة من العساكر فقالوا لهما وقد ظناهما من زوار الجزيرة الغرباء ويلكما ألا سمعتما باتيان الملك فابرزا عن جواديكما إلى ان يمر واخدماه كغيركما فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام قال ويلكم يا أولاد اللئام أيظن ملككم أنه ينجو من سيف فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس ومالك البلاد ثم اخترط سيفه وصاح وهجم وفعل فرخوزاد كفعله وقد اضطربت لفعلهما ملك الحشائش وصاح هورنك وقد وقع الرعب فى قلبه اقتلوهما وأريحونى من شرهما وقد وقع الرعب فى قلبه وشاهد منهما أفعال مردة الجان لأنهما بأسرع من لمح البصر فرقا الرجال من حوله وأبعداهم عنه ومال فرخوزاد بهم وانفسح فيروز شاه اليه وصاح فيه وقال له ويلك أيها الظالم الغاشم أتظن ان الدهر يعطيك ويخدمك فلو كان كذلك لكنت قتلتنا من حين وقوعنا فى يدك إنما الله قصد خلاصنا لغاية له فاستهدف لوقوع المنية واعلم أنى انا فيروز شاه ابن الملك ضاراب قاتل ولدك ومحرق كبدك انا حيث عين الحياة وقد خلصت لاعدمك الحياة ثم فاجأه بضربة أحر من حب الجمر فالقاه هورنك وقد طمع فيه لما رآه صغير الجسم وهو كالعصفور أمام الباشق الجسور ولم يعلم ان فيروز شاه هو فارس ذلك الزمان وفتاه وانه أخف من اللولب فى الدوران فحاولا وتضاربا وأوسعا فى المجال واتسع بينهما القتال وكان فيروز شاه يقاتل ويشخص عين الحياة يلوح له ويطلب ان يعجل على خصمه ويسرع فيزيد نشاطه ويشتد دفاعه حتى مضى على ذلك نحو ساعة من الزمان وفرخوزاد مع العساكر فى قتال ونزال وقد أهلك منها قسما كبيرا وألقى الرعب فى قلوب الباقين ولولا رجاؤهم بملكهم لطلبوا الفرار تخلصا من المنية وطمعا فى لقاء وفى تلك الدقيقة

سمع صوت انهرت له الجريرة قالت فى النحر ميلان المركب عند اشتداد الأنواء وكان صاحب الصوت هو فيروز شاه وقد استطال على خصمه وأتعبه وضايقه ورفع يده بالحسام وصاح هاك ضربة قوية مصحوبة بالمنية من يد فيروز شاه حبيب عين الحياة وطوحه بالسيف فخرج من كتفه كالسهم واخترق صدر الملك هورنك فأرداه قتيلا يخبط بدماه وقد وقع على الأرض كأنه طود من الأطواد فأرجف لذلك قلب جميع المشاهدين ولا سيما الصعلوك فانه إلى جانب الميدان ينظر من بعد ماذا يكون وكان فى أول الأمر خائف العاقبة إلا انه اخيرا كاد يطير من الفرح وقال فى نفسه إنهما صادقان فيما يقولان ولا بد لى من ان اكون الحاكم عوض هورنك وقد شاهده وقع إلى الأرض جدلا ولما قتل هورنك تطايرت رجاله هربا تطلب الخلاص فأدركها فيروز شاه وقد رفع ضرب السيف عنهم ونادى فيهم لا تخافوا ولا تجزعوا فانكم ان اطعتم سلمتم فاننا لا نريد لكم شرا وما قصدنا إلى الملك هورنك فمن اطاع وآمن بالله سبحانه وتعالى عفونا عنه وامناه على نفسه وماله ومن تمرد وعصى وتبع طرق المكاره اهلكناه والجزاء بملكه فاختاروا لنفسكم إحدى الطريقين واعلموا ان ليس من قصدنا ان نحكم فى بلادكم او لنا مطمع فغايتنا الإخلاص لنفسنا وقد حصلنا عليه وانا سنقيم حاكما عليكم منكم فلما سمع الآخرون كلامه وقفوا وقد اطمأنت قلوبهم وهدأ روعهم نوعا ولا سيما وقد نظروا الى فيروز شاه فوجدوه واقفا لا بأمرهم وتأكدوا فى كلامه وجه الصدق وكان اكثرهم يتمنى الخلاص من الملك هورنك وظلمه لانه كان يستعبدهم ويستبيح اموالهم ونساءهم فعادوا اليه صاغرين وقالوا له انا اتيناك مطيعين سامعين فافعل معنا ما انت فاعل وكان فرحوزاد قد اسر قائد جيوش الزوبج وهو الامير ميمون وكان قد شاهد حرب فيروز شاه فى بلاد اليمن عندما قتل هولنك وبدد رجاله وهرب مع الهاربين وشاهد انصافه له بهورنك هذه المرة فمال الى الاصطحاب معه وان يكون على وفاق من امره فلما سمعه قال انى لا افعل بكم شيئا ولا اريد منكم الان تعبدوا الله وتحافظوا على شريعته وتقلعوا من بينكم العادات الباطلة وتستاصلوا من بينكم جرثومة الغدر والتعدى وأن تجددوا انفسكم وتتركوا حرفة النهب والسلب والسبى فمن كان منكم على هذه الطريقة نال سعادة الدارين ومن امتنع فليس له الا الهلاك والموت قالوا انا لا نعصى لك امرا ولا نخالف لك قولا فاعرض علينا هذه العادة وعلمنا سنتها لنحفظها فقال انى سأقيم حاكما الصعلوك ملكا وقد علم هذه العادة فيعلمكم اياها لانه هو الذى خاصمنا من البحر وقد جئنا على ان نكافئه حق المكافأة واريد منكم ان تقبلوه ملكا وتنادوا باسمه وتبايعوه لأجل مغرو امعنا

وكان الصعلوك لايصدق أن يسمع مثل هذا الكلام ولا يتصور فى عقله ان يكون ملكا فى مكان هوربك ولما سمع الحضرون أجابوا بالقول وقالوا اننا لا نعرف الآن حاكما فينا إلا اياك فاننا ننادى باسمك ومن أراد به أنت فأقمه عليا ثم قال فيروزشاه لميمون اذهب أمامنا أنت وتكون حاكم جزيرة الطيبا وأخبروا أهالى الجزيرة فمن قبل ان يترك عادته الباطلة ويتبع عبادة الحق أخبرناه وصار كواحد منا ومن امتنع منعنا فيه سيوفنا وقلعنا منه الاثار فقال له ميمون على بطاعة الجميع ثم سار إلى أواسط الجزيرة وهو يدعو الناس اليه حتى اجتمعوا من حوله افواجا افواجا وهو فى وسطهم وكان جميعهم يعلمون بسالته وماله فى البلاد من رفيع المنزلة ونفوذ الكلمة وإذ ذاك قال لهم اعلموا ياأهالى جزيرة الطيبا انه لسوء الحظ قد أسر الملك هوربك فى جزيرتكم رجلين كان فى نيته قتلهما وقدجاء فى هذا اليوم لأجل ذلك إلا أن لهذين الأسيرين إله عظيم الشأن قدير جبار فسبب لهما الخلاص فنجيا من السجان وبما أعطاهما الله من القوة والشجاعة أهلكا هوربك كما أهلكا ابنه هولبكة ولا قسيا كبراء من رجاله وكما بطش ان لهما غاية طمع أو رغبات بالانتقام لظهر خلاف ذلك لأن فى قصدهما الرجوع إلى بلادهم وقد قصدا إقامة الصعلوك ملكا ورئيسا على البلاد وهو واحد منا فقبلناه إلا ان حل ما بطلانه مما ان نعبد لالهكم ونتعلم ديانتهم وقد عرضا على ذلك فوجدته عين الصواب وبه الحق وأن إلههم هو أكبر المعبودات وأقدرها يسمع ويجيب وهو يرى ولا يرى ولعل ان على نفوسنا بعثانا الكم لمعرض عليك ذلك فمن كان طائعا وأجاب صاغرا بقى أمينا على نفسه ولا يمساه ضرر ومن خالف ذلك اوقعناه وقتلناه وربما أحرقناه بالنار وإنى أنذركم ان تحضروا إلى طاعتهما وتتركوا عبادة الأحجار والنار فليس منهما من فائدة فلما سمعوا اقواله وتأكدوا انه صار هو من المؤمنين بالله قالوا انما اننا نفعل مثلك مهما عملت عملنا وأى عبادة عبدت عبدنا ومن أطعت اطعنا وفى تلك الأثنا وصل فيروزشاه ومعه فرخزاد فتقدموا منه وسلموا عليه وسألوه العفو عنهم والرضا عنهم وقدم بهم جدا وامرهم ان يبايعوا الصعلوك ففعلوا وعظموا قدره وبجلوه وقدموه على جواد من الخيل الجياد وهو يفاخر ويباهى كأنه كسرى أو قيصر أو كأنه ملك وإذ ذاك التفت الصعلوك فوجد عساكر مقبلة من اعالى الجزيرة فالتفت إلى فيروزشاه وقال له يا سيدى ان عساكر الزنوج قد تجمعت واتت وعليها حمدون أخو ميمون واظن وصل اليه الخبر انه قتل أخوه فجاءه ليأخذ بثاره وكان كذلك عن اثنين من الذين هربوا عندما قتل هوربك تطايرا فى الركض لا يلتفتان إلى ما وراءهما حتى قطعا الجزيرة ووصلا إلى اعاليها إلى مقام حمدون وهما لا يصدقان بالنجاة فسألهما عن الخبر فأعلماه بما كان من امر هوربك وقتله

و بعيا اليه أخاه وقالا له ان الأسير لم يبقيا على احد من كل من كان مع هوربك فطار الشرار من عينيه عند سماعه بقتل اخيه واستعد فى الحال دون تأخير وإهمال وأخذ معه ما كان عنده من الخيل وأسرع إلى الجهة التى فيها فيروز شاه وقبل ان يصل رآه الصعلوك كما تقدم فقال فيروزشاه سرابت إلى ملاقاة حمدون مع الحاكم واعرض عليه الدخول فى طاعة الله والرجوع عن الضلال واذكر له من وجوب انقياده لحكم الصعلوك فان أجاب كان خيرا وإلا فيكون لومه على نفسه قال ميمون إنى كافل لك هذا الأمر فلا تتكدر منه ثم تقدم من حاكم الجزيرة حتى التقيا بحمدون وسلما عليه ففرح عندما نظر أخاه حيا وقال لهما ماذا جرى وأين الأخصام فقال له الأمير ميمون لا قدرة لك على ملاقاتهم فدع عنك ما أنت فيه فان الخصم هو فيروز شاه بن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وحاكم إيران وهو داهية دهما لا يثبت أمامه فارس ولا تهمه الجيوش كثرت أو قلت وقد اتفقنا معه ودخلنا فى دينه لأ كدنا انه دين الحق ولعلمنا ايضا اننا ان كنا تحت رعاية هذا الفارس الهمام الباسل نكون لنا الخير العظيم وقد علمنا الشريعة التى ترتاح اليها الضمير ويستكن البال وانا نصحك ان تضم النا وتفعل كفعلنا وتقدم اليه معتذرا وتكون من رجاله ولا تعاند فتخسر وتندم حيث لا ينفع الندم قال انى ما جئت إلا وقد تأكدت انك قتل وحيث وجدتك حيا فلا رغبة لى فى القتال فسيرا أمامى واعرضا دخولى على هذا الرجل الباسل الذى تذكرونه فان نفسى قد مالت اليه قبل ان اراه وان كنت عالما انه من غير جنسنا وانه من البعض أعدائنا وكان ميمون يتكلم مع حمدون وفيروزشاه واقف فى مكانه ينتظر إلى ما يكون وقد استعد إلى قتاله وان فتك برجاله ان عصى أو امتنع عن قبول ما يعرض عليه ولما رآه قد جاء وليس عليه من ظواهر القتال دليل ترحب به ووعده بكل جميل وكذلك رجاله بكل من كان معه

وفى مدة قليلة أصبح كل من يسكن الجزيرة يعبد الله ويتبع سنته وطاب الحال للصعلوك فانه انتظم فى سلك الملوك وعومل كمعاملتهم وصار يتعهد بالمسائل الخطيرة والحكم بها فكان فيروزشاه يدربه ويدبره ويريه أبواب الحق وقد علم انه لا يحسن السياسة إلا بالتعلم والتأنى فكان ملازما إياه فى كل أوقاته وميمون وحمدون أخوه أقاما بين يديه ريثما استقر حال الجزيرة وهدا بال فيروز شاه نوعا ثم نهض وطلب الى الأميرين ان يذهبا معه ومع فرحوزاد والصعلوك الى العاصمة وهى جزيرة الطيور بحيث طبع ويقام الصعلوك فيها ويروق الحال ويذهب من هناك الى تعراء اليمن ليرى ما هو حاصل فاجابه الجميع الى طلبه ونزلوا الى المركب وساروا فيه حتى انتهوا إلى المكان الذى يقصدونه فنزلوا من المركب وصعدوا الى البر وكان فى المدينة أميران

آخران ممن كان يركن اليهم هوربك وهما طيل وطيلا فلما علموا قدوم المركب تقدما إلى الشاطىء لملاقاة فيروز شاه ومن معه وكانا قد علما بقتل هوربك فلم يعصيا ولا خالفا بل قبلا ان يطيعا وقد وقع الرعب فى قلوب الروح وخافوا ان تمردوا يهلكون ولم يروا أوفق من الطاعة والتسليم والانقياد فسلم طيل وطيلا على فيروز شاه وقد ما اليه طاعتهما وساروا أمامه وكان يسير وإلى جانبه الصعلوك والأهالى ينادى أمامهما لا ملك إلا فيروز شاه ابن الملك ضاراب صاحب السيف والعلم ولا دين إلا دين الله خالق الليل والنهار فكانت الناس تتقدم أفواجا للسلام عليه إلى ان دخل الديوان وجلس إلى جانبه الصعلوك فى مكان هوربك وكان كلما جاءه أحد من الاعيان والأمراء يقول لهم ان الصعلوك هو الحاكم والمالك من قبلي على هذه البلاد فيجب على كل منكم ان يقدم له الطاعة ويخدمه كملك لانه عمل معروفا كبيرا ولولاه لكنا فى مصاف الأموات فحياتنا هى له إذ سخره الله لذلك فكان كلهم يحنون سؤاله ويبايعونه حتى راق البال ولم يعد مانع فى وجه الصعلوك ودام فيروز شاه على ذلك نحو خمسة أيام

قال وفى ليلة اليوم السادس تذكر محبوبته عين الحياة وبعده عنها كل هذه المدة دون أن يصله خبر منها ولم يعلم بصالها خبر فهاج به لاعج الشوق وتمنى ان يطير إلى تلك البلاد ليراها ويبل شوقه من النظر اليها فلم ينم بل بقي ساهرا يردد أقوال الشعراء وينشد مما قيل

بأى وشيك وانطلاق ... وعليك شوق واحتراق
الموت عندى والفرا ... ق كلاهما لا يطاق
يتعاونان على النفو ... س فذا الحمام وذا السياق

وكانت حاله

زفرات مقلقات ... أسعدتها العبرات
وعويل من غليل ... أضرمته الحسرات
ونحيب ووجيب ... ودموع مسبلات
وتباريح اشتياق ... وهموم طارقات
وفؤاد مستهام ... جرحته الوجنات

ودام كل تلك الليلة يتقلب شوقا إلى عين الحياة ويتمرمر من فراق أبيه وأمه وكيف فارقهما دون ان يودعاه ولا نظراه وماذا يا ترى جرى عليهما وهل لا يزالان فى الحياة أم قضى على احد منهما وكانت المصائب قد زادت فى قلبه الرقة والحنو وعلمته ما كان من وجوب حب الوالدين لانه لم يذق طعم الفراق قبل ذلك ولا عرف أن

بعده عن والديه يكدرهما ويقلقهما إلى أن ذاقه ووقع فيه وما أشرقت شمس ذلك اليوم الثاني الا وهو فى اضطراب لا مزيد عليه وقد تسلى نوعا عند فكره انه يسافر فى ذلك النهار وبأيام قليلة يدخل أرض الأحباب وهو مطلوق السراح فيفعل كل مايروق بعينيه ويتمتع بابيه وأمه ويتروح بعين الحياة وأخبر بذلك فرخورزاد فقال له إن ما تذكره قد خطر لى وإنى ما أيضا أتمنى العود إلى الديار لأن فراقى كمر ادك ولو شئتي كلوعتك فارغب فى أن تقضى غرضك ليقضى غرضى فيما بعد قال فليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم إنهما دخلا الديوان وأتى الصعلوك وميمون وحمدون وطيل وطيلا وحاسن كل فى مركزه وبعد ذلك قال فيروزشاه الآن قد استقر الحال وبات الأمن شاملا ولم يعد من خوف على وقوع الفوضى أو القيام على الملك الجديد ولذلك أريد أن أذهب إلى بلاد اليمن واصحب معى ميمونا وخمسة وعشرين ألفا من عساكر هذه البلاد وأريد أن تكونوا على استعداد للرحيل فى الغد فقال ميمون سمعا وطاعة فانى لا أريد أن أفارقك أرغب أن أبقى فى حياتى كاهلى ركابك وأما الصعلوك فحزن له عند سماعه هذا الكلام وتقدم إلى فيروزشاه وبكى بين يديه فقال له لم ذلك قال أخاف من ان تذهب فيقوم إلى الناس وتكون بادئتى بالفتح فدبر لى طريقة تحفظ حياتى قال لا بأس عليك فانى أجمع لك السلاح من المدينة وأضعه تحت أمرك ولو طال على فى ذلك المطال وتأخرت أياما ثم أناط ميمونا بهذه الخدمة وسأله السرعة وكان يشهد فيه الامانة وقد بين له الامتحان أنه مطيع له وتأكد ذلك من حين كانوا فى اليمن وقد عول فيروزشاه على قتل شمعه تأخرا فى أجله لئلا يسهل له الخلاص فأجاب ميمون هذا الطلب وصرف أياما بمزيد الهمة والنشاط فى جمع السلاح حتى لم يبق فى المدينة جارحة ووكل القواد بخدمة الصعلوك وحلفهم الأقسام المعروفة أن لا يخالفوا عليه فامنهم الامن وعدهم بدوام الطاعة فاطمأن خاطر الملك الجديد وبات بارتياح إلى زيادة الأمن وصبر إلى أن تأكد اهتمام فيروزشاه إلى السفر فوقع فى الهم والتنكد ودنا منه ووقع على أيديه وقال له قد تممت لى كل شيء ياسيدى ولم يبق فالتمس إلا حاجة واحدة وأريد منك أن تقضيها لى فيكون بذلك قد وفيت حق المعروف فقال له فيروزشاه وما هى الحاجة وأى شيء تطلب بعد أن أحالك الجميع إلى الخضوع وبت فى حالة تمهم وربعد عاش لم يسبق لك ولا لاميرك أن رآها بدون حد ولا تعب وان كنت تخاف من أحد فاظهره بكل سرعة فانى على مقابلى الجرخهة أنى وبلادى قال اعلم ياسيدى أنك قد أوليتنى من الجميل فوق ما كنت أعهد منك إلا أنه لا شك أن هذه النعمة تحتاج إلى عروس وإنى أريد أن أتزوج فكيف يطيب لى فرح أو كيف يعقد لى زواج على بنت وأنت بعيد عنى لا تحضر

فرحى ولا تلفت اليه وتهتم به فاما أن تتمم لى غايتى واما أن تبرع عن هذه النعمة التى أوليتنيها قال إنى لا أكره أن أحضر لك فرحا وأزوجك على أى بنت شئت فاختر لنفسك واحدة وعجل بقيام العرس فسكت فرخورزاد من هذا الكلام وقال وأى حاجة لنا بالعرس فيمكن الصعلوك أن يتزوج بدون أن نكون نحن لأن وراءنا من الأعمال ما يستدعى سرعة عودنا إلى بلادنا فقد كفانا ما عملناه فى هذه الديار قال فيروزشاه لا بأس فان الصعلوك قد خلصنا من السجن ولولاه لكنا من جملة الأموات فلا بد من أن نبقى عملا معه على حسب ما يختار ثم التفت اليه وقال له وقد فهمت العروس قال اعلم يا سيدى أنى قد كنت فى وظيفة سجان وكانت عينى تطمح إلى سلكوتا بنت الملك هورنك وأشتهيها إلا أنى كنت لا أحسر أن أذكر مثل هذا الأمر خوفا من الاعدام والانتقام أنها هى قصرت على حكم الزمان وكان هواها يمنع تداول الأيام الى أن وقعتما فى السجن ووعدتمانى ان أطلقت لكما السراح فلان الملك وقيامى مكانه ففرحت وخاطرت بنفسى وقلت ان كان ذلك صحيحا أكون قد بلغت الارب وحصلت على المطلوب وإن لم تقدرا على القيام بوعدكما وعرف الملك بذلك وقتلنى أكون قد تخلصت من شر وعذاب هواها وقد قيل إن القلب الضعيف لا يحصل على الطريف وحيث الآن قد وصلت إلى الدرجة المقاربة لها وصار بيدى زمام أمرها وأمر البلاد فصرت على ما أظن اقدر أن أصل اليها وبانى أكون بعلا لها فألتمس اليك أن تزوجنى بها لأنك إن ذهبت عنا ربما لا يعود فى الإمكان التزوج بها لأن والدتها صاحبة مكر ودهاء فتمنعها عنى ولا اوفق فى عمرى أن تزوجها لمن اغتصب منها الملك وسهل طريق قتل زوجها أو ربما طلبت إلى أن أترك لها الأحكام مقابلة لزواجها بى فانى ألتزم إذ ذاك أن أجيبها لأن حب سلكوتا أفضل لدى من حب السلطة . قال فيروزشاه كن براحة فلا اذهب من هذه البلاد قبل أن أزوجك على من أحببتها وهويتها وتمنيتها ولا أريد أن يبقى بقلبك غصة من هواها وانى أجهد النفس فى مساعدة كل عاشق عسى يساعدنى من رمانى بحب عين الحياة وهو الاله الحى

وبعد ذلك قال فيروزشاه أريد منك يا ميمون أن تذهب إلى الملكة شيطانة تخبرها بالخبر وتأتى بها وبابنتها إلى الديوان لنعقد خطبتها على الصعلوك ونزفها عليه قبل سفرنا فسار ميمون على عجل إلى بيت هورنك وأحضر زوجته وبنته إلى بين أيدى فيروزشاه فقال لها اعلمنا انى لم أكن المتعدى على الملك هورنك وما قتلت هولنك الا بعد ما قصد أن يزوج بعين الحياة حبيبتى ولولا ذلك لما باديته بشر ولما قصد أبوه قتلى منعه إلهى القادر على كل شيء وسهل لى الخلاص لانتقم منه والآن حيث قد قضى الأمر ولم يعد من وسيلة لرد الماضى فقد فكرت أن أزف سلكوتا على الصعلوك

وذلك لما رأيت أنه وارث الملك فيروزك وان الملك يبقى بيدكم ونسلكم من بعدكم مستقيم حال الرعية وبقى العائلة المالكة هى نفسها وإلا لو زوجت الصعلوك باحدى بنات البلاط لحط قدركم وأبعدكم وبدثر عائلكم وعليه فانى أريد من كل منكما أن تبعنا بالاجابة ليصير الاسراع بزواج الصعلوك وعمل زفافه قبل رحيلى ولما سمعت الملكة شيطانة هذا الكلام أطرقت إلى الأرض تفكر فى هذا الأمر ولما وجدت أنه لا نتيجة لبنتها عن الزواج والأخرى بها أن تزوج بمن هو مالك البلاد لينها يأتيها الله بالفرج أنهضت رأسها وقالت إنى لا أخل بشئ عليه فيروزما وفينا ولا نريد أن نخالف لك أمرا فافعل ما تشاء كذلك سلكوتا فانها أجابت بالقبول وكانت تميل إلى الصعلوك وترغب فى الزواج فلم يصدق أن يسمع بمثل هذا الكلام حتى كاد يطير من الفرح وكان فيروزشاه قد نظر إلى وجه سلكوتا المسود جدا فوجده من أقبح الوجوه بأعين صغيرة مدورة تكاد تكون كأعين الهررة وشعر اصفر مشبك بعضه وجبين مقعر وانف أفطس وفم كبير شفاف ضخمة حشنة حمراء قانية وقامة قصيرة تكاد لا تجاوز الذراع فعجب لهذه الحالة وكيف أن الصعلوك يدعى هواها وحبها وهى على ما هى عليه مع أنه وإن كان أسود الوجه فهو كامل التقاطيع ليس فيه شيء مكروه [وقد صدق قول المثل القرد فى عين أمه غزال

وأخذ الاهتمام بالعرس فاجتمع كامل القواد والأمراء وزينت المدينة بالأنوار ورفعت الأعلام على الأسوار وصفت وجوه الرعية بصياغ الفرح وقد شاهدوا من أعمال فيروزشاه وتدبيره ما يبهج العقول ويسر الخواطر ويرضى النواظر لأنه كان يقوم بنفسه بالأعمال ويهش ويبش بوجه الكبير والصغير بما أوجده الله فيه من لطافة الذات والطلاقة ودامت الحال أياما متوالية والصعلوك فى مسرة وحبور إلى أن دنا يوم الزفاف فأعد وليمة فاخرة لجميع المدعوين طيبة المأكل وأتى بالعروس فعقد له عليها بحضور فيروزشاه وفرخوزاد وقد كتبا العقد بيدهما وأشهدا الحضور ثم سأل فيروزشاه الملكة شيطانة وابنتها سلكوتا أن يكونا على دين الصعلوك وهو الدين الجديد الذى نشره بينهم فوعدتاه بذلك ودام الفرح إلى أن مضى قسم من الليل وانصرف الجمع واجتمع الصعلوك بعروسه وصرف معها وأباها لم تشبه كدر ونال منها جل ما كان يتمنى من حال وقوعه بحبها

وافت وثوب الليل اسدل ستره	حتى غدا كالثـــوب للعريان
فضممتها ورشفت برد الثغر كى	اطفى بذلك حرقة الأشجان
بتنا على رغم الحسود بغبطة	وبفـــرحة ومسرة وامان
حتى دنا الفجر المنير فراعى	شيب برأس الليل يحوى دان
قامت وقد الوت لتحوى جيدها	خوف الوى والقلب فى خفقان

سقيا لها من ليـــلة قضيتها في طيب عيش والسرور مداني

وصرف الصعلوك بقية ليله مع زوجته وفي الصباح خرج إلى الديوان فجلس وجلس فيروزشاه إلى جانبه بعد أن بارك له ووفدت بعد ذلك الأعيان أفواجا تبارك له فكان المكان يزدحم كل الوقت بالوفود وكلهم يرجع مسرورا فرحا بما يلقاه من معاملة فيروزشاه لأن عموم العقلاء من السودان أحبوه واعجبوا من إجراءاته لانه امر بالمساواة بين الرفيع والوضيع وعلم المجالس تتبع خطة العدل ووضع القوانين الصارمة على كل ظالم مستبد وبعد ان انقضت مدة الأفراح دعا فيروزشاه اليه الصعلوك وقال له اعلم انه صار من الواجب على العود إلى بلاد اليمن لأن لي هناك قمر يتجلى عليها وهو محجوب عني وعيني وقلبي في شوق اليه ولولاك لما صبرت دقيقة بعد خلاصنا عن السير إلى تلك الجهات وأؤكد لك عند ما كنت انت في فرح كنت في الم شديد من جرى طول بعادي ولا احب ان انكث معك عهدا او اخلف قولا وها الآن قد صفا لك الجو وطاب الوقت ولم يعد من مانع في طريق راحتي فأوصيك ان تحكم العدل وتحافظ على وصايا الله تعالى وتتبع الخطة التي وضعتها لك لتجري عليها بعد رحيلي لأني قطعت على نفسي ان اسافر في الغد فأبارح هذه الديار وإن شاء الله ووجدت لزوما اعود اليك بعد لأني ساصحب معي الامراء الخمسة وخمسة وعشرين الفا من جيوشك ليحاربوا معي على أسوار اليمن او في جهات اخرى من العالم ربما تقودني اليها الضرورة فلما سمع الصعلوك كلامه بكى وقال له قد عملت معي ياسيدي معروفا فارجوك ان تتممه وحيث قد ملكتني على هذه البلاد فارجوك ان تمهد لي سبل البقاء وتقلع لي كل عثرة مخيفة فقال وما هي العثرة وممن تخاف ان يحضر على مقاومتك وقد عرف الجميع بأسي وما فيهم قط عاص قال اعلم ياسيدي ان الملك هورنك الذي قتلته اخ له ولدان يقال لاحدهما قطران شاه وللآخر إيران شاه وهما يحكمان بالجزيرة البيضاء وكان احدهما قطران شاه يحب بنت عمه سابكورتاو وطلب الى ابيها عمه ان يزوجه بها فاجابه ووعده ولا بد بعد رحيلك عنا ان يعلم قطران شاه واخوه بأن عمهما قد قتل وان بنته قد تزوجت فيحشدان الجيوش ويأتيان إلي وليس لي قدرة على مقاومتهما فيقتلاني ويقلعان اثاري ويأخذان زوجتي ويملكان بلادي فيكون بذلك قد كافأني عوضا عن إطلاقك من السجن ورد حياتك الي الملك بالموت والخراب وتكون البلاد التي وعدتني ان اكون فيها تحت حماك تكون لغيري فان شئت فاقلع هذا السبب الذي اخافه ومن بعد فلا شيء اخافه ولا عدو اهابه فنظر فيروزشاه إلى الارض وقد تأكد ان رحيله لا يكون إلا بعد انقطاع نفسا وازهاق روحه لانه عرف ان من الواجب عليه قياما بوعده ان يجيب طلب الصعلوك

ويذهب الى الجزيرة البيضاء لكبح قطران شاه واخيه واما فرخوراد فقد زادت عليه الاكدار وحقق قلبه وشعر بوقوع مصيبة جديدة وقال للصعلوك ان بلادك حصينة فيمكنك ان تدافع عنها مع اعدائك اذا جاءوا اليك ومن ثم ترسل لنا خبرا فنعود اليك وننتقم لك من الاعداء اذلم يعد فى وسعنا ان نقيم اكثر مما قمنا فقال فيروزشاه لا بل يجب ان نسير الى الجزيرة البيضاء ونعرض سلطه الصعلوك على ابنى عم سلكوتا فان انعما واجابا وعدنا الله تركناهما والا قتلناهما واقمنا غيرهما مكانهما وكيف نترك الرجل تحت ظل الخطر ونتخلى عنه وقد وعدناه بكل ما نطلبه منا وكل ذلك فال فى حسب معروفه معنا فانما نحن لا يصح معنا الجميل فلا عاد يمكننا الرجوع الا بعد ارتياح باله واطمئنانه قال انى اشعر بوقوع خطر جديد اشد من كل الاخطار التى وقعنا بها فان لا خطر علينا من احد ونسير فيما ناندينا والجيوش ستكون معنا فنقضى الحاجة ونعود بسرعة واى خطر نخافه واتكالنا على الله فهو وكيل امورنا ومدبر احوالنا فمهما شاء فعل

فافحم هذا القول فرخوراد فسكت على مضض وأججت فيه نار الكدر ولم يعد يعرف ماذا يجب عليه ان يفعل وعجب من طول اناة فيروزشاه وكرامه خلقه وصدق طويته واما فيروزشاه فقدامر الامير ميمون ان يكون فى الغد على استعداد وان ينادى الجيوش ان فى نيته ان يذهب الى الجزيرة البيضاء فاطاع لامره وذهب فيروزشاه وهو متعجب من فعل الزمان وعناده وكيف كلما خطر له السير الى اليمن تعانده الصدف فتلقى على عاتقه احمالا تبعده عن الوصول الى حبيبته ومن عندها فلبه وقد فلبه هذه الافكار على جمره الهموم وفكر ماذا يا ترى تقول عنه عين الحياة إذا عرفت انه تخلص وأقام أياما ليست بقليلة يقضاء غير مهام لا تفكر فيها ولا تسرع اليها وربما تكون فى حاجة اليه أو يحاطة بضيقة أو أضناها فراقه فباتت مريضة لا يأخذها سلو ولا ينعم لها بال فاطربت هذه التذكرات قلبه فلم يتعزبة الا بأشدة الاشعار

النصل دون لحاظ الاعين السود	والسمر دون قدود الخرد الغيد
والحرب أحلى لصب فى مفاصله	تجرى الصبابة جرى الماء فى العود
من لى بعين غدت بالغنج ناعسة	احفانها وكانت جفنى تسهيد
وماء وجه غدا بالنور مقتدرا	كان فى كل خد نار اخدود
انا المحب الذى اهل الهوى نقلوا	عنى فاصطبحوا بالعشق تقليدى
من اين للعشق مثلى فى تشرعه	ومن يشيد دين الحب تشييدى
لله ليلة انس قلت اذ ذكرت	يا ليلة الوصل من ذات اللمى عودى
امسى بها وعيون الغير شاخصة	نحوى وحصنى دون الصمر القود

مكاني فوق إمكاني ومقدرتي — من دون قدري وجودي فوق موجودي
وما رجاني امرؤ إلا بدأت له — جوداً عن الشكر أو شكرا عن الجود
لا أوحش الله من قوم مكارمهم — وفضل جودهم كالطوق في جيدي
ما عشت لا أتعاطى غير حبهم — وهل سمعتم بشرك بعد توحيدي

وصرف فيروز شاه ليلة فراق لا يعلم صعبها وشدتها إلا من كان مضنى كئيب وجد لم يمض عليه مع محبوبته يوم هناء يذكر أو صرف معها وقتا خلا من تحسسات الحوادث وما أقاما إلا ثلاث ليال مع بعضهما وهما أشبه باللصوص ويطمعان بأن يسرقا لذة الهناء القليلة وقلبهما يخاف من عين الرقيب وغدر البعد ويؤكدان أن لابد من غصاص الفراق إذ أنهما ليسا بأمان من صاحب البيت

وفي الصباح خرج فيروز شاه وقد تقلد بسلاحه وأمر أن يعرض عليه الجيوش فعرضت وكان إلى جانبه فرخزاد وميمون وحمدون وطل وطيلا وفي الحال أمر أن يدخل العساكر المراكب فنزلت ونزل هو في مركب أعد له وسارت العمارات تمخر البحر قاصدة الجزيرة البيضاء وهي مكان قطران شاه وايران شاه ولا زالت في سيرها حتى رست على الجزيرة البيضاء فأمر فيروز شاه بإخراج العساكر إلى البر فخرجت بأقل من ست ساعات وأقاموا بالقرب من المدينة وكانت محصنة ذات أسوار منيعة وحصون عالية وبعد أن تم اجتماعهم على الشاطيء كتب فيروز شاه كتابا إلى قطران شاه وأخيه يخبرهما فيه بما كان منه وكيف قتل هوربك وأقام الصعلوك عوضا منه وفي ختامه أمرهما بالطاعة والانقياد إليه وأن يعبدا الله سبحانه وتعالى فينالهما خيره ويكونان بأمان من سيفه وبعث الكتاب مع رجل من الزنوج فسار به حتى دخل على قطران شاه وأخيه وهما في ديوانهما وكان قد بلغهما خبر نزول العساكر على شواطيء الجزيرة دون أن يعلما لذلك سببا وقد عقدا مجلسا وفي نيتهما أن يبعثا من يفحص عن ذلك وفي الوقت نفسه دخل رسول فيروز شاه يحمل منه الكتاب فدفعه إلى قطران شاه فقرأه علنا وعند سماعه ما تضمنه من التهديد ومن قتل عمهما وقيام الصعلوك ملكا وترويجه بنت عمه أرغى وأزبد وكفر وشتم الرسول وطرده وقال له اذهب إلى هذا الأبيض القصير وقل له أن لا جواب له عندنا وفي الغد نبادره بالقتال ونخرج إليه الرجال وإنا نعاقبه على ما له فقبحه الله وقبح طائفة الزنوج الذين تركوا دينهم وباعوا بلادهم بهذا الدخيل المغرور أما كان فيهم من يقصر عمره ويعدمه الحياة فرجع الرسول منهانا وهو لا يصدق بالنجاة ودخل على فيروز شاه وأعاد عليه ما سمعه حرفا بحرف فقال لابد إن شاء الله من الغداة له وأول أخذا وأقيم حاكما على الجزيرة غيرهما هذا إذا خرجا إلى حربنا وإن حاصرا

داخل المدينة ولم يخرجا لا بد لى من هدم هذه الحصون وفتح المدينة عنوة واجراء العدل وبث الأمن فى هذه الجزيرة وقد أصابا فى عدم طاعتهما فانى أرغب فى أن اقلع جرثومة الشر من هذه البلاد وأجرد عنها العائلة الفدعه العاتية الظالمة

وبات تلك الليلة ينتظر صباح اليوم التالى إلى أن دنا يبعث على الجزيرة أشعة نوره مصحوبة بنسمات حارة فهبت الجيوش من مراقدها وأسرعت إلى تناول سلاحها وعلت ظهور خيلها وذلك عند ما شاهدت عساكر المدينة قد خرجت تحت امرة أميريها المقدم ذكرهما وكان عددها نحو عشرة آلاف نفس ما بين فارس وماش وما لبثت أن ترتبت العساكر حتى فاجئت بعضها بالقتال فتبادرت من كل جهه ومكان وقام سوق الحرب والطعان يسوق للجاهل الجبان المذلة والهوان ويلبس الفارس الكرار حلة الشرف والافتخار وكان قطران شاه وأخوه ايران شاه يطلبان أنهما يحرزان النصر ويعدان العدو بالذل والقهر لما يعهدان فى عسكرهما من الثبات فى القتال وهيامهما فى التمرن فى ميادين النزال وكان مؤكد لديهما أن عساكر الزنوج تعرف فيهما ذلك فلا تثبت فى حسب الهلاك فتعوق عن المدينة وترمى نفسها إلى البحر ولا نطمع عندها قط بالنصر إلى أن شاهد قتال فيروز شاه عروس الميادين وعلة فجر المتحربين وكعبة رجعه الفارس وملجىء لكل لائذ أمين وابقنا بالهلاك وسوء الارتباك لأنه ما قصد فئة الا وبددها ولا فاجأ جماعة الا وشردها وكان قصده ان لايذهب النهار الا وهو داخل الأسوار غير أن قطران شاه نظر بعين الخبير فى هذا الأمر الخطير فلم ير أوفق من الرجوع الى المدينة وقفل الأبواب فصاح ونادى بالعساكر فاندفعت وراءه وهى لا تصدق بالنجاة لأنها نظرت الموت عيانا وترجح عندها الهلاك والقلقان ولما رأى فيروز شاه ذلك أمر العساكر أن تزدحم عند ابواب المدينة فلا تتمكن العدو من قفلها وجعلت عساكر الصعلوك تضرب فى اقفيتهم حتى هلكت منهم قسما ودخل قسم منهم وبعد ذلك قفلت الأبواب فتكدر فيروز شاه وقال كان فى نيتى أن ادخل البلد فى هذا النهار ولكن لا بد لى ان شاء ربى فى الغد ان اقتلع هذه الأبراج الحصينة واقتل هذين الكافرين الجاهلين اللذين لا يعرفان الخير من الشر وقد قصدا هلاك عباد الله

وبات فيروز شاه تلك الليلة وهو على مقالى النار يعض على أصابعه كيف لم يتمكن من الدخول الى البلد فى ذلك النهار الا أنه يرجح فى عقلة انه لا بد من فتح المدينة فى الغد او بعد الغد وما صدق ان اشرقت شمس اليوم التالى حتى زحف بمن معه على أسوار المدينة فدفعتهم جيوش المدينة من على الأسوار أى مدافعة وقام الحرب على ساق وقدم تعلن عسير النفوس الى العدم وتراسلت رسل النبال متسابقة الى

قعص الآحال فاحترقت الصدور واراقت الدماء كالبحور وكان فيروز شاه يدور حول العساكر ويحرضهم على تسلق الأسوار ودخول المدينة قبل زوال النهار وما مالت الشمس نحو المغرب الا وقد قعص فيروز شاه على حصنين من حصون المدينة فاقام عليها الجيش ورجع الى ما بين مقدميه وابطاله وقد ثبت لديه انه فى صباح اليوم الثانى يقبض على قطران شاه وايران شاه ويقيم حاكما على المدينة ويرجع بتمام السرعة وبات يتحادث مع فرخزاد وهما فرحين بنجاح المسعى ويعدان نفسيهما بالرجوع حالا الى الديار ومشاهدة الأحباب والاقارب

وأما قطران شاه واخوته فانهما بعد ان تيقنا ذهاب المدينة من ايديهما ووقوعها فى أيدى أعدائها اجتمعا ببعضهما وتشاورا فى ماذا يعملان فقال احدهما وهو قطران شاه الى اخيه ها ان المدينة قد قاربت السقوط وعما قليل تقع فى ايدى المحاصر فالى متى هذا التقاعد فاذهب الآن الى امك الصمراء واخبرها بكل ما وقع علينا وما هو حاصل وما هو آتى وتخلصنا من ايدى الأعداء والاان صبرنا يوما آخر هلكنا قال صدقت فلا بد من المسير اليها ثم خرج من المدينة من الجهة الثانية ونزل فى قارب له وسار الى جزيرة الساحرة صمراء قال صاحب الحديث وكانت هذه الساحرة من امكر السحراء وادهاهم اذا عمدت الى الحيل نقلته من مكانه او تعلت فى البحر خفت ودهب ماؤه لا يغيب عنها من ابواب السحر باب الا وعرفته ولا خفى عليها علم من هذه العلوم الا درسته وبرعت حتى خافتها كل اهل ملك الاقاليم فاطاعوها وانقادوا اليها فكانت مبجلة معظمة عند الجميع من ابناء جنسها وهى غاية طالمة كافرة بدين الحق سبحانه وتعالى سرها هلاك النفوس واراقة الدماء وكانت قد اتخذت لها جزيرة بالقرب من جزيرة الصمراء واقامت فيها وبنت لها قصرا جميلا وزرعت فى تلك الجزيرة من جميع انواع الفاكهة الموجودة فى الدنيا فكانت لا تخلو من الأثمار الطيبة وروائحة الازهار الذكية ولم يكن عندها احد قط ولا ترغب فى ان يقيم عندها احد وقد تعودت قطران شاه واخوه ايران شاه لما شاهدت فيهما من الطاعة لها والانقياد اليها وانهما فاتنان تحت حمايتها

ولما وصل اليها ايران شاه وقف بين يديها وسجد لها ثم قبل قدميها وندم وانهمر الدمع من عينيه يعلن ذله وانكساره فلما رأته على تلك الحالة قالت له ما أتت عليه يا ولدى قال ان عدونا قبل عمره وسد على بلاده واقام مكانه احد خدمه وهو صعلوك السحان رئيس السحر فى جزيرة طي وما كفاه ذلك بل روحته بنت عم ساكون وكان فى نيتى ان اتخذها لى زوجة وعدا عما بهدم طرق بلادنا مع ... وجنود وخيل وطيلا وحاربنا حتى كاد يدخل المدينة وقد استفحل امره وطغى ولم يكن فى وسعنا ان نقاومه لانه من الأبطال الصناديد واكثر خوفنا على الدين لانه حرم عبادة الاصنام

وأبطال الآلهة ونشر فى البلاد دينا لم نكن نسمعه قبل الآن وهذا العدو يقال له فيروز شاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد ايران فلما سمعت صفراء الساحرة قامت وقعدت وأرغت وأزبدت وقالت أهكذا يصير بقومى وفى جوارى وأنا متقاعدة لا أسأل عن تعدى الطغاة تاركة أبنية عن البحث فى مثل هذه الأمور لعلمى أنه لا يجسر أحد أن يتعدى جوارى وأما هذا فيروز شاه فانى أعلم عنه أنه رجل سعيد الطالع موفق الأعمال وبطل لا كالأبطال وفارس لا كالفرسان ليس له ثان فى هذا الزمان انما لا بدلى من هلاكه وقصف عمره فى زهرة شبابه وادعه ان يسأل إلهه ليخلصه من سحرى وينجيه من هلاكه وموته فارجع أنت على عجل فى هذه الليلة وخاربه بثبات وعزيمة واخرج كل عساكر المدينة إلى الخارج ليشاهدوا ذل هذا الكلب وأسره فلما سمع كلامها كاد يطير من الفرح وبقى بالنجاح العظيم والفوز على خصمه ثم قفل راجعا الى قاربه حتى صعد الجزيرة ودخل على أخيه فى المدينة واطلعه على ما قالته له الصفراء فعلته المسرة وفرح الفرح الزائد وما صدق أن لاح وجه الصباح ففتح أبواب المدينة وخرج بمن بقى فيها من العساكر وجماعة الأهالى فاستيقظ فيروز شاه صباحا فوجد العساكر تخرج من الأبواب فتعجل باله وجهل السبب وقد ظن فى البداية أنهم جاءوا يعرضون طاعتهم إلى أن تبين له أن قصدهم القتال فزاد به العجب وحركة الاشتغال فقال لفرخزاد ما بال قطران شاه وأخوه قد خرجا يطلبان القتال بعد اليأس وقطع الرجاء فلا بد من أنهما قد اشتد ذراعهما بمساعد جديد أو وفدت عليهما الاخبار بقدوم الانصار وعليه فانى عولت أن أفاجئهم من الامام وبانى أنت فيسرتهم فتهجم إلى الامام وتدخل من ورائهم إلى المدينة خوفا من اطالة المطال فان الوقت معنا قصير ولا يسعنا إلا السرعة فى القتال فاجابه الى ما طلب وركب فيروز شاه وركبت من عن يمينه وشماله الابطال وهم يقصدون الحملة على الاعداء فحمل وحملت من جانبه رجاله والتقى العسكران فى ساحة الميدان وهما بين ضرب سيف وغمد وتفكيك دروع وزرود وتقاطع بالايادى وتماسك بالعدد وفى وقت قليل تقدم جيش المدينة وعول على الانهزام فارجعه قطران شاه بصياحه وندائه وهو يقول لهم ويلكم أيها الفرسان اثبتوا نحو ساعة من الزمان فتنالون النصر وتحل بعدوكم الذل والقهر فسمع فيروز شاه نداءه فاندفع اليه وناجاه وتحاول معه محاولة الابطال وتبارز وإياه أشد نزال حتى أتعبه وأكربه وكاد ينزل به الهلاك والا صوت من كبد السماء وقائل يقول ويلك يا فيروز شاه قد جاءك الويل وحل بك الحال استعد فقد آن أوان الفراق فارتعب من هذا الصوت قاربت اجتمع ... وا إليها دوق ... الساحرة صفراء قد ... [illegible]

كل عين وكذلك فيروز شاه فانه عند ما سمع نداها دفع خصمه ومال إلى جهة أخرى ينظر فى الساقط من الجو حتى صارت أمامه ونظر قباحة منظرها وسوء هيئتها فعلم أنها ساحرة واراد أن يبادرها بضربة حسام تلقيها إلى الأرض مائتة قبل أن تدنو منه أو تصيبه بأذية إلا أنه ما رفع يده حتى جمدت ثم انحل قواه وخارت عزائمه وكانت الملعونة قد ألقت عليه باب سحر من كهانتها فقيدته بالهواء حتى لم يعد يقدر على حراك يديه ثم قدمت إليه بأسرع من لمح البصر فقبضت على درعه وجذبته إلى داخل السرير وأمرت السرير ان يركب الريح ويعود بها إلى جزيرتها فصعد يندرج سلم الهواء بأسرع من مسير الطير وسارت بفيروز شاه وتلك الجزائر طورى وقد رجفت قلوبها وانحلت أعصابها ونزل عليها الخبال وبأسرع من خطو الطير هبطت على قصرها فدخلته وأدخلت فيروز شاه إليه وجردته من سلاحه ونزعت عنه ثيابه والبسته ثيابا خشنة ثم أخذت شعرة من راسها فقرأت عليها وربطتها فى رجله فشعر أنه قد تقيد من اثقل القيود لا يقدر على حمله كأنها ربطت فى رجله نحوا من عشرين قنطار أو أكثر واتت بنحاسات من الحديد فوضعتها فى عنقه فاصبح لا يقدر على الحراك فتركته واقفا فى مكانه وقالت له ابق هنا تقاسى عذاب الهوان إلى أن يجىء يوم هلاكك وموتك وقفلت عليه الباب وخرجت وهى فى نصر وفرح وهو فى هم وترح يتقلب على نار العذاب والألم ولو لم يكن فيروز شاه أشد الناس بقوة واقدرهم على حمل المصائب واقواهم جلدا وصبرا على ثقل المكاره لما قدر أن يبقى حيا أكثر من ساعتين او ثلاث ساعات إلا انه تجلد وصبر وطلب الفرج من الله وسلم امره إليه وبات فى تلك الحالة الشديدة والساحرة صفراء تزيد فى عذابه وتقلل له من الطعام وفى نيتها أن تميته قهرا وهو واقف فى مكانه كالصنم لا يتحرك

وبعد أن غاب فيروز شاه عن جيش الروح اضطرب ومال إلى الوراء وامسك عن القتال وكذلك جيش جزيرة البضا فانه اقام عند أبواب المدينة وهو فى فرح من جهة فيروز شاه وقد ظن ان الحرب قد تم بفقدانه وكان الليل قريب الاذان فصبر إلى تجديد القتال فى اليوم التالى واما فرخزاد فقد صافت فى وجهه الدنيا واسود الضوء فى عينه وكاد يغيب عن وعيه [illegible] هلاك فيروز شاه بيد تلك الساحرة وصعب عليه فقده [illegible] الحسان [illegible] فى مصاب [illegible] وقال [illegible] وهو [illegible] على ظهر جواده لا [illegible] يحرك وهو [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] فيروز شاه [illegible] لأن فيروز [illegible] [illegible]

وطال وطيلا قد آمنوا بالله حقيقة وأخلصوا الود لفيروز شاه وانهم تكدروا وتكدره من فعل الساحرة وما منهم من يقدر على أن يرد رفقه وأخذ يفكر في إيجاد طريقة يثبت بها العداوة بين الفئتين فمال إلى جهة الحبش ونزل عن جواده وصبر وهو متقلد بسلاحه إلى أن مضى قسم من الليل واسود حالكه وهو يفكر إلى أن تكبس الأعداء بعضهم ويشتعل نار القتال تحت ذلك الظلام فينتشب القتال وتنقطع بعد ذلك المخابرات ولما قرر في فكره هذا العمل نهض إلى جواده فعلاه وانسل إلى جهة الأعداء وهو في يأس وكدر فصاح أصوات الهديد وداس بجواده بطون النيام وأرسل عمده الحديدى إلى صدور الرجال فكانت تهب من مراقدها مرعوبة مدهوشة وتصيح معلنة القتال وهي تظن أن الأعداء كبستهم تحت الظلام إلى أن طرق غوغاء الرجال إذ أن قطران شاه وإيران شاه وجميع عساكر الزنوج فنهضوا بهمة وحمية واستيقظ ميمون وحمدون فسمع أصوات أهالي الجزيرة الصفراء وصهيل خيلهم فخاف من غدرهم فاستعد وأمر رجاله أن تستعد وتلاقي الأعداء ففعلوا ولم يكن إلا نصف ساعة من عمل فرخوزاد حتى التحمت تلك الجيوش بعضها واشتبكت وقام قتالها ودار دولاب نزالها واشتغل كل واحد بالآخر وهو لا يراه ولا يعلم حاله وكان سواد الليل أكبر سبب لاختلاطهم فانسرحوا انسراح الماء واندفقت ينابيع الدماء مدفوعة من محاقن الصدور فلم تعد ترى إلا بروق سيوف ولمعان أسنة وصياح فوارس وأخذ فرخوزاد يطارد فطارده الأسود أملا بالنجاح قبل طلوع النهار ولولاه لانهزمت عساكر الصعلوك لأنها وقعت في اليأس والقنوط وخافت من عودة الساحرة إليها فترميها بالشتات والهلاك إلا أن فرخوزاد كان يصيح بأعلى صوته ويزأر كالأسود مما جعل ميمون وحمدون وطيل وطيلا يثبتون لثباته ويرجون به النصر عوضا عن فيروزشاه رفيقه ودام على تلك الحال وهو في قدام وقتال حتى التقى بقطران شاه وهو يصول على جواده ويجول في ميدانه وينادي بفرسانه أن يهجموا في القتال ويعدهم بالنصر والظفر فصاح به فرخوزاد وحاول معه مقدار نصف ساعة [illegible] ضربه بسيفه فألقاه قتيلا إلى الأرض جثة بلا روح وقد صرخ بصوت جهوري كالرعد [illegible] ولا زال القتال يتسع على الفارسين [illegible] إلى أن ارتفعت شمس النهار وظهر الفوارس أنفسهم على غير انتظام [illegible] وكل يطلب الخلاص وقد سر فرخوزاد [illegible] وعلم أنه لا صلاح بعد ذلك بين الفئتين ولا سيما وقد تأكد عندهم قتل قطران شاه فاشتدت [illegible] الأعداء

ولما رجع فرخوزاد ورجعت عساكر الصعلوك إلى الوراء رجع إيران شاه بحاله إلى أبواب المدينة وعسكر عندها وأمر أن يخرج كل ذكر للدفاع عن الوطن وعدم

بالنجاح وانهم ان لم يطردوا العدو يتملك عليهم فيستبيح أموالهم ويسبى نساءهم ويستعبدهم وعلى ذلك خرج من المدينة كل من يقدر على حمل السلاح من شيوخ وكهول ومراهقين وشبان حتى أرهب الجمع عساكر الصعلوك وخافوا العاقبة وسوء المنقلب فوعدهم فرخوراد بالنصر وقال لهم كونوا على يقين من النصر فان الشجاعة بالثبات ولا يخوفكم كثرة الجموع فان كل واحد منكم إذا اتكل على الله ... الجيوش وانى لاعطيكم برهان من نفسى بانى أوائل ... الله ... تعالى وهذا السيف لا يفل ومالكه لا يغلب وتيقنوا انا سنظهر على الأعداء و... ان يعود الينا فيروزشاه لانا على يقين من عودته الينا وانتصاره على السحرة بمساعدة إلهنا الذى يبطل عمل السحرة بكلمة واحدة فما اجتهدوا في القتال وداوموا على ملاقاة الأعداء إلى أن النصر من الجبار القهار فقوى لكلامه هذا الجيش وعولوا على الثبات وأصبحوا يعلقون به كبير أمل إلى ان يأتيهم فيروزشاه ونزلوا في تلك الساحة ذلك النهار ليأخذوا لانفسهم الراحة وفى صباح اليوم الثانى وقع الحرب بين المتحاربين وحمى وطيسها وثار اشتعالها ودام إلى المساء فرجع الجيشان وقد ترجح عند أهالى جزيرة البيضاء أن لا ثبات لأعدائهم إلا بفرخوراد فجعلوا يترصدونه ليقعوا به ولكن دون جدوى لانه كان أخف من الطير في سرعة الجولان والانتقال من اليمين إلى الشمال أسرع من ريح الشمال ودام الحرب بينهما عدة أيام دون الحصول على بلوغ المرام ولم يثبت وجه النصر لاحد من الجمعين حتى أخذهما الملل والضجر

فهذا كان من هؤلاء وأما ما كان من فيروزشاه وبعد الآن الى حيث تركنا بهروز العيار وهو ابن العول الذى اشرنا أنه فارق عين الحياة وشياعوس بقصد أن يقصد بلاد هو ريك ليخلص مولاه من أسرهم وقد أصحب معه كتابا من عين الحياة وسار إلى جهة البحر يخطف في مشيه ويسرع في جريه ولا زال على تلك الحالة إلى أن أدرك الشاطئ وهو يتمنى أن يكون له أجنحة ليطير بها إلى جزيرة الطيور ولما وصل إلى الشاطئ لم يجد سبيلا لركوب البحر والمسير فيه لانه لم ير مركبا ولا زورقا ولا ما يوصله إلى مكان قصده فتكدر جدا وخاب من اختلاط مسعاه ولا قدرة له على الوصول إلى خلاص سيده إلا بركوب البحر فكان لا يرى بدا من الصبر عند الشاطئ ولو أياما طويلة أملا أن تأتى سفينة من السفن إلى تلك النواحى فيسير معها فجلس عند البحر وأخرج من جرابه ... الأكل فأكل ثم أخرج معين لباسه وبدل زيه بزى مجهول ونام تلك الليلة وبكر صباح اليوم الثانى فنظر إلى البحر فبين له زورقا على بعد يسير متمهلا وكأن البحر راكدا صاف فاحد مدبلا ولاح به كثيرا فرآه الذى داخل الزورق فدار مقدمته لجهته ففرح لما رأى ذلك ورأى أن له وجه النجاح

ولم يكن إلا ساعة حتى قرب الزورق الى الشاطىء وكان فيه ١٢ رجلا من صيادي السمك ومعهم شيئا من السمك فلما رأوه سألوه عن حاله فقال لهم اني كنت في مركب سائر فنزلت إلى البر مع رفاقي وأحدنا يمرح ويلعب فاترسعت في البر للفرجة وعاد رفاقي دون أن يعلموا بي وسافروا ولم يكن يخطر لي أنهم ينسوني ولا يفكرون بي ولما عدت ووجدتهم قد سافروا أيقنت بالهلاك إذا لم يأتي من يوصلني إلى جزيرة الطيور لاننا كنا سائرين اليها نحمل بضائع من بلادنا فأرجوكم يا أسيادي أن تأخذوني معكم حتى أصل إلى رفاقي ولا تقرون بها ولكم الفضل علي واني متى وصلت إلى جماعتي حملت لكم الدراهم أجرة حملكم فجروا اليه وأدخلوه الزورق واقلعوا قاصدين به بلادهم إلا أنهم ما بعدوا عن البر إلا قليلا حتى هاج البحر واضطرب وأرعد وأرعد واختلط بعضه وعصفت الريح قوية بما كاد يذهب بالزورق إلى الاعماق وقد أخاف أهله جدا وجعلوا يقذفون بكل قوتهم والأرياح تعاكسهم والتيار يطير بهم إلى غير جهة هذا وبهرور في المؤخرة يطلب إلى الله أن يدفع عنهم هذا الخطر وقد نظر إلى الدونية فوجدهم قد اجتمعوا مع بعضهم يتحاورون فعلم أنهم فكروا له الشر فاحد ا... الحذر. إذا بكبيرهم ومعه بعض من جماعته قال له اعلم أن لنا أياما بالبحر وهو صاف لم تتكدر ساعة إلى أن نزلت أنت معنا ولا شك أنك نحس معصوب النار والآلهة وأنك ان بقيت معنا هلكت وأهلكتنا معك فارم بنفسك إلى البحر وإلا رميناك نحن ونخلص من شر هذه الانوا الحاصلة علينا بسببك فضحك بهرور من كلامهم ومن قلة عقلهم وفي الحال نزع عنه الثوب الخارجي فالقاه إلى أرض الزورق فبان لهم عن زيه الاصلي ورأوا أنه من الفرسان العيارين. قد امتشق خنجرا من وسطه وصاح فيهم ويلكم أولاد الزواني كل من اقترب منكم إلي اخترقت صدره ورميته إلى الماء فلا تطمعكم النفس في بل اشتغلوا بنجاة زورقكم الى أن نصل البر ومهما صار على نصير عليكم واذا وصلنا البر نزلت عنكم فلما رأى الرجال فعله وقد شاهدوا فيه دلائل الشجاعة ولم يكن معهم سلاح رجعوا عنه وعادوا إلى شغلهم ولم يعد أحد يجسر أن يقترب منه وصار من ذلك الوقت في مزيد حذر لا يدنو من الرجال ولا يأكل معهم ولا نام قط دقيقة خوفا من أن يغدروا به ويلقوه إلى البحر فيموت قبل الوصول إلى خلاص نفسه وقد تقدم أنه كان جلودا صبورا شجاعا ومازال الزورق في غربة حتى ... ثم ... وقربوا ... أن ... اليها ولم يكن إلا القليل حتى ... الساحل ... وكان ... ثم ... وتصوروا من ... الجزيرة ... وكان ... حتى جزيرة ... الرياض ... الاشجار ... ... على الاغصان

وشاهدوا كثرتها وكثرت أشكالها مع اختلاف اجناسها فعجبوا من ذلك ولم يكن سبق للنوتية أن أتوا تلك الجزيرة قبل ذلك الحين فتفرقوا فيها وتسلقوا الأشجار وأخذوا يأكلون من الأثمار وأما بهروز فانه تقدم إلى الامام بينما كانوا مشغولين بذلك ولاح له قصر فقال فى نفسه لابد لهذه الجزيرة من سكان وانى أحب الوقوف على أصحابها فهى دون شك لا تكون خالية ولم تحدثه نفسه أن يقرب إلى واحدة من تلك الأشجار ولا أكل منها ثمرة بل تقدم شيئا فشيئا إلى أن قرب من القصر وكان شاهقا مبنيا واسعا فعجب من وجوده وحده فى تلك الجزيرة وأخذ فى الفكر ماذا يصنع أيدخل اليه أم يرجع عنه لا سيما وأنه لم ير له بابا واحدا وكل نوافذه عالية لا يرى منها ما داخله وبعد أفداح الفكرة حدثته نفسه بالدخول فدخل الباب وإذا به يرى سلما داخله فصعده وبدرجه شيئا فشيئا الى أن صار فى صحن الدار كل هذا ولم ينظر أحدا فزاد عجبه وتقدم إلى غرفة مفتوحة فمد رأسه ونظر إلى ما داخلها فوقعت عينه على صفراء الساحرة وهى جالسة فى صدر الغرفة وقد رأته فطار الشرار من عينيها وصاحت به من أنت أيها الجسور الخاطر بنفسك فاجمد مكانك فوقع بهروز إلى الأرض وقصد أن يحرك يديه أو رجليه فلم يقدر فعلم أنها قد فعلت فيه فعل السحر وان هذه العجوز هى من السحرة فاستجار بها وبكى بين يديها فدنت منه وقالت له الذى أوصلك الى هنا قال انا كنا فى البحر فهاج علينا وجالت بنا الرياح فقادتنا بالرغم عنا إلى هذه الجزيرة مع أننا حاولنا كثيرا أن لا نقرب منها ولما وجدنا الريح ألقتنا عليها نزلناها مع رفاقى النوتية فتفرقوا فى طلب أكل الأثمار التى وجدوها على الاشجار فتركتهم عليها وأتيت متفرجا وانما ننتظر سكون الريح فنرجع إلى بلادنا والله عالم أن ترحمى فانى لا أقصد لك قط شرا ولا أتيت هذه الجزيرة بقصد غير ما ذكرته فلما سمعت كلامه صاحت من الغيظ والكدر أتوجد غيرك فى الجزيرة وقد تعدوا على وأكلوا ثمارى ثم انعطفت إلى الرياض فوجدت النوتية على حالهم وكل منهم يعلو شجرة يأكل من ثمرها فقرأت عليهم وقالت بقوة معرفتى فلتبق كل منكم فى مكانه فلم يعد فى وسع أحد منهم ان ينقل رجله بل جمدوا بأماكنهم لا يقدرون على النزول ولا على الصعود ورجعت وفى نيتها أن تميتهم على تلك الحالة من الجوع والألم ولما دخلت القصر نظرت إلى بهروز وهو ملقى إلى الارض وتأملت فى جماله فوجدته قد جمع كل المحاسن فمال قلبها اليه وجعلت تنظر فيه وتفكر فى نفسها فقالت إلى متى وأنا لا أرغب فى الزواج وقد مضى على تسعون سنة ويمكن ان أموت وأنا بعيدة عن لذات هذه الدنيا مشتغلة بسحرى لا أرغب فى مخالطة أحد وقد ساق إلى القدر هذا الغلام فهو فى أول عمره شاب ظريف المحاسن بهى الطلعة لا أرى فيه شيئا كرها

فكل ما وبه حيل يستدعى حبى له واتخاذه روحاً لى وإذا فعلت ذلك أبقيه عندى وأقيم أنا وهو فى هذه الأرض نصرف وقتنا بالهناء والأفراح لاسيما وهو لم يقصد لى ضراً وقد ساقه معبودى لى لأتخذه بعلا وكانت كلما نظرت اليه كلما زادت هياما وولوعاً به حتى لم يعد فى وسعها أن تصبر عليه وهو فى تلك الحالة ملقى على الأرض صريعاً لا يطيق حراكا ولا يقدر على النهوض وأخذ منها الحب كل مأخذ وترددت بها دواعيه القوية التى طالما أشعلت أفكار من مثلها من النساء عند نظرهن إلى جمال الرجال ولا سيما وهى إلى تلك اليوم خالية من العشق لا تحب ان تملك فؤادها أحداً فصار منها ذلك بالرغم عنها

وفى الحال تقدمت من فيروز وقبلته مراراً وأتت بزجاجة من خزانة عندها وصبت عليه فانحل رباط وثاق ربطه ونهض وأفاق كحالته الأولى فتعجب من هذه الحالة ومن قوة عملها وعرف من نفسه أنه لا يقدر عليها إلا بالحيلة والخضوع لها فقبل يديها وقال لها العفو يا سيدتى فانى غريب ودخيل عليك مستجير بك فألتمس أن تعامليني بكرامة أخلاقك وجودك قالت لا بأس عليك ولكن مطمئنا ناعم البال فانى كنت قد عزمت على هلاكك غير انى شفقت عليك وقد وقعت من قلبى بأرفع منزلة ففكرت ان أتخذك لى روحا مع أنى كنت لا أفكر قبل الآن بمثل هذا ولا خطر لى قط ان أتزوج رجلا ولى أمل بأنك تقبل ما أشرت عليك فتخلص من المهالك وتصرف بقية عمرك وأنت عندى فى هناء وسرور نعيش عيشة لا يشوبها كدر ولا يخالطها عذاب فلما سمع كلامها خفق فؤاده وكاد ينفطر من الغيظ لأنه كان يحب سرعة الوصول إلى جزيرة الطور لخلاص سيده فيروز شاه ومما زاد كدراً فى داخله ما رآه فيها من قباحة المنظر وكراهة الرائحة وسوء التركيب لأنها كانت قصيرة القامة كبيرة الرأس جدا بوجه كثير التجعدات دقيق خال من اللحم وفم كبير واسع الشدقين خال من الأسنان تنبعث منه رائحة كريهة يكاد تأخذ بروح ناشقها متهدمة الجاه ولم تكن متساوية الكتفين بل كان أحدهما منخفضا إلى حد أن يساوى صدرها والآخر مرتفعا بما يعلو عن رأسها وحدبتها لا تنقص حجما عن الأكمة الصغيرة ربما يزيدها قباحة أن صدرها طويل جدا فمعدل طول وسطها من كتفيها إلى حد ساقيها يبلغ ثلاثة أرباع قامتها فلا يبان من رجليها إلا قدمان طويلتان والحاصل ان فيروزا لو لم يكن خلودا على خطر الافتكار لفضل ان يموت الف مرة من ان يجيبها إلى طلبها الا انه فكر فى عاقبة أمره فعول على الاقدام بالخداع والمكر فأجاب سؤالها

قال لها أى سعادة أحب عندى من هذه السعادة وأن أشكر إلهى الذى أرسلنى اليك لأعيش بين يديك وأبقى فى هذه الجزيرة بعيداً عن الدنيا ومشاقها فان قمت أقيم بين يديك وإن عشت أيام عمرى خليلا فانت سيدتى وملكتى ولابد لى من زواجك وهذا

أكبر فخر لي حيث قبلني لك بعلا وقربما على انك لو اخذت اعظم الملوك ان يخدمك لقدرت على ذلك فسر هذا الكلام فلبها وفرحت الفرح الزائد وزادت منزلته رفعة في قلبها وتضاعفت هيامها به ورمت نفسها عليه بقبله حتى كادت تزهق روحه وقالت له انت ملكي ومالكي وحياتي وقد رضيتك من الدنيا فأحسنت احسن ما فيها فان بقيت على طاعتي وداومت على طلبي رأيت من السعادة ضروبا متنوعة لم يرها غيرك فلك ان شئت جعلتك حاكما على اي مملكة شئت انما ذلك يحسن لي لذة الاجتماع بك فلابد ان تشاهد كل ما يسرك ويرضيك فانت عندي من الآن وصاعدا زوجا لي ورفيقا ابديا وصار لي الحرية التامه ان اتصرف بك كيفما شئت إذا صرت كذلك تحملتك لي قال لا ريب إني عبدك ومملوكك وتحت امرك غير انه لاخفاك اني قاسيت من انواع العذاب والجوع في سفري هذا ما لم يقاسيه احد قبلي واني اشعر بضعف في جسمي وارتخاء في مفاصلي فبالله عليك ان تمهلي علي إذا كنت ترغبين بحبي وقربي بي في مخاخ مخي وإلا مت ولم يعد في وسعك إرجاع الحياة لي واسمحي بما آكله لأسد رمقي فاني أكاد اهلك فنزل هذا الكلام في قلبها اشد من الصاعقة لانها لم تكن تطيق صبرا عن وصاله إنما رأت في كلامه عين الصواب وقد شاهدت ان الجوار قد انهكه فلم تر بدا من الصبر عليه حفظا لصحته وراحته فقالت له اليك ما طلبت من الراحة فاني اريدك فوق الثلاثة ايام نصف ساعة وساعة وفي الحال دخلت به إلى غرفه الاكل وجلست بجانبه إلى المائدة وامرت خدم الهواء ان يحضروا الاطعمة الفاخرة بالوانها ففي اقل من طرفة عين وجد على المائدة الطعام سخنا فتعجب مرور من هذه الصناعه وجعل قلبه يرجف منها ثم عزمت عليه وكان في تصور من شدة الجوع فمد يده واكل بعد ان ذكر الله مرارا وطلب اليه ان يخلصه من هذه الساحره وبعد ان فرغ من الطعام قام فوجد الماء فغسل يديه وحمده تعالى ثم دخلت به الى غرفه الشراب فوجد على المائده الشراب مصفوفا والمقولات مخلفة والروائح العطرية تنبعث من تلك الغرفه بما تنعش منه الروح وتطيب به الخاطر والفاكهه والحلويات عادوفق اليه فاعس كل هذا ومرور لم ير غير الساحرة وكلما امرت بشيء تحضر العجل دون ان يرى شخصا إنسيا أو جنيا فصاغ لذلك عقله وجلس الى جانبها فامرته ان يسكب ويعاطيها ويشرب هو ففعل وكل دقيقة تضمه اليها وتقبله وأخذت من على المائدة من انواع الفاكهة وتطعمه منها وطلبت اليه ان يطعمها بيده وقد شعرت بلذة المعاشرة وطاب لها الوقت وجاش في خاطرها الشعر فتذكرت وقالت

فرق الربيع قميص الغلس ... وبرى الريح ذكي النفس

باحت الورق على أوراقها ... ورنت تحدق عين النرجس

وبدا زهر الربا مبتسما ... في ذرى الدوح شعر العس

قهقهه الرعد من حين رأى الـ ... ـطل يبكي في ظلام الحندس

في رياض رقصت أغصانها ... كالعذارى في ثياب الأطلس

ركضت خيل الصبا فيها وقد ... رن جاري مائها كالجرس

فغنت أطيارها بين الربا ... عند اجتلاء الضحى كالجرس

قام يسقي الراح فيها شادن ... فاق أغصان النقا بالميس

مفرد في الحسن لكن قده ... ينثني تذكار السندس

لو رآه البدر لم يبدو ولو ... سمع الغصن به لم يمس

وكانت قد بلغت كما تقدم التسعين سنة من العمر ولم تذق هناء عيش وطيب وقت كتلك الساعة ولا زالت معه في شراب وتقبيل وعناق إلى ان طاب بها المعاش فقامت به وأخذته إلى غرفتها ووضعته بفراش إلى جانب فراشها وأظهرت على نفسه التعب والملال فعذرته وقالت له نم هنيئا يا حبيبي فقد عاهدتك إلى ثلاثة ايام ولا بد ان تقضي وأنال منك ما أنا طالبة وكل آت قريب ونامت ونام نور الدين وهو لا يصدق ان تتركه وتبعد عنه وفي الصباح أيقظته فاستفاق وهو في حيرة من دنو الوقت قبل التمكن منها ثم أقامت معه نحو من ساعة إلى ان تعالى النهار وعلت الشمس فالتفتت اليه وقالت له اعلم يا حبيبي ان مرادي الذهاب إلى مدينة استاذي الذي علمني فن السحر فلا تغضب من الوحدة اليوم فاني أريد ان أصرف هذه الثلاثة ايام عنده في النهار فلا أعود اليك كل يوم إلا في المساء وبعد ذلك أفرغ ذاتي وأقيم معك سنة لا أفارقك دقيقة فقال لها إني لا أطيق فراقك ولا أرغب ان تبعدي عني فاما ان تبقي هنا وإما ان تأخذيني معك حيث تمضي انا وانت معا فمتى عدت عدت ومتى رحلت ارحل فقالت هذا لا يمكن مطلقا لاني لا اريد ان يعلم احد بك فاغار عليك من كل عين ولا أود ان يراك احد غيري قال حسبما شئت فافعلي قالت إذا كل شيء موجود في قصري فاذا دخلت غرفة الأكل تجد الطعام على المائده دائما وفي كل دقيقة كأنه رفع عن النار حالا وكذلك في غرفه الشراب وفي قصري من التحف الكثير وكل واحده منها من الاثاث الفاخر ما يسر به تفرح الناظرين وكذلك من الجواهر والنفائس والتحف ما يمكنك ان تصرف هذه الايام عندها وبالفرجة عليها فكلها لك وفي بدائك ثم دخلت سرير رصدها امرته بأن يرتفع على ظهر الهواء فارتفع بها وغاب عن عينه فسر داخله لذلك وسجد لله شكرا وصلى وطلب اليه ان يساعده على الخلاص من تلك الساحرة الماكرة وكان قلبه يخافها حيث شاهد فيها من قوة السحر وما عملت معه ومع الرجال الذين مد فيه إلى المائدة

فأكل منها ماأشبعه ورفع منه كثيرا وخرج به إلى البوتية وهم لا يزالون فى أماكنهم فى جوف الشجر وقد مات منهم اثنان ووقعوا إلى الأرض فجعل يطعم كل واحد بمفرده حتى اكتفى الجميع وفرغ الأكل منه ودفن الاثنين المائتين فى جوف الأرض ورجع إلى القصر وهو حزين على حالته وحالة البوتية يسأل الله الفرج قريبا وجعل يدور فى القصر من غرفة إلى أخرى وقد اندهش من كل ما نظر وتعجب من عمل هذه الساحرة الى أن وقع على باب الغرفة التى فيها فيروزشاه فسمع فيها أنينا وتضجرا فصغى باذنه الى مادخلها واذا به يسمع بذكر الله جل وعلا وشغل فكره واضطرب لاسيما وقد ترجح عنده أن هناك آدمى يعبد الله فأسرع الى مفاتيح الغرف وجربها على الباب واذا به قد فتح فارسل نظرة يسترق السمع ليعلم من هناك ولما قرب قليلا طرق أذنه صوت سيده وهو يقول الهى الهى الى متى انت تاركى هل لم أستوف حتى الساعة حق العذاب وهل ان جسمى يقدر على حمل أكثر من هذه الأثقال نعم انى مذنب لا أستحق منك الرحمه انما أسالك بحق رحمتك وبكرامة أنبيائك صاروا عندك وهو بعبدك ولم يسىء صدك قط فاشفق عليه واشفق على عين الحياة التى أحبها قلبى فانى أطلب منك الخلاص لأجل هاتين العابدين المقدسين عندى وعندك وانك لا ترغب أن تزل بشفيه أنى جرما الى القبر بل يرد له انه المطروح فى جب عنده البرية وا سجون فى أعماق السجون والمعذب بأثقل القيود ولا تحب أيضا ان تطل نصيبا كذه لى على عين الحياة فالكة فانى بارادتك فان جسما لا يزال طاهرا مقدسا برضك ويرضى عبادك ثم أنشد

الهى بحق الأنبياء جميعهم ونوح ابراهيم ثم آدم
وموسى الذى ناجيته واصطفيته كليما وقد فضلته بالعوالم
بان تدفع الأثقال عنى جميعها وترحمنى يارب واغفر جرائمى
وانك تدرى ما يعانيه والدى لأجلى وما تلقاه اهل عواصمى
وتدرى بما عين الحياة مصابه من الحزن والبلوى وعظم العظائم

فلما سمع بهرور كلامه تحقق عنده أنه فيروزشاه مولاه فكاد يطير من الفرح إلا أنه انتظر فلما عندما وجده على تلك الحالة فى ذلك المكان المظلم وشوكات الحديد محيطة بعنقه وهو مجرد من الثياب وليس عليه الا ثوب حقير قد أعد نكايا لعذابه تلك الساحرة الظالمة فصاح بشراك يامولاى فقد استجاب الله دعائك وأرسل لك من يساعدك على بلواك فلم يدعه إلى أن أكمل كلامه بل تصوره صوت الساحرة فقال قد جئتنى من أسرى والا فهل على باعدائى فان عذابات العالم لا تقوى أن تلين عزمى اذا كان من يعذبنى رجل مثلى انما نفسى لا تطيق ان ترى من مثلك متسلطا على

يجهد نفسه فى عذابى فعلم بهروز انه لم يصح اليه لانه لم يكن بانتظار أحد يدخل عليه غير صفراء فدنا منه وقبل يده وقال له انعمت إلى يا سيدى فأنا عبدك بهروز العيار أتيت من بلاد أبيك فى طلب خلاصك وقد أتعبت لك كثيرا معى من جهتك عين الحياة بنت الشاه سرور وسلامان أبيك الملك ضاراب وأمك تمرتاج فانهل دمع فيروزشاه عند سماعه هذا الكلام وعند ذكر من أحبهم أكثر من العالم كله وانه لا يحب البقاء لنفسه إلا من أجلهم وكاد لا يصدق من يحاكيه وقد تأكد صوته انه بهروز بكلمه باللغة الفارسية لغة آبائه وأجداده فقال له أشكر الله يا بهروز الذى أوصلك إلى فاخبرنى كيف حال أبى وأمى ورجال إيران وكيف حال عين الحياة واعلمنى بعد ذلك ما الذى أوصلك إلى ومن أين عرفت بوجودى فى هذا المكان ووصلت إلى وأنت سالم مع أن مردة الجان وعفاريت السيد سليمان لا تقدر على الدنو من هذه الجزيرة ولا تقرب من هذه الساحرة دون أن تحل بها العدم وتلاقى من أنواع العذاب ما لا تلاقيه أما الآن قال إن أبيك فى إيران حتى الساعة يقاسى لأجل بعدك مزيد العناء وكامل بلاد فارس تصيح من هذا البعاد وما منهم إلا من يصرف ليله بالدعاء والصلاة وصرفوا أياما وهم لا يعلمون إلى أين سرت وفى أى بلاد موجود وما هى الغاية التى بارحت بلادك وأبيك لأجلها وانقطع أثرك عن الناس أياما إلى أن جاءه شاغوس وأخبره بحالك فأرسلنى معه نستطلع على حالك فأتينا نعبر البحر واجتمعنا عند صواحبها بعين الحياة وكانت بانتظارنا لانها رأت فى حلم أننا خرجنا من إيران لهذه الغاية فأطلعنا على كل ما جرى عليك وأن أباها سلمك طلبا وعدوانا إلى بلاد الزنوج فرجع شاغوس إلى أبيك وقد كتبت له كتابا تعلمه مفصلا وملت أنا قاصدا إلى بلاد هورنك أملا بأن أتوصل إلى خلاصك ولا ريب أن أباك تقصد بلاد الشاه سرور فيدمرها بشارك ويقتله وأما أنا فانى نزلت فى زورق صادفته عند الشاطىء فحملنى وبينما كنا فى وسط البحر هاجت الرياح واضطربت فصادف وقوعنا على هذه الجزيرة بعد مقاساة الشدائد وكان ذلك بتقدير من الله لأنى لو ذهبت الى جزيرة الطيور لصعب على الوصول اليك قبل أن يقضى عليك ثم أخبره أيضا بما جرى له مع الساحرة صفراء وكيف أنها أحبته وجعلته زوجها فقد وافقها على ذلك أملا بأن يغتنم فرصة ويخرجه من سطوتها فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام تهلل وجهه فرحا وقال أهل شاهدت عين الحياة اصحيحة بنفس وجسد وقال رأيتها عيانا وهى لا تشكو إلا فراقك ولا تأمل إلا من جانبك وقد أنهلها هذا لك ولا تعرف ما ذا جرى عليك وقد أخبرتنى أنها تخرج فى كل يوم إلى خارج البلد وتقع أخبارك من المصر بكل الاصرار إذا عرفت بعذابك تمت نفسها وإلا حق بك لا سمح الله ثم دمع الدمع كما عين الحياة ثم قال له اقرأ ... قال بدأ لا تطاوعانى على النهوض ولا أقدر على الحراك فقصه وبلاه وإذا با

من الجريمة الكثيرة المفارقة عين الحياة حميدة فيروز شاه حرسه الله ونجاه من كيد اعداه

اكتب الآن بدموع عين مقرحة من شدة البكاء ولا أعلم ان كانت كتابتي هذه تقع تحت نظر عينيك لأن اليأس قد قطع اوصالي واحرمني راحتي وابعد عني رقادي فلا عدت ألتذ ولا أهنأ بأكل ولا بشرب واذا لم تداركني خبر سلامتك ويغسل عني اوساخ هذه الهموم انتهت بي حالتي الى الموت الذي ما برحت أراه واقفاً عند الباب يدعوني من ساعة الى أخرى وهذا ياحسنى ويا من تسلم قياد أميالي ورماني هواه بحر لا قرار له قائمة على العهد حافظة لك الود فاذا كنت لا تزال حيا فانا لك وقلبي اسيرك فأسرع الى وانقذني من وهدة هذه الأوجاع وابعد عني محاربات الأفكار والظنون أسرع فبرائي فاتحة لك قلبي هادية لك جسمي وكأني لاقيت من الهموم اثقلها ومن لوعة الفراق أشدها ومن الحزن أعظمه ومع كل ذلك فان ما أنا واقعة به ليس منتهى العذاب واري أنه مكتوب على صفحات مستقبلي سطور مصائب ثقيلة لا تمحى الا بعدونة لطفك وطيب ذكرك وقد علق لي بعض الآمال مسير بهروز العيار حيث اكد لي أنه إذا وجدك حيا يخلصك لو كان حولك الوف من الحراس ولا أزال منتظرة خبرا بابا من جهتك وأسأل الله ان يكون خبرا مسرا تكون نتيجة رجوعك الى على الحالة التي احبها واني اقسم عليك بابيك ان لا تتأخر عني إذا تسهل لك الخلاص ولا تنساني فاموت ولا تفضل شيئاً آخر علي حبنا ولا أظن أن من كان مثلك حميد المآثر كريم الطباع تلويه الحوادث عن عزمه أو تضعف المصائب همه واني لا أنكر أن كل مالقيته وتلقاه من العذاب هو كان بسببي ومن قلة ادراكي فلا تعاملني الا بما طبعت عليه أخلاقك الكريمة من الرقة والحلم وارحم قلبي وساعده عل تعود اليه الحياة فتلمس الراحة ويروق لديه الهناء ويجتمع بك بعد هذه القطيعة فقبح الله هذا الزمان الغادر الذي لم يرد على ايام اجتماعنا الثلاثة الايام الماضية اللذيذة الحلوة يوما آخر أو أياما ودهورا وأسأل الله أن يمع عنك هذه الأثقال والمصائب ويبعد عنك العذاب والأوجاع ويعيدك الى بالرغم عن كيد كل حاسد وخائن وأقول لك اخيرا اني كتبت لابيك كتابا ذكرت له فيه كامل ما كان من أمرنا واني على يقين بانه لا تمضي ايام قليلة إلا وأبوك يقابل آب في صواحي هذه المدينة ومن ثم لدي أوانئذ ان اراك وأنت عروس الميدان تشق الجموع بوثبات وتفرقها بضربات باترات انما الأمل ان تسبق الى هذه البلاد قبل ابيك فتلاقي الأمر قبل وقوع الخصام وبوجودك تمنع

الحرب و يرتفع القتال فالى الى اذا أطلق سبيلك والا فالممات الممات لحيينك عين الحياة وكتبت تحته

تصبر فى الآلاء قد يحمد الصبر ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر
وان الذى أبلى هو العرن فانتدب حمل الرضى يبقى لك الذكر والاجر
وثق بالذى أعطى ولا تك جازعا فليس بحرم ان يروعك الضر
فلا نعم تبقى ولا نقم ولا تدوم كلا الحالين لاعسر ولا يسر
تقلب هـــذا الدهر ليس بدايم لديه مع الايام حلو ولا مر

وكتبت أيضا وأما حالة حين فقى .

لك لا لغيرك فى البرية اعشق يامن به ثوب الحشا يتمرق
يا محجل القمر المنير وفاضح الـ طى العزيز لك الجمال المشرق

انتهى الجزء الخامس ويليه الجزء السادس

الجزء السادس

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

يا من به أضحى فؤادي راتعاً — في روضة بجماله تتمنق
وغدا لساني ناطقاً في حسنه — بمدائح تعلو ومدح يشرق
يا عاذلي في عز حبك مطمع — كلا ولا قلب يميل فيعشق
أمسي وأصبح في هواك بمقلة — تندى وقلب من جمالك يخفق
بالله يا فرد الورى في حسنه — ارحم بوصل هواك فهو الأليق

وكان بهروز يتلو له التحرير وقلبه يتقطع على بعدها وما يلاقيه من حزن بعده عنها ويتمنى لو كان في وسعه أن يقطع قيود أسره ويطير إليها ليجمع ما بها من الأحزان ويشكر صادق حبها وتعزى بكلامها تعزيه كبرى وطلب إلى بهروز أن يعيد عليه قراءة التحرير فعاده مرارا وما جاء على آخره مرة إلا وتشوق إلى أوله فطلب إعادته فقال له بهروز يا سيدي دعنا ننظر في أمر خلاصك ومتى نجوت فلا تلبث أن تعود إليها وتقضي عليك هذه الأحزان قال وما خطر في ذهنك من التدابير الحسنة قال لاح لي أن أغدر بهذه الساحرة وهي على غير انتباه فأقتلها وبعد ذلك أسير بك عن هذه الجزيرة قال هذا ليس بصواب فإن قتلك للساحرة فيه خلاصي مما يحل موتي لأن هذه الشعرة التي تراها في رجلي هي أثقل من أعظم القيود الحديدية وهذا من عمل السحر فلا أقدر أن أنقل رجلي منها ولا تقدر أنت على فكها فالأوفق أن تستخبر منها عن أسباب ذلك وما هي الطريقة التي تسهل فك السحر ومنعه ولا ريب أنها تخبرك بكل ذلك لأن لها عندها من الحب ما يجعلها أن لا تكتم عنك أمرا فتخبرك بكل شيء قال أصبت فلا بد لي من الاستطلاع على كل أحوالها والوقوف على أسرارها وفي الغد إن شاء الله يكون لنا ولها شأن عجيب وأقام بهروز عند فيروزشاه نحوا من أربع ساعات وقد جاءه بالطعام الفاخر والحلوى وكل ما يزيد في نشاطه وخرج بعد ذلك إلى القصر وأقفل الغرفة عليه خوفا من أن تطلع الساحرة به سوءا إذا جاءت وطرقته عنده فتعرف من هو ومن أين أتى وظل إلى أن غربت الشمس نظر بهروز إلى صحن الدار وإذا أفعى كبيرة أشبه بزوقة الجبل ورأسها أشبه برأسه وهي تقصده وقد فتحت فمها نحوه فراعه هذا المنظر المخيف ونهض راكضاً إلى جهة أخرى وإذا بصوت صفير الساحرة قد [illegible] على آذانه فالتفت إليه وإذا به بزاد حلمه وهي تضحك وقد قالت له لا تخف [illegible] فإني ما فعلت ذلك إلا لأريك عظم مقدرتي وما أنا عليه من درجة [illegible]

دنت منه وقبلته وجعلت تتعطفه وتسكن روعه وقد أظهر على نفسه الخوف والجزع وقال لها أما كفانى انفرادى كل النهار وما قاسيته من الخوف عند سماعى أصوات الجان والعفاريت فى قصرك قالت لم يكن فى قصرى شىء مما ذكر وأما الصوت الذى تسمعه هو صوت آدمى فملك قال ومن أين يأتى الآدمى فهو صوت جان قالت كلا بل هذا صوت فيروزشاه ابن الملك ضاراب سيد بلاد فارس وجاكمها وقد وقع فى يدى أسيرا وعولت على قتله وإنى سأقتله يوم عرسى بك ليمال عنك إنه يوم زواجك قتل أعظم رجل فى العالم وأشجع فارس ركب الجواد ونقل الحسام وهذا فخر تفتخر به قال صدقت فإنى أحب ذلك لكن من أين وصلت إليه قالت سأحكى لك قصتى معه وتجر على المائدة ثم دخلت به إلى المائدة وجلست وأجلسته إلى جانبها وجعلت تلقمه وهو يلقمها ويظهر لها مزيد حبه وقلبه يكاد ينشق من كراهة منظرها ورائحتها وإذ ذاك جعلت تشرح له ما كان من أمر فيروزشاه ودخوله إلى بلاد هورنك وقتله هورنك وما توقع له مع الصعلوك إلى أن وصل إليها وهو يظهر من ذلك التعجب وقال لها إن كل ما ذكرته عن هذا الرجل عجيب إنما أعجب منه أسرك له فكيف قدرت على ذلك وما هى القوة التى قيدته بها بفعل شعرة من شعرك قالت إن هذه الشعرة هى أثقل عليه من حمل قنطار من الحديد ولا يقدر على فكها أحد من الناس؟ فقال أرجوك يا سيدتى أن تجيبى سؤالى وإن كان ذلك مما يثقل عليك إنما أنت حليمة كريمة على وأنا أجهل كل هذه الأمور وأحب أن أعرفها قالت مر بما تريد فأنا طاعية لك لا أخفى عنك شيئاً فأنت حبيبى وروحى ولك حق كل شىء قال أريد أن أسألك هل بعد هذا القيد السحرى وهل ينحل تلك الشعرة بسهولة قالت أما أنا فإنى قادرة على فكها بكلمة واحدة كما ربطتها وفوق كل ذلك فإنى اصطنعت سبالا إذا سكبت منه على الرجل المسحور زال عنه السحر وتساقطت قيوده إن كان مقيدا بعمل السحر وهو موضوع فى زجاجة عندى وكذلك اصطنعت سيالا آخر إذا سكبت منه على إنسان أو نشق أو سقى جرعة منه سحر قوته وذلك فى زجاجة وفى الغد أريك كل شىء عندى فيسر خاطرك وتعرف قوة زوجك وكانت تحب أن تطلعه على كل ما عندها لتفاخر أمامه بعملها لأنها تعلم من نفسها أنها قبيحة المنظر لا تقدر أن ترضيه بجمال فيها فعمدت إلى أن تبدى لنفسها موضعا فى قلبه بما عندها من معرفة السحر وفى ظنها أنه يميل إلى الفخر وحب المجد فيسر منها وتطلب إليها أن ترفع مقامه وتعلى منزلته ثم خرجت به من غرفة الأكل إلى غرفة الشراب فجلسا عليها وأخذا فى معاطاة الخمور وقد أظهر لها من الحب فوق ما كان يخطر فى بالها فسرها ذلك جدا وظنت به الإخلاص وقد أعماها حبها عن

الحقيقة فلم تنظر فيه بعين بصيرة ولا فكرت أنه يحسر على الايقاع بها بعد أن تطلق سراح فيروزشاه

وبعد أن صرفا السهرة على هذا النمط وضعته فى فراشه وانصرفت إلى فراشها بعد أن أكثرت من تقبيله وعناقه وهو يحتمل ثقل شناعتها ويقابلها بالمثل أملا بسوال غايته وأمسى ليلته فى فراشه وهو بين فرح وقلق وقلة نوم فانه كان يفرح عند ما يفكر أنه سيحصل على المادة التى تمكنه من فك قيد فيروزشاه ورفع السحر عنه وإطلاق حريته غير أنه كان يحزن عند مايخطر له أن لاخلاص لهامن وجه صفراء الساحرة فانهما أينما هربا تأمرهما ولا يقدران على قتلها وإعدامها لأنهاساهرة على نفسها فاذا لاح لها وجه شر تهلكهما ولا تعود تبقى عليهما وكان يخاف من العجلة فى العمل و فيروزشاه لايحب التطاول ولايقدر على الصبر ولما أشرقت شمس نهار اليوم الثانى نهض من فراشه فغسل وجهه وخرجت إليه صفراء فلاقاها وترحب بها فجلست معه إلى أن آن أوان ذهابها فنهضت وودعته فذكرها بوعدها له فى الأمس فقالت له حبا وكرامة فانى أعود إليك قبل الغروب فأفتح لك خزائنى وأريك عجائبى وماشغلته فى حياتى فكن على يقين من ذلك ثم ودعته وطارت فى سرير رصدها وغابت عن عينيه فصبر قليلا يفكر فى حالها ثم ذهب إلى غرفة الطعام فأخرج منها مايكفيه ويكفى لفيروزشاه ودخل عليه بعد أن فتح باب سجنه فحياه ووضع الأكل بين يديه وأخذ يطعمه ويأكل إلى أن اكتفيا ثم رفع الطعام إلى مكانه وأخذ غيره ونزل إلى الجزيرة واطعم الدوتية وهم لا يزالون على الأشجار وقد مات اثنان آخران وقعا إلى الأرض فأطعمهما الغراب وقد حزن عليهما ثم رجع إلى فيروزشاه وأقام عنده وحكى له مادار بينه وبين الساحرة وقد أطلعته على أسرارها ووعدته فى العشية بأنه تأكل وتطلعه عياناً على كل شيء فيشاهد ما يحتاجانه لنفسهما لخرصه فيروزشاه على الانتباه وقال له اعلم أن حالنا ... ووقف فى هذين الوهين على انقاذ أهلك ... فكن حكيما و... إلى كل ما من شأنه أن يبعدنا عن هذه الملعونة قال إنى على يقين من نجاح مسعانا فمعنا إنما يشغل فكرى أننا لا نقدر على الخلاص منها والبعد عنها لأنها تتبعنا أين سرنا فلا نقدر أن ننجو من وجهها ولا طريقة لنا على هلاكها قال إن الطريقة لهلاكها سهلة عندنا وذلك متى فك قيدى وملكت سلاحى فأخذت عسك بالحصون من سلاحى لأنه عندها وقد أخذته مع ثيابى قال لا بد من أن آتيك بأمتعتك وإنا نطلب منه تعالى أن يعمى بصرها عما نحن فيه ثم صليا لله وسألاه المعونة وشكراه على ارتياح بالهما نوعا وبعد الظهر بساعات خرج سرور إلى الخارج وأقفل الباب عليه وجلس ينتظر الساحرة ويردد فى فمه ذكر الله تعالى وبينما هو على مثل ذلك وإذ لاحت منه الالتفاته إلى جهة

الباب فشاهد أسداً هائلا دخل منه وهو يزأر وقد خرج الزبد على أشداقه وكشر على أنيابه فهاله ذلك وصاح من شدة الخوف . إذا بالساحرة صفراء تناديه لا تخف يا حبيبي فهذا أنا وقد خشيت اليوم بصفة أسد لعلم أني أقدر أن أكون كيفما شئت فاطمأن باله وعاد إليها ولاقاها بوجه ملآن بالبشاشة والسرور وقال لها قد أرعبتني بعملك هذا ومن الآن وصاعدا صرت أعرف أن كل ما يظهر لي فهو أنت فلا أخاف والحمد لله على إتيانك بالسلامة لأني كنت كل نهاري وحدا لا أنيس ولا رفيق إلا صوت هذا الأسير وهو أشبه بصوت الجان لكثرة تشكيه وانينه فقالت إن هذا الصوت لا يبقى لأكثر من الغد وإن شئت قتلت لك فيروزشاه الآن لتستريح منه قال كلا بل يجب أن يبقى ويذبح في يوم عرسي كما أشرت قبلا قالت إذاً يجب عليك أن تصبر يوما آخر وإني وعدتك بأني أطلعك على الرجاجتين وما اصطنعه غيرهما فهلم معي ثم دخلت غرفتها وتبعها ففتحت باب غرفة داخلة وأتت خزانة فيها وأخرجت منها زجاجتين مملوءتين وأشارت إلى واحدة منها وقالت هذه فيها ماء بطل السحر فأمعن فيها ووعاها وقالت والثانية فيها ما يسحر على حسب المراد وقد اخبرتك عنهما سابقا وهذا عمل لا يقدر عليه أحد غيري بحيث يمكنني أن أبعث مع أحد خدمي من الجان أن أسحر أو أبطل السحر وأنا مقيمة في قصري لا أنتقل من مكاني ثم أخذته إلى صندوق من الحديد ففتحته وأخرجت منه ثوبا مزركشا بالفضة وقطانا منقوشاً بالنقوش الرفيعة والطلاسم لا يحسن على قراءته إلا كل ساحر ومصور عليه من الصور أشكالا كصورة النسر والغراب والباشق وكبار الطيور وكالأسد والفيل وكبار الحيوانات وصور مردة من الجان وشياطين وغير ذلك مما يبهج الناظر ويخطف القلب فقال لها لم هذه الثياب قالت إذا لبسها الانسان يأمن كل سحر ولا تصيبه عين ولا يدنو منه وحش ولا جارح من الطيور فهي منيعة ولابسها يأمن كل غائلة وهذه من أعجب ما صنعت وبعد ذلك أخذت تطلعه على ما عملته في ماضيها وتحكي له كم أماتت من الملوك ونحوهم فأظهر تعجبه من ذلك وقال لها يحق لي أن أفخر أن ستكون روحي صاحبة كل هذه الأفعال الحسان ودنا منها فقبلها وأبدى لها مزيد الحب وقال لها أريد منك أن تأتيني بدواء لتقوية جسمي فإن لي يومان وأنا أشعر بضعف في بدني وارتخاء في أعصابي [illegible] كثرة [illegible] دخولي الحجر ومقاساة الأنواء والرياح لا أشعر بشيء مما ذكرت [illegible] في يدي قالت لا بأس عليك [illegible] فإن هذا الضعف [illegible] إذا ارتحت [illegible] [illegible] [illegible] الضعف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

فى وعاء صغير وسقته وكان بهروز قوى البنية خال من كل مرض وضعف ومع ذلك قد شعر بأن قوته قد تضاعفت للحال فسر من هذا العمل وشكرها عليه وذهب معها إلى غرفة الطعام فجلسا على المائدة وكان يأتيهما الطعام كعادته سحبا دون أن يظهر حامله فسألها عن ذلك فقالت إنى رصدت خدمة هذه المائدة على جنى فلا تزال تخدمها وتحضر عليها أنواع الأكل بحسب مشتهاى فما أشير إليها به يكون حاضرا فى المائدة كما ترى ولما انتهيا من الأكل دخلا غرفة الشراب فصرفا عليها وقتا حتى الليل وكانت الملعونة قد اعتادت فى هذين اليومين على معاشرة الرجال ووقع لها من اللذة ما زادها سحرا عميقا من الحب فكانت لا تصرف النظر دائما إلى وجهه ولا تصبر عن أن تقبله فى كل دقيقة لما تراه فيه من الجمال الباهر الفائق لأن احمرار خديه وسواد عينيه قد أفتناها فلم تقدر أن تصبر على ما بين يديها ونامت تلك الليلة وهى لا تصدق بأن الغد يليه لتدخله عليها وتتمتع من حرعات جماله ومثلها بهروز فإنه كان يطلب إتيان الغد بكل سرعة وذهاب صفراء الساحرة ليدخل على سيده فيروزشاه ويخلصه مما هو فيه وقد تأكد عنه نجاح مهمته والحصول على ما جاء فى طلبه

ولما كان اليوم الثانى نهض كل منهما مسرورا فرحا فإن الساحرة كان كل سرورها منصرف إلى وصولها إلى اليوم الثالث الذى ينقضى فيه مدة الأجل المضروب لزواجها من تحبه وكانت ترى تلك المدة شهورا وأعواما ومما زاد فى سرورها وفرحها نظرها الى بهروز وهو يضحك وقد زاد وجهه نورا وجمالا وصار فى حالة حسنة جدا فكان يخطر لها أنها مالكة على قلبه كما هو مالك على قلبها وتصور لها حبه إن فرحه بالزواج يماثل فرحها ولم تكن تعلم ما خبأ لها فى زوايا الزمان وبعد أن نهضت ساعة ودعت بهروز وقالت له لم يعد فى خاطرى أن أذهب عنك إلا هذا اليوم فقط فاصبر على هذه الفرقة وتحمل صعوبة بعدى الغريب الزوال فإنى سأذهب إلى زيارة بعض رفاقى وأزمعت على عودتى أن أعود على ولدى قطران شاه وإيران فى الجزيرة السوداء ليحضرا زفافنا لأنى أحبهما وأحنيهما كما تحب الأم أولادها فقال لها هو يوم ينقضى وما أنا إلا مملوكك وعبدك وأمرك نافذ فى وعلى وإنى أرجوك ياسيدتى أن لا تطيلى على لعادتك فإنى أكاد لا أحمله وأصبر عنه وقد اعتدت عليك وعلى معاشرتك قالت لا بأس عليك فى هذا اليوم وأنت لست بمملوكى ولا عبدى بل أنت رفيقى وحبيبى وبعلى وساعدى ثم نزلت فى سرير رصدها وأمرته أن يركب الهواء فيسير بها إلى مكان قصدها فطار وغاب عن النظر وهو فيه وبعد غيابها نهض وهو يقول لا عادت سالمة ودخل غرفة مدامتها وأخذ المفاتيح وفتح الباب الداخلى ثم فتح الخزانة وأخذ منها الزجاجة التى بطلت عمل السحر وانسحب مسرعا إلى فيروزشاه فمسحها ورمى بنفسه على قدميه وسكب من

الزجاجة قطرة من ذاك السائل وإذا بفيروزشاه قد انطلق من رجليه وزال ذلك الثقل الذى كان يعانى آلاما وأوجاعا بسببه وصاح من الفرح لا عدمتك يا بهرور فأسرع إلى كسر ما عند عنقى قال مهلا يا سيدى ثم أخذ بيديه الحديد وفك شوكاته ورفعه عن عنقه فصار كالغزال وقبل بهرور فقبل يديه وقال هذا فرض وجب على فان العبد الامين يحافظ بكل جهده على حياة سيده والآن أريد منك إقداح الفكرة فى تدبير طريقة لاهلاك هذه اللعينة لانها إن عادت وشاهدتك وأنت على ما أنت عليه أهلكتك لاحالة وإذا هربنا وجينا بأنفسنا تتبع آثارنا فأبادتنا قال كن براحة فلدى من التدابير الحسنه ما نبلغ به المراد ونهلك هذه الملعونة وذلك أنها لا بد أن تأتيك هذه الليلة بصفة غريبة كعادتها فحالما تراها قل لها أهلا بحبيبتى إنى أريد منك أن تبقى على حالتك لحظة لأقبلك فى هذه الحالة فقد أعجبتنى وان بقيت فى الحال على عنقها وضع وجهك بوجهها بحيث لا ترى فى عينها غيرك وتلهى فى عن وإذ ذاك أخرج اليها أنا وأكون مختبئا خلف الباب فأضربها بالسيف فأمتها وأرتاح من شرها إنما أريد منك أن تعطينى سلاحى وعدتى قال هى عندى والآن آتيك بها وما أشرت به فهو الصواب واسأل الله أن يتمم لنا عملنا بالنجاح والتوفيق وكيد هذه الساحرة الخبيثه التى كان فى نيتها أن تميتك هذه الليلة صحيحة فى رفاهها الخسيس فقبحها الله وقبح رجلا يقبل أن يدنو منها بخاطره ثم أسرع إلى المكان الموجود به سلاح بهرور فأحضره له فناوله فى يده وشكر بهرورا مزيد الشكر بعد أن صلى لله تعالى على وصوله إلى تلك الجزيرة وخلاصه على يده وطلب الله تعالى أن يقدره على قتل تلك الساحره وأخذ ثأره منها ولما ارتاح باله واستكن خاطره سأل بهرورا أن يأتيه بالأكل فذهب به إلى غرفة الأكل فأكل وأكل حتى اكتفيا ثم دخلا غرفة الشراب فشربا وكان بهرور قد أخذ من الأكل شيئا كثيرا ونزل به الى الجزيرة ودخل الروض فوجد الوتنة على حالهم وقد مات منهم اثنان وآخران فى كدر وطعم الباقين ووعدهم بالخلاص ودفن المائتين وعاد الى أن قرب العصر فنهض فيروزشاه وأخذ سيفه بيده وجلس خلف الباب ينتظر اتيان الساحرة وكذلك بهرور فانه استعد لرمى نفسه عليها ومسكها بطريقة حتى يأمن بها من عدو بماحتها

قال الراوى وطال عليهما الانتظار نحوا من ساعتين دون أن تحضر فشغل بالهما وخافا من حدوث أمر جديد وقال بهرور ان صح ظنى فقد عرفت الساحرة بحالنا وعملت على هلاكنا قال لم تطلع على شيء وهى آمنة منك فلا بد أن تحضر فى هذه الساعة أو فيما بعدها فلا يجب علينا أن نمل ومن طلب الشهد لا يخشى إبر النحل وفى تلك الساعة نظر بهرور من احدى النوافذ فوجد فى الأفق غمامة سوداء فقال لفيروزشاه

خذ حذرك فإنها قد أقبلت فاكمن فيروزشاه فى مكانه واستعد بهرور لعمله ولم تمض
دقيقة حتى نظر الى الباب وإذا بعفريت كبير قد دخل منه يحمل شخصا كالميت ورماه عند
الباب ودخل فعرف أنها نفسها فصاح صياح الفرح ورمى بنفسه على رأسها يقبلها
ويقول لها أريدك ياسيدتى أن تصبرى على هذه الحالة لأنى من تقبيلك فبذلك تكون
السحرة والا فلا والحمد لله الذى عدت الى بالسلامة وللحال خرج فيروزشاه من خلف
ظهرها ورفع بيده الحسام وذكر بقلبه الله ونزل به بقلب محروق من شدة العذاب
والألم فوقع السيف على ظهرها فقطعها الى نصفين وألقاها الى الأرض قطعتين فذهبت
عنها هيئتها الحيوانية وعادت اليها هيئتها البشرية وقد تدفق دمها كالأنبوب حتى امتلأت
منه الساحة فصاح بهرور لاعدمتك ياسيدى فهذه ضربة الأبطال فمثلها تشفى الغليل
وتطفى حرقة الألم والآن قد صرنا أحرارا وخلصنا من هذه الساحرة وأجاب الله
سؤلنا فأخذ جثتها ورماها الى خارج وقال الأحرى أن نحرقها بالنار لو كان لنا نار الآن.
ثم دخل فيروزشاه الى القصر وجعل يريه كل ما كانت أرته اياه الساحرة والزجاجتين
والثياب وقال سر أنت الى النوبية فانزع عنهم السحر وخلصهم وأتنى بهم الى هنا لنحمل
ما قدرنا عليه من هذه الجواهر وهذا الذهب فانه ان بقى هنا يندثر ولا يقدر أحد أن
يحمله ويخرج فى حاجة اليه فاجاب بالسرعة وخرج الى النوبية وسكب عليهم بعض قطرات
من الزجاجة المار ذكرها وفى الحال زال عنهم السحر وانطلقت أيديهم وأرجلهم ونزلوا
من أعالى الشجر يدعون لبهرور ويقبلون أياديه فانه لم ينسهم والا كانوا ماتوا فقال
لهم لا تخافوا فان الساحرة قد قتلت وذهبت روحها الى جهنم وبئس المصير وعاد بهم
الى القصر فدخلوا على فيروزشاه وقبلوا أياديه وحكى لهم بهرور اذ ذاك انه جاء لهذه
الغاية ليخلص سيده من الأسر وان القادر قاده الى مكان أسره ثم قال بهرور اعلم
ياسيدى أنى أتذكر أن هذه الملعونة عندما أتت كانت تصحب معها شخصا وقد ألقته
عند الباب فلم نلتفت اليه ولا نظرناه ولا شك أنه من عباد الله قد جاءت به [illegible]
فى هذه الجزيرة قال أسرع اليه وانظر فى حاله لئلا يطول عذابه فتقدم بهرور الى
جهة الباب ونظر فى الشخص وأمعن بوجهه واذا به فرخوزاد فصاح على رأسه هوذا
فرخوزاد ياسيدى ثم سكب عليه من السائل لأنه علم أنه مسحور لا يقدر على الحراك
وما انت أن نهض فرحا تخلصا من حالته الفجة لأنه كان قد لاقى أشد العذاب فهو
يسمع ويرى ويتكلم انما لا يقدر على الحراك وزاد به الفرح لما نظر فيروزشاه مطلقا
وبهرور العيار عنده فتقدم منهما وسلم عليهما وسلما عليه وكذلك النوبية وجلسوا
فى القصر لأن الليل كان قد أقبل بظلامه فعولوا أن يسيروا فى الصباح وبعد أن استقر
بهم الجلوس دخل بهرور الى غرفة الطعام فلم ير عليها شيئا فتعجب وقال لا ريب أن

هذه الملعونة كانت راصدة هذه المائدة ما دامت حية وكذلك مائدة الشراب ورجع وأخبر سيده فقال لا بأس إنما اذهب الى خارج القصر واحضر لنا من الفاكهة ما نأكله هذه الليلة وفى الغد نسير إلى شاه زنى فذهب وأتاهم بكثير من الفاكهة فأكلوا وحمدوا الله وأتاهم بماء من ينابيع الجزيرة فشربوا وأقاموا ينتظرون الغد وسأل فيروز شاه فرخوزاد أن يخبره بما حدث بعده فى جزيرة الصفاء فقال له اعلم أنى عرفت أن بذلك ينفرط نظام الجيش وينحل فشددت نفسى وأشعلت نار القتال فى نفس الليلة التى أخذتك فيها الساحرة صفراء وكانت ليلة مهولة قتلت فيها فطران شاه وفتكت بعساكر المدينة فاشتدت لذلك عزائم عساكرنا فقاتلوا ببسالة وكذلك اليوم الثانى والثالث حتى دخل إيران شاه بمن بقى معه من العساكر إلى داخل المدينة وقفل الأبواب فأمرت أن يحتاط بالمدينة من كل ناحية بحيث لا يمكن أن يخرج منها أحد وقد خفت من أن يبعثوا بخبر إلى الساحرة فتأتى الينا وتبدد شملنا ولا أعلم ما شغلها عنا وأبقانا أيضا حول المدينة وكنت أرغب فى سرعة فتح المدينة لأرى بعد ذلك ما يمكننى أن أتوصل به اليك وأعلم ما جرى عليك . فى هذا اليوم ضايقت المدينة مضايقة شديدة وكدت أفتحها فى هذه الساعة وفى نيتى أن لا أرجع عنها ما لم أدخلها ولو صرفنا الليل كله فى القتال وكان ميمون وحمدون وبقية القواد يقاتلون قتال الأسود وهم فى كدر من جرى ما وقع عليك وبينما كنت فى وسط القتال وأدور من حول الفرسان وأصيح بهم أن يتسلقوا الأسوار ويدخلوا المدينة عنوة وأنادى باسمى وأفتخر بشرف حسبى وإذا بالساحرة الملعونة قد وقفت على فاستأسرتنى ونادت بالجيوش ففرقتهم وصاحت من بقى منكم بالأمس على هذه الجزيرة أهلكته فارجعوا إلى مواطنكم وبلادكم فهذا الرجل الغريب رفيق فيروز شاه الذى تجاوزت به قد أخذته لأهلكه وأذيقه الموت الأحمر ثم أخذتنى إلى سرير رصدها وطارت بى وألقتنى إلى خارج باب هذا القصر وأنا لا أطيق حراكا وقد خفت منها لأنها انتفضت من هيئتها الآدمية إلى هيئة كبير بقرون ضخمة ورأس كبير كما كانت . فقتلتها والحمد لله على سلامتك وخلاصك من شر هذه الخبيثة الكافرة الظالمة والآن أرى فى نفسى أنه لا بد من أن يكون تفرق جيش الروم عن المدينة الصفا وهرب الفرسان ميمون وحمدون ورفاقهما خوفا من أن تعود اليه الساحرة وقد شاهدا فعلها من بين فى وقته قال أسأل الله أن يرمينى قريبا على الجزيرة المذكورة لانتقم من أهلها وأقتل إيران شاه لأن نفسه صبارة على كل ما صار قال فرخوزاد هذا لا ولهذا الأمر دعنا نسرع إلى بلادنا ونترك الانتقام لأهلها فإن لدينا ما هو أهم من ذلك قال لا بد لى من العود اليها فإنى أريد أن أغيرها كما وقد أتت علينا فلا أحب أن أتركها من يد غير الله سبحانه وتعالى .

وناموا تلك الليلة آمنين من مخاطر الدهر ونكباته فرحين بما نالهم من الخلاص وبانجائهم بعضهم وكذلك النوتية باتوا تلك الليلة في القصر لأن فيروز شاه خاف أن يتركهم يرجعون إلى الزورق فيسيرون به ويتركونهم وحدهم في الجزيرة فلا يتسهل لهم خلاصه فيموتون فيها ومن المستحيل أن يقف مركب عليها بقصد الدنو منها مخافة من صفراء كونها كانت موقعة الرعب في قلوب أهل تلك الجزائر بأجمعهم فلا يجسر أحد على القرب منها ولما كان الصباح نهضوا جميعاً من مراقدهم وحمل كل منهم ما قدر من الجواهر والذهب وأخذ فيروز شاه الثياب والزجاجتين فوضعهما في صندوق واقفل عليها ورفعها فيروز ونزلوا إلى الزورق وكادوا يملؤونه من نفائس قصر الساحرة وقلعوا عن الجزيرة والزورق بحر البحر قاصدين الوصول إلى جزيرة الطاور فاذين الريح من أي جهة هبت ولا زالوا على مسيرهم إلى أن بعدوا عن بعد الجزيرة البيضاء فصاح فيروز شاه فرحاً وقال قد استجاب الله طلبي فاني كنت أحب العودة إلى هذه الناحية بعد وصولنا إلى الصعلوك اغا الصدفة أهمتنا عانا ولـ ذلك فالآن لا بد لي من ان أبعد غايتي في هذه الأرض كما أبعدتها في غيرها فقال فرخوزاد فانا وهذا الأمر دعنا نعرج عنها فاني لا أرى أحداً من رجالنا ولا ريب أنهم قد رجعوا جميعهم عنها وأي شيء نفعنا فيها ونحن وحدنا وليس لنا من يقاتل معنا قال لا بد لي من ذلك وكان الزورق يسير متجها الى نحو الجزيرة حتى وصل بعد منتصف النهار فصعد فيروز شاه إلى البر وفرخوزاد وبقي بهروز حارساً على الزورق وبعد أن بعدا عن الشاطىء قال بهروز لأحد النوتيه أريد منك أن تذهب وراءهما وتقتفي أثرهما وتشاهد ما يكون من أمرهما واذا وقع عليهما أمر مكدر فتعود الي وتنبئني به فسار النوتي من خلفهما وهو يراهما ولا يريانه ولا زالا حتى دخلا الأبواب وسارا في الأسواق من جهة الى أخرى الى أن وصلا الى باب كبير فأرادا الدخول منه فمنعهما الرجل القائم على الباب فصاح فيه فيروز شاه وضربه بسيفه فأرداه قتيلاً وشاهد ذلك بعض الجيران فنادوا بالويل والثبور وهجموا على فيروز شاه بقصد الانتقام منه وأخذ بأثر المقتول فالتقاهم بضرب أحر من لهيب الجمر فلا يقرب منه واحد الا وشطره الى قسمين حتى ازدحمت عليه الناس وهو يفرقها ويصيح فيها ويمزقها بسيفه وفرخوزاد يفعل كفعله وقد عرفهما أهل المدينة فتسارع كثيرون منهم الى ايران شاه وأعلموه بواقعة الحال فقال لا بد لي من مسكهما الآن وأحب ثأري منهما ماذا ترى جرى على صفراء الساحرة حتى تخلصا منها وفي الحال نهض وأمر بالعساكر أن تأتي فيروز شاه ورفيقه وسار هو في المؤخرة ووصل الى مكان القتال وشاهد منهما ما يحير العقول فانهما كانا ينحدران كالصاعقة على القوم ويفرقان الجمع وكلما ازدحم عليهما

مرقاه وصرنا فيه صرنا أحر من النار عند الاشتعال فيتفرق عنهما وعندما وصلت العساكر حملت حملة واحدة فكبر الجمع على فيروزشاه وعرف أن لا شيء ينجيه إلا حسامه النار وساعده القوي فنادى بأعلى صوته ويلكم علوج السودان الا تعلمون أنكم تقاتلون فيروزشاه ابن الملك ضاراب الذي أهلك جمعكم في الأول والآخر وان كان يشتد قواكم بصفراء الساحرة فقد أعانني عليها إلهي فقتلتها وأعدمتها الحياة ثم هجم هجمات الأسود واقتحم ذلك البحر المتلاطم بأمواج الرجال إلا أن المجال كان عليه ضيقا لضيق السوق الموجود ولم يكن تحته جواد فخاف العاقبة وأجرى كل قوة وبسالة حتى أهلك خلقا كثيرا وفتك فيهم فتكا ذريعا وتكومت القتلى فوق بعضها البعض وإيران شاه يصيح برجاله وبعساكره وينادي من منكم قتل أحد هذين الأبيضين أو أسرهما استوزرته وأعطيته ورفعت منزلته فكانت الرجال تقدم فتهلك كمن يرمي بنفسه إلى أتون ارمتقدة فلا يلبث أن يحترق بناره ولما شاهد إيران شاه هذه الفعال أخذه الخوف واشتد به الغضب ودعى إليه فرقة من الجند وقال لهم إذا بقيتم على هذه الحال وقاتلتم هذين الأبيضين تهلكون عن آخركم لأنهما لا يقاتلان ولا يلاقيان في ميدان فاصعدوا إلى أعالي السطوح وارموهما بالحجارة إلى أن يموتا أو يقعا إلى الأرض وأسرعا بالرمي وصوبوه فتسلق العسكر السطوح وأخذوا في ان يرموا بالحجارة عليهما وبالأخشاب وفيروزشاه مشتغل بقتاله لا يعلم بما نابه هذا التدبير حتى تساقطت عليه الأحجار كتساقط الأمطار فعلم أنه هالك لا محاله فقصد أن يخرق الجمع من أمامه ويخرج إلى خارج البلد فصاح فيها صيحة الآساد ومال فيها ميل الأبطال الشداد فباحت بين يديه كما يموج البحر عند الهيجان ولم يتسنى لها أن تفتح له طريقا لكثرتها وضيق المكان فوقعت فوق بعضها إلى الأرض ووقع فيروزشاه فوقها وقد أعمى بصره ما كان يتساقط عليه من السطوح وقد رض جسمه من وقع الحجارة عليه وخدرنا بداه ولما وقع إلى الأرض رمت الجموع الباقية إلى جانبه بنفسها فوقه وصاح إيران شاه أن لا تتركوه ولا تقوموا عنه إلى أن تربطوه فاحتمل ثقل الازدحام وعول على النهوض فلم يعد يمكنه ولا قدر على ذلك فجاءوا بالحبال وربطوه بها واقتادوه ذليلا حقيرا وكان فرخزاد قد أسرته بضربة حجر وقعت على ظهره ألقته على الأرض فكتفوه وشدوهما إلى بعضهما وقد زاد بذلك فرح إيران شاه ورجال المدينة وما منهم إلا من تمنى أن يأكلهما بأسنانه وينهش لحمهما ثم أمر الشاه ان يذهبوا بهما إلى قصره خوفا من أن يتخلصا إلى أن يقتلهما في الغد وأمر أيضا أن ترفع المقتولين من الاسواق ويدفنوا في التراب وكان قد قتل أكثر من ألف رجل من رجال المدينة والعسكر

وما أتى الليل إلا وفيروزشاه وفرحوزاد أسيرين عند إيران شاه قد وضعهما في قصره أملا بألا يخلصهما أحد ولما رجع إلى القصر أحضرهما اليه وقال لهما كيف تريان نفسكما الآن وأنتما في حالة الذل والقهر وما نفعكما عن الدنو من بلادنا فلا بد لي في الغد من قتلكما ليعلم الجميع انى أخذت بثار أخي الذي قتل ظلما منكما فقال فيروزشاه اما ترى أنفسنا نخشى ولا نرهب الموت والاله الذي أعاننا على صفراء الساحرة فقتلناها هو قادر أن يعيدنا عليك فنقتلك ونتملكها فلا تظن أنك تقدر أن تمد الينا يدا أو تقرب منا بسوء قال انكما تعللان نفسيكما بالمحال وفي الغد يظهر لكما خلاف ما تؤملان ثم أدخلهما إلى غرفة في قصره وقفل عليهما الباب ووضع المفتاح عنده وانصرف الناس من قصره ودخل إلى محل نومه وكان الوتي الذي بعثه حاضرا وقد شاهد كل ما وقع عليهما فرجع إلى بهروز العيار وهو على مقالي الجمر لا يعلم ماذا جرى على سيده ولم يعد اليه الوتي ولا أخبره بشيء ودام في قلق واضطراب مرتبين إلى أن أتاه الوتي وأخبره بكل ما وقع عليهما فقال له وأين هما الآن قال هما داخل قصر إيران شاه بالقرب من محل منامته قال لا بأس ثم أخرج من جرابه قطعة من الحلوى فوضعها في فمه وأظهر سروره منها فسأله الوتية عن ذلك فقال لهم هذا حلوى لا يوجد ألذ منها ولا أشهى إذا شئتم أذيقكم إياها قالوا أعطنا منها فدفع الى كل منهم واحدة فوضعها في فمه وما لبث أن ازدردها حتى وقع الى الأرض وكانت تلك الحلوى مشغلة بالبنج فقصد أن يطعمهم منها ليمنعهم عن السفر لأنه أراد أن يذهب خلف سيده وفرحوزاد ويخلصهما ويعود بهما وخاف ان عاد فلا يراهم ويرتابون بالورق فيبقون وحدهم هناك ويعودون مع أهل المدينة الى القتال والنزال وبعد أن سقط الجميع امامه أخذ قطعة من صد البنج فأشعلها ووضعها عند أنف الذي ذهب الى المدينة فاستيقظ فقال له هيا امش الى داخل المدينة لنرى ماذا جرى على اسيادنا وأريد منك أن تدلني على مكان وجودهما قال حبا وكرامة وانطلق أمامه مسرعا فتأثره وقد أصحب معه كل ما يحتاج اليه في مهمته ولا زالا سائرين حتى وصلا الى القصر فوجدا الحرس عند الباب فمضيا الى حائط مرتفع فتسلقه بهروز بمساعدة الوتي حتى صار فوقه ثم دلى حبلا الى الوتي فسحبه اليه ودلاه الى داخل وقفز خلفه كالغزال وتقدما سوية الى جهة فسحة الدار وهناك أشار الوتي الى الغرفة التي فيها فيروزشاه وفرحوزاد فقال بهروز انطرني هنا ثم تقدم من الباب فوجده مقفلا فأخرج من جرابه آلة فوضعها عند قفل الباب وعالجه حتى افلته وانسحب الى داخل الغرفة فوجد فيروزشاه ملقى على فراشه وهو في نوم ثقيل وقد علا غطيطه فتقدم منه وكان في الغرفة مصباح ينبعث منه نور ضعيف بالكاد يقدر ان يميز به بين الشيء الا أنه كان مؤكدا عنده أنه فيروزشاه

الكلام الوتى ولمس أثاث الغرفة ومركزها ثم استل خنجره وضربه فى صدره فاخترقه وراح إلى ما تحت الفراش وفى الحال أرسل صوتا كثيبا أشبه بعواء الكلب واتمص من الألم وقد خرجت روحه بسرعة وسال دمه إلى الارض فرع بهرور منه مفتاح الغرفة الموجود فيها سداه وكذلك مفاتيح القيود المقيدين بها وأسرع خوفا من أن ينتبه اليه أحد من القصر ففتح الغرفة ودخل ولم يكن فى الغرفة نور وكان إذ ذاك فيروزشاه وفرحوزاد بريدهم ويكدرهما يأخذهما نوم فى تلك الليلة وخافا من أن يعد فيهما المقدور فى اليوم الثانى وفرحوزاد اليوم سيده على نزوله وحيدا إلى الجزيرة وقال له ما كان أغنانا عن كل هذه الامور وانى سألتك مرارا الرجوع لم ترجع فى بيتك أن تدوح الجزيرة وأنت وحدك لا معين معك لا سيما فى أسواق هذه المدينة الصفقة قال لا بأس فان هذه أحكام الله يريد أن يجريها علينا وبعد عادته فينا وانى بعونه تعالى لم أعد أخاف من القتل بعد ان وصلت اليه مرارا وقطعت الرجاء من الحياة كثيرا وهو يسخر لى من بعد الموت غنى ومهما اتفق لا أظن أنه بعد شيء بالنسبة إلى ما لقيته فى سجن الساحرة صفراء من العذاب الأليم المعلى بالموت وانى لآمل على ثقة من ان بهرور العيار يستطيع رجوعنا اليه فيسير حالتنا ويخلصنا من هذه الحالة فلا يقبل علينا الصباح إلا ونحن بملك بلا خوف أو رواحه

وفى تلك الساعة وصل بهرور ودخل عليهما كما تقدم الكلام ولم يكن خاف الغرفة مصباح وسمع كلامهما فبشرهما بالخلاص ورجع حالا واتى بمصباح من الغرفة الأولى وتقدم من فيروزشاه ففك قيوده وحل وثاقه وكذلك فرحوزاد وهنأهما بالسلامة فشكراه على مرتدهم وقال لا بد منك أن تأتيا بسلاح وآلة حرب فقال حبا وكرامة ودخل ثانية إلى غرفة إيرانشاه فوجد سلاحه فيها وسلاحهما أيضا فأتى بهما ودفعه اليهما فاعتقلاه واشتد لذلك عزم فيروزشاه وخرج من القصر بعد أن قطع بهرور رأس إيرانشاه وحمله وساروا جميعا إلى مقام العسكر فصبروا إلى الصباح وعند ذلك صاح فيروزشاه ويلكم قد تخلصت بقوة إلى العجمة وأتيت اليكم أتقدم منكم بعد أن مات أميركم وها هو رأسه ترونه أمامكم واستل سيفه وجعل يضرب فيهم مما أوقعهم فى الرعب والسقوط فجعلوا يصيحون الأمان وقد تأكد لديهم موت إيرانشاه فرجع عنهم واحترق أسواق المدينة وهو ينادى بمثل هذا النداء وبهرور العيار يرفع على خنجره رأس ايرانشاه فاجتمعوا كلهم اليه وما فيهم من رعب فى قتاله لعلمهم انه يهلكهم عن آخرهم حيث رأوا من فعاله ما لم يروه من سواه ولا سمعوا به فلذلك لم يروا أوفق من الطاعة والتسليم ولما علم منهم ذلك دعا اليه قائد الجند وقال له انى ارغب ان أقيمك حاكما على هذه المدينة

وملكا فيها وإنما أشرط عليك أن تكون عابدا لله حافظا لشريعته أمينا على عادته. وتكون منقادا لأمر الصعلوك ملك جزيرة الطيور الذى أقمته أنا حاكم على الزوج عوضا عن الملك فيروزك فما صدق أن سمع هذا الكلام حتى أجابه على طلبه وكاد يطير من الفرح لارتقائه درجة الملك فأخذ فيروز شاه إلى دار الحكومة وكبار المدينة من خلفه وأجلسه على كرسى إيران شاه وأمر الكبراء والأعيان أن يبايعوه فبايعوه ونادوا باسمه وكان من المحروسين العقلاء فسر به الجميع وعلمه فيروز شاه عبادة الله والصلاة له وأمره أن يعلم رجاله هذه العادة وينشرها فى كل المدينة ومن خالف وعصى أن يحذره من الموت فإن أصر يقتله وهكذا فعل كل هذا والموتى الذى جامع ... ور سطر ويرى وقد تعجب من هذا الرجل الوحيد وشدة بطشه وبسالته

ولما فرغ فيروز شاه من تدبير أمر جزيرة البيضاء وقد أخذ العهد من الحاكم الجديد على وجوب الطاعة الدائمة للصعلوك وأداء الجزية فى كل عام بحسب الشروط العادلة وأن يقصده عند الحاجة بجنوده ورجاله وودعه وودع الأعيان ورجع إلى الشاطئ ومعه رفاقه فوجد الزورق لا يزال بمكانه والنوتية مطروحين إلى الأرض فتقدم منهم فيروز وأشعل فى أنوفهم من ضد البنج فأفاقهم من رقادهم المثقل فنهضوا عند ما رأوا أنهم ناموا كل هذه المدة ولم يعلموا ما فعل معهم فيروز العيار ثم نزلوا الزورق وأقلع بهم وهم فى فرح لا يوصف وقد أيقنوا بقرب العودة إلى الديار والاجتماع إلى الأحباب بأقرب وقت وذلك بعد أن يجتمعوا بالصعلوك وينظرون إلى حاله وما جرى عليه بعد هذه الكسرة ويصحبون معهم رجال الزوج إلى بلاد الشاه سرور وكان فيروز شاه يخاف من أن يكون الصعلوك قد فعل به الجبن أو حد إلى هرب عن الملك وتركه لغيره إنما كان رجاؤه وثقته يمنعون أن لا يتخلى عنه وأن يحافظ على ما أوصاه به من جهته وكانت الريح جيدة موافقة لمسير الزورق فسار على خطة مستقيمة ذلك النهار وتلك الليلة وكانوا أخذوا معهم من الجزيرة البيضاء من الزاد ما يكفيهم فى سفرهم هذا إلى أن يصلوا إلى مدينة الصعلوك وفى صباح اليوم الثانى أقبلوا على جزيرة الطيور وبانت لهم عن بعد ففرحوا لذلك إلى أن تبينت لهم جليا ونظروا إلى الشاطئ فوجدوا السفن مزدحمة عنده والرجال ... وقد رفعت الرايات وعلقت الأسلحة والقوارب مشغلة بنقل الناس والناس مجتمعة على الأسوار والسطوح فخفق لذلك قلب فيروز شاه وقال إن صح ظنى فالصعلوك قد عزم على الانتقال من هذه الديار خوفا على نفسه من الهلاك

وكان السبب فى ذلك أن ميمون وحمدون وطفل وطفلا لما رجعوا عن الجزيرة الصفراء وركبوا البحر ووصلوا إلى الجزيرة اجتمعوا بالصعلوك وحكوا له ما كان من أمرهم فيها وما وقع لفيروز شاه وفرحوزاد مع صفراء الساحرة وأنها أسرتهما بسحرها ودهائها وقد توعدتهم بالهلاك والدمار فوقع الرعب فى قلبه وخاف جدا من أن تدركهم إلى تلك الديار وتنتقم منه فجمع أعيان بلاده وقواده وعقد مجلسا واستشارهم فى ماذا يفعلون وقد تبين لهم ان الساحرة صفراء لا بد أن تقصدهم وتعيد لهم عبادتهم القديمة وهى عبادة النار والأحجار وتمنعهم من عبادة الله وقد وجدوا لذة فى هذه العبادة ولم يعد يخطر لهم أن يغيروها حيث تبين لهم أنها حقة صحيحة ولا بد لهم من مخالفة الساحرة فتميتهم شر ميتة وتهلكهم عن آخرهم وقال لهم الصعلوك انى أعلم ان الملكة شطارة ترسل اليها وتستنجدها لأنها حينئذ محالة ولا بد ان تكون فى البلاد من هو لم يتعلم عبادة الله ومن يميل إلى الملك القديم وهم أنصاره الذين يزعمهم فيروزشاه وعزلهم وطردهم وهؤلاء أيضا يمشون اليها بطاعتهم لأبرانشاه ويخبرونها بما كان من أمرنا وأمر ابنتها ولا تحتاج إلى أكثر من كلمة من سحرها وكلما انتبهت تخرب هذه البلاد وتوقع بأهلها المخالفين والذين انقادوا لفيروزشاه وأقاموه على البلاد قال ميمون إن كل ذلك لا بد منه وانما نرى من اللازم أن نستدرك أمرنا ونرحل من هذه البلاد ونتركها لغيرنا قالوا إلى أين نذهب قال نذهب إلى بلاد إيران إلى الملك ضاراب سيد بلاد فارس فنقيم عنده ونعلمه بما كان من أمر ولده والساحرة ونصحب معنا خمسة وعشرين ألفا من العساكر وهى التى كان فى عزم فيروز شاه أن يصحبها معه فاستصوب الجمع كلامه ووجدوه عين الصواب وفى الحال أمر الصعلوك بتهيئة العساكر وإخراج المؤن وتهيئة السفن وقد أنزلوا كل ما يحتاجونه فى سفرهم هذا وأنزلوا نساءهم وأولادهم وكذلك الصعلوك أخذ زوجته سلكوتا وأمتعته وأصبحت البلاد فى اضطراب وهياج وازداد النهب فى الأسواق ولم يعد يلتفت أحد إلى الآخر ولا الأم تعى على ولدها وما فيهم إلا من يبكى الديار ويندب فراق الوطن وباتت الملكة شطارة فى سرور من هذا العمل وبثت عندها حلو الجزيرة لها فدعت أخواتها اليها وأوصتهم ان لا يرصدوا وأن يقيموا بالبلاد وهى تستعطف خاطر الساحرة لهم بأن تكون راضية عنهم لأنها كانت محبة لزورجهار غاضبة عنه وفيما كان قد انتهى الحال ولم يبق إلا ركوب العساكر السفن وقد أخذت فى النزول وصل فيروز شاه كما تقدم الكلام وارتاب فى هذا العمل وأمر الوزير بإسراع السفينة وأن يقربوا من أحد السفن ليستفسر عن السبب الموجب لما يراه ففعلوا وفى أقل من نصف ساعة قربوا من إحدى السفن فشاهدوا عليها النساء والأولاد والشيوخ فزاد ارتياب فيروز شاه من ذلك ودنا من مقدمة الزورق وصاح فى الذين على السفينة فقالوا

كلهم الى جهته ولما نظروه علت منهم الأصوات وصفقوا من عظم الفرح والسرور ودنا رئيس السفينة وأخبره عن حالتهم والى أين يقصدون فطارت عنا فيروز شاه من هذه العمل وقال والله لو تأخر مسيرنا يوما واحدا لخربت هذه البلاد وتشتت اهاليها فى أقطار العالم وهم لا يعلمون ما جرى على صفراء الساحرة وأمر فى الحال أن يسير الزورق الى جهة الشاطىء ففالوا به وكلما مر على سفينة ينادي من بها يأمرهم بالرجوع الى البر فترتفع منهم أصوات البشرى ويرقصون من عظم الفرح الى أن وصل إلى البر فوجد هناك الملك الصعلوك والأمراء والأعيان والعساكر تنزل الفوارس وقد رأوه سالما ومعه فرخوزاد فاستبشروا بزوال الخوف وتوطيد الأمن وهجموا عليه يقبلون أيديه ويسلمون عليه وسلم هو أيضا عليهم وأمر باخراج الناس من السفن ورجوعهم الى مواطنهم وان ينادوا فى الحال بكل الجزيرة برجوعه سالما وقتل صفرا وقتل ايران شاه وقطران شاه واقامة عوضهما من يعبد الله ثم تخلل فيروز شاه تلك الجموع بنفسه وطاف فى الأسواق لنراه كل عين ويصدق برجوعه الكبير والصغير فنزل هذا الخبر على الملكة شطانة بزول الصاعقة وكذلك على أخوانها وحمل برجوع ما أهمه ورجع أيضا الرجال والنساء الذين كانوا فى السفن وقد حمدوا الله على بقائهم فى أوطانهم وعاد كل الى بيته آمنا على نفسه وماله يدعون لفيروز شاه طول العمر والبقاء

ولما أخذت الحال فى الهدوء وصارت الناس تعود الى أشغالها دعا فيروز شاه اليه الصعلوك والامراء وسألهم عما كانوا يفعلون فحكوا له أنهم كانوا يقصدون بلاد ايران فينزلون على أبيه الملك ضاراب ويلزمونه ويعيشون تحت ظله وفى حمايته لأنه يعبد الله مثلهم ويطلعونه على ما جرى عليه . وقال له فيمون انه لولا وجود مثل هذه الساحرة لما كنا نخاف أحد وكنا سعينا بجمعنا الى خلاصك ولا رجعنا عن الجزيرة البيضا انما لا قدرة لنا على احتمال عداوة مثل هذه اللعينة لأنها قادرة على هلاكنا بيوم واحد بما تعرفه من قوة السحر والكهانة وقد شاهدت ذلك بنفسك فلا نقدر أن نصل اليها ولا فى وسعنا أن نرجع الى دينها ونقيم تحت حكمها وحكم الكافرين من مثلها قال انى أعذركم على ذلك وصوابا فعلتم لأنى لو لم أرجع اليكم من اللازم أن تتركوا هذه الديار ولا تعودون الى عبادة عبد الله سبحانه وتعالى فهو رحوم عادل لا يترك من يعبده ويلوذ اليه ولو كنت أعبد غيره . لما كان تسهل لى الخلاص من بين أيديها ولا ريب انى كنت اهلك لا محالة وقد دعوته فاستجاب دعائى وتوسل الى من بلاد ايران من خلصنى وخلص فرخزاد فخلصكم من هذه الطائفة الغاشمة ثم حكى لهم ما من أمر فيروز العيار وكيف أن الريح وافته بالرغم عنه الى تلك الجزيرة فرمته عليه وأخذته الساحرة وقصدت زواجه وكيف قتلها وأراح عباد الله من شرها وأتى الجزيرة البيضاء وقتل ايران شاه ونشر فيها عبادة الله عز وعلا فتعجبوا

حيعا من كلامه ومن محدث فعل الله وأحكامه ولا سيما الصعلوك فانه قال له الآن يا سيدى قد اطمأن بالى ولم يعد أحد يخاصمنى ولم أعد أخاف أحدا وبقى أن أقتل أم روحتى لأنها لا تزال على دينها وهى تطمع فى أن تنزع الملك إليها قال لا خوف منها وإذا قتلتها تتكدر روحتك وتنغص عيشك حيث قد قتلت لها أباها وأمها وهذا ليس بصواب . ثم أمر فيروز شاه فدعا شطاية إليه ونهاها على فعلها وقال لها لم يكن فى عهدى انك تحرضين على صهرك وقد أعهد إليه أمرك وتروح بذلك ارضاء لك بحيث بقى الملك فى يدك وليس لك ذكر يرث بعدك على عرش هذه البلاد وبذلك تحفظ ولا ترضى بعده وان كان قد قتل روحك فقد نجاح منه تعالى وأريد منك الآن أن ترجعى إلى عبادة الله وتعملى بارضاء صهرك وإلا فملك قبل أن اخرج من هذه البلاد ولا أحد يمنعنى عن ذلك فأطرقت إلى الارض حياء وخجلا واعتذرت إليه وعاهدته أن لا تعود فيما بعد إلى عمل مثل هذا وأنها تخلص الود إلى صهرها وتتفق معه على الحب والولاء فسر الصعلوك من كلامها وبعد ذلك أمر فيروز شاه ميمون وحمدون وبقية القواد أن يكونوا على استعداد إذ فى نيته الرحيل إلى بلاد اليمن بعد يومين وأن تبقى العساكر مهيأة للسفر وكذلك السفن . فأجابوه إلى طلبه وخرج بعد ذلك من الديوان ودخل قصر ممامه فوجد سرورا وقد أتى بكل ما فى الزورق من الجواهر والذهب إلى القصر وأيضا الملابس المطلسمة والزجاجة وكان قد أوصاه بالحفظ عليها جميعها وأن لا تفقد ولا واحدة منها وقد وضعها كلها فى صندوق محفوظة متينة ولا يمكن كسرها فنزع فيروز شاه ما عليه من الثياب وأكل مطمئنا ونام تلك الليلة مرتاح البال وقد أكد عنده أنه سيبارح تلك البلاد بعد يومين وبعد أيام قليلة يكون عند الشاه سرور

وفى الصباح نهض من فراشه فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وخرج ومعه فرخزاد وسرور إلى الديوان بعد أن طاف فى نواحى المدينة ووطد الأمن فى كل جهة وصوب وبعد ذلك جلس حاء الناس أفواجا يهنئونه بعودته وخلاصه بالسلامة وهو يشكرهم ويحرضهم على مداومة عبادة الله وطاعة ملكهم الجديد وهو الصعلوك فكانوا يعدونه بالاخلاص والطاعة حتى مضى ذلك النهار وجاء اليوم الثانى على تلك الحال وفى اليوم الثالث نهض من منامه باكرا فوجد الأمراء ينتظرونه عند الباب فسلم عليهم وسألهم اذا كانوا قد هيأوا أنفسهم للسفر فأجابوه بانهم على استعداد وان الجند أجمعه ركب السفن وقد نقلت المؤن واحتياجات السفر ولم يعد الا صدور أمره بالرحيل فشكرهم على ذلك وخرج معهم الى الديوان فوجد الناس فى ازدحام أقدام وقد سدوا الطرقات فظهرت له علامات الوداع فكان يودعهم بشاشة وحب ولا ينظر الى وجه أحد الا ويرى الدموع تتساقط فى عينيه فأمطرت هذه الحالة

قلبه وكدره بعاده عنهم وتبين له خلوصهم فكان حزينا جدا وما انتهى إلى الديوان إلا على آخر رمق بما لقي هنالك وكان حاضرين الأعيان والأمراء قد أتوا لوداعه فجلس قليلا بينهم ثم سأل الصعلوك أن يمسه حاجة بعد فيقضيها له قبل رحيله فقال كلا يا سيدي فليس لي إلا الطلب من الله أن يعيدك إلى سالما وأن نرى بعد ذلك يا ثم قال فيروز شاه لبقية الأمراء والأعيان الذين تخلفوا في المدينة انى الآن أفارقكم وقلبي يقطر دما من حزني لفراقكم وإذ كنت غريبا في هذه البلاد كان لا بد لي من الرجوع إلى وطني وانكم تعلمون اني ابن ملك من أكبر ملوك الأرض وبلاد في واسعة جدا ومملكته تطرق لتضمني إليها وهي في احتياج إلى الآن لأني وحيد لأبي وعليه فلا أقدر أن أسكن في هذه البلاد التي ساقني إليها الله بعنايته منه لأنشئ فيها روح عبادته ولأهلك تلك الساحرة اللعينة ولأبعد الظلم من بينكم وبمساعدته تعالى نجحت جدا وأذهب الآن عنكم وأما مسرور كوني أحببتكم لي نصراء وصرت لكم نصيرا ما دمت حيا وحيث آن أوان رحيلي عنكم وهذه آخر ساعة من قيامي عندكم فاشكركم لي حكم الخالص لي وأسألكم بالله أن تديموا الاخلاص لملككم الصعلوك وتذبوا عنه وعن سلطته وسيري رجالكم من الدين يصح في ما طاب خاطرهم وأكون لهم كأب حنون ويكونون لي كأخوة شفوقين على صالحي وصالحي فادعوا لي الآن بالسلامة وملاقاة الأهل على الخير والله يجمعنا في ما يأتي من الزمان فهو السميع فصح الجمع بالدعاء له وما فيهم إلا من سكب من الدموع أنهرا وسواقيا وأسف على بعده ورحيله ثم سار وسارت من خلفه تلك الجماهير ومن فوق رأسه الرايات وقد سدت الطرقات الأهالي وملئت السطوح من النساء والبنات إلى أن نزل البحر وركب المركب وهناك ودع الجمع الوداع الأخير وأوصى الصعلوك بثبات الجنان والحكم بالعدل وبما يرضيه والمحافظة على دين الحق بالهمة والاجتهاد وفي نحو ساعة من رجوع الناس والصعلوك أقلعت المراكب بحر البحر وقد ارتفعت فيها أعلام بلاد فارس وتفرقت كالنجوم في سماء ذاك البحر وفي الوسط مركب فيروز شاه وهو متكل الوجه بالأنوار والمسرة ينظر إلى نحو بلاد اليمن بطرف الفرح وقلبه يطفح منه ويستلقي النسيم الهاب من تلك الجهات الا انه كان في حيرة عظيمة مشغل الفكر يكاد لا يطيق صبرا عن أن يعرف ما هي الحالة التي فيها عين الحياة وهل صار عليها شيء ولا يصور الفاني حالة فيروز شاه وتقلب أفكاره فكان تارة في هناء ومسرة وطورا في قلق واشتغال بال ولا سرله ما يلهيه عن الافتكار بمحبوبته وأنه فيسره عندما يفكر أنه إذا وصل إلى بلاد اليمن ويجتمعها بمحبة ويعيش براحة فكر وطيبة ويتكدر حينما يخطر له أنه إذا دخل تلك البلاد وسمع أنها مريضة أو

مصابة باحتلال لأحله أو طرأ علها طارىء آخر أعظم وكان لا يخطر له أن عين الحياة ترضى من بعده أو تميل إلى الزواج ولذلك كان آمنا من أنها تكون قد تزوجت أو أجبرها أبوها على أن تتخذ بدلا منه ولا زالت المراكب في مسيرها وهو في أفكاره حتى تبين له شاطىء عن بعد فسر مزيد السرور وتهلل وجهه وتذكر محبوبته فردد ذكرها مرارا وأنشد في نفسه

ان لم ازر ربعكم سعيا على الحدق ... فان ودى منسوب إلى الملق
بت يدى ان نأى عن ربارتكم ... بيض الصفاح ولو سدت بها طرقى
يا جيرة الحى هلا عاد وصلكم ... لمدنف من خمار الوجد لم يفق
لا تنكروا فرقى من بعد بعدكم ... ان الفراق لمشتق من الفرق
لله ليلتنا بالقصر كم قصرت ... فظلت مصطبحا فى زى مغتبق
وبات بدر الدجى فيها مسامرى ... منادما فيرين الخلق بالخلق
وكم حرقنا حجابا للعتاب بها ... وللعفاف حجاب غير منخرق
هب النسيم بما نسا وشوقنى ... وطالما هب نحدنا فلم اشق
فما تنفست والأرواح سارية ... إلا اشتكت نسمات الريح من حرق

وكانت هذه الأفكار نفسها تشغل فرحو زاد كما كانت تشغل فيروزشاه لأن داءهما واحد وكلاهما مفارق الاهل والوطن والمحبوبة ويتمنى سرعة الوصول إلا ان فرحوزاد كان أشد كدرا لعلمه انه لا يقدر ان يسعى بالحصول على مطلوبه الا بعد حصول سيده على عين الحياة غير ان رجاءه كان قريب الحصول فيعلل بالاماني والآمال

فهذا ما انتهى من خبر فيروز شاه ورجوعه من بلاد الملك فوربك وسنعود اليه بعد قليل ان شاء الله وسنرجع الى ما ذكرناه من مسير طلوس وزير الملك ضاراب ثمانين الفا من جنود بلاد فارس وقد سبق الملك ضاراب بايام وهو يطير مقدمة للجيش الفارسى فلا زال فى مسيره على خطه السرعة املا بالوصول الى بلاد اليمن قبل سيده الملك ضاراب لقضاء الحاجة التى جاءوا بسببها وكان بين ملك الجيوش رجل يقال له سامك سافا طامح الى المعالى راغب فيما يؤل الى ان ينتظم فى سلك الامراء ويلبس الغفاء الاحمر الذى كان يلبسه البهلوانة والامراء على رؤوسهم فى ذلك الايام ليمتازوا به عما سواهم وكان هذا الرجل واسع الصدر عريض المنكبين قوى البنية ثابت الجنان من اشد رجال الفرس اقداما وبسالة ولم يكن يرى وسيلة لاظهار شجاعته وترقيه الى الدرجات السامية لعلمه ان المراتب لا توجه الى اهلها الا بالاستحقاق وبالبرهان فمن برع بالقتال وامتاز عما سواه

مال الشرف والفخار فلا يسمو إلى غايته وينال المجد إلا في القتال ولذلك استغنم هذه الفرصة ثبت عنده أنه سيعقد له على جيش وانصرف ذلك القائد إذ ذاك بطلوس وقابل بين يديه حتى القتال فدنا منه وقبل يديه فقال له ماذا تريد يا سامك قال اعلم يا سيدي اني راغب في ركوب درجات الافتخار ولا بالوصول إلى مراتب الفخار ولذلك أريد منك ان توجه انظارك إلى حتى شاهدت من قتالي ما يرضيك ويسرك سعيت لي لدى سيدي الملك صار اب فلمسي القائد الأحمر ويعقد لي على جيش من جيوشه قال حبا وكرامة فان الملك لا يضيع حق مخلوق ولا يتغافل عن خدمة أحد فاذا تبين لي أنك تستحق هذه الرتبة وقاتلت بين يدي هذا الجيش قتالا يستحق الذكر كتبت إلى سيدي الملك وأخبرته بذلك ورجوته أن يلبسك القائد ويعقد لك على ثلاثين الف فارس قال ان لم ترني قد امتزت بحق على جميع هذه الجيوش وفقتها عملا وبسالة فلا أكون مستحقا لرضاك ورضا الملك وكان طيطلوس ينظر إليه ويتفرس بحكمته في وجهه فلاح له فيه وجه الشجاعة وترجح عنده انه يقدر على ما يقول فقربه منه ووعده بكل جميل إذا قام بما وعد ودامت العساكر على سيرها إلى انتهت إلى حدود اليمن ودخلتها وحينئذ أمر طيطلوس بالنزول وأخذ الراحة إلى يومين فحطت الجيوش في تلك الأرض وفكت أحمالها وباتت كأنها تستعد للحرب بعد أيام وتنتظر ما سوف يكون من أمرها ومن أمر أصحاب البلاد

قال ولما نظر أهل تلك النواحي عساكر الفرس وقد أقبلت أيقنوا بوقوع الشر ودوام الحرب بين اليمن والأعجام وحملوا من أمامهم خوفا من أن يفتكوا بهم في أثناء مرورهم عليهم وساروا يقصدون بعراء اليمن وكلما مروا في طريقهم على قوم منهم أخبروهم باتيان جيش الأعجام فيخاف الآخرون ويقصدون بحريمهم وأولادهم إلى أن تألف منهم جمهور غفير يكاد يسد ذلك الفضاء وكان شائع في كل أقطار اليمن خبر فيروز شاه وما جرى له مع الشاه سرور وما منهم إلا من كان ينتظر وقوع الشرور بين هاتين المملكتين وإذ ذاك لا بد من خراب واحدة منها وكان الرعب واقع في قلوبهم من جرى ما يسمعونه دائما عن سطوة الأعجام وكثرة فرسانهم وقوادهم وما هو عليه ملكهم من البطش والاقدام ولا زال الفارون يهربون بعضهم ويجتمعون على بعضهم ويسيرون إلى بعضهم حتى احتاروا وأكل بلك البلاد ودخلوا بعراء اليمن فارتاب أهلها فخرجوا اليهم وسألوهم فاخبروهم بقدوم عساكر الفرس فوقع الرعب في قلوبهم وأما الشاه سرور فانه دعا اليه بعض الذين حضروا واستفسر منه عما رأى فاخبره انه شاهد عساكر الأعداء مقبلة وهي رافعة الرايات

الفارسية قاصدة هذه البلاد . قال ألا تعلمون كم عددها ومن عليها قال لا نعلم لأننا حالما نظرناها أولمنا هربا لئلا نقع في أيديهم وأتينا نجتمع تحت رايه شاهنا وملكنا قال لا بأس عليكم ثم دعا طيمور اليه وقال له ما كان أعماك عن وقوع كل هذه الشرور وها قد اقبلت عساكر بلاد إيران ترعى بلادي وتدمر ما وصلت اليه يدها ولا بد أن تجرى حروب ننسا بذكرها حيلا بعد حيل فلو نتلافى الأمر ونصطحب مع الملك ضاراب لكان من الخير ما هو أوفق لنا وأهل صبرا قال لا بأس فسوف ترى ما يحل بأعدائك من الويل والثبور وكيف نحاربهم وبلادنا واسعة وعسكرنا كثير وقد يمكننا أن نجمع من الجيوش أضعاف ما يجمعون ومن أدراك لا يكون النصر لنا وننهب أموالهم ونقسمها ونقلع آثارهم ونقيم عليهم حكاما منا وبامرنا وعما قليل تشاهد بعينيك ما تسمعه باذنيك والآن لا ينبغي أن نتهامل في الأمر بل يجب أن نرسل هلالا العيار يجس لنا حالة القوم ويأتينا عنهم بالخبر الصريح ونحن نكاتب المقدمين والولاة فنأمرهم أن يأتونا بما عندهم من العساكر على قدم السرعة فاستحسن الملك كلام طيمور وأمر أن تكتب الكتب وترسل إلى أربابها وبعث بهلال العيار إلى جهة جيش الفرس يتجسس أحوالهم ويخبرهم بطنا وظهرا ويعلم ما هو مقدار قوتهم وعددهم فانطلق ذلك العيار وكان سريع الجري محتال الاعمال خبير الأحوال محنك من الدهر كثير المكر والدهاء يركن اليه الشاه سرور في كل أمر ويعهد اليه بالمهمات الكبيرة فوصل إلى القوم وهم في حال نزولهم واختلط بينهم دون أن يعرفه أحد منهم أو يلتفت اليه حتى عرف كبيرهم وصغيرهم وعلم علم اليقين كم هو عددهم ومن منهم من الفرسان وكر راجعا يخترق البراري والهضاب وهو لا يفتر عن الجري السريع حتى دخل على مولاه وهو في ديوانه فسأله ماذا رأى في سفرة فقال انى رأيت عساكر الفرس وعددهم ثمانون الفا لا أكثر من ذلك تحت امرة الوزير ططالوس صاحب الرأى في بلاد فارس ومعه من فرسان العجم وبهلوانية إيران بهمرار قنا وهو من الفرسان الأشداء المعروفين في بلاد فارس أحد السبعة بهلوانية المشهورين في تلك البلاد ونشأه فلرزر البهلوان ورأيت من الفرسان فارسا كبير الهامة عظيم الهيكل اسمه سامك سيا قنا وغيره كثير من الرجال المشهورين فلما سمع كلامه الشاه سرور استشار طيمور فيما يفعله قال اني أرى من الرأى الحسن أن ترسل نحوا من مائتي الف فارس مع اثنين من أبطالك فلاقون جيش فارس على بعد من هذه البلاد حيث تصل أخبارهم دائما الينا ولا ريب ان مائتي الف من عساكرنا تكفي لابادة هذه العساكر القادمة وتشتيتها عن بلادنا فاستصوب الشاه سرور هذا الرأى وفي الحال دعا اليه ولديه وهما الشاه هرير والشاه ليث وقال لهما أريدكما أن

تسيرا على مائتي الف من الفرسان لملاقاة طيطلوس على بعد من هذه البلاد خوفا من ان يصل الينا ويكون القتال على مقربة منا انما لا تقطعا عنا الاخبار بل اوصلاها الينا مع الرسل بالتفصيل واياكما من التهامل فتنتصر علينا اهالي إيران ويوقعون فينا وهم ليسوا اكثر من ثمانين الفاً وانتما معكما مائتا الف فبادروهم بالقتال وداوموا النزال واتكلوا على العزيز المتعال فقبل الشاه هرير واخوه يدي والدهما وخرجا من من عنده لتدبير العساكر فعقدا لكل فئة قائداً واخرجا الرايات وفرقا الاسلحة وفي اليوم الثاني ركبا وركبت من خلفهما الفوارس وضربت أمامهما طبول الفخر ولاحت على رؤوسها البيارق وبارحا المدينة يقصدان ملاقاة الاعداء

وأما الشاه سرور فانه بعد ان انفض الديوان وسافر ولداه بالعساكر ذهب الى بنته عين الحياة يتفقد حالها ويشرح صدره بالنظر اليها وسماع حديثها فوجدها في كآبة وحزن وكان قد خطر له ان كل عملها هذا ربما كان لاجل فيروزشاه انما لم يكن يرغب في ان يظهر شيئا من ذلك وكان يحب ان يخفف مصابها ويسليها وكلما سألها عن حالها تخبره ان مرضا بها لا تعلمه ولم تنجح بها مداواة الاطباء وأدويتهم فدنا منها وقبلها وقبلت يديه وجلس الى جانبها وضحك في وجهها وسألها عن حالها فقالت له اني لا أزال على حالي وقد زادت اليوم ألما من سفر اخوتي الى قتال الاعجام وأخاف ان يكون بين رجال الفرس من هو كفيروزشاه اقداما وبسالة فيفتك في جيوشنا وربما لحق باخوي من ذلك ضرر لا يمكنا بعد ذلك دفعه ويكفينا ما نحن فيه من المصائب فان احد اخوتي هو الآن أسير في بلاد الاعداء من يوم حرب سرور وميسرة والثاني وهو الشاه غضنفر قد قتل من يد الاعداء ظلما وعدوانا وها الشاه هرير والشاه ليث قد ذهبا لحرب لا تعلم عاقبتها ولهذا تراني مكدرة جدا من هذه الامور وكنت احب ان لا نسمع الى ظهور فانه سيء الرأي يحب للشر فبالله عليك ان تعمل على حقن لدماء العباد قال لها اني كنت لا ارغب في انتشاب حرب بيننا وبين الاعجام انما لم يكن بحيث المقدر فانهم المعتدون واني اشعر من نفسي اني ما اخطأت بالانقياد الى ظهور الا بامر واحد وهو اني ضعفت فسلمت فيروزشاه ورفيقه الى هزبرك ولو سمعت الرائد من الشاه سليم واطلقتهما وسلمت اليهما سلاحهما وجواديهما لكانا بددا جيش هوزبك ودفعاه عنا وكفيانا خلاصا من كل هذه الويلات المحيطة بنا وأما الآن فقد عمش وسعنا الا الذب عن الوطن والمحاماة عن النفوس ودفع من يقصد مهاجمتنا حفظا لناموس الملك وشرفنا بين الرعايا فلا يقال عنا انا عاجزون عن ملاقاة الاعداء قالت اخاف ان تدور الدوائر علينا في هذه الحرب فيتمكن الملك ضاراب من انفاذ مقاصده فينا قال هذا لا يكون ابدا لان جيوشنا تضاعف دائما جيوشهم

ونحن فى بلادنا نقاتل ونعود إلى بيوتنا فرباح وأما هم فمنزلهم البر والفلاة فتحرقهم شمس النهار ويقرسهم برد الليل فيمسون ويصبحون فى تعب وعدم راحة وانى أسلم امرى إلى الله فى ذلك ولا أسأل عن شيء فى كل مملكتى أكثر مما سأل عن راحتك وعنك وأريد أن تبقى دائما عندى وأمام نظرى اراك فى كل يوم فتكدرت من كلامه هذا الاخير وعرفت أنه لا يطيق أن يزوجها بارادته لاحد ولا لفيروزشاه فان بلاده بعيدة عنه ثم قبلت أيديه وشكرت حنه وتركها وذهب إلى قصره واقامت هى فى بحر من الهواجس والأكدار تندب حظها وتنظر إلى حالها بعين اليأس وتفكر بالأكدار والمصائب المحيطة بها فان كلا المتحارِبين يهمها أمرهما وترغب لهما بالنجاح والتوفيق والنصر وكانت تعلم بالتأكيد أن أباها اذا انتصر على الأعجام وظفر بالملك ضاراب لا يعود مطلقاً يسلم بزواجها لفيروزشاه إذا عاد سالما بحيث يكون قد فعل به الكبر وشيطان التشامخ إلى الازدراء به ولا يعود يرهب لهم جانبا ويضمحل اعتبارهم عنده وبالعكس اذا انتصر عليه الملك ضاراب فان العداوة تشتد بينهما إلى حد أن يعود فى وسع ابيها أن يرى أو يسمع بذكره فيمنعها عن فيروز شاه أو يبعدها إلى غير بلاده وليس فى إمكانها مخالفته والخروج عن طاعته وكانت تطلب دائما إتيان فيروزشاه قبل اشتداد نار الحرب بينهما لعلمها أنه إذا جاء يجهد نفسه فى منع القتال وإلقاء الصلح والسلام وإذا لم يكن ذلك فى الامكان يترجح النصر للأعجام ويكون حل مناله لاجل الحصول عليها فيدك تلك الحصون المنيعة ويدمرها ويدك الأسوار المانعة ويأخذها بالرغم عن كل مانع لأن المنال الآن لا يكون لاجل هذه الغاية فلا تستفيد منه شيئا وربما لا يستفيد منها بعد أيضا فيكون قد خربت إحدى المملكتين بدون الوصول إلى نوال الغاية التى انتشبت بسببها هذه الحرب ودام هذا الأمر موضوع بحثها وشاغل فكرها ولم يعد يسمح لها أبوها بالخروج من قصرها إلى حين يتخلى العدو عن البلاد

وبعد أن خرجت عساكر اليمن من تعزاء سارت وهى على استعداد تام طالبة لقاء الأعجام إلى أن التقت بها عند سهل واسع على بعد أربعة أيام عن المدينة وإذ ذاك ارتفعت أصوات الجموع وعلت غوغاء القوم من الفريقين وكان فيما بعد العصر فوقف كل من القومين عند حده وإذ لم يكن وقت للقتال نزلوا للمبيت ينتظرون اتيان الصباح ليباشر كل مهمته وهم يصيحون ويضجون وكان بطلوس قد رأى تلك الجيوش فعلم أنها من اليمن آتية لقتاله وقد بلغها الخبر بقدومه فقصدت ملاقاته على بعد وقدسره ذلك أملا أن يقضى الامر قبل اتيان سيده الملك ضاراب الا أنه تذكر أنه أوصاه قبل رحيله أن لا يباشر حربا مع رجال اليمن الا بعد أن ينصحهم ويعرض عليهم السلام والمصادقة وأن يسيروا الى خلاص فيروزشاه من بلاد الروح ولهذا كتب كتابا الى

الشاه هربر وأخيه يقول لهما انه ان سيدي الملك صاراب أوصاني أن لا أقيم حربا معكم وأن لا أكون البادئ بها اذا كنتم تقبلون سلاما وتسيرون الى خلاص ابن سيدنا الذي غدرتم به وعاملتموه بالخيانة والخداع وسلمتموه الى العدولية قتلوه مكافأة لما بادئكم به من الجميل والمعروف وحسن العمل ولهذا أعرض عليكم ذلك فان أجبتم كان خيرا فلا يقع بيننا وبينكم قتال ويحقن دما عباد الله والا فتكون نار الشر قد أضرمت منكم وخرقتم حجاب الانسانية وتعديتم على الشريعة الالهية ثم بعث هذا الكتاب مع رسول من عياري بلاده وأوصاه أن يدفعه للشاه هربر ويعود اليه بالجواب منه ولما وصل التحرير الى الشاه هربر وقرأه وعرف ما تضمن اجتمع بأخيه وعرضه عليه واستشاره فيه فاذا يخبيان فقال هذا ليس من حقوقنا وان آبانا ما أمرنا الا بالقتال ولو كان يقبل بمثل ما يشير الآن الوزير طيطلوس لقبل من الاول حين وصل اليه كتاب الملك صاراب وليس من الصواب الا أن نباشر القتال في الغد ونبيد هؤلاء القوم الذين دخلوا بلادنا بهذه الفئة القليلة وفي زعمهم أنهم يفوزون مع أن والدي اذا قصد أن يجمع كل جيشه لا يكون أقل من ألفي ألف من الرجال وقد أصر على ذلك وكتب لكل عماله وأنصاره أن يكونوا على استعداد وأن يحضر بعضهم فأجاب طيطلوس أن لا اذن لنا من والدنا الا بالقتال أو ان نعود من حيث أتى ونرجع عن بلادنا فلم هذا الكلام الى الرسول فعاد الى مولاه وأخبره به قال اذا لا ذنب علينا بل عليهم الذنب كله لأنهم لا يرومون في الصلح والسلام وأمر جميع القواد أن يبدوا على استعداد للقتال واذ ذاك تقدم سيامك سياقا بين يدي طيطلوس وقال له ياسيدي اني أذكرك بقولك وما وعدتني به وقد جاء الوقت الذي يمكنك أن تراني به على أحب ما تريد وما يريد سيدي الملك صاراب قال اني أنتظر منك الوفاء فيما قلته واني لا أخاف معك وعدا انما ملزوم به ومسئول عنه لدى الله والملك والانسانية فان لم أدرك حق قدرك فأكون ظالما باغيا

وباتت الفرقتان تلك الليلة في ذلك المكان وكل منهم يطلب من الله النصر والظفر على خصمه ولما أقبل الصباح وأشرقت شمسه على تلك الجيوش الطالبة القتال خرجت من مرابضها كما تخرج الأسود من غاباتها بعد أن تقلدت بأسلحتها وجمعت عددها وركبت ظهور خيولها وانتظرت ركوب قوادها ورؤسائها وانتشار بيارق الحرب وأعلامها وفي تلك الساعة ركب طيطلوس والى يمينه بهمرار قبا وسيامك سياقا وبقية الفرسان والقواد وكذلك ركب الشاه هربر والشاه ليث وارتفعت الرايات تخفق فوق رؤوسهما واحتاط بهما الحرس من كل جهة وصوب وترتبت تلك الجيوش

بالميامن والمياسر وإذا بالوزير طيطلوس أشار إلى جيش الأعجام باقتحام أمواج الصدام أمر الشاه هرير عساكره بالهجوم والاقتحام ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى اشتبك القومان واختلط الجيشان واشتعل الضرب والطعان من كل ناحية ومكان وكان يوما عظيم الأهوال كثر فيه القتل والقتال واتسع على القوم المجال وفعل سيامك أفعالا تذكر مدى الأجيال وتتحدث بها الرجال عند ذكر حوادث القتال وقد اخترق الصفوف وفرق المئات والالوف وكذلك بهمن ارونا فقد مال على الأعداء ميلان الأقوياء على الضعفاء وضرب فيهم ضربا شديدا وبدد شملهم تبديداً وقد سر طيطلوس بما شاهده من سيامك سياقا وقد لاحظه وراقبه فتبين له منه صدق ما قاله وما صدق القوم أن أقبل مساء ذلك اليوم حتى رجعوا عن الحرب يطلبون المضارب والخيام لأجل الراحة والمنام وقد ثبتت عساكر الاعجام ثبات أسود الآجام وعادوا وهم فرحين بما تبين لهم من قوتهم وضعف الأعداء مع كثرتهم ولما رجع سيامك إلى بين يدى طيطلوس قبله بين عينيه وقال له اعلم يا سيدى أني رهين أمرك وسأبعث روحي رخيصة في سبيل نصر عساكرنا على يديك ليعلم الملك صارات أن هلاك من الرجال الأشداء يستحقون كل إكرام فشكره على قوله ومدحه على فعله وقال له لا بد لنا من ترفيع منزلتك إلى أعلى الدرجات لتعد من الأمراء والسادات والأمل أن تنتهى الحرب قبل قدوم الملك صارات فابعث اليه بالبشائر الحسنة واكتب له أن يعقد لك على جيش يليق بك تختاره انت فاجهد نفسك في سرعة العمل والانجاز ثم باتوا تلك الليلة تحت مشيئة الرحمن إلى أن أقبل اليوم الثانى فعادوا إلى القتال وقاتلوا فيه بهمة وحمية إلى أن أقبل الزوال فرجعوا عن الحرب وقد وقع على جيش اليمن الخول وشاهدوا ما لم يكن لهم في بال فاجتمعوا إلى الشاه هرير والشاه ليث وقالوا لهما إن جمعنا مع كثرته وقلة الأعداء أصبح على شفير الوقوع في الهرب والانكسار ولم نر طريقة تنجينا من هذه الحال ونبقى مدة أيام إلا المطاولة بالبراز والقتال فارس لفارس على يوجد فينا من يهلك هؤلاء الفوارس الذين يقاتلون بحمية وشجاعة يفوقان حق الوصف ولا سيما فانه يوجد بينهم فارس عريض الهامة مثقل بالحديد لا يقدر أحد أن يثبت أمامه في القتال وهو يقاتل ويفتخر باسمه وينادى أنا سيامك ساقيا عبد الملك صارات وقد فعل فينا فعلا ذريعا حتى صار يهابه الجمع فقالا لهم صدقتم فلا بد في المطاولة بالقتال الى أن يرد النجاحز من أبى لأننا عما قليل سنجتمع في نحو ستمائة ألف فارس فاذا احتجنا اليها دعوناها بأجمعها وإذا لزمنا أكثر من ذلك باضعاف فيقدر على الحصول عليهم وعلى كل حال لا بد من كسر هذه الشرذمة اليسيرة وتفريقها

واغتنام أسلابها والمسير الى ايران وهدمها واقلاع هذه المملكة ومحو آثارها فليبرز في الغد منكم الفرسان والقواد وتقاتل كما أشرتم ومن نال قصب السباق واشتهر في ثباته أمام العدو وشجاعته ذي الحال اكتب الى أبي أن يقدمه وينعم عليه

وباتوا تلك الليلة على ما اعتمدوا عليه وفي الصباح نهض القوم الى ساحة القتال واصطفت الصفوف وترتبت الميامن والمياسر وعولت العساكر على الهجوم والاقتحام كما سبق لها في ما مضى من الايام واذا بفارس من فرسان اليمن قد برز الى الميدان فصال وجال وطلب فرسان الاعجام أن تتقدم اليه فتصادف النزال ولم يكن الا أسرع من طرفة عين حتى صار أمامه فارس من أهالي ايران فصدمه وتجاول معه نحو ساعة من الزمان وبعد ذلك ضربه اليمني بعمده ارداه قتيلا وطلب برازا غيره فأتاه آخر وتجاول واياه ثم ألحقه برفيقه وبعد ذلك نفر اليه بهمرار فما تهاون عساكر ايران فقاتل واياه الى آخر النهار ثم افترقا على سلام وعاد كل منهما الى المضارب والخيام وباتوا تلك الليلة على نية العود الى القتال في صباح اليوم القادم ولما حل الغد علت الفوارس على ظهور الخيول واصطفت بالعرض والطول وتقدم بهمرار قاصدا الى الوسط ونادى بصاحبه في الامس أن ينزل اليه لتنتهي بينهما الحال وما لبث ان صار أمامه وناجاه وتقاتل واياه حتى ارتفع فوقهما الغبار وقدحت حوافر خيلهما الشرار وتطاير من ضربات سيفيهما النار حتى تضعف النهار واخذهما التعب والملل والضجر ولا زالا الى ان استظهر بهمرار على خصمه وضربه بالسيف على هامه فرماه الى الارض قتيلا ودارس نحو اده عليه ثم دعا من اهالي اليمن من ينزل اليه فأتاه اخو المقتول وكان اشد منه بأسا واقوى مراسا فتقاتلا وتجاولا واوسعا في المجال ونظرت اليهما عيون الفرسان والابطال ابرى ما تصل اليهما الحال ومن يكون منهما القاتل . ومن هو المقتول الخاذل حتى غابت الشمس وأقبل الظلام فعادت الجيوش الى مضاربها وباتت تلك الليلة كعادتها وفي الصباح خرجت تنادي بنداء الحرب والرجوع الى ما هم عليه من الطعن والضرب فلم يكن الا القليل حتى وقفت الفرسان في مراكزها وانتظر كل منهم ما يكون من قتال ذلك النهار ومن يكون المنصور في ميدانه ومن المقهور واذ قد خرج من عساكر الاعجام سيامك شاه وهو راكب على جواد عال طويل الذيل معقود على ناصيته الخير ومقلد بحسام عريض ماضي الحد وعلى كتفه عمد من الحديد ثقيل العيار لا يحمله الا كل صنديد جبار فصال وجال حتى حير العقول بأفعاله وابهر النواظر بأعماله ثم وقف في وسط الميدان وطلب ان تبرز اليه الفرسان فما اتم كلامه حتى صدمه فارس من فوارس اليمن وهو خصم بهمرار بالامس فالتقاه سيامك بقلب اشد من الحديد وتضاربا الضرب

الشديد واحتلف بينهما الضرب والطعان مما يفصل الأرواح عن الأبدان وطاب لهما الكر والفر فى الجولان إلى أن مضى ربع النهار وهما على تلك الشأن وبعد ذلك ضايق سيامك خصمه ولاصقه ورفع العمد فى يده وضربه ضربة قوية استحكم بها على راسه فهرسته واحدثت منه الانفاس فوقع إلى الأرض قتيلا فبركه يخبط بدماه وصاح إلى جهة الأعداء أن ينزل إليه من يدعى البسالة والثبات وفى الحال هجم عليه قائد من القواد يقال له عاصم العياد وكان هذا من الفرسان الشداد يعول عليه فى المعامع وينسب إليه كثير من الوقائع فالتقاه سيامك غير مبال به ، ولا خائف من حربه ودار بينهما دولاب القتال على أحكم منوال وثار فوقهما الغبار فكاد أن يغيبهما عن الأنصار ودام بينهما الحال نحو ساعة ثم ضربه سيامك بالسيف على محكم الرقاب . أرداه قتيلا على وجه التراب ونادى أن تعجل الفرسان بالنزول إلى الميدان قبل فوات النهار وذهاب فرصة القتل والدمار فأتاه آخر فتحاول وإياه وما لبث أن أرداه يختبط بدماه ودام على ذلك الشأن كلما أتاه فارس قتله وعجل عليه حتى قتل نحو ١٧ قائداً من قواد الشاه سرور وقد خافه الجميع وتأخروا عن قتاله وخافوا من حربه ونزاله لأنهم شاهدوا منه من سرعة الجول والصول ما ثبت لهم أنه لا يقدر أحد بين عساكرهم على الثبات أمامه أكثر من ساعة ولما غاب نور ذلك النهار واحتجبت شمسه متحدة من الخباء حجابا يسترها عن العيان رجعت العساكر إلى الوراء وإذ ذاك التقى طيطلوس بسامك سيامنا وقبله بين عينيه وقال له لقد صدقت فيما نطقت به قبل الآن وقس لى أنك من رجال الحرب العظام الذين يجب لهم التعظيم والاكرام وشكره سيامك على قوله وقال له انى لا أفعل إلا ما هو متوجب على وما طلبت بوال المراتب العالية وأن أكون من قواد جيوش سيدى الملك صارات إلا لأخدمه فى مثل هذه المواقع وأكون دائما فى ركابه وتكون لى جيش ألتقى به الأعداء قال له سيكون لك كل ما أنت طالبه بعد هذه الحرب الذى أظن أنها تنتهى بعد يومين أو ثلاثة أيام فدخل سيامك مضربه ونزع عنه لامة الحرب والقتال وهو مسرور من نجاحه فى ذلك النهار وبلوغه ما كان يتمناه من الحصول على رضى طيطلوس وبات بعد منه بالارتقاء إلى درجة الأمراء وانه سيلبس القباء الأحمر وينزع عنه القباء المخصوص بالعامة وأما عساكر الشاه هرير فانها عادت وهى فى ذل وقهر تكاد أن لا تصدق برجوعهم إلى الخيام على طريق الصواب حيث قد أضاع عقلهم ما فعله سيامك فى ذلك النهار وقد أهلك منهم نخبة جيشهم وقواده العظام

ولما كان اليوم التابع بكرت الفوارس إلى الركوب إلى الجول وتقلدت بالصفاح والنصول وما انتهى ترتيبها ونظامها إلا كان سيامك فى وسط الميدان وهو كعفاريت

السيد سليمان يجول وينادي بعساكر اليمن أن تخرج إليه لينتقم منها ويلبسها ثوب المذلة والعار فخرجت ناحيته الفوارس واحدا بعد واحد وهو يعجل في فناها ويهلكها إلى أن انتصف النهار وإذ ذاك تأخرت عنه الفرسان ولم يعد أحد يجسر على قتاله وحربه ولما شاهدهم وقد توقفوا على الدنو منه وخافوا من نزاله وكان قد قتل منهم نحو ٢٥ فارسا صاح فيهم وهجم عليهم وجعل يضرب فيهم بسيفه البتار وعمده الثقيل العيار وتبعته عساكر الأعجام وقد هزت البارق والأعلام مؤملة بالنصر وبعجل الأمر فالتقتهم عساكر الشاه سرور بفتور همة وفتور مؤكد عندها دمارها ورجوعها بالخيبة وانكسارها فاتقدت نار الحرب أي اتقاد وحمي سعيرها وزاد ودارت رؤوس المنايا على الفرسان والقواد وكان ملاك الموت خاطبها ونذير الهلاك ساقيها وماجا النهار على آخره وقد تضعضع جيش اليمن ولو طال النهار ساعة أخرى لطلبت الفرار وتفرقت في البراري والقفار وحل بها الموت والبوار وقد لاقت من القتال أصعبه ومن الكدر أشده وأعظمه ونزلت في الخيام بخاطر الفرح من العزم الرجحان وتأكد لديها أنها لا تقدر أن تثبت أمام جيوش العجم أكثر من يوم آخر واجتمع الشاه هرير بأخيه الشاه لبث وقال له اني أعجب كيف أن عساكر الاعداء وهم أقل منا عددا يقدرون على مثل هذه الفعال وأن يوقعوا بنا ويلبسونا من المذلة ثوبا لا يمحى بكرور الايام والسنين قال لو لم يكن فيهم من الفرسان من هم أشد منا ثباتا وأكثر بعدا الحروب لما قدروا أن يلقونا يوما واحداً وإنما هذه الفعال واشتداد قلب الاعجام هو بفرسانهم ومقدميهم ولا سيما بسيامك سابقا الذي أرمى الرعب في قلوب رجالنا ولا أظن أنه إذا قتل سيامك تعود لهم رجاء وأمل غير أنه لا يوجد فينا من يقدر على قتله إلا إذا كان أنا وأنت قال انه خطر في بالي أن أبرز إلى سيامك في الغد ولي رجاء أن أعدمه الحياة وإذا قتل هذا ضعفت عزائمهم وتقوت قلوب عساكرنا وقد قصرنا عن ملاقاته في أول الامر

وباتوا على تلك الحالة من الامل وقد شاع فيما بين رجال الشاه سرور انه في الغد ينزل الشاه هرير إلى سيامك فيقتله ويتخلصون من هذه الداهية فسر الجميع وفي الصباح قام كل من العسكرين إلى جواده فركبه وإلى سلاحه فاعتقله وتقدم طيطاوس بصف الجنود إلى اليمين والشمال على ترتيب ذاك الزمان وعلى كل فرقة قائد يدبر أمرها ويسير حالها وقد أوصاهم أن يظهروا كل ما عندهم من الشجاعة بحيث لا يحتاجون إلى قتال يوم آخر غير ذلك اليوم وكذلك فعل الشاه هرير والشاه لبث وإذ ذاك قفز إلى الميدان سيامك سابقا وأشار إلى عساكر اليمن يطلب البراز وقال ويلكم أما فيكم من يقدر على الثبات ويكسب الفخر وينال بشرف الثبات أمامي وإذا لم يكن فيكم من

يلقاني فابرزوا إلى عشرات ومئات بل إذا شئتم فابرزوا إلى بأجمعكم فاني اعاهدكم فى القا كم وحدى وأبيد جمعكم بسيفى وعمدى وما انتهى من كلامه حتى سقط الشاه فرير الى امامه وكان من الفرسان المعتمد عليهم والمعول عند الحروب اليهم وقال له لقد اطلت بلسانك عليا فانت الآن امامى انا الشاه فرير ابن الشاه سرير والآن تذوق منى العذاب الأليم وتشاهد ما لم تشاهده قبل الآن بنفسك وما تاخرت عن قتالك الى هذا اليوم الا رجاء ان ترجع عن غيك وتعرف مقامك بين الفرسان والابطال وحفظا لشرفى من أن أقابل أولاد الأزرقة وعلوج الاعجام فلما سمع سيامك كلامه تكدر منه وعول على ان يقتله اذا لاحت له منه فرصة الا انه امكن ان قوله بغضب الملك صاراب وتكدر فيروزشاه مزيد الكدر فوطد نفسه على ان يستأسره ويقوده الى بين يدى الملك صاراب ولم يرد يجيبه على شقشقه لسانه حرفا ان يتوصل به الحنق الى ما فوق خاطره بل فاجئه بهمة وحمية واخذ معه فى الضرب بالسيوف

انتهى الجزء السادس ويليه الجزء السابع

الجزء السابع

من قصة فيروز شاه ابن الملك صاراب

الثقال واتسع بينهما سوق المحال واشتد لديهما اشتعال نار القتال وكان فكر سيامك أن يأسره ولا يوقع به ولا يضره وكان قصد الشاه فيروز أن يقتله ويرحل عن دار الحياة مرتحله ولذلك كان سيامك يدافع عن نفسه ويطاوله ويكر من أمامه ويحاوله وكلما لاحت منه فرصة لقتله يمنعه صيب فكره وعقله فيغض الطرف وينتظره إلى أن يتعب وتنحدر ساعداه وتضعف ركبه ويقل قواه فيدنو منه بالثانى ويأخذه أسيراً ويقوده من حامه حقيراً وهكذا صار فان الشاه فيروز كان قد رأى هذا التقصير من سيامك فظن أن ذلك تقصير منه وعدم خبرة فى القتال فاجاد له الطعن وكان يرفع عمده الحديد ويضربه وفى ظنه أنه يكون القاضى عليه فيصيبها بحسن معرفته ولا يعامله بالمثل خوفا من أن تصيبه ضربة فتذهب بروحه فيصبح ضربا به بالهواء ودام هذا القتال بين الاثنين إلى أن مضى قسم من النهار وقرب العصر وإذ ذاك انحطت قوى الشاه فيروز وتحدرت يداه وضاق عليه الامر دون ان يأخذ من خصمه حقا ، لا باطلا ولا وصل اليه بضربة تشفى منه الغليل فاحترق لذلك كبده وعظم عليه الحال وأطلق على صدره من الضجر والملل ولما رأى سيامك منه ذلك صاح فيه خذله ودنا منه وقبض على جلباب درعه فاقتلعه وقال له أهل نظرت نفسك الآن وماذا يا ترى نفعك ادعاك بالشرف والفخار على انه لو كان فى نيتى قتلك لما صبرت عليك إلى هذه الساعة انما اخترت أن أربطك بالحبال وأسحبك إلى بين يدى الملك صاراب ثم رجع به ورماه إلى بين يدى ططلوس فأمر فى الحال بربطه والحفظ عليه وكان الشاه لبث لما شاهد ما حل بأخيه طار الشرار من عينيه فصاح فى العساكر طالبة خلاصه وحمل هو فى مقدمها فالتقتها عساكر الاعجام بقلوب لا تخاف الممات ولا يفوتها عن سلوك سبل الشجاعة فوات وهى ترجح لديها النصر فى نفس ذلك النهار وأن لا يأتوا على آخره إلا ويكونون قد أنزلوا بأعدائهم البوار وألبسوهم اثواب الذل والشنار فاجتهدوا انفسهم فى الحرب وجودوا فى اخصامهم الطعن والضرب وكانت وقعة مهولة لم تكن فى الحسبان ولا ظنت عساكر الشاه سرور انه يحل بها الفناء والقلقان وتقل جماعة القواد والفرسان فى خمسة ايام من الزمان وكان سيامك قد اخذ جهة الشمال وبهمزار جهة اليمين واثناهما كالصاعقة المحرقة والسهام المحرقه يفترس كل بضربة حسامه من يقف

أمامه حتى كادا يلتقيان بمصمها وقد رجعت وحوش اليمن إلى الخيام وفى أثرها وحوش الأعجام وهى تضرب فى أقفيتها ولا تترك لها طريقا للهرب ولا مقرا تتخلص منه إلى ديارها ولولا إتيان الليل لما ارتدت عساكر الملك صاراب ولا رجعت إلا بنوال القصد وبلوغ المراد غير أن طيطلوس لما شاهد ما حل بالأعداء عرف أنه لم يبق فى وسعهم القتال وأنه لابد لهم من الهرب والرجوع إلى الوراء فيعودون عنه إلى بلادهم فأمر بوق الحرب أن يعود العساكر عن مقاتلة اليمنيين فرجعت بأجمعها وقد أشفت غليلها وأطفت نار أشتياقها وعادت إلى منازلها ونزلت فى أطنابها وهى فى فرح وسرور تنظر إلى عساكر الأعداء بعين الازدراء والاحتقار وقد سرها قلتها بعد تجمعها وكثرتها وبعد أن استقر بهم الحال بالخيام جاء سامك سياقا إلى بين يدى طيطلوس فقبل يديه ودعا له وللملك صاراب بدوام العز والبقاء فقبله طيطلوس وقال له فى الغد إن شاء الله أرسلك إلى ملاقاة الملك صاراب لتبشره بهذا النصر الجديد وتصحب معك الشاه هرير وتخبره بما كان من أمر قتالنا وإنى أصحبك بكتاب له أخبره فيه بما بانه دون غيرك من التقدم فى سوق المجال وانهى لك عنده بأن يلبسك القباء الأحمر ويعقد لك على جيش تنتخبه أنت من جيشه الخاص وينادى بك بالأمير فتنتظم فى سلك الأمراء والسادات وهذا قليل بحقك لانك حميت الجيش وحدك وكسرت الأعداء وانى اشهد بذلك امام الله والملك وانا الآن على يقين من ان الملك صاراب قريب منا لانه سائر فى اثرنا وكان فى ظنى انه يصل إلينا من نحو يومين غير انى لا اعلم السبب العائق الذى اخره الى ما بعد اليوم ولا ريب انه يسير متمهلا لتأكده اننا فى امن من الاعداء وربما لا نقاتلهم إلى حين حضوره ثم دعا بالشاه هرير فطيب بخاطره واعلمه انه لاخوف عليه من القتل إنما سيرسله إلى سيده ليقيم تحت الحفظ فى إيران إلى حين تنتهى الحال بينهم وبين ابيه فاطمأن قلبه وكان يخاف من ان ينتقم منه الملك صاراب وينقله فى ثار ابنه وامر طيطلوس ان يحافظوا عليه إلى الغد وأن يقدموا له المأكل الطيبة ولا يسيئون معاملته

وأما النشاء ليث فانه بعد أن عاد الاعداء عنه نزل إلى خيامه ليأخذ لنفسه الراحة ويسأل رجاله ماذا يجب أن يفعل بعد أن استقر به الامر وهدأ روعه احتجمع اليه من بقى من القواد واستشاروه فى الرجوع إلى الاوطان فقال لهم لا بد لنا من ذلك وقد بقى عندى ان ارجع إلى ابى خاسرا مأبوسا واترك أخى فى يد الاعداء لولا ان الملك صاراب من أعقل الملوك وأعقلهم حفظا على مراعاة حقوق الملوك وذم العباد فلا خوف على اخيك من القتل أو العذاب ورجوعك إلى ابيك وانت على هذه الحالة خير لك من ان ترجع وانت بحالة اصعب واشأم من هذه الحالة والآن

قد فقد من عساكرنا نحو من خمسين الف فارس وأكثر الباقين مصابين بجروحات لا تمكنهم من حمل السلاح للدفاع فاذا لبثنا يوما ثانيا نذهب طعاما للسيوف وربما لا يبقى منا أحد فانظر فى ذلك الخبير العاقل واسع بخلاص نفسك وخلاص جيشك الباقى وأسرع إلى أبيك ليكون على حذر ويسرع إلى خلاص أخيك من هؤلاء الأعجام لانهم قليلو العدد وعند أبيك الآن من العساكر لا أقل من ستمائة الف فارس فاذا حمل بهم على هؤلاء أهلكهم عن آخرهم وانتشل أخاك من بينهم وبينما هم على تلك الحالة وقد عزموا على الرحيل والرجوع إلى صحراء اليمن والشاه ليث مرتبك الفكر وحزين على أخيه وخائف من ملامة أبيه على الانكسار أمام ثمانين الف فارس مع أن عددهم كان مائتى الف نفس إذا بهلال العيار قد دخل عليه ووقف بين يديه وسلم اليه كتابا من أبيه يقول فيه ان فكرى لا يزال فى خوف عن ان لا تصادفون نجاحا وقد اجتمع عندى عدد غفير من العساكر ولا تزال كل الجيوش تتقاطر من كل فج وناحية ولا يسعى أن أسير اليكم الآن ولذلك بعثت اليكم بعيار بلادنا هلال مع تحريرى هذا لتخبرونا به عن حالتكم وما وصل اليكم من جيوش الملك ضاراب فاذا كنتم على قدم النجاح والتوفيق وقد اعتمد لكم على راية النصر فابقوا فى مكانكم إلى ان أبعث اليكم بالأوامر اللازم اتخاذها وإذا كنتم فى تأخير وقد ضعف الجيش الذى معكم فعودوا الينا حالا لنقابل العدو عند بلادنا فقد صار لدينا من الأبطال والفرسان ما يكفى لملاقاة كل عساكر العجم مع ملكها ويكمل لنا الانتصار عليهم فلما قرأ الشاه ليث كتاب أبيه وانه يطلب عودته اليه أجاب بالسرعة وقال لهلال اذهب أنت إلى أبى أولا وأخبره بقدومنا واعلمه بأن أخى فى قبضة عدوه أن الجيش تضعضع وقد فقد أكثره ولم يعد منه من يقدر على الحرب والطعان إلا قليل ونحن فى أثرك سائرون لا نلبث بعد أيام قليلة أن نكون بصحراء فسار هلال وبعد مسيره أمر الشاه ليث أن تشعل النار فى أماكنها ويرحل الجميع تحت سواد الليل بحيث يصبح النهار وهم بعيدون عن تلك النواحى لا يعلم أحد برحيلهم وكان يخاف من أن يعلم طيطلوس برحيلهم فى الليل نفسه فيدركهم ويوقع بهم ويمنعهم من الخلاص ففعلت العساكر كما أمرها وأخذت تسير على قدم السرعة دون أن تبدى حركة أو تظهر إشارة تدل على حركة الجيش حتى غابوا وبعدوا عن تلك الديار قاصدين وطنهم

وفى صباح تلك الليلة نهض طيطلوس وجمع عساكره من مراقدهم ونظروا إلى جهة الأعداء فلم يروا غير الآثار والرسوم فعلم طيطلوس أنهم رحلوا فى الليل وقال فى نفسه انى كنت اعلم من نفسى أنهم سيفعلون ذلك ويرحلون فى الليل والآن صار من الواجب أن أسير فى أثرهم إلى أن أصل إلى بلاد اليمن وربما أدخل صحراء

قبل أن يصل سيدى الملك وعند وصوله يرانى قد أهيت له الحال فسير جيشا إلى بلاد هوربك ثم دعا سيامك سياقا وقال له انى وعدتك بالأمس انى أسيرك إلى الملك صاراب حاملا راية النصر ومعك أسيرك الشاه هربر ابن الشاه سرور وتحمل منى أيضا كتابا يترجم عن حالة القتال وما كان فعلك فيه وعادا وعدتك وانى أرجوه ان يعقد لك على جيش لا يكون أقل من ثلاثين الف فارس من خاص الفرسان فاستعد الآن للرحيل وبعد ساعة يجب عليك أن ترحل وأما أنا فسأقيم هذا النهار فى هذا المكان وفى الغد أسير فى طلب الوصول إلى تعزاء اليمن وانى على انتظار قدوم سيدى الملك صاراب فكاد يطير سيامك من الفرح واتسع صدره وأمل نوال بغيته فهيأ نفسه وركب جواده وتقلد بأسلحته وأركب على جواد الشاه هربر مقيدا ورفع راية النصر فى يده واخذ كتابا من طيطلوس الحكيم به الكفاءة وودعه وودع جميع أصحابه ووعدهم بالعود اليهم قريبا وخرج من الفرسان والدنيا تكاد لا تسعه من شدة ما ناله من المسرة وهو يحدث نفسه بالامانى وبما سيصل اليه من النعم وبلوغ درجات المعالى بعد ما كان عليه من الانحطاط والاهمال وعدم الالتفات ودام فى مسيره نحو يومين وفى مساء اليوم الثالث تبين له جيش فارس تخفق فوقه الأعلام وهو مقسوم إلى فرق وأقسام كل منها تحت امرة أمير خطير وفارس عظيم مشهور بالوقائع والغارات وقد عول الملك صاراب على المبيت فى تلك الأرض إلى الصباح وإذا به يرى راية مرفوعة فوق رأس اثنين على جوادين يطويان الأرض بالسرعة والجرى فحقق الراية وإذا بها راية فارسية معروفة عندهم بعلامة النصر فاستهل وجهه من الفرح وقال لمن حوله هوذا الراية الفارسية محمولة الينا تعلن بانتصار جيشنا وهى مبعوثة لنا من طيطلوس الوزير فالحمد لله على كل حال فانه يعقد لنا النصر أينما توجهنا ونزل عن جواده ونزل ينتظر وصول رسول الراية وضرب له الصيوان الحريرى المزركش وكذلك جميع القواد والفرسان قد فعلوا كفعله واجتمعوا بأجمعهم حوله ولم يمض على ذلك إلا دقائق قليلة حتى دخل سيامك بين الجيوش وامامه الشاه هربر على جواده مقيدا كما سبقت الاشارة اليه وكان رافعا بيده الراية والناس تنظر اليه بعين المسرة والفرح وتسر من حمله لتسمع ماهو حامل من البشارة إلى ان دخل على الملك صاراب فى صيوانه ومن حوله كثير من الأمراء والسادات والى جانبه فرامرز البهلوان بهلوان بلاد فارس وسيد فرسانها فقبل يديه ورجع الى الوراء علامة للحشمة والآداب ثم قدم لديه الشاه هربر وقال له ياسيدى قد بعث اليك سيدى طيطلوس بهذا الأسير وهو ابن الشاه سرور وقد أحرز النصر تماما فى مواقع جرت بينه وبين اليمنيين وقد بعث اليك هذا مفصلا فى كتابه الذى ستقرأه

الآن هو ويقبل أيديك ويسألك معاملتي بحلمك وعدلك ثم دفع اليه الكتاب فتناوله منه وفض ختامه وقرأه أولا في ضميره وقد تعجب من أعمال سيامك سياقا وبعدان فرغ من قراءته دفعه إلى وزيره دوش الرأي وفاه لهحد هذا التحرير واتله علنا على مسمع من جميع القواد والفرسان ليعلم الخاص والدون ان من جد وجد ومن طلب العلا على استحقاق نالها ولتأكد الجميع في رجال دولتي اني لاأضع تعب مجتهد واني لاأسلم المناصب لغير أعلها فمن كان من أهل الاستحقاق فاديه ما يستحقه ليكون قدوة لغيره وهذه حطة يطلب الله من احراقها فأخذ دوش الراي التحرير وقرأه بصوت عال ولسان فصيح فقال

بسم الله الحكيم العلم الناصر القاهر رب موسى وإبراهيم من طيطلوس الحكيم الوزير الأمين إلى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسيدها

بعد السلام عليكم وإيصال الدعاء والبركات اليكم أبدي اني توجهت من أعتابكم وتحت امرتي الجيش الذي أعهدتم لي رئاسته فسرت بحسب أوامركم حتى دخلت بلاد اليمن وكدت أقرب من تعراء اليمن مدينة الشاه سرور ولم يكن يخطر في فكري قط ان أبدي حركة تغاير مقاصدكم إلا أن الشاه سرور قدعلم بمسيري اليه مع العساكر فبعث إلى ولديه الشاه هرير والشاهات وتحت امامتي الف فارس من عساكرهم وكان بينهم ان يكمنوا ويبدو بعهم بالحسنة ونحن بعيدون عن بلادهم فلاقاني الشاه هرير والشاه ثبت بعساكرهما على بعد اربعة أيام من المدينة ولما شاهد عسكرنا كثرة عددهم كاد يوقع الرعب والخوف فشجعتهم وذكرتهم بتوفيقكم المقرون بعنايه الله تعالى وكان مع الجيش أحد الفرسان المهملين الذكر وهو الواصل لديكم براية النصر واسمه سيامك سياقا فتقدم مني وعرض لدي ان ينفرد وحده بالقتال بشرط ان نكافئه على ذلك بالدخول في رتبة الامراء فوعدته إذا رأيت منه ما يستحق الذكر وسألكم اجابة سؤاله ولما كان القتال شاهدت منه مالم أشاهده قط من احد قبله إلا منكم ومن أخي ملتزور البهلوان فانه بدد عساكر الاعداء وقتل فرسانهم وشتت شمل قوادهم وأهلك أكثرهم وقد حمى الميدان ثلاثة ايام ما برز اليه فارس وعاد حياً حتى بأحر عموم فرسان الشاه سرور وعرفة انه لو لم نهتم الشاه هرير وبعدهم بهلاك سيامك لطلبوا الفرار ورجعوا على اعقابهم إلا أن الشاه هرير ثبا رز لسيامك حاول أسره فا خوفا من ان يعصمكم فله واتاني به وبعد ذلك تشتت جيش الأعداء ولم نعد نرى لهم أثرا وثنا عاد إلى سيامك وذكرني بسابق وعدي اجبته الى سؤاله وبعثته اليكم ومعه اسيره ليعرضه عليكم فاما طلقوه واما تبقوه وإني اخيرا رجوكم ياسيدي بأن تعقدوا للسيامك راية خصوصية وتخصوه بمنصب الامارة فهو فوق ما

قطبوس وانى اشهد انه افرس فارس فى بلاد الفرس بعد فالروز وإنما نحتاجه فى مثل هذه الحرب وغيرها ومن العدل ان لا نضيع حق من يخدم دولتنا بأمانة يستحق عليها المكافأة وانى على يقين أننا لولاه لكنا الآن فى خسران وربما كانت لا تنتهى الحال إلى ان نجيء فيفقد قسم كبير من الجيش قد اشتراه ببسالته واقدامه وفادى بنفسه لاجله وحماه بقوة ساعده ولى امل وثيق ان لا يضيع رجائى عند عظمتكم ومن ثم اخبركم انى سائر على اثر الاعدا حتى انزل على تعراء اليمن واعسكر عند حماها منتظرا قدومكم إلى لنرى بعد ذلك ما يكون هذا إذا لم ينادنا الشاه سرور بالقتال وإلا إذا وقع ما بيننا الحرب وانتشبت نارها فلى رجاء بالنجاح وربما ادخل المدينة قبل قدومكم فادعوا لى جميعكم بالنصر ولا تتأخروا عن سرعة الوصول الى فانى ربما احتاجكم عند الضيقة وليس يعلم ما فى الغيب إلا الله تعالى والسلام ختام

وكان دوش الراى يقرأ والفرسان تسمع وتتعجب من اعمال سيامك وما منهم إلا من نظر اليه وتأمل شجاعته واقدامه فوجد فيه دلائل البسالة ووقعت محبته فى قلوب الجميع من كبيرهم إلى صغيرهم ولاسيما الملك صاراب فانه نهض واقفا امام الجميع واخذ بيده القباء الاحمر ووضعه على رأسه واحد رداء من الحرير المنقوش بالذهب الذى تلبسه الامراء اثناء الاعياد الرسمية ووضعه على اكتافه وناداه بالامير سيامك وقال له انى رفعتك من لآن إلى منصب الامراء وهاك الجيش امامك فاختار لك منه نحو من ثلاثين الف فارس واجعلهم رجالك الاخصاء ينقادون لامرك ويسيرون تحت رأيك وإذذاك دنا منه الامراء وهنأوه بالمنصب الجديد وباركوا له به ومدحوه على افعاله فشكرهم على قولهم وبات تلك الليلة مسرورا بما وصل اليه على أمل انه فى الصباح يختار الفرسان المعهود اليه رئاستهم

وفى ثانى الايام نهض من فراشه وخرج إلى بين يدى الملك صاراب وجلس فى صفوف بين الامراء وكان الملك قد ضرب له كرسيا إلى جانب كرسى فالروز يجلس عليه فى مجلسه ولما استقر به المقام جعل يستفسر منه عما كان من امر قطلوس فأعاد عليه كل ما تقدم ثم سأله إذا كان قد سمع خبرا عن ولده بهروشاه فأجابه ان لا خبر من احد ولا علم لنا به وبعد ساعة من الزمان اخذ سيامك الاذن وخرج إلى بين الجيوش وجعل ينتخب منهم من نظر فيه انه من الفرسان الشداد حتى صار عنده ثلاثين الف فارس من احسن جيوش فارس واشدها ورفع راية مخصوصة له مرسوم عليها الرسم الفارسى وتحسن حاله وخرج إلى مصاف الكبراء وسيكون له فى مواقع الفرس شأن ويحوز السبق على الجميع وبعد ان فرغ من عمله اخبر به الملك صاراب وقام فى منصبه ينتظر مسير الجيش ليسير برفقه الى مكان

الحرب والقتال وبطهر عمله أمام الملك صارات لعلم يانا صدق ما حكاه له عنه طيطلوس ويرى أعماله بالأعداء. ولم يمض على ذلك إلا القليل حتى نهض الملك صارات ونهضت من حوله الأمراء بجيوشهم فرفعوا الأحمال وعلوا على ظهور الخيول وساروا فى طريقهم يقصدون بلاد اليمن واللحاق بطيطلوس الحكيم وقد ملأوا بكثرتهم السهل والجبل وانتشروا بتلك الأرض انتشار الغمام فى الأفق وهم أحسن ترتيب ونظام وفى المقدمة سيامك سيافا يحيشه الحديد وهو لابس القبا ومسرور به وعلى أكتافه الرداء الحريرى وداموا فى مسيرهم على هذا النمط وقد بعث الملك صارات الشاه هرير إلى إيران وأوصى بالحفظ عليه وباكرامه إلى أن يعود من أسفاره فيطلق سراحه ويعيده إلى أبيه وقد طيب بخاطره وأحسن معاملته

وأما الشاه سرور بعد أن بعث العيار هلال كما تقدم الخبر إلى أولاده بات ينطر عنهم خبرا ليعلم الى ما انتهت اليه حالتهم وبينما هو على مثل ذلك وقد مضى أيام قليلة وإذا بالعيار قد دخل عليه وقبل يديه وأطلعه على كل ما وقع على ولديه والجيش وان الشاه هرير هو أسير عند الأعجام والآخر عاد مكسورا مقهورا وقد نهض من وجه الأعداء وسار فى أثره خوفا من الهلاك والدمار فأغضب هذا الكلام الشاه سرور وعظم عليه وكدره وخاف عاقبة الأمر ولعن تلك الساعة التى جاء بها فيروز شاه الى بلاده ساحبا خلفه كل هذه الويلات والمصائب وتعجب كيف ان جيشا قليلا كالذى مع طيطلوس ينقض على نصف الجيش الذى مع ولديه يقدر أن ينتصر ويهور عليه ويقدم نحو بلاده وبعد ذلك وصل الشاه ليث بمن بقى من العسكر وكلهم فى حالة الكآبة والانكسار لا يصدقون أن يصلوا الى الديار ويأمنون على أنفسهم من الموت والأخطار وحملت الجرائح إلى المستشفيات وضجت المدينة بأسرها عند سماعها هذا الخبر وكثر القيل والقال وطال كلام القوم فى حق طيفور والشاه سرور وقالوا لا بد من أن نشاهد أعظم من ذلك ويقع فى وهدة الخطر فلا يعود بعد ذلك بمنفعة بافع وكان الأهالى بأمان من جهة الملك صارات لعلمهم أنه لا يمد إلى أحد يدا ولا يضر باحد ولا يسمح بسفك دم أحد وان غايته الوحيدة الشاه سرور وطيفور فكانوا يتمنون وقوعهما فى يديه لينتقم منهما ويقيم عوضا عنهما من يليق به مثل هذا المقام ويحسن رعاية الرعية ولما وصل الشاه ليث دخل على أبيه وهو فى حالة يرثى لها وشرح له بالتفصيل فعل الاعجام بهم وانتصارهم عليهم وأسرهم لاخيه فقال له وكيف وقع منكم ذلك وأنتم بعدد يضاعف عددهم وعلى مقربة من بلادكم والجيوش وراءكم تجمع على أمل الاصطدام بكم قال ان بالاعداء فرسانا كالعفاريت الطيارة تنقض على الجيش فتصيبه ولا ترجع عن الحرب إلا بعد أن تهلك فلك الاسود ولم

يكن فى رجالنا من يقدر على الثبات أمامهم أو يلقاهم فى مواقع الحرب والقتال على أننا ما قصرنا فى الدفاع ولا فترت هممنا عن تحريك العسكر وتشجيعه أملا بالثبات ودوام القتال ولا ريب أن ما بقى من جيوش طيطلوس هو فى حالة الضعف فاذا أدركتهم بالعساكر والأبطال ولاقيتهم وهم فى حالة تعب ومعاناة سفر توقع بهم النصر وانى على يقين ان هذا الجيش الصغير لا يطول أمره بل ينقرض شيئا فشيئا وذلك لقلته انما الخوف من أن يكون فى أثره غيره أو يكون هذا مقدمة جيش الملك صاراب لانه لا يظن أن جيوش العجم تطرق هذه البلاد بهذا العدد القليل وفى نيتها أن تسير إلى بلاد الزنوج أيضا لتخلص ابن ملكها قال صدقت فلا بد من أن تكون وراء هذا الجيش جيش آخر وعندى أن المسارعة إلى القتال ومحو آثار هذه الشرذمة القليلة من الضروب اللازمة لايقاع الخوف فى قلب الباقين وإلا إذا تهاملنا وقعنا فى الخسران فقال طيمور ان رأى سيدى الشاه أن يسير فى الغد إلى ملاقاته ولو على بعد يوم من هذه المدينة أكون انا برفقته ونصحب معنا جميع الفرسان المجتمعة الآن وهى لا تنقص عن ستمائة الف فارس ولا ريب ان الذين بعثنا فاستنصرناهم من الأصحاب والانسباء يمشون إلينا بالعساكر والرجال فيزيد عدد رجالنا ويكثر وينقص عن الأعداء كما ينقص البحر إذا دخر ومهما كان جيش الأعداء كبيرا فانما نصفه وإذا نقص فلا قدرة له على سد النقص لبعد بلاده عنه فانهض عاجلا وباشر القتال بهمة الليوث ولى رجاء أن يكون الفوز لنا والانتصار على الأعجام

وفى الحال أمر الشاه سرور أن تستعد العساكر إلى الرحيل فى الغد وتكون على أهبة القتال ليلاقى الأعداء عند خارج المدينة فيما وراء الجبل الاخضر فاستعدت العساكر وباتت على نية المسير وفى صباح اليوم التالى نهض الشاه سرور فركب فى موكبه وركب إلى جانبه أمراء دولته وقواد مملكته وركب طيمور والشاه سليم حاكم المدينة السليمية وخرجت العساكر فرقا وصفوفا تتقدم إلى الامام ومن خلفها المهمات والذخائر والمؤن وصار الآخر يتبع الأول على الترتيب والنظام إلا أنهم ما بعدوا أكثر من نصف نهار إلا ولاحت لهم أعلام الفرس فوق رؤوس الأبطال وهم يتقدمون إلى جهة المدينة كان وإذ ذاك قد مضى أكثر من نصف النهار فعندها قال طيمور للشاه سرور لا ريب أن الأعداء فى تعب لا مزيد لا يقدرون على الثبات فى المواقف أن لا نمكنهم من الراحة بل نباغتهم بغتة ونوقع بهم ونردهم خاسرين وعندى أنهم لا يقدرون على الوقوف أمامنا وينشتتون قبل اتيان الظلام فاستحسن الشاه كلامه ورأى فيه عين الصواب فأمر الفرسان أن تقتحم الاعداء وتبادرهم الطعان وتقلع منهم الآثار قبل فوات ذلك النهار ففعلوا وحملوا حملة وحمية وقد أخذهم

الطمع عندما شاهدوا قلتهم وضعف حالهم وتيقنوا أنهم يستسلمونهم أو يغرقونهم فى نفس ذلك اليوم وكان طيطلوس بعد ذهاب سيامك سار كما تقدم إلى جهة تعرا البيس وفى نيته أن يقيم بالقرب منها إلى حين يصل إليه الملك صاراب ودام المسير ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تقدم قليلا تمهل وفى عزمه أن يميل إلى الجبل فينزل عليه ويكاتب الشاه سرور عله يتفق معه على أمر قبل مجىء سيده او يطاوله بالقتال إلى حين قدومه فصادف عكس ما أمل ولما رأى جمل الاعداء وشاهد كثرتهم خاف من وقوع الرعب فى عسكره فدعا إليه بوجه السرعة بهمرار فناوقال قد سلمت اليك أمر الحملة فانت المسئول فيها لانك قائدها العام فاذا ثبتنا يومان أو ثلاثة ايام يصل الينا الملك ومعه الفرسان والابطال والبهلوانية المشهورون رفقاؤك ورئيسهم فلرور فهؤلاء إذا رجعوا على هذا الجيش أبادوه ودمروا المدينة وأهلكوا كل مدافع مخاصم فكن انت أول العسكر ودعهم يرون أعمالك فيشتد بذلك قلوبهم ويثبتون وأنا أقيم فى الخلف ولا أدع أحدا يرجع عن القتال ومهما يفعله الله مفعولا فقال سوف تشاهد منى ما يطيب به خاطرك وكيف أكون انا نشئه فلرور ولا أحمى هذا الجيش والقى حربه اماما ثم هز فى يده العمد الحديدى ولاح به فى الهواء وانقض على الاعداء انقضاض الجوارح وتبعه جيش فارس بهمة وحمية تسابق رسل المنية واذ ذاك وقع الصياح من كل فج وناح وشرعت البيض الصفاح فى اكف الابطال طالبة قبض الارواح وتقدم الشجاع بقلب الاسد وتأخر الجبان بعزم الولد وما مضى على ذلك إلا ساعة من الزمان حتى اختلط القومان وارتفع فوقهم الغبار إلى العنان ونادى منادى الموت بالقلعان وحجبت الشمس عن العيان وتغطى وجه الصحصحان من جثث الفرسان وقد اشتد القتال وعظمت الاهوال وضاق على العجم المجال وعلموا ان لا خلاص لهم الا الثبات والقتال بصادق النبات فثبتوا ثبات اسود الآجام وانضموا إلى بعضهم اى انضمام وقد شاهدوا من أعمال بهمرار العجائب ورأو من قتاله أغرب الغرائب فانه كان يخترق الجيوش والمواكب ويفرق الجموع والكتائب حتى حير بفعله عقول الاعداء وتبين لهم سوء طالعهم وتيقنوا أن فرسان الاعجام هم أسود تلك الايام وانه واحدهم يحسب بألف فارس مقدام ولا زالت الحرب على تلك الحال إلى أن اقبل الزوال واسود بحالكه الليل فعادت العساكر عن الحرب وبصدت مصاروا فى تلك الارض وهى لا تصدق بالخلاص من القتال لتطلب لنفسها الراحة وتفرج عنها لشدة مالاقته من السير قبل هذه المعركة وقد فعل فيها الجوع والعطش ولا سيما عساكر الاعجام فانها كانت على آخر رمق ومنتهى الامل لشدة ما قاست فى الايام السابقة

وحطت الجيوش فى ذلك السهل تنتظر صباح اليوم الآتى واجتمع طيطاوس بجهمرار وقال له ان من الصواب أن سرور أشاه فى الغد إلى الميدان وتطاول القوم بالبراز والنزال إلى أن يأتينا الفرج من الاله المتعال لانه لا حاجة أن جيشنا قليل جدا بالنسبة إلى كثرة هذا العدد ومهما أظهرنا من الشجاعة والثبات لا نقوى على قهر العدو وكسره فمن الصواب والرأى الحسن أن نعمل ما أشرت به وإلا ان قاتلونا يوما آخر أفنونا عن آخرنا ولم يبقوا منا بقية أخاف أن أنى الملك صاراب فيتكدر لهذا العمل ولا يرضيه ولم يكن يخطر لى أنه يتأخر عنا إلى أكثر من هذا اليوم أوفى الغد فالى انما لابد من أن ثبت إلى حين اتيانه وانى فى الغد آخذ الميدان لنفسى فمن جاءنى من الاعداء ألبسته ثوب البلاء واعمل ذلك إلى يوم أو يومين أو ثلاثة أيام وفى هذه المدة لا بد من وفود الملك صاراب علينا

وباتوا تلك الليلة على هذا الاتفاق وفى الصباح نهضوا من مراقدهم وأفرغوا عليهم العدد وتقلدوا بالنصول والعمد وعلوا ظهور الخيول وتقدموا إلى ساحة الميدان يترتبون ويصطفون فى مراكزهم ولما انتهوا من ذلك عولت عساكر اليمن على الهجوم وإذا بهم رأوا جهمرار قد توسط إلى الميدان وبيده عمد من الحديد لا يحمله إلا كل جبار عنيد وقد لعب به اشكال حتى حير عقول الرجال طالب رجال الشاه سرور أن يتقدموا منه وبرزوه وقد شجع فيهم بكلامه حتى اغاظهم فتسابقوا اليه فالتقاهم وكان كلما قرب منه فارس جاوله مقدار ساعة من الزمان ثم ارداه قتيلا يخط بدمه الارض ودام الحال على هذا المنوال إلى قرب الزوال حتى قتل ذلك النهار اكثر من خمسين فارس من الابطال الأشداء المشهورين والقى الرعب فى قلوب الباقين وعاد من الميدان كما يعود الاسد الى عرينه ودخل فى عساكر إيران وهو مسرور فرحان فلقيه طيطاوس وشكره على فعله وقال له اذا فعلت مثل اليوم يوما آخر حميت الجيش وصده وصدت عنه شر الكسرة ودفعت عنه الأخطار قال ان اتصمونى ان اديمهم باحمهم على هذه الحالة انما اخاف ان لا يرضيهم هذه الحالة ولا يصمونى بالبراز ويحملون فى طلب السرعة والاتحار وهكذا صار لان طيمور عاظه ماراه من جهمرار فى ذلك النهار وقال للشاه سرور ان هذه الأعمال توقعنا بالخبال وانا لا ندرك من الأعداء مرادا ولا ننال غاية الا بالكثرة والا اذا بارزناهم فارس لفارس افنونا وفعلا انما أيتم فعلة قال صدقت فانه لم يكن هذا فى خاطرى وانى احب ان اسرع فى عملى فالاعجام لا يمكنهم ان يثبتوا اكثر من يوم او يومين فهم فى حالة الضعف والارتباك قد قصدوا المطاولة ظنا منهم انما يحمهم الى ذلك فسالون غايتهم ويمدون مآربهم ثم نشر امره فى الجيش ان يباكروا الى القتال وان لا يبرز احد فى

الغد إلى فارس الأعداء ولا يطمع أحد فيه بل يحملوا بأجمعهم حملة واحدة

قال ولما كان اليوم الثاني نزل بهمرار إلى وسط الميدان ونادى بان تبارزه العساكر والابطال وبارزه على جاري عادته فلم يأته أحد ولم ير إلا عساكر الشاه سرور وقد حملت حملة واحدة وصاحت بصوت واحد ارتجت له كل تلك البلاد وقد قوموا الاسنة وأطلقوا الاعنة وبادروا بعساكر الاعجام الا انشروا بالموت والقلعان فقد آن الاوان وحل الزمان فهبوا إلى الدمار والفناء والبوار فالتقيتهما العساكر المحتدمة بهمة وحمية ودار ما بينهم باع المنيه بروم قنص النفوس وقع الانفاس واجهدت العساكر جهدها واظهرت كل ما عندها ولم يعد يسمع إلا صوت صهيل الخيول ولا يرى إلا لمعان بريق النصول وسدت أبواب الهرب ووقع بالقوم الهلاك والعطب وحل بها البلاء وانقضت بالفناء وعلموا انهم لا ينالون المقصود إلا ببذل المجهود والثبات في مواقف الحرب والتجويد بالطعن والضرب فكان يوم القيامة قد آن أوان حيهم نقلت إلى ذلك المكان تقذف من جوفها شعل النيران فتحرق الاجسام والابدان ودامت نار هذه القتال على اشد ما يكون من الاشتعال الى ما قبل الزوال واذذاك تأخرت عساكر الاعجام بعد ان افرغت ما في جهدها في مواقع الصدام وملاقات الاخصام وفعلت بالاعداء افعالا تحير الخواطر وتبهج النواظر الا ان كثرة اعاديهم وقلتهم قللت من عزائمهم واضعفتهم فلم يروا أوفق من الرجوع إلى الوراء وهم يقاتلون حتى يأتي عليهم الظلام فينظرون في امرهم ويرون طريقة تحميهم إلى حين إتيان ملكهم صاراب فيفرج عنهم ويدفع الاعداء وداوموا في رجوعهم واليانيون يهاجمونهم وقد داروا من حولهم واسرعوا في ربط طريق الفرار عليهم ولولا بهمرار قبا وما اظهره من الهمة في القتال والدفاع عن جيشه لهلك عن آخره لانه انما نظر فرقة من عساكر الشاه سرور تطارد فرقة من الاعجام وقد كسرتها امامها يقصد تلك الفرقة فيضرب فيها ضرب الابطال فدفعها عن قومه ويفرج عنهم ثم ينعطف إلى جهة ثانية فيفعل كالأول ولا يزل على تلك الحال وططلوس يصدر بأوامره إلى الفرق ان تتأخر بانتظام ويحول من حلمها خوفا من ان تفرط فتتشتت فلا يعود في امكانه جمعها ولما اقبل الليل افرج اليانيون عن الاعجام وهم في حالة فرح وسرور وقد ثبت عندهم ان ما بقي منهم ستأكله اسيافهم في صباح الغد فلا تعود بعد ذلك تقوم لهم قائمة واجتمع طيفور بالشاه سرور وقال ارايت ياسيدي ما حل باعدائك ومن كنت تحسب لهم حسابا وفي الغدان شاء الله سنبيد هذه الشرذمة الباقية ونبدد شملها وإذا شئت سرنا إلى بلاد ايران وانتقمنا من الملك صاراب وخربنا بلاده ونهبنا امواله ليعلم من هو اقدر واثبت ومن سيكون له النصر

والنجاح فى مواقف الحرب والكفاح قال إن المسير إلى إيران لابد منه إنما ليس الآن لأنى أؤكد أن الملك ضاراب لابد أن يأتى الى هـذه الديار فيصادف حظ وزيره طيطلوس ويلاقى نحيشـه الموت الأحمر والعذاب الأليم ولما استقر حال عساكر العجم وأمنت من لحاق الأعداء اجتمعت إلى بعضها ترتاح من عظم ماقاست من هول ذلك النهار ودعا طيطلوس بهمزار وتشاور معه فى امر القتال وقال له إنى ارى من الرأى أن نرجع فى ظلام هذا الليل دون أن يرانا الأعداء إلى أن نلتقى بالملك ضاراب ونضم اليه وإننا على يقين من أنه قريب منا ولو كان فى وسعنا أن نثبت يوما أو يومين آخرين أن يدركنا ويدفع عنا هذه الشدة إنما عسكرنا قد وقع باليأس وخابت آماله وقلت عزيمته فلم يقدر على القتال ساعة واحدة قال انى لاأوافق على السير ولا أرغب فى الهرب وأن الذى علمنى القتال وعودنى على ملاقاة الأهوال لم يعلمنى الهرب ولا عودنى عليه فاما أن أقتل تحت ظل السيوف واما أن أفوز بالنصر وأكتسب الفخر وكيف يمكننى أن ألاقى أستاذى فيلزور وأنا على هذه الحالة من الذل والعار وماذا يقول عنا الملك ضاراب إذا علم أننا ألبسنا جيوشه ثوباً من المذلة فى هذه البلاد بحيث يقال ان عساكر إيران هربت من وجه رجال اليمن قال إنى أعلم ذلك غير أن الرجوع عن القتال من الموجبات وإلا ألقينا الجيش بأيدينا فى جب الهلاك والعدم لاسيما الجرحاء منهم فانهم يحتاجون الى المداواة فاذا تهاملنا بأمرهم يذوقون الممات ونقع تحت لوم الملك وغضب الله سبحانه وتعالى لان أمرهم مسلم إلينا وإذا كان لايطيب فى عينيك الرجوع إلى الوراء فدعنا نلتجىء إلى مكان حصين فى هذا الجبل إلى أن يأتى الفرج وهو قريب منا وإذا أدركنا الأعداء نقدر أن نحمى أنفسنا منهم ونردهم نضرب النبال ونتخذ لنا مراكز منيعة ونلتفت الى أمر المصابين بالجراح قال انى أجيبك إلى ذلك وأوافقك عليه

وبعد أن تم بينهما الاتفاق على ما تقدم أمر طيطلوس أن تنهض العساكر إلى الجبل وتترك النيران تشعل لئلا يعلم الشاه سرور برحيلهم فمنعهم ففعلوا وبأقل من ساعة دخلوا بين الآكام وتسلقوا أعالى الجبل وطافوا فى نواحيه المانعة الى أن وجدوا أكمة عاليه تكتنف الى الأربع جهات ليس يصل اليها حد إلا ويظهر من عليها فأعجبت طيطلوس وأمر العساكر أن تنزل فى تلك الأكمة وتتخذ لها حصونا تحميها اذا تبعها الأعداء فاهتم كل بنفسه وبتدبير أحواله ووضعوا المجاريح فى نصف الأكمة وأتوهم بكل ما هو لازم لهم من الأكل والشرب ولما كان الصباح نظر طيطلوس فى تلك الناحية فوجدها مناسبة المركز الا أنه تكدر جدا لما علم أن لاماء فيها ولا ينبوع يملأ منه فعظم كدره وأمر أن لا تهرق بالماء الذى مع الجيش لأن

القرب كانت كلها مملوءة كالعادة وكانوا لا يرحلون من مكان الى مكان الا ويملئونها فتبقى الى حين الحاجة وأمر الرحال بطووا علهم يروا عين ماء أو بئر يستقون منها وبعد أن طافوا رجعوا بالخيبة وأخبروا طيطلوس وهو على ماهو عليه من عظم الكدر وسوء الحظ ولولا أمله ان الملك سيدركه قريبا ويفرج عنه لايقن بالهلاك عطشا .

ونهض الشاه سرور من رقاده ونظر الى جهة الاعداء فلم ير منهم أحد ونظر الى طيهور وقال له كيف فار الاعداء بالخلاص ونجوا من بين أيدينا بعد أن شاهدوا الموت عيانا قال ان صدقى ظنى يكونون قد لجئوا الى الجبال لان لاطريق لهم للرجوع من حيث أتوا فان عساكرنا منتشرة من خلفهم لا تمكنهم من المرور ولا تفتح لهم طريقا للنجاة وعلى كل حال فهم هالكون ثم دعا بهلال العيار وأمره أن يتأثر الاعجام وينظر فى أى طريق سلكوا ويأتيه بالاخبار عنهم فانطلق يجرى كالسهم الطيار ونظر الى أثر حوافر الخيل فتبعها حتى تبين له أنهم سلكوا طريق الجبل فسار على ذلك الطريق الى أن بينهم وهم على ظهر الاكمة العالية وقد أقاموا عليها الحصون والمعاقل فرجع الى الشاه سرور وأطلعه على أمرهم وأخبره بمكان نزولهم فقال طيهور لا بد لنا من المسير خلفهم للانتقام منهم فلو صعدوا الى السماء أو نزلوا تحت الارض لا ندعهم ثم أمر الشاه سرور أن تركب العساكر على ظهور الخيول فركبوا وركبا مع طيهور ودخلوا الجبل حتى امتلأ نواحيه وتغطى من كثرة الرجال وقد شاهد طيطلوس قدومهم فأمر الفرسان أن تكون على استعداد وأن تثبت فى مراكزها وأن يوتر كل منهم قوسه وينتظر أمره وأن لا يرميهم أحد بنبلة مالم يشاهدوا نبلة منه ممرار قد خرجت من وتره ولم يكن الا قليل حتى قربت العساكر من الاكمة واحتاطوا بها من اليمين والشمال وجعلوا يتسلقونها بالتدريج شيئا فشيئا وهم خائفون من نبالهم حتى كادوا يقربون منهم ولما لم يروا منهم حركة طمعوا فيهم وقالوا ان القوم على نية التسليم وليس فيهم من يقدر على الحرب وما انتهوا الى ما فوق نصف الاكمة الا وتساقطت عليهم نبال الايرانيين من كل جهة وصوب كتساقط البرد فى أيام شباط فأصابتهم وكانت تقع فيهم ولا يرون الا نبالا تتساقط كان البر كله نبال ولم يعودوا يعرفون الطريق وما تقدم منهم فارس الا ووقعت عليه نبلة من كف فارسى شديد أردته الى الارض حتى عميت أبصارهم وضاعت عقولهم ولم يروا سبيلا للتقدم فرجعوا القهقرى وقد قتل منهم نحوا من عشرة آلاف نفس حتى امتلأت تلك الارض من جثث المقتولين وبعد أن أمنوا من وصول النبل اليهم اجتمع طيهور بالشاه سرور وتشاوروا فى امر الاعداء فقال طيهور انى اعلم جيدا ان لاماء بالاكمة يستقون منها ولا بد من ان يفرغ الماء منهم فلا

يقدرون ان يبقوا بلا ماء فيلتزمون ان ينزلوا من هذه الأكمة أو يموتون عطشاً عليها بأقل من يومين فمن الموافق ان تحتاط عساكرنا بالأكمة وتقيم على ما هي عليه إلى ان يضيق عليهم الأمر فموقعهم ويكون بذلك قد حقنا دماء ابطالنا وحفظنا رجالنا وإلا لو داومنا القتال لا ننال منهم مراداً إلا بعد هلاك نصف عساكرنا لأنهم يتمكنون منا ولا نقدر ان نتمكن منهم ونصل اليهم إلا بعد مقاساة أشد الصعوبات قال الشاه سرور انى أخاف من التطويل فاذا أقمنا يومين أو ثلاثه أيام حول هذه الأكمة نترك لهم فرصة ربما كانوا ينتظرونها لأنى شاهدت منهم فى هذا اليوم وهم يرمون عساكرى بالنبال وأعينهم تنصرف إلى جهة البر إلى ناحية الطريق الموصلة إلى بلادهم كأنهم ينتظرون فرجا وأخاف من إتيان الملك صارات بالفرسان والأبطال فيل انهاء هذا القتال فيلزم بالرجوع ويصل بعضهم إلى بعض ويقع بالخسارة بعد الربح قال هذا الأطنه ومع ذلك فمن الرأى الحسن أن نرسل هلالا العيار يكشف لنا الأخبار ويبعد عنا الأكثر من يومين فاذا شاهد أحداً يعود الينا بالحال ويخبرنا بما رأى ونظر فاستوصب الشاه سرور هذا الرأى واستحسنه وأمر هلالا عيار بلاده ان يتقدم فى طريق إيران ينظر من آت منها فودعه وسار فى الحال ولما رأى طيطانوس رجوع عساكر اليمن وبروزهم فى تلك الأرض فرح مزيد الفرح وقال لمن حوله ان الأعداء اعتمدوا ان يحاصرونا ولا يقاتلونا لعلمهم ان لا ماء عندنا فنموت عطشا أو نسلم اليهم فأوصيكم ان لا تنزلوا بالماء وان تسقوا الخيل فى اليوم مرة غير كاملة بحيث نقدر أن نقيم بلا ماء إلى حد الأربعة ايام مع أن الملك صارات فى صباح هذا الغد أو مسائه يكون فى هذه النواحي فلا نعود نحتاج إلى الماء

ولما بلغ عين الحياة ما وقع بعساكر الأعجام وأنهم عادوا خاسرين تكدرت مزيد الكدر ولم يرق ذلك فى عينيها وكانت قد فرحت فى بادىء الأمر بنصرة الأعجام وقربهم من بلاد أبيها ولم يكن منها بغضاً بأبيها ولا خيانة منها بل حباً بفيرور شاه وعلمها بأن الملك صارات إذا ظفر على أبيها لا يبطش به ولا يضره ولا يقصد التسلط على بلاده وليس له إلا غاية واحدة وهى المسير خلف ابنه واستخلاصه من يد الأعداء إذا كان لا يزال حياً وأخذ ثأره إذا كان وقع عليه سوء أو لحق به ضر أو نابه مصاب كبير وأما أبوها فانه إذا ظفر لا يبقى على الأعداء ويوقع بهم وإذا وقع بيده واحد منهم لا يبقى عليه ولا سيما الملك صارات فربما قتله وبقتله تقع العداوة بقلب فيرور شاه لأجله فلا يعود فى وسعه أن يتزوج بنت قاتل أبيه ولهذا كانت فى حالة صعبة جداً ليس لها شغل إلا البكاء على سوء حالها وسوء بختها ونحس طالعها وتذم الأيام التى أوقعت فيرور شاه بيد الأعداء حتى تسببت بعد غيابه كل هـــذه

الأسباب الرديئة العاقبة والسيئة المصير وتدعو الله سبحانه وتعالى أن ينهي الخلاف الواقع بين الأعجام وأبيها وأن يسهل سبل الخلاص لفرور شاه فيعود اليها ويزيل عنها كل هذه الهموم والأخطار المحدقة بها في كل دقيقة من دقائق أيامها الصعبة وقد بعثت بخبر إلى أبيها ان يعلمها بكل ما يصل اليه وما يكون من الأعداء. وأظهرت أنها تريد بذلك اطمئنانا بالخاص حيته وبعثت بخدامها أن يكونوا على مقربة من الحرب وان يأتوها بالاخبار التي تحدث تماماً ومايكون من أمر الاعجام ومن يأتي منهم ويذهب عنهم

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع طيطلوس وبهبرارقما وبعض الاعيان والمقدمين وأخذ كل منهم يبدي رأياً من جهة القتال وكلهم في حزن وكآبة يتعجبون من ابطاء ملكهم عليهم وتأخره إلى هذا اليوم فقال طيطلوس ان الملك صاراب يسير متمهلا فقد أخبره سيامك بانتصارنا على الاعداء فاطمأن باله وبات في راحة وهو لايعجل في المسير شفقة على العسكر وبرفقا بهم ولو علم بما نحن فيه لما تأخر عن الجري بما أمكنه من السرعة للافراج عنا والامل انه يكون في الغد عندنا ولم ينته طيطلوس من كلامه هذا إلا ودخل عليه شيرنك العيار وهو أسرع من السهم الطيار ووقف بينهم وحياهم فارتاعوا من مجيئه بغتة وتعجبوا من وصوله اليهم في مثل تلك الساعة ونهض الجميع قوفا ومالوا اليه يسألونه عن الملك ولاسيما طيطلوس فانه قربه منه وقال له ماوراءك من الاخبار فأخبرنا فانا في حالة اليأس والخطر قال ورائي رجال لانهاب المنية ولا تلويها عن الثبات طوارق الحدثان. وورائي الملك صاراب وفيروز البهلوان وورائي سامك سابقا جماعة المقدمين والفرسان وورائي الراية الفارسية راية الاسد والشمس تجمع تحتها أسوداً تعودت اختطاف الارواح وتجريدها عن الاشباح فانتعش قلب طيطلوس والباقين عند سماعهم هذا الكلام وثبت لديهم الفرج القريب المنتظر وقال طيطلوس الحمد لله فقد جاء الفرج الذي نطلبه لكن بالله عليك ان تخبرنا أين الملك الآن وهل وصل هو بعيد عنا قال ان الملك آت على طريق النمس وهو قريب من الوصول ولما وصلنا إلى مكان القتال عند وقوع الوقائع الاولى بسكم وبين الشاه هرير والشاه ايث أقام ليلة في تلك الارض وعمل احتفالا للنصر فيه ولقب تلك الارض بارض سيامك ليتذكر الفرسان ان من جد في سبيل خدمة الملك والوطن والشعب الفارسي ينال المكافأة التي ما فوقها مكافأة ثم نهض في اليوم التالي سائراً على طريقه يقصد هذه البلاد وقد دعاني اليه وقال لي سر يا شيرنك إلى نحو تعزاء اليمن بالسرعة الممكنة واكشف لنا خبر الجيش وآتنا بما هناك فسرت وسار من خلفي ولا زلت حتى وصلت إلى الساحة التي تقابلتم فيها مع الشاه سرور فوجدت القتلا قد ملأت الفلا

وشاهدت الوحش لاف إلى تلك الجهة وقد ملأها لكثرته وهو يأكل من لحم الانسان فساءني هذه الحالة جدا وقد تبينت ان أكثر المقتولين هم من رجالنا ثم نظرت إلى جهة الجبال فوجدتها مغطاة بالرجال فخطر لي ان الحرب واقعة هنا وأنكم أخفيتم في بعض النواحي فتمكن العدو فانطلقت بين الجبل وقد صادفت من سكان القرى من حكى لي عن كل ما وقع لكم مع الشاه سرور وكيف فار عليكم حتى التجئتم إلى الجبال ولما تخللت عساكر الشاه سرور ثبت عندي كل ما سمعته لأني رأيت رجلين يتكلمان بأن طيمور فكر ان يحاصركم ويمنعكم من وصول الماء إلى أن تموتوا عطشاً أو تسلمون نفوسكم اليه فتكدرني هذا الامر أكثر من الاول وعولت ان أرجع حالا إلى الملك وأطلعه على أمركم إلا أني خفت من أن تسلمون أنفسكم قبل حضوره فاخترقت القوم وسلكت الجبل تحت الليل الاسود دون أن يراني أحد وأتيت اليكم لأعلمكم بقدومه فكونوا باطمئنان بال وراحة ضمير وها أنا عائد اليه فقال طيطلوس عجل اليه بالخبر وانبئه له حالتنا وما أصابنا من المصائب وما نحن فيه فانا كالمريض القاطع الرجاء من الحياة يسارع ليسلم روحه وعينه تنظر إلى هذه الدنيا أملا برجاء منها فأسرع يا شعرنك ولا تتأخر في طريقك فكل دقيقة تضيعها في تأخرك هي علة كافية لنزول المصائب علينا فانطلق شعرنك دون وداع ولا سلام وجعل يقفز بين تلك الروابي كالغزال الخائف من الوقوع في أيدي الصياد حتى فات عساكر الاعداء وانحدر إلى السهل واستلم الطريق القديم وبعد منتصف الليل وصل بين يدي سيده فحثى التراب على رأسه وبكى على من قتل من الفرسان وقال إن لم تسرع إلى معونة طيطلوس وإلا في الصباح سلم إلى الاعداء أو أهلك من العطش لانه محاصر في الجبل وحوله ستمائة الف فارس من فرسان اليمن مع الشاه سرور وطيمور وقد لقيت عساكرنا عساكرهم عدة أيام وأهلكت منهم كثيرا وهلك منها كثير اغير أن عدد الاعداء يزيد على الدوام وعساكرنا قد وقع بها النقص وضعفت ولولا بهمرار لهلكت عن بكرة أبيها وقد أخبرني طيطلوس انه كان في نيته أن يرجع القهقرى لما شاهد ان لا ثبات لعساكره ساعة ثانية فلم يوافقه بهمرار وقال له ان استادي فلر لم يعلمني الهرب فلا أعود إلى الوراء وفي رمق ولذلك اختاروا منزلا لهم الجبل فأبعدوا فيه ولجئوا إلى ظهر أكمة عالية نزلوا عليها وحموا أنفسهم فيها وهم ينتظرون قدومكم إلا ان الماء قليل معهم ولم يكن من ماء في الجبل وقد احتاطت الاعداء بهم ومنعوهم من النزول والطلوع فباتوا كأنهم في سجن ضيق وقد منعوا الجبل من الشرب احترازا ان يكفيهم الماء إلى يومين وقللوا من شرب الماء فلا يشربون إلا القليل وهم في عذاب لم يكن بعده عذاب ولما شاهدتهم بكيت على حالتهم وانفطرت مرارتي

عند مشاهدتي الجاريح مطروحين على الأرض يعانون عذاب الموت والماء لا يعطى لهم إلا بالوقت المعين ولما رآني طيطلوس سجد لله وطلب إلى أن أرجع على عجل وأن أنعي إليك حالتهم لتسرع إليهم قبل مضي الغد وعاراد كذري ما كنت أسمعه من اليمنيين من أنهم مصممون على أن يبيدوا دولتنا ويبرعوا اسمنا من العالم وقد عزمهم ما نالوه من النصر على رجالنا ولم ينظروا إلى كثرتهم وقلتنا على أني أيقن أنه لو كان مع طيطلوس بعض الفوارس المشهورة علاوة على بهمرار كسيامك سياقما وغيره لما نالوا هذا الظفر

وكان الملك صاراب إذ ذاك في فراشه فلما سمع هذا الكلام نهض حزينا ولبس ثيابه ودعا اليه فيلزورا فحضر وعاد اليه كل ماسمعه فتكدر أيضا وقال لا غنى لنا عن المسير في ما بقي من هذا الليل وإننا لا نصبح إلا ونحن عند قومنا ولا نبقي رجالنا لطمع الأعداء فيهم وإني أشكر رجالنا الذين أشادوا لنا إسما من الشجاعة لا يمحى بكرور السنين ومن العجب أن يثبت أقل من ثمانين ألف فارس في بلاد غريبة أمام ستمائة ألف فارس في نفس بلادهم وفي الحال ركب الملك وأرسل شهربك يعرض على القوم أمره بالركوب والمسير على عجل فجعل شهربك يدخل خيام الفرسان والقواد وينادبها بالركوب عن أمر الملك فسقط وتعلو على خيولها وما مضى على ذلك نحوا من ساعة إلا وسارت الجيوش على طريقة نظامها وقد حدث في مسيرها طالبة خلاص عسكرها وهي لا تصدق بالوصول إلى مكان القتال لتفرج عنها وتحل بأعدائها الوبال

وأما ما كان من هلال العيار فانه بعد أن فارق سيده في طلب الاكتشاف على خبر من جهة الأعداء لا زال في انطلاقه وسرعة جريه حتى تبين جيش الملك صاراب وهو على ما تقدم فارهبه وحدثته نفسه أن لا يرجع إلى سيده إلا بالخبر الصريح ويقف على حال للقوم الكبير منهم والصغير ويختبر أمر الفرسان ويميزهم ليكون الشاه سرور منهم على انتباه فيأخذ لنفسه الحذر ولذلك تخلل العساكر دون أن يراه أحد أو يعلم به لأنه كان لابس كلبس الخدم وغير زيه ليكر حاله على من يراه فلا ينتبه اليه وأقام في الجيش يجس أحواله إلى أن توسط الليل فعزم على الرحيل والرجوع إلى سيده وإذا بشهربك قد وصل إلى الملك صاراب وكان من أمره ما كان وسارت العساكر مسرعة إلى جهة تعرالنيل وشاهد مسيرها وإذ ذاك خرج أمام القوم يجري على قدمه كالريح عند اشتداده لا يستكن عن الركض ولا يهدأ حتى وقف أمام الشاه سرور عند بزوغ الفجر وحكى له ما شاهده ونظره وقال له والله يا سيدي إن الأمر خطير والصعب كبير والعدو عظيم والملك صاراب شديد الحيل والدبير عظيم السلطان كثير الأعوان لديه من الأبطال والفرسان ما يعجز عن قتالهم كل إنسان وقد تركتهم جاءني سائرون

تحت ستار هذا الليل وذلك عند ما بلغهم مصاب جيشهم وعرفوا مضا فتكم لهم وبعد ساعات قليلة يكونون هنا وقد أسرعت اليك بالخبر لتكون على حذر قبل أن يمسك الأعداء عليك باب الطريق ويحصروك فى هذا الجبل ويمنعوك من الوصول إلى المدينة ويقطعوا المخابرة بينك وبينها فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وقال لطيمور هاقد جاء الملك صاراب وستقع بيننا الوقائع الهائلة وتنتشر حرب لاتطوى إلا بخراب الديار وسبى الأحرار وانقصاف الأعمار وهلاك كل جبار. فقال طيمور ما تذكره كله أحب لدينا من الذل للغير وإضاعة ناموس الملك بيدنا مع أنى لا أظن نجاحا للأعداء عندنا ونحن متيقظون لهم وجمعنا العدد الغفير وأقمنا عليهم العيون والأرصاد فنعرف حركاتهم وجيشنا لا يزال يزيدهم وإذا احتاج الأمر ضاعفناه بحيث نصير عندنا أربعة عشر جيش كل جيش مائة ألف فارس يمكننا أن نقاتل بهم ملوك الأرض جميعها لأن أنصارنا والذين كاتبناهم قد أجابوا طلبنا وهيأوا لنا العساكر وهى تنتظر أمرنا وإذا احتاج الأمر بعثنا اليهم أن يرسلوها لنا فنكن على يقين من النجاح ولا نكن ضعيف الجنان فى مثل هذا الوقت تحت الشجاعة وقوة الجنان ولا تظهر الضعف أمام الأعداء فيطمعون بنا ويزدرون بحالنا ويسهل عليهم قتالنا قال وماذا يجب أن نعمل الآن قال ينبغى الرجوع عن هؤلاء والتأخير إلى جهة المدينة والقتال على مقربة منها فنضمن اليها فى كل يوم ما يصل اليها من العسكر ويأتى بالمؤن من المدينة وإذا احتيج الأمر لجأنا اليها ولا يمكن العدو من الدنو منها

وفى الحال أمر الشاه سرور برجوع رجاله عن الأكمة بالسرعة الممكنة من غير التأخير فعادوا على أعقابهم ورجعوا من حيث أتوا واستلموا طريق صحراء اليمن وعسكروا عندها وقد سر فعلهم هذا طيطلوس وقال قد عرف الشاه سرور باتيان الملك صاراب ورجاله وفرسانه وأبطاله فعاد إلى مراكزه خوفا على نفسه من أن نحاصره فى هذا الجبل فندخل عساكرنا المدينة فانهضوا الآن وكونوا على أهبة السير والانضمام إلى ملكنا فقد أعاد الله إلينا الفرح عن قريب ولم نسلم بهلاك كامن بيد الأعداء وأما الشاه سرور فانه قال إلى طيمور إنى أحب أن أنظر إلى جيش الملك صاراب عن بعد وأحتبره وأنظر إلى ترتيبه فى المسير فاصعد بنا إلى أكمة عالية على جانب الطريق ننظر من بعيد ونرى ذلك فصعد الشاه سرور وطيمور ومعهما هلال العيار وأقاموا على ظهر الأكمة مقدار ساعة ينظرون عن بعد إلى أن لاح لهم غبار القوم وظهر لهم قرب وصولهم فأحدقوا نظرهم ولم يكن إلا القليل حتى بين لهم مقدمة الجيش فنظر الشاه سرور نرى راية حمراء عليها علامة أفعى ذات رأسين وهى تخفق فوق رأس

فارس واسع الوجه كبير الرأس والجثة على جواد أدهم بلون الليل ومن حوله جيش يحدق به وهو يسير بترتيب ونظام فقال من هو هذا الفارس ومن يدعى قال هلال هذا يا سيدى سام ملك سياقا الذى أسر سيدى الشاه هرير وفعل بعساكرنا ما فعل المرة الأولى وقد كان إذ ذاك يحسب من عامة الناس وأما الآن فقد رفعه ملكهم إلى منصب القواد ورتب له هذا الجيش وعدده ثلاثون ألف فارس وعقد له هذه الراية وهو يسير فى مقدمة العساكر العجمية ثم نظر الشاه سرور إلى ما وراءه فرأى راية أخرى تخفق وعليها النقش الذهبى وعلامة نسر كبير يرف بجناحيه وتحت تلك الراية فارسان على رؤوسهما قبعتان من الحرير المزركش بالذهب وعليهما الملابس الذهبية ولسلاحهما لمعان كلمعان البرق ومن حولهما الفرسان والحراس والعساكر تسير لديهما فقال الشاه سرور ولمن هذه الراية ومن يكونان هذان الفارسان قال هلال ان الفارسين المذكورين هما من العائلة الملوكية وهما أولاد أخت الملك بهمن أبى الملك صاراب واسم الأول منهما خورشيد شاه والآخر جمشيد شاه وجيشهما ستون ألف فارس ولهما فى القوم مزيد الاكرام والانعام بعد الملك صاراب ثم نظر الشاه سرور الى راية وتحتها فارس عليه دلائل الشجاعة فسئل عنه فقيل له هذا بهمراز الغنى وهو من بهلوانية إيران من تلامذة فرامرز البهلوان ومعقود له على ثلاثين ألف فارس وهو يسير بين يدى الملك صاراب وإذ ذاك تبين الشاه سرور فرأى راية كبيرة خضراء تلوح مع الهواء وعليها علامة الأسد والشمس والسيف وبرأس العلم أكرة كبيرة من الذهب الوهاج عليها جوهرة بقدر البيضة الكبيرة وكأنهما تتوقدان وتلمعان وكانت الشمس تتكسر عليهما فيبعث منهما نور يبهج الناظر ويدهش الخاطر وتحت ذاك العلم عشرون ألف فارس بأيديها السيوف مسلولة وعليها القبعات السوداء وتحتها الخيول الاعجمية الجيدة ومن حولها كثير من الفرسان والمشاة وتحت تلك الراية التاج المرصع باليواقيت والجواهر والرسوم من صنعة الفرس وهو التاج المعروف بعد ذلك بالتاج الكسروى وهو فوق رأس رجل حسن التركيب مهاب جليل واسع الجبهة أبيض الوجه أسود اللحية وعليه وعلى جواده من الذهب والجواهر ما لا يقدر بثمن ولا يحصيه قلم فقال الشاه سرور لا ريب فى أن هذا الملك صاراب ملك القوم وإن لم أر ملكا أعظم منه وأكثر مهابة قال هلال ياسيدى نعم هذا ملكهم وجيشه الخاص مائة ألف فارس منهم عشرون ألفا من أنسل رجال فارس وإذا بفارس يسير بجيش آخر فسأل عنه فقيل له هذا عبد الخالق القيروان أحد الستة بهلوانية وهو معقود له على ثلاثين ألف نفس من رجاله طبهور ومعقود له على ثلاثين ألف نفر أيضا ووراءه مرادخت الطبرستانى وشمرين الشدلى الطلقانى وكل منهما

معقود له على جيش لا ينقص عن الثلاثين الف فارس ثم نظر الشاه سرور إلى راية في موخرة جيوش فارس فوجدوها تكاد تعادل راية الملك صاراب مرسوم عليها اسد بيده قوس نشاب وعليها أكرة من الذهب كثيرة اللمعان ومن تحتها فارس أبيض الوجه بلحية كبيرة بيضاء تحيط بوجهه من كل صوب وحواجب طويلة بيضاء واقعة إلى الامام لا تنزل على عينيه وعلى رأسه طاسة من الفولاذ كبيرة وعليها بيضة من الذهب تلمع عن بعد وتحته جواد عال يكاد لا يكون اوطى من الجمل علوا وجيشه يقابل جيش الملك كثرة وانتظاما فسأل هلالا عنه فقال له يا سيدى هذا فارس بلاد فارس وحاميها وشجاعها الذى يضرب به المثل فى بلاد العالم أجمعها هذا فيلزور البهلوان أبو فرجوراد الذى كان عندنا وقد شاهدت من فعله ما يبرهن لك فعل أبيه وهو فى سن الصغر وبعد ذلك عاد الشاه سرور عن الأكمه إلى العساكر وقد كدره كل ما رأى ونظر من حسن جيش الأعداء وكثرة فرسانهم المشاهير وشاهد طيمور منه ذلك فاراد أن يقويه فقال له لا تخف يامولاى فان الله قد ساق الينا هذه العساكر غنيمة باردة لأن معهم من الأموال والجواهر ما لا يوجد عندك ولا عند غيرك ومتى رأيناها عساكرنا تقاتل فى سبيل الحصول عليها حق القتال ولا يرجعون عن النصر إلى أن يحرزوه وعندنا من التدابير الحسنة ما يكفل لنا كل نجاح وتوفيق

وكانت عساكر فارس قد وصلت الى امام عساكر اليمن فحطت تجاهها ونزلت عن خيولها وضربت أطنابها وضرب للملك صاراب صيوان من الحرير الأحمر يبلغ قطره خمسمائة ذراع على أربعة عواميد من خشب الابنوس وكل منها محلى بالذهب وعلى أعلى الصيوان وبرأس كل عمود قوس من الذهب بوسطه نجم من الذهب أيضا والاطناب من أعلى الحرير وأحسنه وبالجملة ان ذلك الصيوان كان يحسب من أحسن الصواوين وأفضلها وقد يفضل على أبهج القصور وكان من داخله طاقم من الكراسى الذهبية المغطاة بالنسج الفاخر وهى كثيرة العدد حتى تبلغ نحو الثلثمائة وما فوق وكانها معدة لجلوس الفرسان والمقدمين والامرا ولما استقر الجلوس بالملك صاراب ونزلت عساكره بالمراكز اللازمة واستراحت بعث شهربك الى طيطلوس يبشره بقدومه ويدعوه بمن معه اليه وكان طيطلوس قد شاهد عساكر العجم ونظر الى الرايات الفارسية فعادت روحه اليه وامل من بعد الضيق بالفرج وفى الحال استعد للنزول عن الأكمة فحمل الجرحى واعتنى بها وسيرها أمامه وحمل ما بقى معه من المؤن واذا بشهربك وقد وصل اليه وبلغه أمر الملك وان يرحل اليه على عجل واذ ذاك انحدر ومعه الفرسان والأبطال الذين بقوا معه حتى انتهى الى الملك صاراب فلاقاه بالاكرام والترحاب

وهنأه بالسلامة ومدحه على فعله وأجلسه فى كرسيه وقال له كان يصعب على أن يحصل عليك كل ما حصل إلا أن ذلك كان بسماح منه تعالى وكنت أظن انك تسير بالرفق ولا تسرع إلى ان تصل إلى هذه البلاد ونحن فى راحة وسكون لا يلحق بنا مرض ولا تعب قال انى ماأسرعت السير إلا وفى نيتى أن احفف كثيرا من الأثقال اما بالمحاربات بيننا وبين الشاه سرور وابرام الصلح والوفاق وأما بالحرب والقتال ولم يكن فى ظنى أن الشاه سرور يكون على استعداد غير منتظر وقد بعث إلى بولديه فانتصرنا عليهم انتصارا تاما بهمة سيافك سيافا وهمة بهمرار فهربوا منا وانكسار نافينا بعد لا يحسب شيئا بالنسبة لهذا الفوز والظفر وكفانا فخرا بانا ثبتنا أمامهم ثبات الأبطال ومنعناهم عن التقدم ايانا مع قلتنا وكثرتهم ولم يهرب منهم حتى صعدنا الرابية واقنا عليها وانى أؤكد لكم أنه لو جاء بجميع عساكر اليمن والزنوج لما قدروا أن يصلوا الينا أو يدنوا منا أو يزحزحونا من مكاننا إلا ان الماء قليل عندنا فكنا نخاف من فوات الفرص وفراغ الماء قبل مجيئكم الينا ولابد لنا اما نموت عطاشا أو نرجف عن الأكمة ونسلم بانفسنا لاسنة الرماح ونموت كراما غيران الله لم يشأ ان يطيل علينا تلك الحال ولا يسلم بهلاكنا فنشكره تعالى على ذلك قال الملك لا قدرة لنا على رد ما مضى فلننظر فى امر الحال ونرى ما يجب ان نعمله مع الشاه سرور لانه ضعيف جاهل فى اجراءاته سيء العمل وكان فى وسعى الآن ان أحمل عليه واقاتله الا انه يصعب على أن اقاتل عباد الله الحافظين على شريعته لان اهل اليمن مثلنا يسجدون لله ويرفضون عبادة غيره ويلوح فى ذهنى ان اكتب له كتابا اطلب منه الصلح والاتفاق وان يصحبنا بعساكره ونسير معا إلى بلاد الملك هزربك فان اجاب سألناه وصفحنا عن ذنبه وان ابى وتمرد قاتلناه وتملكنا بلاده وتسلطنا على نفسه فنسير عليها وقد يكون بعد ذلك النصر لمن يشاءه الله عز وعلا فقال انى اظن ان الشاه سرور يقبل بما تشير به لو كان غير ذى غرور فاقبل فاصل غير ان طغور يعميه ويلعب به كملاعب الاطفال بالاكر وهو لا يعى على نفسه وبطن الحكمة والتدبير ولا يعلم انه لا يحسن النجاح إلا بالحيلة والخداع ثم امر الملك صاراب ان يكتب كتاب إلى الشاه سرور فكتب وهو

بسم الله إله السماء والارض

من الملك صاراب ملك بلاد فارس الى الشاه سرور سيد بلاد اليمن وحاكمها

أما بعد فقد كتبت اليك وانا بعيد عنك والآن قد وصلت الى ارضك ووطئتها

عساكري وشاهدت بعينك جيوشي وفرساني ولم يعد سبيل للشك عندك من أنه ستقع بيننا حروب وأهوال لا يعلم عاقبتها الا الله سبحانه وتعالى فحفظا لحقوق الامن والسلام وحقنا لدماء الانام اعيد عليك ما كاتبتك به قبلا وهو أن ترفع من ذهنك الغرور وتتحد معنا فتسير بعساكرك الى بلاد الزبوج وتجعل سهمك تحت امرنا فنقلها الى جهة جزيرة الطيور علما نقدر أن نخلص فيروزشاه إذا كان لا يزال حيا ونعود به فيروحه بعين الحياة ويتصل بيننا حبل النسب والقرابة ويرتفع الشر والخصام وإذا كان ابني قتل وشرب كأس الحمام أخذنا بالثار من الكفار وجعلنا تلك البلاد من عدة الله وعدنا على وفاق وسلام وأطلق لك ولدك الشاه هرير واكد أني ما كتبت لك ذلك الا طمعا بالسلام لا خوفا وفزعا لأنك وأنت بسمائة الف فارس لا تقوى على أقل من ثمانين الف من عسكري وليس معه من الفرسان المشاهير الا واحد فقط واما الآن فانك ترى سيافك سياقنا الذي قهر بالامس عساكرك وأسر ولدك وبهرزاد العتي ومرادخت الطرستاني وشبرين الشدلي الطلماني وطمهور وكل فارس معروف بالحرب ومشهور . ولا سيما مع عساكري أيضا فيلزور البهلوان الذي صربت شجاعته الأمثال وفاق على كل من نقل القنا وحمل السيف في عصره فاذا خالفت تكن قد سعيت الى حتفك بظلفك وقدت نفسك ومملكتك الى الخراب والدمار فاسأل ذاتك عن الجواب ولا تسأل غيرك فتندم والسلام على أهل الله وأنبيائه وأصفيائه

وبعد ان فرغ من كتابة الكتاب طواه وختمه ودعا بشربك العيار فسلمه اياه وأوصاه بسرعة الجواب فأخذه وأنطلق الى ان وقف بين يدي الشاه سرور وعنده وزيره طيفور فدفع اليه الكتاب واطلع على معانيه واستشار وزيره في ما يجب على ذلك قال الجيب غير ما اجبناه في الاول وهو ان لا دخل لنا بمسئلة ولده وانه يسير بنفسه الى قتال الزبوج ويأخذ ثأره من أعدائه ونحن لم يكن بيننا وبين الملك هورنك عدواة تستوجب الزحف عليه بجيوشنا وان هورنك ابن الملك هورنك المذكور لم يكن لعداوة بيننا وما جاء الا لمعاضدتنا ومساعدتنا على أبناء جنسه وكان في نيته أن ناود بنا وقد بعثه أبوه لنروجه من عندنا فقتله كان ظلما وتعديا من فيروزشاه وإذا شاء الملك صاراب ان نرفع الحرب بيننا فنجنح اليه ونرغب فيه انما لا نتحد معه ولا نرافقه فكتب الشاه سرور جوابا الى الملك صاراب على هذا النمط يذكر له فيه انهم نرغبون بالسلام وحقن دماء العباد غير انهم لا يسيرون الى جزيرة الطيور اذ لا ثأر لهم عند الزبوج فاذا شاء فليرحل اليه بنفسه وينظر في أمر ولده وذكر له في آخر التحرير بأنه اصر على ظلمه ولم ينظر بعين الصواب الى الواجب عليه فانهم متهيئون لحربه ونزاله فيدافعون عن بلادهم الى آخر جهدهم وبعد ان

فرغ من كتابة هذا التحرير سلمه إلى شبرنك العيار فأخذه وانسحب راجعاً إلى سيده وما لبث أن صار أمامه ودفع اليه الكتاب فأخذه منه وقرأه بحضور وزرائه ومقدميه ولما فرغ من قراءته قال لم أر ملكا أجهل من الشاه سرور فقد كتبت له ما فيه الصواب لنفسه فأبى وامتنع وحتى الساعة لم يفهم منى أن جل عاتق أن أصحبه معى إلى بلاد الزنوج كونه المتعدى على ولدى والمسئول عنه فهو الذى سلمه إلى الملك هورنك ولم يعامله بما يليق بأبناء الملوك ولم يذكر أنه خلص بلاده وصان عرضه من السبى والانهتاك وما جاء هولنك إلا وفى نيته أخذ عين الحياة إما بالرضا وإما بالجبر فيضم إلى الأعداء وهو يحسب أكبر عدو لأنه لا يقدر أن يروج ابنته برجل كافر على غير دين الله ولا تقبل هى أن تقترن بعبد أسود ضخم الجثة قبيح المنظر وحيث امتنع الآن عن إجابة ما كتبت له عنه فسوف يرى بعينيه ما نهى اليه ولوم نفسه بعد ذلك على امتناعه ويندم الندم المحرق ثم بعث شبرنك ثانية إلى الشاه سرور ينذره بوجوب القتال فى اليوم الآتى وأن يكون على حذر فليس فى نيته أن يغدر به فأخبره شبرنك ورجع إلى معسكره وباتوا تلك الليلة على أهبة القتال يتمنون سرعة زوال الليل وإتيان الصباح

وكان خدم عين الحياة الذين أشرنا إلى أنها قد أرسلتهم إلى أن يقيموا بالمعسكر قد عادوا إليها وأخبروها بما كان من مجىء الملك صاراب بالعساكر والفرسان ووصفوا لها ما شاهدوا من عظمته وعلو شأنه وانتظام عساكره وكثرة مقدميه وأخبروها أيضاً أنه قد بعث إلى أبيها بكتاب يطلب الاتحاد معه والمعاهدة على الأعداء فأبى وامتنع وكان ذلك برأى طيهور فتكدرها هذا الأمر وزادها اضطرابا وقالت طالما نصحته أن لا يسلم نفسه إلى أهواء طيهور فلا ينتصح وقد قاد إلى بلاده الخراب بيده وما غاية الملك صاراب إلا مقدسة صادرة عن نية سليمة وقلب طاهر فلا ريب أن العجم تتغلب على أبى فيقع به الندم

ثم أعادت الخدم وأمرتهم أن يقيموا فى الخيش ينظرون ما ينتهى اليه الأمر بين الجيشين والأعجام وقالت إلى قهرمانتها شريفة لو لم يكن ينسب إلى الخفة والطيش ويحكى الناس بحق لسعيت بينهما بالسلام وقدت أبى إلى موافقة الملك صاراب غير أن ذلك يكون عار على ويزعمون أنى سعيت به رغبة بالتقرب من الأعجام وأن عايتى فيروز شاه وعلى هذا لا ريب أنه يكدره ويغيظ أبى وإنى أعلم

أكيدا انه لم يعد يقع صلح ولا سلام بين أبي والملك صاراب فيما بعد لان أبي حقود كنود لا يصفح عن خصمه ولا يسمح عن المخطىء إليه ولا يعترف بذنبه قالت شريفة ياليت المقادير تسوق إلينا فيروزشاه لحسم هذا الخلاف فاذا جاء لا يلبث أن يحصل عليك بأى طريقة كانت اما بالسلام واما بالخصومة وبعد ذلك يعود عن أبيك بعسكره ويرجع إلى بلاده فيلزم أبوك بعدئذ بمرضاته قالت من أين لنا ذلك وهو رابع المستحيل ففيروز شاه الآن فى عذاب عند أعدائه هذا إذا لم يكن قد قضى نحبه فاذا سارع أبوه إلى بلاد الزنوج ربما نفع ابنه وخلصه غير أن اليأس وقطع الرجاء وعدم إيجاد سفن تحمله إلى تلك البلاد ألزمته الى انحياز أبى على معاضدته ولا يمكنه أن يسير برا من بلاده لان الطريق إلى البحر الأحمر صعبة الوصول فلا تسلكها السفن بأعوام ولا يمكنه حمل السفن إلى هذه النواحى فالزنوج هم فى حوارنا

قال وفى صباح اليوم التابع ليوم وصول الملك صاراب نهض من منامه باكرا وأمر أن تأتى اليه المقدمون فوقفوا بين يديه جميعا فقال لهم الآن أنتم مزمعون أن تقتلوا اليمانيين وتفتحوا الحرب عليهم فمن قدرتم أن تستأسروه منهم فلا تتأخروا ولا تقتلوا إلا كل من يمانع ولا يسلم لان لا ذنب لهؤلاء العساكر فهم ملزمون بالانقياد لسيدهم وملكهم وإنى على يقين أن هؤلاء البلاد غاضبون على ملكهم عالمون بسوء رأيه وقباحة تدبيره وأخاف أيضا من ان يتصل النسب بيننا وبين الشاه وتسمح الأيام بأن يزوج ابنى بنته فتكون اراقة الدماء علة كبرى لوقوع العداوة الاصلية وقد صرفت جهدى الى منع القتال أملا ان لا تراق نقطة واحدة من دم برىء فلم أوفق إلى السلام وليس فى وسعى الوصول إلى بلاد هورنك الا بمساعدة الشاه سرور فقال طيطلوس ان لا ذنب علينا بانتشاب هذا القتال وقد عرضنا الصلح مرارا على الشاه فلم يقبل بل طوح برجاله الى الهلاك ورماهم فى حفرة الموت بيده فكل رجل يقتل منهم هو المسئول عنه لدى الله والناس ولابد لنا من العجلة فى الحرب وسرعة انهائها ها فننتظر بعد ذلك فى امر سيدى فيروزشاه ولابد ان تعود الينا بهروز العيار اما به واما بالخبر عنه وقد طال عليه المطال الامل ان يكون قد التقى به لانه لو سمع عنه أنه هلك لعاد على عجل إذ لا يمكن أن يقيم بعد ذلك فى بلاد الزنوج بغير سبب فأسر هذا الكلام الملك صاراب وقال أصبت بقولك هذا ففيروزشاه وهو حى حتى الساعة وأسأله تعالى أن يجمعنى به قريبا ثم بكى فأبكى الجميع ونهض فى طلب القتال وتفرقت من حوله الفرسان كل يطلب فرقته وكان أشدهم فرحا بهذا القتال سيامك سياقا فانه أراد ان يظهر دعواه للملك البرهان ليريه انه ما نال هذا المنصب الا بالاستحقاق الذى هو فوق ذلك

وبأقل من ساعة ركبت تلك العساكر ظهور الخيول وتقلدت بالعمد والنصول واصطفت الكتائب وترتبت المواكب وهم يقاربون بكثرتهم الكواكب ورفعت البنود والرايات فوق رؤوس السادات وركب الملك صاراب وهو كالأسد المهاب واحتاطت به العساكر من الميامن والمياسر وكذلك الشاه سرور والوزير طهور وبقية الفرسان والمشاة . والأطباء والسقاة واستعد كل واحد إلى وظيفته وتهيأ إلى معاطاه مهمته وإذ ذاك أمر الملك صاراب بالهجوم فهجمت العساكر مقومة الأسنة والشواكر والتقت الفرسان بالفرسان واختلط الشجاع بالجبان والعزيز بالمهان وارتفع الغبار إلى العنان وفقد من بين القوم الأمان من جرى كثرة الضرب والطعان وافتراق الفرس عن الأبدان وانفجار الدماء كالغدران واندفقت من أنابيب الصدور كالعارض الهتان وتدحرجت الرؤوس على الصحصان وظهر ملك الموت وبان وجلس على كرسي انتقامه مفتخرا بماله من السلطان ورفعة المقام وعلو الشأن ونادى منادى الهلاك والطغيان بالاستعداد لمبارحه الراحة والاطمئنان والدخول إلى هوة الانقراض والهلكان واتسع بين القوم باب العدوان وسدت بوابد الصلح من كل مكان وحلا للشجاع الجولان والتوسع في الميدان فكان يوم الحشر قد آن ودعت النفوس إلى الحسبان لتعطى الجواب عما وقع منها وما كان في عالم الإمكان وسرت من لمعان السيوف الأعيان وصمت من صهيل الخيول الآذان وكثر الرقص بالبدان والتشقشق باللسان وفعل سيافك سوافقا أفعال الجان وعمل عمل أعمال عفاريت السيد سليمان حتى أذهلا الخواطر والأذهان وملا من خبث الأعادي تلك البرارى والقيعان فتقوت بهما عساكر إيران ومالت في الحرب أي ميلان . وجودت الضرب بالسيف اليمان وأرسلت إلى الصدور ثقال العمدان ونظرت أهل التبت أفعال الأعجام وما هم عليه من البسالة والإقدام فحقق عندها الموت والإعدام ولو كثرتها لطالت الأيام واختارت الفرار على شرب كأس الحمام وأملت بزوال النهار والعود إلى الخيام والرجوع عن الحرب والصدام . فدامت في ثباتها إلى أن مضى النهار ومالت الشمس إلى الاستتار وأقبل الليل بالاعتكار فرجع العسكران عن القتال طلبا للراحة لأنفسهما من عظم ما كان من أمرهما في ذلك اليوم الكثير الأخطار

وكان الملك صاراب واقف في ذلك النهار عند علمه ولم يباشر حربه حربا ولا قتالا وهو يشاهد أفعال رجاله بالأعداء وينظر إلى قتالهم فقلب ملآن من الفرح والبشرى ولم يكن يكدره إلا هلاك الرجال الأبرياء لأنه كان يقدم كان لا يحب

كثيره سفك الدماء ولا يرغب فى هلاك قوم يعبدون الله غير أنه كان مضطراً إلى ذلك وقت شاهد من أعمال سيامك العجائب والأهوال ونظر اليه ليتحقق ما سمعه عنه فوجده طامة الحرب ورحاها فما قصد فرقة إلا وفرقها وما دنا من فرس إلا واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الأرض وان مانع فله وعجل هلاكه وفناه حتى كانت الأبطال تخافه وتهابه وأينما رأوه مالوا من أمامه وبعدوا عنه وقال اطلوس وهو بقربه لقد أصبت بالملك سيامك سنادا فهو يكاديته فيلزور وآتى فاله ولما عاد سيامك أكرمه الملك وشكره على فعاله وأما الشاه سرور فانه كان أيضا وافقت أعلامه وبين رجاله وإلى جانبه طيمور وهو ينظر إلى الة الوكان قومل نجاح قومه وتقدمه إلى الامام فخاب أمله وتكدر عندما شاهد أبطال العجم كالعصاة المنهزمين لا عدون عساكره كتلاعب الأولاد بالأكر وقد أرجعوهم عن مراكزهم وليس لرجاله فارس يحميهم فقال لوزيره إن هذه الحرب سيئة العاقبة رديئتها فانا من أول نهار كدنا نطلب الهرب ولم يكن فينا من يحسن الثبات لدى فرسان الأعداء وما ذلك إلا من عظم ما وقع عليهم من الرعب فى قتال الأعجام وليس بينهم فارس تشتد به قلوبهم أو يدفع عنهم غارات الأعداء فقال له طيمور ألا تعلم ما قال فى الأمثال ان الحرب يومان يوم لك ويوم عليك فلا يكدرك ما تراه الآن من انحطاط شوكة عساكرك وارتفاع سطوة الأعداء فلا بد فى الغد أو بعده أن يكون الفوز لنا لأن الدهر لا يكون على حالة واحدة ولا بد من انقلابه أو أن يأتينا من عالم الغيب ما لم يكن لنا فى بال وإنما سكاتبت من لنا من الأنصار أن يدركونا بالعساكر والرجال فيكثر جيشنا ويشتد ظهره وأتى الفرسان المشهورة والأبطال المعروفة ولا بد أن يكون فيهم من نعلق به أملا ونرجى فيه نجاحا ولما فرغ القومان من القتال رجع إلى صيوانه مكدرا وبعث الرسل إلى عموم بلاد اليمن ومن فى جوارها يستنصرهم إلى قتال الأعجام وقد أخبرهم أن فى نية الأعداء أن يفتحوا بلاد اليمن ويتسلطوا عليها ويملكوها من أولها الى آخرها وأن يدافع عنها بكل جهده وهو ينتظرهم ليكونوا يدا واحدة على الأعداء فلا يفكون عنهم ما لم يرجعوهم إلى البلاد التى أتوا منها بحالة الذل والقهر

وبعد أن رجعت العساكر عن القتال وأخذت لأنفسها الراحة فى خيامها نهض بهمرام من مكانه وأتى الى المكان الذى فيه خورشيد شاه ابن أخت الملك بهمن وكان فى شوق زائد اليه لأنه يعرفه ويوده وبينهما من روابط الأخوة وحسن المودة ما يستحق الذكر فأقام عنده برهة يتحدثان بأمر النهار وما كان من عسكرهما وعسكر اليمنيين ثم اتصل بينهما الكلام الى اتساع تلك الارض وحسن أشجارها وطيب مائها فقال خورشيد شاه إنى أحب أن أخرج فى هذه الليلة الى جوانب المعسكر

وابعد قليلا عنه احتبر هذه الأرض وتجلس فى إحدى أحراشها لستنشق بارد نسيمها ورطبه فقال إليك ماطلبت فانى رفيقك فى ذلك وأنا أعرف حالة هذه النواحي وأقدر أن أسير معك إلى غابة قريبة من هنا حسنة الهواء بها من الأشجار مالا يوجد فى أحسن الرياض وماؤها يجرى بأسفلها عذبا وهى منحرفة عن القوم نقيم فيها بأمان واطمئنان . وسار كل منهما وقد تقلدا بالسلاح الكامل وركبا جوادين من الخيول الجياد وأخذا معهما بعضا من الشراب وسارا وكثير من رجال الجيش ينظرون اليهما ولا يعلمون الى أين مسيرهما حتى انتهيا إلى طرف المعسكر الأيمن وفاتاه أكثر من نحو نصف ساعة الى أن انتهيا إلى الغابة المقصودة فمالا اليها وأشعلا قنديلا تحت شجرة غضة الأغصان وأخرجا ما أتيا به من الشراب وجلسا على بساط الارض يتعاطيان المدام ويتناشدان الاشعار ويذكران نجابة فرسان ذلك الزمان ويعددان أنفسهما بالانتصار على الداليمن وقد قال خورشيد شاه ان عونه تعالى قريب جدا ولا بدلنا من الانتصار على أهل هذه الديار والمسير بعد ذلك للكشف عن أمر فيروزشاه ولنا أمل أن نراه حيا فنعود به ونتروح بعض الحياة التى يصفونها بكل جمال ولطف ومن الامر الغريب أن الشاه سرور يمتنع عن إجابة سؤال الملك صارات لانه به الخير والهنا فهل يا ترى يتخذ له ألق من فيروزشاه عريسا لبنته وهو أجمل إنسان وأفرس فارس لان كل ما عمله بكن فى هذا النهار مع كثرتنا يقدر أن يعمله وهو بأول من عشرين ألف لا بل يعمل أكثر من ذلك فقبح الله الشاه سرور على هذه العداوة وهذا التعامى قال سمعرار لو كان عاقلا لحفظ من الاصل أصول السلم وراعى جانب مصالحه وأكرم فيروزشاه وأصحابه وروجه بنته فى الحال ولا سيما وقد شاهد منه ما لم يشاهده قط من إنسان فقد دفع عساكر الاعداء بعد عملها على المدينة فى مدة يومين وقتل نمرود ومسمرة وفعل أفعالا تعجز عنها المردة الطائرة وقتل هولك ابن هورنك وفعل معه من هذه الفعال الحسان لا يستحق أن يسمه لأجل ذلك ملكه كله لو لم يكن جاهلا وأسأل الله أن يرينا وجه فيروزشاه عن قريب وقت طالما به قدر أن نملك بدنه أسره من عشرنا إلى مغربها وسوف على البلدان والممالك فتفتخر بين كل إنسان فنعم الله الغير ما أشأمه فلولا عدم الشاه سرور ووداعة طمور وغيره ما أصابه ما أصابه

قال وبينما هما على مثل هذا الكلام يشربان صافى المدام ويتناولان أحاديث الأيام إذا بهلال العيار من بالقرب من مكان فيه لانه أخذ ظل يفتش الاعجام ويحل بين الخاص والعام ليكتشف على أمر جديد أو حادث غريب يعود به الى سيده ويطلعه عليه فيجد وسيلة لا راح منه (ذلك ذلك عن بنى ذلك الزمان) فلم ير شيئا يذكر فعاد على عجل وأوسع فى التفكر من جانب القوم ليعود إلى بومهن جانبهم

وإذا به يرى نورا عن بعد فى تلك الغابة تحت ظلام الليل فتعجب منه وأمل أن يقف على خبر جديد فتطاير إلى تلك الناحية وانسل بين الأدغال حتى قرب منهما ويراهما وهما لم يرياه وقد سمع كل ما دار بينهما فسره ذلك جداً وقال الآن قد بلغت المقصود ونلت المراد فهذا ابن عمة الملك صاراب خورشيد شاه والآخر بهرار قنا أحد مقدمى بلاد فارس الكبار فلابد ان أذهب إلى سيدى وأطلعه على أمرهما وأدعه ان يبعث بالعساكر تسأسرهما فيهما نوال المراد ثم انخطف بأسرع من البرق حتى وقف بين يدى الشاه سرور فأعلمه بما رأى وقال له يا سيدى ان هذه فرصة لايجب ان نضيعها فهذين من أشد رجال فارس فى قتلهما أو أسرهما صالح كبير لمملكتنا لانهما بحالة خمول بعيدين عن قومهما لاعلم لأحدهما فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام أخذه الفرح والاستبشار وأمر الف فارس من فرسانه أن تسير إلى تلك الغابة وتأتى بالاثنين أسيرين فسارت وبالصدفة كان شبرنك حاضراً وقد سمع وشاهد ما كان وكان قد أتى يتجسس حالة العجميين ليعود بخبرهم إلى سيده وقد شغل بالهالم بر هلال العيار وعرف أنه طرق معسكر الأعجام فقال والله لاأبرح من هنا حتى يأتى وأسمع ميخبر به سيده فلما فهم ذلك عاد بكل سرعة وخاف من أن يبطش الأعداء بخورشيد شاه ورفيقه فسبق الفرسان حتى وقف أمامهما فارتاعا منه وصاحا به فقال لهما الحذار الحذار فقد علم بكما الاعداء وقصدوكما ألف فارس وفى نيتهم ان يغدروا بكما ويقودوكما أسيرين حقيرين إلى الشاه سرور فاذهبا من هنا إلى المعسكر فقال بهرار إن كان الذين يقصدوننا الف فارس فقط لانبالون بما عرضنا ولانهتم لهم أبدا ثم نهض ونهض خورشيد شاه أيضا وركب كل منهما جواده وإذا بالقوم قد أدركوهما وانطبقوا عليهما وفى نيتهم انهما على غير استعداد فالتقياهم بقلب كالصوان وطعن أحر من لهيب النيران وقام القتال على قدم وساق واشتدت من بهرار

انتهى الجزء السابع ويليه الجزء الثامن

الجزء الثامن

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

وخورشيد الهمم ففعلوا أفعال الأسود الاجم وثبتا أى ثبات تحت حالك تلك الظلمات ولما شاهد شيرك كثرة الفرسان انطلق إلى معسكره وأخبر الملك ضاراب فأمر سيامك أن يدركهما بخمسمائة فارس قبل أن يحل بهما المصاب ويقعا بيد الأعداء فركب وانحدر إلى الغابة فى الحال فوجدهما على آخر رمق من معاناة القتال وقد كادا يقعان إلى الأرض من التعب والملل لأنهما كانا من الشراب فى ثمول وسكر وقد فعلت فى رأسهما فواعل الخمر ولو لم يكونا من أشد الفرسان لما ثبتا فى الميدان ولما رأى سيامك الحال على هذا المنوال صاح وحمل بمن معه من الأبطال فاتسع المجال على خورشيد شاه وبهمرار وأمنا من الهلاك والانكسار واشتبك الفريقان تحت ظلام الاعتكار ورأى هلال العيار إتيان عساكر الأعجام الأحرار فعلم أنه وصلت للملك ضاراب عنهم الأخبار فأسرع إلى الشاه سرور وأطلعه على إتيان سيامك سابقا على غير انتظار بخمسمائة فارس كرار فأمر فى الحال أن يسرع عشرة آلاف من الأبطال لمحاربة الأعجام والتعجيل بسرعة الأعمال فسارت العساكر بهمة وإقدام طالبة مقابلة الأعجام حتى اقتربت من الغابة وشاهدت أن عساكرها قد عولت على الانهزام ولم يكن فى وسعها الثبات والوقوف فى مواقف الصدام فبادتها بندا الاستغاثة والمعونة وحملت قصد أن ترفع عنها ثقل تلك الحملة فالتقاها سيامك برجاله ونادى مفتخرا بقتاله وكان سواد الليل يستر الحقيقة عن العيان فلا يعرف الإنسان إلا من هو أمامه وقريب إليه ولذلك خاف سيامك أن تقتل رجاله تلك الكثرة فيذوقون طعم الحتوف ويلقون أشر الحتوف ولذلك كان يصيح وينادى ويضرب فى رجال الأعادى ليتشدد قلب قومه بنداه ويثبتون أمامه طلب قتال الأعداء وبطاه وأما شيرك فإنه انتظر من مجيء عساكر نجد وخاف أن تحل بقومه البلايا والمحن فانعطف إلى المعسكر وأخبر الملك ضاراب بأن عشرة آلاف من الأعداء أتوا لنصرة قومهم وأن سيامك معهم فى صعوبة حرب ونزال فأمر الملك أن تعجل فرقة من العساكر وقدرها عشرة آلاف فارس تحت إمرة إحدى المقدمين ففعلوا وسار من جيش إيران فرقة كبيرة واختلطت بالمقاتلين اختلاط الماء والطين وإذ ذاك انعطف هلال العيار إلى الشاه سرور وأخبره بما حدث فى الغابة من الأمور فبعث بخمسين ألف من الأبطال وانضمامهم إلى الذين بعثهم فى

الاول فساروا وانطلق شهربك وأخبر مولاه فسير فرقة ثانية كثيرة المقدار ولازال كلما جاءت فرقة من اليمنيين يسير شهربك بفرقة من الاعجام ثم يسير هلال ويأتى بفرقة أخرى حتى انقاد الجيشان إلى الحرب والطعان فى ذلك المكان ووقع بينهما من الضراب ما شيب الولدان وحير عقول الشيوخ والشبان وقد انقضى الليل وأشرق نور الصباح والقوم على أعظم ما يكون من اشتداد القتال واتساع دائرة الخبال . وقد ظهر لديهم الحق عند طلوع النهار وتبين الفارس خصمه عند بزوغ شمس الانوار فعمد كل واحد إلى صوابه وطلب من خصمه تأدية حسابه ودار سوق البيع والشراء فى واسع ذلك الفضاء وكان ذلك اليوم أعظم من الاول هالا وأشد مصابا على اليمنيين وأكثر وبالا فقد ذاقوا فيه أمر العذاب وشاهدوا من عساكر الملك ضرابا . ما لم يكن فى حساب فقطعت منهم الاعصاب وانقطع منهم الامل وغاب وغابوا عن الصواب ودام القتال فى تلك الغابة إلى حين الزوال وإذ ذاك افترق كل إلى ناحيته وطلب مقامه والاقامة فى خيمته بعد أن امتلأ البر من أجساد المقتولين وسدت تلك الغابة حتى لم يعد فى الامكان الدنو منها بعد أن كانت نزهة للناظرين وانبعثت منها الروائح الكريهة وانتشرت فى تلك الجهات فلوى اليها الوحش والطير فكانت مرسحاً لها ولما عادت عساكر الاعجام إلى ملكها وهى فرحة بما أحرزته من التقدم فى القتال دعا اليه المقدمين ومن جملتهم خورشيدشاه وبهمزار وكان من أجلهما على مقالى النار من أن يكون قد لحق بهما أذى أو جرحاً بجراح من الاعداء وقد لامهما على خروجهما من المعسكر منفردين فى ظلام الليل وأوصى الجمع أن لا يخرج أحد بعد ذلك اليوم بدون علم الملك وقال فى آخر كلامه ان فقد أحد الفرسان مما يعيقنا عدة أيام وربما حكم الاعداء وما فتشدد به قلوبهم فيفدونه بمن عندنا من الاسرى وعندى أن كل نفر من رجالى يساوى رجال اليمن بأجمعها فوعده الجميع بعدم الخروج من ذلك اليوم

وبات القوم فى تلك الارض يتحارسون وينتظرون اليوم التابع إلى أن جاء وأشرقت شمسه على تلك الروابى والبطاح فهبت العساكر من مراقدها وعلت على ظهور جيوشها واعتقلت رماحها ونصولها وأفرغت عليها الجمات ولبست فى رؤوسها الطاسات وتقدمت إلى جهة المعروف وكل أمير وفارس يدبر فرقته بمعرفته ويرتبها بحكمته ودرايته ويعطيها الاوامر المقتضية أثناء الحرب والصدام لتكون على غاية ما يرام .

وما فرغ القوم من التهيء والاستعداد وصدرت الاوامر بالحمل على القتال . حملت الرجال والابطال وعظمت المصائب والاهوال وكثر القتل والقتال واشتعلت نار الحرب أى اشتعال وكان ذلك اليوم مهولا لم يسمع بمثله منذ أجيال به استطالت

الأعجام على أهل اليمن وأنزلت بهم الويلات والمحن وضيقت عليهم الطرقات، وأذاقتهم أشد النكبات . وقد استأثرت منهم كثيراً وأهلكت جمعاً غفيراً وأظهرت غرسانها العجائب وأتت من أنواع القتال بالغرائب ودامت الحرب فى ذلك اليوم إلى المساء وافترقوا عن بعضهم البعض وعادوا إلى الخيام وباتوا تلك الليلة كسابق الأيام وبهضوا فى الصباح ورجعوا إلى الصدام كأسود الآجام واشتبكوا بالأخذ والرد والقرب والبعد حتى لم يعد أهل لعساكر الشاه سرور وحل بهم قضاء الله المقدور فرجعوا إلى الوراء وفى أثره بهم عساكر الأعجام تكثر من التقدم والاقتحام ولا زالت فى أثرها حتى أوصلتها إلى أبواب المدينة وإذ ذاك أمر الملك صاراب بالرجوع عنها والاكتفاء عن القتال وأن ينقل الخيام إلى الأمام ففعلوا وعسكروا بالقرب من المدينة وأمل الملك صاراب بقرب انتهاء القتال وقال لا بد فى الغد من أن ننقاد الشاه سرور إلى كلمتى وقد شاهد بنفسه ما كان أمر عساكره وما حل بهم من المصائب وعسكر الشاه سرور عند الأبواب ولما هدأ منه البال وأمن على نفسه وعسكره دعا وزيره طيفور وقال له لا نرى أن تدال أنفسنا بالمحال وننتظر ما لا نراه فيها فقد دارت الدائرة علينا وإذا قاتلنا يوماً آخر نهلك عن آخرنا ولا تعود تقوم لنا قائمة وربما دخل الملك صاراب برجاله المدينة فهل أن نتمكن من حصارها قال لا بد من الفرج فسوف تصل إلينا العساكر ويأتينا المدد ومن الواجب أن ننظر فى أمر إطالة الحرب إلى حين ننتهى عندنا اجتماع العسكر وإذا كنت أعلم أن الملك صاراب من الملوك العادلين المنصفين وأنه يرغب فى حسم هذا القتال فكرت أننا نكتب اليه ونطلب منه الهدنة إلى مدة عشرة أيام لننتصر فى أمر الصلح فإن أجاب كان لنا الحظ الأوفر بحيث يكمل عندنا أكثر من ألف ألف نفس ما عدا عسكرنا الحالى وبهذا العدد نقدر أن نرجع على الأعداء فندفعهم عن آخرهم وإذا لم يجب إلى عقد الهدنة دخلنا المدينة وقفلنا أبوابها وحاصرنا بها إلى أن يجتمع عندنا العدد وعلى كل حال فإننا نقدر فيما بعد على النجاح ويكون دون شك الفوز والانتصار لنا والخذل والعار لعدونا قال اكتب ما أنت كاتب عسى الله أن يأتينا بالفرج القريب فكتب طيفور كتاباً إلى الملك صاراب يرجوه به عقد الهدنة إلى عشرة أيام ويقول له فيه إن ما عرضته على فى الأول يحتاج إلى عقد مجلس والسؤال من كامل أعيان مملكتى فإن شئت أن تضرب لى أجلاً يكون إلى عشرة أيام تسهلت بعدها أسباب المصالحة وربما توافقنا إلى المسير سواء إلى جزيرة الطاوور وقد يفعل الله ما يشاء . ثم بعث الكتاب مع هلال العيار فأخذه وسار إلى أن دخل على الملك صاراب فسلمه إياه فقرأه وعرف قصد الشاه سرور وقال لوزيره ططلوس بقية الفرسان إن الشاه سرور يطلب الينا أن نرفع القتال إلى عشرة أيام ويزعم أنه يوافقنا إلى

مطالبنا فى أثناء هذه المدة وإنى أعلم أن ما قصده بذلك إلا غشى ومنع الحرب عنه ليتمكن من جمع العسكر فيعود بعد ذلك إلى ما كان عليه إلا أنى أجيبه إلى طلبه وأمادنه إلى عشرة أيام لعلمى أنى حليم كريم لا أقصد الأذية إلى عباد الله وعسى أن الله فى هذه المدة يبين له وجه الصواب ويعلم صعب الحالة التى هو واقع فيها قال له طيطلوس إنه كان فى الظن أن لا يطول معنا الأمر أكثر من يومين أو ثلاثه أيام فهذا عين الغلط والخطأ قال أنت تعلم أنى لا أرغب فى سفك الدماء وأنى متكدر من هذه الحالة التى نحن فيها لأنى أنظر إلى هذا الدم البرىء يتدفق فى محاربة هذه الأرض لأجل غاية واحدة وهى ولدى فيروزشاه وسبب واحد وهو روح ابنته عين الحياة ولولا ذلك لما ملكت كل هذه النفوس وحرمنا هذا القتال الطويل العريض ولو كان فى وسعى أن أتركك انى ما أرقت نقطة واحدة من دم عساكرى لأجله غير أن غموم عائلتى لا تعلم معى بركة وهى بأجمعها تطلبه وتبيع نفوسها فى سبيل خلاصه وإنى أيضا لا أريد أن يقال عنى ظالم عات فاكتب الجواب إلى الشاه سرور واسأله أن ينظر إلى نفسه بعين الخبرة ويراعى وصايا الله بمنع الأسباب ودفع الخصام فكتب طيطلوس كل ما أخبره به الملك ضاراب وأعطى الكتاب إلى هلال فأخذه منه وسار به إلى سيده وبشره بانعقاد الهدنة إلى المدة المطلوبة فقرأ الشاه سرور الكتاب وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وشاع هذا الخبر ما بين العسكر فسر به الجمع وما فيهم إلا من أمن على نفسه من تعب القتال ونزلت العساكر إلى المدينة ودارت البشائر بها وطلبوا من الله دوام الهدنة ليرتاحوا من حمل الأثقال وأما الشاه سرور فإنه بعث بالكتب معجله الى كل من لم تصله عساكره بعد وكانت العساكر لا تزال ترد اليه أفواجا فيضمها إلى بعضها ويقدم لها المؤن والعلوفات ويعين لها مراكز ومواقف وكان الملك ضاراب يرى ذلك ويعلم غاية الشاه سرور إلا أنه كان غير متكدر من ذلك لعلمه أن النصر سيكون فى المستقبل له وأن لديه من الفرسان والبهلوانية ما لا يثبت أمامهم جيش العالم أجمعه

وبلغ هذا الخبر عين الحياة من عيونها وأرصادها فتكدرت من عمل أبيها وعشقه للملك ضاراب وتعجبت من حلمه وقالت لشريفة ألا ترى أن هذا الملك الجليل المقام والحليم الطباع قد وافق أبى على انقطاع الكتاب إلى مدة عشرة أيام بعد ثبوت الفوز بيده وترجيح النصر له ولو قاتل يوما آخر لدخل المدينة وملك أبى ونال غايته منه إنما الحق يقال إن مثل هؤلاء القوم يحب القرب منهم والاختلاط بهم فهم معدن اللطف والرقة وبهجة الكرامة والرأفة لا يعرفون الظلم ولا يقبلون بالغدر فقالت لها شريفة كيف لا يكون الملك ضاراب على هذه الصفه وهو علة وجود فيروزشاه أم

تشاهدي من ذاك كرامة أخلاق وحسن معان تفرد بها عن سواه فتبهدت عين الحياة عند سماعها هذا الكلام من فؤاد قد كوته تباريح الجوى وهاج عليها غرامها وحن قلبها إلى لقاء حبيبها وتمنت أن تكون بين يديه تنظر إليه ودمت أبيها على فعله معه وسألت الله أن يجعل الفرج قريبا عن يده ثم أنشدت ما لاح في خاطرها

في مثل حكم لا يحسن العذل ... واعنا الناس أعداء لمن جهلوا

رأوا تحير فكرى في صفاتكم ... فأوسعوا القول إذ ضاقت بي الحيل

لو أنهم عرفوا في الحب معرفتي ... لشأنكم عذروا من بعد ما عزلوا

كم قد كتمت هواكم لا أبوح به ... والأمر يظهر والأخبار تنتقل

وبت أخفي أنيني والحنين لكم ... توهما ان ذاك الجرح يندمل

كيف السبيل إلى اخفاء حبكم ... والقلب منقلب والعقل معتقل

حملتموني على ضعفي لقوتكم ... ما ليس يحمله سهل ولا جبل

لله أيامنا والدار دانية ... والشمل مجتمع والجمع مشتمل

شمت علة قلبي والعليل بها ... فاليوم لا علتي تشفى ولا العلل

لا أوحش الله من قوم لبعدهم ... أمسيت أحسد من بالغمض يكتحل

غابوا والخاطر أفكاري تمثلهم ... لأنهم في ضمير القلب قد نزلوا

وخلفوني أعض الكف من ندم ... وأكثر النوح لما فاتت الحيل

أقول في إثرهم والعين دامية ... والدمع منهمر منها ومنهمل

ما عودوني أحبائي مقاطعة ... بل عودوني إذا قاطعتهم وصلوا

ثم أمرت الخدم أن تعود إلى ما بين العسكر وان تأتيها بالأخبار دائما ووعدت أن كل من أتاها منهم بخبر الصلح أكرمته غاية الاكرام ولم تكن حل قصدها في اقامة خدمها بين عسكر أبيها إلا العلم شيئا عن فيروزشاه لأنها كانت تتيقن أنه لا بد من وصول خبر إلى أبيه أو أمها عنه من تلك البلاد اما حيا واما ميتا لا سيما وكان لها رجاء كبير بيهروز العيار الذي وعدها بخلاصه وأخذ منها تحريرا

ودامت الهدنة بين القوم إلى نحو خمسة أيام وكان الملك ضاراب ينتظر خبر من جهة الشاه سرور يعلن بالموافقة والقبول بما عرضه عليه إلى أن يقرأخر احداعه وذلك لما شاهد أن تلك الأرض قد امتلأت بالعساكر والجنود حتى صار عددهم أكثر من ألف ألف وأربعمائة ألف فارس بحالي الأجناس وكلهم طالبون قتال الايرانيين وقال طيطلوس لسنده ان هذا الرجل كبير الشر قليل النفع إنه قد صار عنده من العساكر ما يتقوى بهم على قتالنا ويمتنع عن مصالحتنا ولو كان في نيتنا خرق المعاهدة قبل نهايتها لفعلنا ذلك وحملنا عليهم في هذا اليوم قال ان ذلك كان احب

عندي غير انى لا أرغب فى رجوعى عن كلامى ولا اريد ان ينسب إلى الغدر كما ينسب للشاه سرور ولا بد أن نعلم من نفسه أن هذه العساكر التى تجمعت لا تفيد شيئا ولا تنجيه من سيوف الأعجام وانى على اطمئنان تام من أن النصر سيكون لنا ان شاء الله انما الخوف من اطالة المدة لأن قلبى يشتعل بالنار على ولدى وحتى الساعة لم يصلنى عنه خبر وقد طال غياب مهرور ولا بد أن يكون قد وقف على شىء من أخباره وأخاف أن يكون قد وقع على مهرور مصاب منعه من إيصال الخبر لنا ولولا رجائى بالله سبحانه وتعالى واتكالى عليه لما كان يرتاح بالى عن ذلك دقيقة واحدة

قال صاحب الحديث وفى اليوم السادس من الهدنة بينما كان الشاه سرور مجتمعا باعيانه فى صيوانه وإلى جانبه طيهور وهم مسرورون بتجمع تلك العساكر وفرحون بما سيلاقون من النصر على يديها وإذا بهلال العيار دخل عليهم وهو مكمد الوجه معبر معفر لا يحسن كلاما ولا ينظر إلى ما بين يديه فارتاع الشاه سرور عند رؤياه على تلك الحالة وسأله عما إذا كان وراءه من الأخبار المكدرة ما يوجب ذلك وبكى ثم رفع رأسه وقال يا مولاى الآن قد حل أوان خرابنا وثبت عندى هلاكنا ودمارنا فانا قد وقعنا بأمر خطير ومصاب عظيم الآن صرنا نخاف هلاك النفوس وسبى الحريم وتشتيت الشمل الآن ينقرض دولتنا وتمحق ولا يعود لها ذكر بعد ذكر فارتعب جميع الحضور من كلامه هذا وما فيهم إلا من ظن أن مهرور شاه قد أتى منتقما لنفسه وقال الشاه سرور أوجز يا هلال ولا تطل الشرح بالكلام فقد أشعلت فى قلوبنا نار الاضطرام قال اعلم يا سيدى انى كنت فى عساكر الأعجام اطوف بين المضارب والخيام وبعد أن دخلت من أولها إلى آخرها وعدت فى طريق آخر تسلقت الجبل وخطر لى أن أصعد إلى الأكمة التى كان عليها فطلوس أكشف ما وسع من البر على أنظر إلى ما يكون ابتعادها وما استويت على الأكمة حتى وقعت عينى إلى ما وراء البلاد لجهة الشرق واذا أنا بغبار مرتفع الى حد العنان ولمعان اسنة تضىء كالمشاعل فى حندس الظلام فظننت ان جيشا جديدا قد جاء لنصرتنا ففرحت لذلك وقلت فى نفسى انطلق اليه وأعود فابشر سيدى به فجريت نحوه الى أن كدت اقرب منه وكان يتجلى لى شيئا فشيئا كلما دنوت منه حتى تبين لى أنه جيش عظيم حد لا نعلم مقداره الا الله تعالى ثم تبين لى بعد ذلك انه من الروح فتحقق لذلك ولى وارتاع ضميرى ثم اتخذت لى مركزا عاليا احقق فيه حالة الروح واذا تميزت فيما بينهم رجلا طويلا مبلغ طوله نحو ٦ أذرع عريض المناكب لا ينقص صحامة جثته عن الذراعين ونصف ذراع وهو راكب على فيل كبير وبيده عمد من الحديد مبلغ طوله ٧ أذرع بلى الاقل وقطره نحو ذراعين ولا زلت واقفا والقوم يقربون منى حتى تحققت ان ذلك الفارس

هو طومار الزنجي سيد فرسان هذا الزمان الذي تخافه الانس والجان فكادت ركبي أن لا تحملني لدى مشاهدتي اياه وثبت عندي أنه جاء بعساكره يطلب ثأر أخويه سرور ومسرة وقد هجم بالجيوش الجرارة فانكمشت راجعا وأنا محاول الفرار ثم لا أقدر على حمل نفسي الى أن وصلت اليك لتدبر لنفسك أمرا تدفع به هذه البلية الدهماء لأننا ونحن بهذا العدد لا نقدر أن نثبت أمام الايرانيين فكيف نثبت يوما واحدا امام طومار ورجاله الذين تعدد رمال البحار ومن ما ترى من فرسان الأرض يقدر أن يثبت لضربة سيفه الذي يبلغ طوله ذراعان ونصف وعرضه نصف ذراع أو من ما ترى يقف أمامه ويحمل ثقل ضربة عمده فاذا ضرب به الجبل هدمه وأزاحه من مكانه

فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام انعقد لسانه عن الكلام وكذلك بقية الحضور وما فيهم من نطق بكلمة إلى أكثر من نصف ساعة وقد أيقنوا بالهلاك والدمار والسبي والاستئسار . وعلموا أن هذه المصيبة مصيبة كبرى لا طاقة لهم على حملها وما فيهم إلا من لعن بقلبه الشاه سرور وطيفورا ولما شاهد طيفور حالهم وما هم عليه وقف أمام الملك وقال يجب على سيدي الملك أن يفرح ويسر لان ما جاء هذا الحبش إلا بحدته ومعونته قال كيف يكون لنجدتي وهو عدوي وقد قتل له بسببي بني أخوان وجاء يطلب ثأرهما والآن أرى نفسي بين عدوين عظيمين قويين فالملك صاراب يتهددني من جهة وطومار من جهة ثانية فماذا ترى يجب أن أفعل قال لا يخاف سيدي ولا يهاب وعنده مثل طيفور وزيره الأمين فاني بعناية الله أزيل عنك هذا الخوف وأقود الملك طومار الزنجي وأجعله أن يكون ساعدا لك وعضدا وبه تبلغ الغاية من الاعجام لأنه فارس لا نظير له في هذا الزمان ويمكن ان يلاقي عساكر الايرانيين وحده بلا مساعد ولا عضد قال الشاه ان فعلت لي ذلك وتممت ما قلت جعلتني في راحة ونعم بال وحق لك على كل جميل وإكرام لان من كان مع طومار لا يخسر ولا يخاف قال سوف ترى بعينيك ما يسر به خاطرك ويطيب به قلبك ثم خرج طيفور وأحضر الهدايا الفاخرة والجواهر النفيسة وأركب المماليك وأخذ بعضا من الجواري وسار هو في المقدمة ولا زال في مسيره نحو من ثلاث ساعات حتى انتهى إلى مضرب جيش الزنوج فدخل بينهم وأظهر أن غايته مواجهة البطل طومار وقد أتاه بالهدايا والمماليك فسار العبيد أمامه حتى وصلوا إلى طومار وأخبروه بأن وزير الشاه سرور قد جاء طائعا وهو يقصد الوقوف بين يديه فدعاه وسأله عما يريد فدنا منه وقبل قدميه وقال قد عرف سيدي الشاه بقدومك وهو في ضيق الجأش بالحرب بينه وبين قوم فارس أخويك فأرسلني اليك بالهدايا النفيسة والمماليك والجوار الحسان ثم قدم له كل ما جاء به

فاشهر طومار من حسن الجوارى والمماليك وكثرة الهدايا وقال له كيف يظهر لى الشاه سرور طاعته بعد أن فعل مافعل وأمات لى أخوين كانا عزيزين عندى قال إن سيدى لم يمدد يدا إلى أخويك ولابد أن يكون قد أخبرك من بقى من عساكرك بأن رجلا غريبا جاء بلادنا وكنا إذ ذاك بالحرب مع الشاه رور أخويك وقد عزمنا على التسليم والطاعة لهما فسطا على بهروز وميسرة وقتلهما فى الميدان وبعد ان انحلت عساكرهما عن المدينة وفرقها بنفسه من الفرسان الصناديد قتل هولك بن هورلك حاكم حراثر الزنوج وفرق ألف فارس كانوا قد جاءوا معه بقصدان يتزوج بعين الحياة بنت سيدى الشاه سرور فعاطنا هذا العمل وتكدرنا منه جدا وخاف سيدى عاقبة هذا الأمر وقال لى انى تكدرت جدا من قتله بهروز وميسرة حبا بأخيهما طومار لانه بطل من الابطال فمن الرأى أن نحتال على قاتلهما ونبقيه عندنا ولا بد أن يأتى البطل طومار فنسلمه إياه يأخذ منه ثأره وقد سألنا هذا الرجل عن اسمه فى بادىء الأمر فأخبرنا انه كان مملوكا فى بلاد اليونان إلا أنه لما رقع بيدنا وقيدناه أظهر نفسه بأنه فيروزشاه بن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وما يليها وقصد بذلك خلاصه فلم نعبأ به إلا أنه بعد ذلك بأيام جاءنا الملك هورلك على بغتة بعساكره ورجاله وحاصر المدينه وطلب منا ان نسلمه المدينة أو ندفع اليه قاتل ولده فالتزمنا أن ندفعه له فأخذه وسار لقتله ثأر ولده هولك ولا نعلم ماذا جرى له بعد ذلك غيران أباه علم بما كان من أمره فجمع عساكره وجاء البلاو طلب منا ابنه فأخبرناه بفعله وأنه سلم إلى أعدائه فلم يرجع عن عزمه وقال لنا اما تسيرون معى إلى بلاد هورلك فقلته ويخرج الزنوج عن عبادتهم ويعلمهم عبادة الله ويخلص فيروزشاه ومن ثم نقصد طومار الزنجى فنلحقه بأخويه فعاظ هذا الكلام سيدى الشاه سرور وتكدر منه وقال له انى أود فى مصالحه ملك الزنوج طومار وأريد ان أعقد معه ودادا فلا أسير لبلاده وأخاصمه ولو هلكت رجالى وخربت دارى فكان من ذلك ان انتشبت الحرب فيما بيننا واتسعت دائرتها وهلك لنا كثير من الفرسان إلى أن احتجنا إلى طلب هدنة من ملك العجم إلى عشرة أيام أملا أن تجتمع عندنا العساكر فنقاتل فيها دفاعا عن الوطن والحريم ورجا أن يأتينا فرج قريب ولنا الآن ستة أيام إلى ان بلغنا بقدومك فسرنا ذلك جدا وقال لى سيدى الشاه سرور هاقد انتهى الينا ما كنا نرجوه من الفرج فسر أنت بالهدايا الى السيد طومار واعقد ما بيننا روابط الحب فنكون أنصارا لبعضنا ويأخذ ثأره من أتى بنا لى أخويه فلا يصعب له بذلك ثار فاتيت اليك مسلمين زمام أمورنا لديك مرتجين من بسالتكم نصرا مجيدا لنكون على هذا العهد يدا واحدة

فلما سمع طومار هذا الكلام قام وقعد وأرغى وأزبد واسودت الدنيا فى عينيه وكان بسيط القلب لا يعرف كلام الجد من الخداع فصدق كلام طيمور وركن له غاية الركون وأقسم أنه لا بد من محاربة الأعجام والفتك بهم وتتبع آثارهم إلى أن يفنيهم عن آخرهم وقال ان كان من قدر هؤلاء الأوباش أن يقصدوا البلادى ويعتدوا على وما كفاهم ان ابن ملكهم قتل لى أخوين حتى جاء أبوه فى طلبه وفى نفسه ارجاعه بعد ان فعل ما فعل فسر الآن ياطيمور واخبر الشاه سرور أنى قبلت هديته ووافقته على غايته وسأنتقم له ولنفسى من جيوش الاعداء ولا أدع منهم حيا فى هذه البلاد وهذا بعد قليل أكون عنده فسر هذا الكلام طيمورا وشكره وأثنى عليه ومدحه على حسن طويته وشجاعته وخرج من عنده بعد أن قبل يديه وهو يكاد يطير من الفرح وقد أمل الظفر والفوز على الاعداء ودخل على الشاه سرور وهو يصفق من الفرح فبشره بما كان من أمر طومار وأنه أجاب إلى مصالحتهم وعزم على أن يقاتل الأعجام معنا رأيه ووعده بالاتقام من ملكهم فأسر هذا الكلام الشاه سرور ومدح طيمورا المدح الكثير وقال لا زلت مدبر ملكى ومساعد دولتى فمثلك يجب أن تستوزره الملوك وإلا فلا وهذا أكبر فرح ننتظره فها إذا نرى يحل بجيش الأعداء إذا عرفوا بصطحابنا مع طومار لا ريب فى أنهم يقعون بالهم والكدر ويختارون الرحيل من هذه الديار فلتهيأ رجالى ولنفرح قلبى فان النصر صار مكفولا لنا وسنكسب اسما مفتخرا بالفخر والمجد

وبينما كان الشاه سرور فى حالة فرح وسرور وإذا بهلال العيار دخل عليه وقال له إن طومار آت إلى صيوانه وفى نيته أن يجتمع به فنهض فرحا وخرج إلى ملتقاه بعيداً عن صيوانه وترحب به ومشى أمامه بجماعة من عسكره وهم يدعون له ويحتفلون به فزاد ذلك حبا وميلا للشاه سرور ورغب فى توطيد الحب بينهما ولا زالوا إلى أن دخلوا إلى صيوان الشاه سرور وكان طومار راكبا على الفيل المتقدم ذكره وفى يده عمده الحديد الثقيل العيار وعلى رأسه بيضة من الفولاذ تلمع وزنها النصف قنطار وكل ما عليه من الحديد السميك فلا تعمل فيه الصوارم ولا الرماح وكان وهو سائر بين الفرسان يزدحمون للفرجة عليه وهم يتعجبون من حاله وكبر دماغه وقدرته العجيبة على حمل قناطير من الحديد وما فيهم إلا من أمل النصر والظفر وأوعب من عظم الفرح والمسرة ولما جلس طومار فى صيوان الشاه سرور واجتمع حواليه الامراء والوزرا أعاد عليه كل ما أخبره به طيمور وزاد له فى التهويل والتعظيم حتى نفخته الكبرياء وقال متى جاء ملك إيران إلى هذه البلاد إلا وقد فرغت أيام دولته وحل زمان انقراضها فسوف ترون بأعينكم ما يصل اليه ويحل به فقال له طيمور إن على يقين من نجاحك عليه وعلى رجاله لأن ليس فيهم فارس يلقاك أو يثبت بين يديك

ولذلك لم يكن فى وسعنا أن نصبر إلى نهاية الهدنة بل من الواجب خرق المعاهدة والمبادرة إلى القتال والاسراع إلى تدمير هذه الدولة وقتل ملكها وأخذ الثأر منه قال طومار لابد لنا فى صباح الغد من القتال وانى لم أعقد عهدا مع أحد وأريد أن أقضى الاشغال بالسرعة الممكنة وأعود إلى بلادى أو أسير إلى بلاد فارس فأملكها وأقيم حاكما عليها من السودان وبعد ذلك أمر الشاه سرور أن يقدموا إلى طومار المآكل الفاخرة اللذيذة والمشارب الطيبة العديدة الصافية وأن ينقل إلى قواد عساكره مثل ذلك وتحمل لهم العلوفات والمؤن ففعلوا وكان ما يراه من الخسارة فى بذل الدراهم وتوزيع المآكل ربحا يلقاه فى الغد فلا يتكدر من ذلك بل كلما كان يفعله كان يسر به ويبين له طيفور وجه الفوز والنصر ويحركه الى مداومة العداوة وكان يخاف من أن يميل قلبه الى مصافاة الملك صاراب فيجهد نفسه فى إلقاء البغض فى قلبه ودرع الشرور حب الانتقام من عدوه وكان عمله هذا يصادف نجاحا وحسن قبول لانه كان متساقط الاعمال والآراء على عقله وصبروا ينتظرون ما بقى من ذلك النهار وذهاب الليل ليكروا الى حرب الفرس

وكان الملك صاراب قد شاهد عن بعد جيشا من الزنوج قد احتاطوا بالمدينتين فارسل شهرنك يكشف له الخبر ويأتيه بالأمر الصريح عنهم فانطلق بين القوم ودخل إلى أن وقف بين خدم الشاه سرور وهو بصفة واحد منهم لا يراه أحد ولا يعلم به أحد وقد سمع كل ما دار بين القوم من الحديث بخصوص القتال وانهم فى الغد سيقاتلون وشاهد طومار الزنجى وهو جالس فى الديوان كأنه طود من الاطواد فارتاع من منظره وتعجب منه وكان يسمع عنه أقوالا فيصدقه ورجع شهرنك إلى بين يدى الملك صاراب وهو فى حالة كدر ويأس وقال له قد وقعنا فى أمر صعب لم يقع قبل الآن بأصعب منه وصار من المستحيل نجاحنا فى هذه البلاد إن لم تأتنا النجدة بالفرج من عالم الغيب قال الملك وماذا رأيت قال رأيت ان عساكر الأعداء قد بلغ عددها الف الف وأربعمائة الف فارس فصاروا قادرين على قتالنا غير أن ذلك لم يصعب على لان كل فارس منا يكفيه لان يلقاهم بجيشه إلا أن الخبر المشؤوم هو أن طومار الزنجى الرائع الصيت قد جاء يطلب الثأر لأخويه سرور ومسرور ومعه من عساكر الزنوج ما لا يعد ولا يحصى فاتفقوا معه بعد ان جاء الى قتالهم وأخبروه أن سيدى فيروزشاه قتل أخويه وأنهم يقاتلون لأجل ذلك حبا به ولذلك أقسم أنه لابد أن يأخذ بثأره منا ولا حاكم ماهو عليه من البطش والاقتدار وهو يركب الفيلة ويحارب بعمد من الحديد يكاد لا يحمله عشرون رجلا على عواتقهم وعليه من العدد الحديدية كالدرع والطاسة والمصفحة ما لو وضع على جبل لانهار ومال ومع ذلك لا يتعب ولا يكل وله

أعين تقدح من أتون جهنم شرار فهذا الذى رأيته وأنهم قد صمموا أن لا يلتفتوا إلى ماطلبوه وما منحوهم إياه من الراحة عن القتال إلى أيام بل فى نيتهم ان يباكروننا ويوقعوا بنا

وما انتهى شبرنك من هذا الكلام حتى وقع الرعب فى قلوب الفرسان الحاضرين لأنهم كانوا يسمعون من السياح والتجار عن طومار قصصا وحكايات تكاد لا يصدقها العقل لأن أقوى الخيل وأشدها حملا لا يقدر على حمله وانه إذا شد برجليه على الفيل الكبير ألقاه إلى الأرض أو ضرب بعمده الحديدى أكبر صخر سحقه وطيره وكذلك الملك صاراب لم يجد خطابا وكان كدره من الشاه سرور وطيفور لاحو فامن طومار كنقيه الفرسان ونظر فلم ير إلى الفرسان والبهلوانية فوجدهم كالموتى صفر الوجوه لا واحد منهم يبقى على رونقه فتكدرته هذه الحالة ونهض واقفا بين يدى الملك صاراب وصاح بما به الجمع اليه وقال أشكر الله يا سيدى الملك وأحمده تعالى على إتيان طومار لانى كنت أخاف أن أموت ولا ألتقى به فى ميدان وطالما طلبت من الله أن يجمعنى به ويرسله الى لانتقم منه واعلمه كم تفاوت الفرسان لانى سمعت كثيرا من رجاله وغيرهم من الذين كانوا يطرقون بلادنا يقولون له ان لا فارس فى الدنيا يلقاك الا فيلزور فارس بلاد ايران فيشتمنى أمام الفرسان ويقول لهم ان جمعنى به الاقدار ضربته ضربة واحدة جعلتها القاضية عليه فحينما أسمع هذا الخبر أتكدر منه وأطلب الى الله أن يجمعنى وإياه الى الميدان لنعلم من هو الثابت والغادر ولا جعلك أن أنى قبل أن أراه مر قلبى ونحن لا نزال أطول منهم باعا وأشد أسنانا فشجاعة الفرس موصوفة ومعروفة وعندى أقل واحد من رجالى يقدر أن يلقاه ويعدمه الحياة لانهم فرسان هذا الزمان وكل واحد منهم يعد بجيش كرار ولما شاهدنا ما أظهروه أثناء هذا القتال وغيره مما كان يصعب لنا الفوز والانتصار وكان فيلزور طاب بمدح رجاله ونظر فوجهم املا أن يقلع الرعب من قلوبهم فلا يخافون من طومار عند القتال فاشتدت لكلامه قلوبهم وأملوا بالخير لانهم كانوا يعلمون أن فيلزورا بطل ذلك الزمان وأنه قلما وجد مثله بين الفرسان وأصدر الملك صاراب الى الفرسان ان تكون على أهبة الاستعداد حتى اذا جاء الغد وقصد الاعداء القتال يكونون على انتباه للقائهم وقتالهم

وانقضى ذلك الليل والقوم من الفريقين فى حديث طومار وشجاعته وإقدامه وبسالته الى أن كان صباح الغد فاشرقت الشمس بأنوارها على ذلك المكان وهى غضوبة على القوم فارسلت لهم حرارة غضبها فسلطها عليهم ولدغتهم بلهيب محرق فلم يسعهم إلا النهوض إلى القتال والاشتغال عن ذلك الاشتغال ونظر الملك صاراب إلى جهة الاعداء فوجد جيوشهم قد نهضت نهوضا للحرب فعلم عليهم وقال قبح الله

الظلم فما أشره أيطلب الشاه سرور القتال قبل نهاية المدة ومع ذلك لا يمشى اليه ولا يخطر بى غير انى اشكر الله لم اكن ظالما ولذلك لا يتركنى بيد اعداءى الباغين وأمر عساكره ان تركب خيولها وتتقلد سيوفها ففعلت واصطفت فى مراكزها على حسب ترتيبها المعتاد واذا بعساكر الربوح قد تقدمت من جهة اليمين وعساكر اليمين من جهة الشمال وبين الربوح طومار سيدهم وهو راكب على الفيل ومملد بالحديد بما صور الناظرين انه جبل يسير بين الرجال وكان لعلوه تراه كل عين وتحدق به وتتأمله حتى ارتعب منه الجميع وركب الملك صاراب فى موكبه ونشرت فوق رأسه الراية الفارسية واجتمع حوله حرسه الخصوصى وبأيديهم العمدان والسيوف وهو ينظر الى طومار من بعد ويتعجب بخلقة الله سبحانه وتعالى كيف ميز هذا الانسان بكبر الرأس وطول القامة عن سواه ولما وقفت العساكر تجاه بعضها البعض وانتظرت صدور الاوامر بالحملة وطلب القتال واذا بطومار حرك الفيل فخرج به الى وسط الميدان وقد لوح بخرطومه فى الارض فازاح ما امامه من الاحجار ونفخ فى التراب فاثار غبارا كثيفا كالضباب فاماله طومار الى جهة اليمين ثم الى جهة الشمال ولوح بعمده فى الهواء حتى كاد يلحق السحاب ونادى بلسانه العير المفهوم واشار الى عساكر الاعجام بالبراز وما انتهى من اشارته حتى صار سيامك سيافا أمامه وكان سامك كما تقدم من الابطال المعدودين فصدمه صدمة جبار فالتقاه طومار بعزم قوى المقدار واخذ فى الجولان واوسعا فى الميدان وتضاربا بالعمدان وأظهرا من الشجاعة ما يكل عن وصفه اللسان حتى مضى عليهما جانب من النهار وهما فى قتال اخر من لهيب النار وقد لاقى سيامك من خصمه اشد الصعوبات وشاهد من حربه ما لم يره فى سائر المعارك والوقعات لانه كان عاليا عليه لا يتمكن من ضربه ولا يلحقه حسامه ولا بد له ان يتجنب ضرباته وكذلك طومار فانه كان لا يظن ان يثبت امامه اقوى بطل وجبار اكثر من ساعة من النهار وقد مضى الظهر وكاد يقرب العصر واذ ذاك توقف طومار فى الميدان وصاح بسيامك ان الجولان يطيل الحرب ويكثر من التعب والنصب فان كنت فارسا تدعى ملاقاة الابطال فاثبت لاضربك ثلاث ضربات من عمدى فاذا لقيتها عدت انت فضربتنى مثلها وبذلك يكون الانصاف فى القتال أثناء الحرب والنزال قال نحتمك السؤال لك وانى اوافقك على مقالك فاضرب انت ضرباتك الثلاث واستعد لضرباتى واسأل الله ان يعدى عليك وانتقم منك على افرح عن عساكر الاعجام هذه الضربة القوية فقال له خذ لنفسك الحذر ثم رفع طومار بيده العمد فاداره بالهواء حتى حمى ورفعه بكل يده الى مافوق رأسه ونزل به بعزم قوى سمع له دوى ورعيد من كل الجيش وايقن سامك ان الضرب إذا نزلت عليه سحقته وذهبت به إلى المقابر فصبر

إلى أن كاد العمد يقرب منه وقفز كالغزال إلى بساط الأرض وهو لايصدق بالنجاة فوقع العمد على الجواد سحقه كالكحل فلما رأى سيامك ذلك عاد يجرى إلى جهة قومه يطلب له جواداً يركبه وحينئذ صاحت عساكر الأعجام وحملت وكذلك عساكر الجن والزوبح قابلتها بما فعلت والتقتها بقلوب لا تحسب للموت حسابا ولا تخاف لدى المنية عقابا ولا ترتاح من كثرة الجموع ولا يأخذها الجزع ولا الهلوع وتسعرت نيران الحرب بنفوس الأبطال وأضرمت بها الأجسام بزيدها بالاشتعال وهمهم الفارس ومال يطلب الحرب والقتال ويقصد هلاك النفوس وسبى الأموال وتأخر العاجز الضعيف السال مظهرا التلاعب والاحتيال خوفا من الهلاك والوبال وكان ذلك اليوم عظيم الأهوال كثير الأحوال يبعث به الأرواح مع السماح وعلى السيف القرضاب فى محكم الصدور الرقاب واندفقت الدماء تجرى كالسحاب بين الروابى والهضاب كأنها تدفقت من أفواه الأنابيب وفتحت لها فى الأرض خنادق ومياريب فلله در فيلزور البهلوان وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشأن فانه أهلك كثيرا من الأبطال والفرسان ومثله فعل سامك سيافنا فى ساحة الميدان فانه بعد أن اتخذ له جوادا من الخيول الحسان عاد إلى الكر والجولان واخترق الصفوف بقلب أشد من الصوان وعمل أعمال مردة الجن وكذلك مزاحمت الطبرستانى وبهزار العتى وشيرو الشبيل الطالقانى وبهرار قبا القيروانى ومامنهم إلا من أظهر فى القتال العجائب وأبدى من الشجاعة الغرائب وثبت أمام فرقته ثبات الأبطال الأشداء لتشتد بها قلوبها لدى الهيجاء وكان أشد الحرب واقع فى عساكر فيلزور لأن طرمار قصد تلك الناحيه وأباد بعمده كثيرا من الرجال وكلما تجمعت من حوله العساكر وددت منه بددها بصوت واحد مريع وضرب بضرب الأسود الكواسر حتى كادت تضمحل وتطلب الفرار لولا فيلزور الأسد الكرار والفارس المغوار فانه حماها كما يحمى الوالد ولده ورد عنها صدمات طومار وقد التقى فيه بآخر النهار فتجاولا وتضاربا وتطاعنا حتى غابت الشمس وأقبل الظلام ودقت طبول الانفصال عن الحرب والصدام فعادت العساكر راجعة إلى الخيام وقد فعل طومار ذلك النهار أفعالا سر منها الشاه سرور وأمل بالفوز والنجاح قال فيلزور بزرطمهور ان سامك سيافنا الذى هو أشد فرسان الأعجام لم يثبت أمام طومار ولا قدر أن يلتقى ثقل ضربة من ضرباته وقد ولى يطلب الفرار قال صدقت فانى لا أزال أتصور فى دهى قوة تلك الضربة التى وقعت على الجواد وكيف إن ذلك الحيوان قد سحق فلمها كانت على سيامك او على فيلزور قال لابد أن يبارزهم جميعهم وإن

امتنعوا عن مبارزته أمامهم بالحرب والهجوم . ولما اجتمعا بطومار شكراه على فعله ومدحاه على ما أبداه في ذلك النهار ودعيا له بالنصر على الأعداء وبطول العمر والبقاء

وأما الملك صاراب فانه بعد أن عادت جنوده من القتال اجتمع بمقدمين رجاله وبهلوانية مملكته وقال لهم ان الامر علينا خطير والخطب جسيم وإن في الاعداء فارس عظيم من الطبقة الاولى في الشجاعة وعدد العساكر المتجمعة لقتالنا يفوقنا بأضعاف الاضعاف فلا نقدر أن نتغلب عليها إلا بقتل طومار لان به قلوبهم تنقطع منهم القلوب ولا يعود فيهم فارس يذكر واني أخاف أن لايكون ما بينكم فارس يقدر على قتل طومار فلذلك عولت أن أبرز اليه في الغد وأنهي لكم عمره ليبقون عليكم بعد ذلك كل أمر عسير فلما سمع طيطلوس هذا الكلام قال ان ما تقوله لا نقبل به ولا نوافق عليه ومن المستحيل أن ندعك تبارز أحدا لاننا إن فقدناك ما عدنا نقدر أن نستعوض عنا وبأي فرسان من بلادك غيرنا واما أنت فاذا لاسمح الله وقع عليك خطر لا يمكن أن يأتي عنا هو مثلك إنما عندي من الرأي الحسن أن نعمل كيس قرعة نضع فيه أسماء الفرسان فمن سحب يخرج الى ملاقاة طومار ولا بد أن الله قد كتب منيته على يد أحد الفرسان فيقتل ونرتاح منه فأجاب الجمع إلى هذا الرأي وعملوا قرعة وسحبوا اسم الاول فاذا بهمزار فنا فقالوا له في الغد ابرز اليه بدورك فأجاب بالسمع والطاعة وباتوا تلك الليلة على هذه النية وفي الصباح هجمت الجيوش من مراقدها وخرجت كالزنابير وركبت بقصد القتال والحرب والنزال فبرزت الابطال واصطفت إلى اليمين والشمال وقابل الصفان في جانبي الميدان وإذا بطومار صاح بصوته الخشن العالي فارتجت منه تلك البراري والقيعان وخرج على ظهر ذلك الفحل الكبير الجثة القوي البنيان وطلب براز الفرسان وفي الحال صدمه بهمزار فنا بهلوان عساكر إيران وأخذ معه في الكر والجولان وتباعدا وتقاربا وتطاعنا وتضاربا واشتد ما بين الاثنين القتال حتى زاد عن حد الاعتدال ودام إلى نحو الظهر وإذ ذاك استظهر طومار على خصمه وضربه بعمده ضربة حطمة ألقاه إلى الارض فأسرعت رجال الروم وشدوا منه الاكتاف وربطوه بالحبال فتكدرت عساكر العجم وهجمت على أعدائها فقابلتها كما تلتقي الارض اليابسة وابل المطر وقام القتال على قدمه وساقه وأيقن كل فارس بهلاكه ومحاقه ودامت نار الحرب في اضطرام واشتعال الى قرب الزوال فافترقوا عن بعضهم ورجع كل منهم إلى مضاربه وكان فرح الصميين لا يقدر بما شاهدوه من أفعال طومار وشجاعته وإيقاعه بالاعداء وأسر فرسانهم وباتوا في فرح ومرح ينتظرون الظفر على

أبواب الصباح وقبل المساء وكل واحد يعد نفسه بالسلب والنهب وأما الايرانيون فانهم كانوا بعد ذلك في كدر وأسف عالمون ان لا ينجيهم من تلك المصيبة الكبرى الا الله سبحانه وتعالى فكان جل معتمدهم عليه ورجاءهم أن يهلك لهم طومار فيفرج عنهم وكان أكبر مانع يمنعهم من الظفر والفوز وجود طومار

وفي الصباح دعا الملك صاراب فرسانه وضرب بينهم القرعة فأصابت مهمرار العتي فعلم أنه لا بد أن يهلك أو يتبع رفيقه إنما لا يسعه التعلل ولا يقدر على المخالفة فأخذ عدة حربه وركب جواده وطلب مساعدته تعالى وصبر إلى حين اصطف الفريقان وترتب الجيشان وخرج طومار كجاري عادته يزأر كالأسد وهو على ذلك الفيل المتقدم ذكره كأنه البرج المشيد وأسرع من طرفة عين التقى الاثنان وهما مهمرار العتي وطومار الزنجي واشتد بينهما القتال بأشد حال وعظمت عليهما الأهوال وارتفع فوقهما الغبار حتى لحق الجو الأعلى فأخفاهما عن الابصار وأحدقت اليهما الفرسان تنظر نتيجة ذلك الجولان ولم يكون الفوز والنجاح من الاثنين ودامت الحرب عاقدة بينهما حتى كلا وملا وضعفت عزائمهما وكان مهمرار العتي من الفرسان الصناديد فثبت أي ثبات وخاف من الهلاك والممات فأظهر كل ما عنده من فنون الشجاعة وأنفق كل ما لديه من البضاعة حتى قرب انقراض النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار فشاهد طومار أن خصمه سيفلت من يديه فلم يهن عليه وكدره ذلك فصدم مهمرار وقال له لا تطمع بالخلاص والفرار فاستعد لضرب العمد وودع هذه الدنيا وداعا أخيرا ورفع العمد بيده وضربه به فطار العمد بلا علة ولم يرشد لا للفرار منه فجمد نفسه على ظهر الجواد وصلب ساعده بكل قوته ووضع الطارقة فوق رأسه وإذا بالعمد قد وقع عليها فشعر كأن يده قد انقلعت من عند كتفه وتقطعت قوته وغاب وعيه فقلب عن ظهر الجواد إلى الأرض وإذا بجماعة الزنوج قد أدركوه فشدوه وثاقا وأخذوه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وهو ضائع الوعي غائب الادراك وأتوا به إلى رفيقه ورجع طومار وهو مسرور الفؤاد لانه تعب في ذلك النهار من معاناة حرب مهمرار فنزل إلى صيوانه وأتاه الشاه مسرور وشكره على فعله وقال له ياسيدي إذا أسرت تكملة الفرسان فقد هدمت الاسير نصرنا على القوم ويبدو لي شماتهم مرد يوم ولا سيما سيأمنك مساة ...... استاد هؤلاء. قال لا بد لي من أخذ الجميع أسارى ولا أدع بين فرسان إيران فارسا يذكر وكذلك الملك صاراب ولا ينبغي بعد أحد فانكم تكونون من قبل الجميع أمامه عسكم لتسر قلبك وترتاح بالك وتعلم أن فرسان إيران مهما كانوا أشداء لا يقدرون على الثبات أمامي فقال له طيفور أن فرسان الاعجام لا يتهاونون ولا يفرون إذا وجد

بالميدان من هو مثلك عرفت الشجاعة أنك أبوها وسيدها وأبى الحرب أن يكون له رئيس غيرك فهنأ بما أعطاك النار ذات الشرار من القوة ووحدانية البسالة حتى فقت كل من حمل سيفا ونازل فارسا

وفى اليوم الثالث طلب الملك صاراب أن تقترع الفرسان ووقعت القرعة على مرادحت الطاهر ستانى فنزل فى ذلك النهار حتى وقع بيده أسيرا وقاده إلى خصم رفيقه وحملت العساكر على بعضها وتقاتلت إلى أن انقضى النهار فرجعت إلى الخيام وقد زاد الرعب فى قلوب الاعجام لما شاهدوا فرسانهم توقع بيد طومار واحدا بعد واحد وفى اليوم التابع أصابت القرعة شعرين الشدلى الطلقانى فاستأسره وقرنه إلى رفقائه وفعل بالاعجام ذلك النهار أفعالا عجيبة وأهلك منهم قوما كثيرا وعاد وهو كالغول ودخل إلى خيامه ونام تلك الليلة وفى اليوم السادس نزل عبد الخالق القيروانى وتحاول وإياه محاولة الاسود وكان آخر ما ظهر من قتالها أن استظهر طومار على خصمه فقاده إلى بقية البهلوانية الذين أسرهم ورجع ذلك اليوم واجتمع بالشاه سرور وقال له لم يبق علينا من الفرسان الذين ذكرتهم إلا اثنان وهما فيلرور وسيامك سيافا فالاول لابد من قتله أو أسره والثانى قد فر من أمامى ولا عاد يقدر أن يلقانى فى مجالى وإذا حدثته نفسه من ثانية بالنزول يكون من حظه ما كان من حظ أرفاقه وانى عرفت فى الغد إذا وقع بيدى فيلرور أقتل الجميع ولا أحب ابقى عليهم لانى لا احب ان اقتل الآن الذين أسرتهم وفى جيشهم فارس يدعون انه يقدر على خلاصهم فمتى اقرنته اليهم وعرفوا ان لا فارس منهم يلقانى يقطعون الرجاء فأميت فارسهم قبلهم قال له اعانتك الآلهة عليهم وساعدتك النار على هلاكهم

ولما كان الصباح نهض الملك صاراب حزينا واجتمع فى صيوانه طيطلوس وفيلرور وسيامك سيافا وبقية من كان له الرأى والتدبير فى جيشه وقال لهم الآن يخرج طومار ولم يبق فى جيشى من طلب أو يرغب فى قتاله وقد وقع الرعب بقلب جميع الفرسان ولذلك عزمت أن أنزل اليه وأبيد حياته وأعجل هلاكه فقاطعه طيطلوس وقال معاذ الله أن نحتاج إلى مثل هذه المخاطرة ومن يكون هذا طومار لتبارزه أنت فى ميدان وتخرج من تحت الراية المعقودة لكم علينا ولم يزل عندنا فارسان كل منهما يقدر على قتال طومار فقال فيلرور لا يمكن أن يدعك تقاتل مثل هذا الزنجى ونحن على طول الخمول ونقدر على حمل السلاح وسوف تنظر فى هذا اليوم ما يكون من امرى وأمره وتشاهد بعينيك ان الفرسان تتفاوت وان الشجاعة والبسالة لا تكون بكبر الجسم وكبر الاقفال فشكره الملك صاراب وقال له انى أعرف جيدا انك من ابطال هذا الزمان غير انى لا ارغب ان أفادى بفرسانى

مع هذا العاتى الطاغى وأنا أنظر من بعيد وأرى فى نفسى الكفاءة لهلاكه وتصف عمره قال إننا نسأل عن ناموس الملك الفارسى وفى قانونه أن لا يترك الملك لمن هو أدنى منه إلا بعد خلو جيشه من الفرسان وقطع رجائه من الثبات والوقوف امام الأعداء وكانوا على مثل ذلك والجيوش من الفريقين تنهض إلى القتال وترك على حيولها حتى انتهى نظامها وترتبت حق الترتيب وإذ ذاك خرج طومار كجارى عادته ودار بالفيل عدة دورات فى وسط الميدان ثم وقف وقال هيا ابرزوا إلى يا فرسان العجم إن كان ثم فيكم فارس يذكر وإنى أعلم أن لا فارس فيكم بعد إلا فلرور فليدن منى ويرى ما يحل به وليأتى بكامه على جواده ولا يظن أن طومار الزنجى كمن لاقى من الفرسان فلا بدلى من قتل فرسانكم وهلاك أبطالكم وسبى حريمكم ونهب أموالكم وبعد ذلك أسوق ملككم صاراب بثأر أخوى بهرور ومسرة اللدس فلهما ابنه فيروزشاه وإذا ساعدتنى الأيام وخدمتنى الصدف وأوقعت فيروزشاه أمامى انتقمت منه بنفسه بعد أن أعذبه العذاب الأليم

وما انتهى كلامه حتى صدمه فلرور صدمه قوية وقال له ويلك يا طومار كفاك شقشقة لسان وفرار أظن أن فرسان العجم تتأخر عن قتالك وفيها كل فارس مشهور وبطل معروف وما أسرت منهم إلا أدناهم ومن الآن وصاعدا ستشاهد أقصاهم فاثبت إن كنت تدعى الشجاعة أمامى والتق حربى فنظر إليه طومار فوجد أن للشجاعة دلائل وعلائم ورأى فى بياض لحيته وكبر وجهه واتساع جبينه ما يرهن له أنه من الأجلاء وأهل الهيبة والوقار وأنه محنك من الدهر مجرب من الأيام فقال له ويلك أيها الشيخ المسن من أنت ومن تدعى بين فرسان إيران وهل أنت بهذا السن تطلب قتالا وحربا ونزالا فماذا يا ترى أبقيت للشبان أصحاب العزم القوى والعنفوان فقال فلرور ان كنت ترغب أن تعرف من أنا فأنا الذى جدى قتل جدك وأنى أهلك أباك فى مثل هذا الميدان أنا فهرور البهلوان وقد وصلك أخبارى وأنت فى بلادك وطالما تمنيت أن تلاقى فى وحكى لك رجال قومك القصة قدم العداوة بيننا وأن الله يخولنا النصر والفوز عليكم وتزعم أن الكبر لا يلاقى القتال فمن كان له وجه الشجاعة وهمم الجبال لا يقدر غيره على رفع الأحمال ثم صدم فلرور طومار صدمة قوية فالتقاه ذاك بهمة وحمية ودار بينهما دولاب الحرب واحتدم وقوع الطعن والضرب واشتد بينهما القتل والقتال وعظمت عليهما المصائب والأهوال فأكثر من الصيحات وأحمدا نفسيهما بالوثبات ولم تكن يرى منهما إلا تطاير جمد نار برق ولمعان وهما تحت قسطل من الغبار مرفوع بالهواء يلعب به التيار فيديريه إلى أبعد مكان فيغطى

كالصباب تلك السهول والوديان وقد شخصت نحوهما الفرسان وتعلمت منهما حقيقة الضرب والطعان فان فيلزور كان لا يفتر عن الصراخ والصياح ولا يقلل من الحرب والكفاح بل كان يقاتل قتال الآساد ويطارد أشد الطراد ويضرب طومار ضربات ترتج الجبال وتحقق الرواني والدلال حتى رأى منه طومار ما حير الافكار وعلم أنه أشد من لاقى من الفرسان وكان كلما دار براه أمامه يكر ويفر ويصول ويجول فأعياه أمره وأشغله باله فصاح فيه وقال له ويلك يافيلزور إنى أعترف لك بالشجاعة وعلو المرتبة فى القتال فأنت أشد من قاتلت من الابطال وإنى أكره كثرة المطاولة فهل لك أن تلقى منى ثلاث ضربات ثم تعود أنت فتفعل مثلها إما بسيفك أو بعمدك وبذلك نعرف من منا أشد اقتدارا على الثبات وأقوى عصبا وأقدر ضربا قال إليك ما أردت فانى منصف فى القتال فاضرب أنت أولا ضرباتك الثلاث وبعد أعود أنا فأضربك بسيفى ثلاثا مثلها قال اثبت ثم رفع طومار بيده عمده ونهض بيده إلى ما فوق رأسه حتى كاد يصل العمد إلى السماء ثم هوى به فسقط كسقوط الصاعقة حتى وقع على طارقة فلزور فدفعه بترمه وثبت كالوتد فى الأرض فلم تضره تلك الضربة شيء ثم نظر طومار إلى فلزور فوجده على حاله فقال لله درك يا أيها الشيخ فاطمئنك فعيش بعد هذه الضربة فلو نزلت على جبل لاحدثت فيه طريقا قال اضرب ولا تطل كلاما فمثلى لا يعتد بمثل هذه الضربات ولا يحسب لها حسابا فخرق طومار ورفع العمد ثانية وثبت وضربه الضربة الثانية فلم تؤثر به وكذلك الثالثة فتكدر طومار وزاد غيظه كيف فرغ من ضرباته ولم تأت بنتيجة تحوله النصر على خصمه ولم يعد يرى ما بين يديه فصاح فى فيلزور وقال له اضرب أنت ضرباتك الثلاث وإنى أقسم بالنار المحرقة والانوار المشرقة إنى ما حاربت قط رجلا وثبت لدى ثباتك ولا ضربت فارسا أكثر من ضربة واحدة واحتجت إلى الثانية قال اثبت فى مركزك وكان فيلزور قد شعر بضعف الجواد من تحته فان تلك الضربات التى لم تؤثر فى فيلزور أثرت فى الجواد من تحته فأضعفت قوائمه وقلت قواه فأراد أن يحول به ويطلق له العنان فى الميدان فلم يمكنه بل سقط إلى الأرض وسقط معه فلزور وقبل أن يتمكن من النهوض انقضت عليه عيارين الزوبح فأوثقوه كتافا وقادوه إلى رفاقه وهو يلعن ذلك الجواد ويذم صروف الزمان ولما نظرت عساكر الاعجام ما وقع بفيلزور نزل عليها الحزن فرجعت من رؤوسها العقول فوقفت تنظر حمل الأعداء فلم تحمل بقية ذلك النهار بل ألوى طومار عنان فيله ورجع إلى الوراء ودخل بين عساكره وبرزى صفوانه وهو منشرح الصدر بما وقع على خصمه وما استقر فى مكانه حتى أتاه الشاه صرور ووزيره طمور وقال له كان فى ظنى أن يحمل بعد أسر فيلزور على الايرانيين

عندهم لأني لاحظت فيهم العجز والخوف ولولا ذلك لحلوا بطلب خلاص فارسهم إلا أننا تأخرنا لما وجدناك قد رجعت كأنك لا ترغب في ذلك قال اني أقول بالحق اني قاسيت أشد الأتعاب بمحاربة هذا الرجل المسن فكل ما أسرت من فرسانه قبله لا يحسب لنا نصراً فكل الفوز والنصر في أسره ولذلك أريد ان أرتاح باقي هذا اليوم واليوم الآتي ولاريب أن الأعداء يسرون بذلك غير انه لم يعد لهم رجاء بالخلاص وقد شاهدوا بأعينهم علائم الموت ودلائله فكن براحة فسوف ترى أعداءك تداس تحت أرجل خيل رجالك إنما أريد أمهل الفرسان وفي مقدمتهم فيلزور فقال طيفور إذا شئت ذلك فليكن في هذا النهار وهو عين الصواب لأن قتلهم يزيد الخوف والرعب في قلوب الاخصام وينقطع منهم الرجاء.

وفي الحال أمر طومار باحضار الأسرى إلى بين يديه فحضروا وقدموا امامه فلزورا فقال له كيف ترى نفسك الآن أيها الشيخ وأنت مكبل الايدي والارجل قال أنت تعرف كيف أنا واني أدم الزمان الذي غدر بي فأسركلي مما يحق لك ان تفتخر به لانك ما وصلت إلى حرب ولا أنشأ حولان بل جاني ضعف جوادي فرماني ولو كنت منصفا لصبرت علي إلى ان أركب غير جوادي فأعيد الملك وأريك كيف تكون همم الرجال قال طيفور ان طومار قد أمر بقتلك والساعة تقتل وكفاك ما فعلت بهذه الدنيا فلو كنت من العاقلين لاحترت لك معداً تقيم به وأنت في هذا السن فما الذي أبقيه لآخرتك فقال أبقيت ذكرا طيبا لايمضي بقتلي وموتي وجميع قومي وغير قومي يعلمون اني واحد الحرب وفارس ميدانها وقد نظر الجميع كيف كان أسري وان كان في نيتكم قتلي فعلوا ولا تتأخروا لأن القضاء لا يرد ولا يدفع فاذا كان قد دنا الأجل فلا رجاء في الدنيا ولا أمل غير أنه عار عليكم أن تقتلوا أسراكم ولا يفعل ذلك إلا كل ظالم غدار رديء العقل قبيح العمل فأغاظ هذا الكلام طيفورا وقال لطومار أريد منك يا سيدي أن تسرع بقتل هذا المهذار فانه تشقشق بلسانه وتعلم بحضرة من هو الآن فقال الشاه سرور خذوه إلى الخارج واقتلوه عند باب هذا الصيوان ليشاهده كل إنسان وكان قد جمع كل أمراء الربوع ووفود اليمن وشاهاتها ومن جملتهم الشاه سالم حركته نفسه إلى أن يدافع عنه لأنه أبو فرخوزاد إلا أنه خاف من الملام وان لا يسمع له كلام لعلمه أن طيفور نافذ الكلمة أكثر منه فصبر وقلبه يشتعل بالنار وقد أخذوه من نور إلى خارج الصيوان وهو مقيد اليدين موثق الرجلين لايقدر الدفاع عن نفسه وتقدم منه الجلاد وقصد ان يربط عينيه فقال له لا تفعل فاني لا أخاف الموت فخلني وأنا انظر إلى الدنيا فأخذ الجلاد سيفه وطاف حوله ورفع يده بالسيف وقال للشاه

سرور مر يا سدى الامر الاخير فقتله فعزم الشاه سرور ان يلفظ الكلمة الاخيرة قتله واذا برى الجلاد وقع إلى الارض بضربة قوية ألقته على ظهره من بهروز العيار فتعجب الشاه سرور وجميع الحضور من هذا العمل ومن اقتصاص ذلك الرجل وجسارته على هذا العمل ونظر بهروز إلى بهروز وتعجب من حضوره فى مثل تلك الساعة وقال له ما وراءك من الاخبار قال ماورائى إلا كل خير تنتظره فقد جاء سيدى فيروز شاه وفرحزاد ظافرين منصورين على الاعداء وسوف تسمع بأذنك الآن ثم انعطف إلى أمام الشاه سرور ودفع اليه كتابا كبيرا وكان الجمع ينظرون اليه وفى يده خنجر طويل وعيناه تقدحان شرار نار ووجهه أبيض جميل وتدل سيمته أنه من عيارى العجم واخذ الشاه سرور التحرير ويده ترتجف على غير قصد ونظر إلى ظهره فراه مختوما بختم فيروزشاه فراد الرعب فى قلبه ووجد مكتوبا عند ه وانه ان يقرأه علنا يسمع من الكبير والصغير فدفعه الى طيفور وقال له خذ هذا التحرير واقرأه بصوت عال ليسمعه الجمع فهو من فيروز شاه بن الملك ضاراب فشعر طيفور كأن صاعقة قوية سقطت على رأسه وفض الكتاب وقرأه وإذا به

بسم الله إله الفرس والعجم ومحيى العظام بعد العدم

من فيروزشاه بن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسيدها رب العدل والانصاف إلى الشاه سرور صاحب الظلم والاسراف اعلم ايها الرجل الغدار انى اخبرك بما كان من امرى لتعلم ان الله يرد كيد الظالمين إلى نحرهم فلا يأتون امرا نافعا ولا تقوم لهم قائمة سلمتنى إلى هورنك وفى نيتك ان احلى ينقضى عمره واموت فلا اعود اليك وظننت انك تخلصت من الوثاق فملكت سلاحى واوقعت بالاعداء مع اخى فرحزاد وملت الملك وتسلطت على كل بلاده ورفعت عليها الراية الفارسية المظفرة واقمت بها حاكما من تحت امرى يحكم عليها وينقاد لخاطرى ونشرت فى كل تلك البلاد عبادة الله تعالى حتى لم يعد فى البلاد من هو على العبادة القديمة وأزيدك فوق ذلك مما يزيدك عجبا انى قتلت صفراء الساحرة وأتيت من قصرها بالجواهر الفاخرة والذهب الذى يملأ الخزائن الكبيرة وبعدها سرت الى الجزيرة البيضاء فقتلت قطران شاه وايران شاه واقمت حاكما على المدينة وعلمت كل من فيها عبادة الله سبحانه وتعالى ونشرت عليها الراية الفارسية ولما كنت فى شوق ان اعود الى بلادك اما للسلم واما للحرب رجعت من تلك البلاد ومعى الذخائر النفيسة والاموال العزيزة وعلاوة على ذلك فقد اصبحت تحت قيادتى خمسة وعشرين الف فارس من فرسان الروح الاشداء ومعهم الامراء ميمون وجمدون وطيل وطيلا يأتمرون بأمرى وينتهون لنهيى وقد دست هذه الارض برجالى وبأهرب

وقت أكون عند مدينتك فاما ان تخرج الى ملاقاتى صاغراً طائعا مادما على ماوقع منك معتذرا عما جنته يدك مسلما الى وزيرك طيمورا واما تستعد لقتالى وتخرج بجميع عساكرك الى حربى وتكون قد سلكت بذلك طريق الجهل ولم تنظر فى مصلحة نفسك وليكن مؤكدا لديك انى اقيم أكثر من ثلاثة أيام على قتالك فأهزم لك حصونك وأدمرها الى اساساتها وأدخل مدينتك قهرا وجبرا وآخذ بنتك بالرغم عنك وقد شاهدت بعينيك فعلى يوم قتلى بهرور وميسرة أخوى طومار الزنجى وانى أسأل الله ان يجمعنى به لأنفعه بهما واعتبر بما وقع على الملك هوربك وانا إذ ذاك وحدى ليس لى مساعد إلا أخى فرخوزاد بن فهرور فارس بلاد فارس وسيد مقدميها وأرجوك الجواب مع بهرور العيار حالا فانى انتظره وارغب فى سرعة الرجوع الى بلادى لانه لابد ان يكون على مقالى الخبر من اهلى والسلام ختام

وعندما انتهى طيمور من قراءة التحرير وقع الخول على الشاه سرور وتألم وارتاع لهذا الخبر واطرق الى الارض لايبدى كلاما ونظر الشاه سليم الى هذه الحال فاستغنم هذه الفرصة للكلام بخصوص خلاص فهرور فوقف وقال الى الشاه سرور قد عاد فيرور شاه من بلاد هوربك بالنصر والظفر ولا نعلم ما سيكون من امره ولابد أن يتبدل هذا النصر الذى نلناه فى هذه المدة الاخيرة بالفشل والخيبة فننتقم منا ولاريب فى ان جميعكم قد شاهدتم قتال فيرور شاه وفرخوزاد وعرفتموهما قبل الآن ولذلك أرى من الرأى الحسن ان يتأخر قتال هؤلاء الفرسان الى ما بعد هـــذا القتال لنعلم الى ما ننتهى به حالنا فان دام النصر لنا وظفرنا بالاعداء كان القتل اولئك بيدنا وإلا صالحناهم بهم ودفعنا شرهم عنا وكان طومار حينئذ يسمع ويرى وقد نظر الى انقباض الشاه سرور من هـذا الخبر فأظهر الغضب وقال أتخافون من فارس واحد قد عاد اليكم بطلب اخى لانى ارغب فى ان آخذ بثأرى منه وافديه بدلا من اخوى وكيف تتوهمون منه وتقدرونه فوق قدره ألا تعلمون انه لا يقدر ان يثبت امامى اكثر من ساعة لو كان اشد فارس فى هـذه الدنيا وانى اقسم بالنار ذات الشرار وما تستطع من الانوار انى لا اقتل هؤلاء الفرسان مالم اقتل فى مقدمتهم فيرور شاه واذا دشمل الله بجانبوا منه فلا تهولكم امرهم واعلموا ان طومار الزنجى ان قال فعل وليس هو كمن تعرفون من الفرسان وحتى الساعة ماانهزمت امام فارس ولاخفت من فارس ولارجعت عن امر نويته فارجعوا بهؤلاء الفرسان الى سجنهم الى ان اقرب اليهم اجلهم فتكدر طيمور عند سماعه هذا الكلام وخاف من أخير آخذ الأسرى فقال لطومار ليس من الصالح ان نبقى عليهم خوفا ان يتسنى لهم الخلاص لأن عيارى العجم كالعفاريت وهم يتطايرون بين جيوشنا بدون ان يعلم بهم احد أو

براهم ونخاف من أن يتوصلوا بالحيلة إلى اطلاق سبيلهم فيجمعون أصحابهم وتزيد حالهم نجاحا ومن الأوفق أن نقتل هؤلاء ومتى وقع فيروز شاه وغيره قتلناهم قال لا خوف من اطلاق سبيلهم فهم فى محل محفوظ ومع ذلك فانما نرسلهم إلى مكان اشد حفظا من هنا ونبعدهم عن الجيش ولا يعلم أحد منهم وحيث اقسمت أن لا اقتلهم إلا بعد أن اقتل ابن سيدهم فلا نطمع بغير ما أقسمت فقال الشاه سرور انى عزمت أن ارسل الاسرى إلى القلعة الجبلة لأنها صعبة الدخول لا يمكن لعموم جيش فارس إذا حصروها أن يفتحوها وإذا اقفلت أبوابها أمنت من كل عدو مفاجىء ولا يمكن أن يسير الأعداء إلى هناك

فوافق الجميع على هذا الرأى واستحسنوه وإذ ذاك استدعى الشاه سرور بخمسمائة فارس تحت امرة فارسين من رجال قومه يقال لأحدهما نعيم والآخر تميمه وقال أريد أن تذهبا بهؤلاء الفرسان على عجل إلى القلعة الجبلة وتسلماهم من قبلى إلى طوغان حاكم القلعة الذى اقيمه عليها وانى أبعث له بتحرير معكما آمره بالمحافظة والحرس ثم دفع اليهما الاسرى فأخذاها وركبا بفرسانهما وقاد الاسرى أمامهما مكبلين مصفدين وقد أملوا بالخلاص وفرحوا أجل أحالهم وكان أشدهم فرحا فيلزور البهلوان فانه سمع بمجىء ابنه مع فيروز شاه وأدهشه ما سمعه من خوف الأعداء منهما وكيف أنهما سلبا إلى القتل وأخذا إلى بلاد الزنوج فعادا براية النصر والظفر بعد أن دوخا كل تلك الجزائر وأما سرور العيار وهو من الغول فلم يعد يطرمن الشاه سرور حزنا على الكتاب الذى أتى به بل اطلق كل روح عند هوبه لتحدير فيروز شاه بمسير الفرسان إلى القلعة الجبلة فقاطع القوم وخاصمهم منهم

قال وكان السبب فى اتيان فيروز شاه ووصوله فى ذلك الوقت هو أنه قد قدمنا أنه رجع من بلاد الزنوج على السفن متقدما إلى جهة اليمن إلى أن لاح له شاطىء عن بعد وكان الوقت إذ ذاك عند المساء فأمر فيروز شاه أن يملوا إلى ذلك الشاطئ ويباتوا عليه وفى الصباح يرجعون إلى السفر فقال له فرخزاد دعنا نسير فى هذا الليل إلى نحو شواطىء اليمن ومتى بلغناها نزلنا عليها فنرتاح هناك دفعه واحدة قال ان هنا جزيرة وأحب أن أقيم عليها بضع ساعات من هذا الليل فان نفسى قد اشتاقت إلى الإقامة وأريد الراحة فيها وبعد ذلك نعود إلى السفر فى سفننا وبعد أن قاربت السفن الشاطئ نزل فيروز شاه وفرخزاد وسرور وطلال وميمون وحمدون وخرجوا إلى البر واجتمعوا إلى بعضهم مرة أحضروا بعضا من الشراب فشربوا ومن الأكل فأكلوا وهم مشروحوا الصدور طيبوا الخواطر وبينما كانوا يريدون السرور والراحة سمع فيروز شاه نداء سرور بالقرب منه يقول ادركنى يا سيدى وإلا هلكت لا محالة

فركض وأخذ السيف بيده وهجم لجهة الصوت وكان الظلام شديد بحيث يسمع الصوت ولا يرى أحداً وتقدم كثيراً وهو يركض وكلما صوت بهرور مرة يقول له أدركني يا سيدي إلا هلكت يحاول أن لا تخف فاني راكض في أثرك مسعفك غير أنه كان يركض ولا يرى أحدا ولا قدر أن يعرف ماذا جرى على بهرور وقد خاف من أن يكون وحش قد اختطفه فحمله إلى مربضه وقد كاد يهلك من الركض دون جدوى إلى أن تبين نارا تضطرم في تلك الجهة بعث نور ما حولها فانكشف له الأمر وبان أن بهرورا محمول من اربعة رجال وهم يركضون إلى جهة النار وقد تبين له منهم أن في نيتهم أن يلقوه فيها فخاف أن يسبقوه اليها فيموت حرقا فصاح عن بعد صياح الرعود وقفز قفزات الاسود حتى أدركهم فضرب بالسيف الاول قطعه إلى قطعتين والثاني الفاه إلى حتفه وهرب الاثنان بعدان القيا بهرور إلى تلك الارض وفي تلك الدقيقه وصل فرحوزاد وبقية الفرسان وشاهدوا النار تضرم وفيروز شاه ينهض بهرورا وقد سأله عما وقع عليه فقال له بينما كنت جالسا معكم خطر لي أن اقضي حاجة فبعدت عنكم قليلا وأنا على غير انتباه فلم اشعر إلا وأربعة انفار قد قبضوا علي واسرعوا بي جريا وقالوا لي اننا قدمك اليوم محرقة للآلهة فصرت اصيح إلى أن ادركتني همتك وانتشلتني من بين ايديهم ولا ريب انهم من البرابرة سكان الادغال يقيمون على عبادة النار وقد استغنموا الفرصة وسرقوني من بينكم ليحملوني محرقة فرأه فيروز شاه على خلاصه وقال له كان في خاطري تبع هؤلاء الوحوش لانتقم منهم واعيدهم الى عبادة الله فقال فرحوزاد اني لا اسلم لك بذلك وانت تعلم ان المراكب مشحونة بالرجال واننا في الغد او بعد الغد ندخل بلاد اليمن وننزل على شواطئها وندخل صحراء اليمن ولا بد لنا ان نجتمع بالاحباب فكن على بصيرة من امرك وليس من هؤلاء من نفع لانهم يسكنون الادغال والاحراش لا يفهمون إلا علمتهم شيئا ولا يعون إلى شيء قال اني اعرف ذلك غير اني لا ارغب في ان ادوس ارضا واذهب عنها بدون ان اترك فيها اثرا يذكر انما يفعل الله بعباده مايشاء ثم انكفأ راجعا بمن معه حتى وصلوا الى الشاطئ فنزلوا منه إلى السفن فركبوها وفردوا شراعها وفيروز شاه من الفرح في موكب عظيم يعلل نفسه بالاماني ويعدها في الاجتماع بعين الحياة وانس عنده خبر مجيء امه إلى بلاد اليمن ولا ما وقع يوما وكلما قربت المراكب من نحو بلاد حبيبته يبعد عنه الوحشه ويشعر بالاستئناس والمسرة فهو يتمنى ان يرى من يسأله عن عين الحياة ولم يعد في وسعه الصبر على انقضاء ما بينه وبين مدنها من المسافه بعدة ودام على ذلك وهو لا يلتفت إلى غير هذا الفكر ولا يلوح له غير هذه التصورات إلى ان شعر بوقوف السفن فنظر الى البر واذا به يرى نفسه على شواطئ اليمن فصفق قلبه

من الفرح ونهض واقفا لا يفتر عن شكر الله ونظر إلى اليمين والشمال وإذا به يرى السفن كلها قد رست فنزل إلى القارب ومن حوله فرحوزاد وسرور وجماعة المقدمين والفرسان وخرجوا إلى البر وهم فى فرح لا يوصف وأقاموا إلى أن كانت الفرسان على البر ولم يبق فى المراكب غير النوتية وقد نقلوا المؤن والخيل والأسلحة وكل ما أتوا به ونقل سرور أيضا الصندوق الذى جاء به من عند الساحرة الذى فيه الثياب والرجاجتين وكذلك صناديق الذهب والجواهر ونحوها

ولما تكامل عديدهم على البر وأقاموا ريثما استراحوا أخذ فيروز شاه فكتب كتابا إلى الشاه سرور وهو الكتاب الذى تقدم ذكره وكتب على ظهره أن يقرأ عاجلا أملا أن توصل أخباره إلى عين الحياة فتسر ويفرج عنها الهم وقال لسرور أريدك أن تتقدمنى بهذا الكتاب وإنى سائر على أثرك فلاقنى بالجواب على الطريق وبعد أن دفع الكتاب إلى سرور وركب على جواد من الخيل الجياد ورفع فوق رأسه علم الروح يخفق من العلم وراء الفارسى ومشت من حواليه الفرسان والمقدمون وهم يسيرون أرواحا وأزواجا على خطة واحدة هو كالقمر بين النجوم وقد عاوده فكره لملاقاة عين الحياة وتحرك شوقه إلى الوصول إليها والنظر فى محاسنها كلما هبت عليه نسمة يستنشق منها ريا ذكرها العطر فيزداد به غرامه وتحن جوارحه وتخطر على باله وقد لاح له أن ينشد فقال

لا تحسبى أن طول البعد غيرنى ... يا عين لكنه قد زاد فى شجنى
ماذقت لذة عيش بعد فرقتكم ... ولا شعرت بغير السقم فى بدنى
ملكت أرض العدا والقلب مضطرم ... حقا بنارين من شوقى ومن حزنى
وما رضيت بغير المجد منزلة ... ولا اتخذت سوى بيت العلى سكنى
قلت هو ربك مع هولك انهما ... ذاقا المنايا بسيف عند المحن
سأمنع الغير عنك الدهر أجمعه ... أو اتروى صاعرا يا عين فى كفنى
عين الحياة تشرى فالنوم مائلة ... خيول جيشى على الايقاع باليمن
وعن قريب ترى والسيوف لها ... فوق بريق وغير النصر لم يكن
انا ابن من أرعب الدنيا بسطوته ... وأرهب الكون من قاف ومن عدن

وكان ينشد وهو يتقدم فى مسيره على ما تقدم من الفرح والمسرة وفرحوزاد إلى جانبه وحالته كحالته وقد تذكر من حبيبته طيب حديثها ورقة معانيها وما كان له عند وجوده وكيف ان الحوادث أبعدته عنها فأنشد يعلل نفسه ويسليها

لو تم فى الحب سعدى ... يا حب ما أخلفت وعدى
لكن مقادير القضا ... ء كلها حكمت بعدى

أحببت حبك فى الفؤا د فخطه دمعى بخدى
وعدا على جسمى النحو ل وعاد للاسقام بعدى
نحن الهوى جمعت على ملست أحصيها بعد
فالسقم يشهد والدمو ع بوحدتى فى العشق وحدى
يا بدر سل عنى السهى ان السهى أدرى بسهدى
وابعث رسول الطيف يسـ مع ما أعيد له وأبدى
آهاً على زمن مضى لو كان قولى آه يجدى
أيام وصل منك لم تقطع ولم توصل برد
والشمل يجمعنا على حب يود بصدق ود

وكان فرحوراد يكتم حبه فى هواه ولا يشكوه إلى غير قلبه لعلمه أن لا وصول له لقضاء مصلحته قبل قضاء مصلحة سيده ورفيقه ومن أحبه أكثر من نفسه وهو فيرور شاه ولذلك كان يطلب من الله أن يسهل له أسباب وصوله إلى عين الحياة وما كان يريد اشتغاله إلا ما يراه من الصعوبات فى طريق رواح عين الحياة وحائثة بينها ورداءه قلبه تعكس أنى حبيته الشاه سليم فانه كان يحبه مزيد الحب ويرغب فى قربه .

ولما قربوا من تعراء اليمن ولم يبق بينهم وبينها إلا يوما واحدا أمر فيرورشاه أن نزل العساكر ينتظرون رجوع بهرور بالجواب الذى كان أعطاه إياه إلى الشاه سرور فنزلت العساكر وضربت الخيام وضرب له صيوانه المزركش بالذهب من عمل الزوج وأقاموا على أتم ما يكون من الاطمئنان وراحة البال حتى كان المساء ودخل قسم من الليل وفيرورشاه فى صيوانه بين مقدميه وفرسانه وقد فرغ صبره لطول غياب بهرور وإذا به قد دخل عليه وهمس فى أذنه أن يتبعه الى الخارج فنهض معه فقص عليه الخبر من أوله إلى آخره وقال له عجل يا سيدى لنسرع إلى قطع الطريق بين تميم وتميمة قبل أن نصلا بالأسرى إلى القلعة فيصعب علينا بعد ذلك خلاصهم وكان قصد بهرور أن لا يطلع أحد على ما هو واقع بين الايرانيين والأعجام وأن لا يشيع الخبر لأن قصدهما خلاص الأسرى لئلا يطول المطال أو يوجد بين الجيش عيار غريب فيسرع إلى إيصال الخبر وفى تلك الدقيقة أخذ فيرور شاه سلاحه ونهض وركب جواده ودعا إليه فرحوراد وأطلعه على بعض الخبر من أباه أسر وأن فى نية خلاصه قبل وصوله إلى القلعة الحيلة وإن كان فى نية الشاه سرور قتله قبل وصول بهرور بالجواب فكاد يطير عقله لذلك وأسرع إلى جواده فركبه وسار بهرور أمامهما ولما رأى بقية الفرسان عملهما سألوهما عن السبب فقال فيرور شاه الساعة نعود

فان أمراً عيرمهم دعانا أن نستدركه الآن ولازال بهرور يسرع فى حربه وفيروزشاه وفرحوزاد يركضان بخيلهما وراءه حتى وصلوا إلى طريق القلعه الجبلة بعد أن كادوا يهلكون من التعب فلم يروا أثراً لمرور القوم فأقاموا ريثما استراحوا وإذا بعساكر اليمن أقبلت وفى مقدمها تمم وتميمة وليس عندهم علم بشيء وقد أملوا الوصول إلى القلعة قبل طلوع النهار فلم يشعروا إلا وأصوات القتال قد احترقتهم وفيروزشاه ينادى فيهم ويضرب سيفه فى صدورهم وقد قامت الغوغاء وارتجت تلك السهول من صياحه فقالوا الله وصاح تمم وتميمة برجاله أن يجاهدوا فى القتال وأن لا يحلوا عن الأسرى فقام الحرب بينهم على قدم الاشتعال وراح سوق الحرب على أنفق حال وكان الليل كثير الظلام فلم يعد يرى فيه إلا سيوف تلمع كالكواكب فى السماء وعند تشرع كخدع النحل النواهق وفى تلك الساعة سمع صوت فيلزور وهو ينادى بالقتال ومن خلفه الفرسان والأبطال وذلك أنه لما فاجأ فيروزشاه القوم كان لايزال مقيداً وقد سمع صوته وصوت ابنه فارتعش لذلك قلبه وزأر كما يزأر أسود الدحال وقال لمن حوله ابشروا بالخلاص فهذا الأسد الكرار والبطل المغوار ابن ملكنا الموفق قد جاء بخلاصنا ومعه ابنى وإنى أشكر الله حيث أدركنا قبل وصولنا إلى القلعة الجبلة وما تم كلامه حتى شاهد أمامه بهرور قد انقض على من حوله كالقضاء المنزل واستل بيده خنجره فضرب به صدر الأول ألقاه إلى الأرض قتيلاً ثم فعل بالثانى مثله حتى بهت الجمع وأسرع من لمح البصر وصل إليه فقطع له كتافه وأطلق له يداه ثم خرج من وسطه مبرداً حاداً فعمل بالحديد كما تفعل السكين بالليف فكسره قد قال له رد عنى نقمة الأعداء يا سيدى لأحل وثاق بقية الفرسان فما صدق أن ملك فيلزورحرية الانطلاق حتى انعطف على سلاح المقتول فاستلمه وكان وقع الصياح بمؤخرة المقاتلين أن قد أطلقوا فمال البعض إلى جهتهم ولما سمعوا صياح فلزور وقع الرعب فى قلوبهم فهاجمهم وضرب فيهم قلب مقروح من فعل ملكهم وكان كلما تخلص واحد من الأسرى انقض إلى سلاح مقتول فأخذه وركب من الخيل الشاردة وانحدر إلى الميدان ولم تكن إلا القليل حتى قام القتال من أول الخمسمائة فارس ومن مؤخرتهم والتقى فيروزشاه بتمم فقتله وكذلك فرحوزاد قتل تميمه ولعب سيف الموت فى الباقين فلم ينج منهم من بخبر بخبر وقد امتلأ من جثثهم ذلك البر لأن معموناً وجنود وطبلوطيلا قد وصلا أيضاً حيث أنه كان قد شغل فكرهم لغياب سيدهم فاعتمدوا أن يتأثروه ولا تركوه وحده فوصلوا والحرب قائمة فباشروها وكانت ساعة على الأعداء عظيمة الأهوال محتهم عن آخرهم

ولما هدأ البال وراقت الحال اجتمع فيلزور بفيروزشاه فقبله وقبل ولده وسلم

عليهما وشكرهما على فعلهما وكذلك بقية الهلوانية تقدمت من فيروزشاه وقبلت أيديه وسلمت عليه فقبلهم وقربهم منه ونزلوا يرتاحون برهة فى تلك القلعة وقد استعادوا الحديث من فيروز فأعاده من أوله إلى آخره مفصلا وكيف كان غدر الشاه سرور بهم وكيف اتحد مع طومار وانه كان فى نيته قتلهم ولو تأخر بهروز دقيقة واحدة لكان قضى عليه فقبلا فم أبوه بالسلامة وحكوا له كل ما وقع لهم مفصلا من حين خروجهم من إيران إلى حين ملتقاهم وبعد ذلك قال فلنعد الآن إلى المعسكر ومنه نسير إلى القتال خوفا من أن يقع على عساكر الأعجام أمر نكرهه لأن طومار لا يصطلى له بنار فاذا أصاب احدا من نخبة الفرسان ربما قتله أو أوصل اليه أذاه قال انى اعلم ان طومار ينتظرنى فلا يبدى أمرا مكدرا قبل وصولى لانه أقسم جهلا كى قتل الجميع وليس من الرأى ان نسير إلى الجيش ونترك القلعة الجميلة قائمة فى مكانها وقد كان فى نيتى هدمها من حين اسرت قاطرا وقطيرا والآن أقسم بالرب العظيم انى أرجع إلى أبى مالم أدمر هذه القلعة وأسحقها إلى أساساتها قال فرخوزاد ألا تعلم ان هذه القلعة حصينة جدا ولا نقدر على هدمها ان لم نفرغها من الجيش وقد أبهد الشاه سرور أمر حفظها إلى احد أمرائه وهو طوعان التيمى ومعه الف فارس وهؤلاء إذا كانوا داخل القلعة خوفا من ألوف وألوف ألوف من الفرسان لأن نوافذها سالة جدا لا يدخل اليها إلا من باب حديدى سميك يتجه الى جهة مرامى القلعة فمن قصد الدخول من هذا الباب رماه سكان القلعة بالنبال فأوقعوا به وأهلكوه ولذلك لا يدخل اليها إلا برضا أصحابها ويمكن أن نعود اليها بعد فراغنا من قتال الشاه سرور وطومار قال ان الامر لا يحتاج إلى التأخير وسوف ترى كيف أهدمها بوقت قريب ثم أطلق لجواده العنان فتبعه المقدمون والفرسان يقصدون القلعة الجميلة ولازالوا الى ان قربوا منها فى منتصف النهار فنزلوا بقرب منها وإذ ذاك جد فيروزشاه بالقرطاس وكتب كتابا الى طوعان محافظ القلعة يقول له فيه اعلم انى أنا فيروزشاه بن الملك داراب قد عدت من بلاد ابروخ ظافرا منصورا ورجعت للانتقام من الشاه سرور والشاه طرق ملعون بن صوار الرجى فأسر بعضهم وقتل بعضا وأرسلتهم الى ... لتحافظ عليهم خوفا من ان يخلصوا وسرعت الى منتصف الطريق وخلصت فرسان وبهلوانية بلادى بعد ان قبلت تمتم وتمتمة ومن معهما من الفرسان وسرت بعد ذلك لى هذه القلعة لأستلمها منك فاذا سلمتنى إياها كان لك الخير العظيم والاكرام الجزيل وإلا أنزلت بك البلا وأنت تعلم عظم اقتدارى وتسمع بعلو همتى ولك برهان قاطع ما أوصلت الى قاطر وقطير قبل ان دخلت بلادكم ولم تحمهما من هذه القلعة فالحذر من الممانعة بل عجل حال وصول تحريرى هذا اليك بادر الى الاجابه وارضى بخدمتى تجد

هي ما يرضيك ويسرك . ولما فرغ من التحرير سلمه الى مهرور وقال له عجل بالجواب وانظر في امر القلعة ومن اين يمكننا الوصول الى داخلها وكيف نقدر ان نستلمها اذا امتنع طوغان عن تسليمها . قال سمعا وطاعة وانطلق حتى وقف على باب القلعة فطرقه وصاح على من داخلها بان يفتحوا بابها ووقف ينتظر الجواب واذا فتحت نافذة من اعاليها وطل رجل وسأل مهرورا عما يريد قال بيدي تحرير من فيروزشاه ابن الملك ضاراب إلى الأمير طوغان واريد ان اسلمه اياه بيده وارجع منه بالجواب قال ان الباب لا يمكن فتحه ولا نقدر على ان ندخل القلعة وانما نرسل اليك خيطا من هذه النافذة فاربط به التحرير ومثل ذلك نفعل بالجواب قال مهرور ان سيدي امرني ان اسلمه اياه بيده قال ندعوه لك فتسلمه اياه من هذه النافذة ولا تطمع قط بفتح الباب ولما وجدوا لا سبيل الى الدخول طلب ان يرسل اليه خيطا كما تقدم فدلوا له الخيط وربط به التحرير فرفعوه الى فوق واخذوه الى طوغان ففضه وعرف معانيه وقال اظن فيروزشاه ان القلعة تسلم اليه بالوعد والوعيد واني ساظهر مقداما اذا سمع تهديده ألا يعلم انه لو جاء بكل عساكر ايران وفرسانها لامتنعت عليهم القلعة ولا قدروا ان يستلموها ثم كتب الجواب يقول فيه ان لا سبيل الى تسليم القلعة الا بامر من الشاه سرور فانه اوصاني بالحفظ عليها كثيرا وان لا افتح ابوابها لاحد من اهل اليمن فكم بالحري لاعداء دولتنا فلا رجاء لكم بذلك ولا اخون سيدي واني ادافع وامانع حتى الموت ثم ختم التحرير وبعثه بالخيط الى الاسفل فاستلمه مهرور وعاد

انتهى الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع

الجزء التاسع

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

إلى أن وقف بين يدي سيده فدفعه له فأخذه منه وقرأه وإذا به الامتناع عن التسليم فتكدر من ذلك وقال لفهروز ألا رأيت طريقاً للدخول إليها قال بلى يا سيدي فإني أمعنت الفكرة كثيراً وطفت حولها مراراً فلم أر سبيلاً واحداً صعباً وهو أني وجدت في أعالي القلعة نافذة صغيرة مدورة مشبكة بالحديد وتحتها شجرة كبيرة عالية إنما توصل إلى نصف المسافة بين الأرض والنافذة فعرفت أني إذا تسلقت أعلى الشجرة أقدر أن أرمي الكلاليب إلى النافذة فتلحق بها وتعلق في حديدها وبذلك أنصب سلماً من الأرض إلى النافذة غير أنه لا يمكن أن يدخل منها إلا أنا وأنت فقط ومتى دخلنا أسرع أنا إلى فتح الباب فيدخل بقية الفرسان بينما تكون مشتغلاً بالمدافعة فقال أسرع بالعمل ودبر السلم فأخذ فهروز في تهيئة سلم من الحبال طويل يمكن نصبه من الأرض إلى النافذة وربطه بالكلاليب وصبروا إلى أن قدم الليل واشتد ظلامه فقدموا لجهة القلعة وكان ميمون قد رجع من النهار إلى الجيش وجاء به إلى القلعة وسار فيروزشاه وفهروز إلى الشجرة المذكورة فتسلقها فهروز وصار في أعلاها ونظر إلى النافذة وأحكم وقوفه إلى جهتها ورمى بالكلاليب فأصابت حديد النافذة وتملكت فيها فقبض بالحبال وشدها فوجدها ثابتة فعلم أنها قد تشبكت جيداً بالنافذة فأخذ حبال السلم وربطها وسحبها ببكرة معلقة أعلى الكلاليب ثم شد حبل الكلاليب إلى الشجرة وسقط إلى الأسفل وقال لسيده إن الأمر قد قضي على أتم ما يرام فاسع على هذا السلم ثم صعد على السلم وتبعه فيروزشاه ولا زالا يتدرجان سلم الحبال إلى أن قربا من الوصول إلى النافذة وإذ ذاك وقف فهروز وأوقف سيده وقال أصبر لنرى إذا كان عند النافذة أحد فنخاف من أن يغدروا بنا إذا شاهدوا رؤوسنا قد طلت ثم أخذ قبعته فوضعها على خنجره ورفعه في يده حتى أوصله إلى جهة النافذة ورفعه وأنزله مراراً دون أن يرى حركة فقال لا خوف إذاً ثم تمسك بحديد النافذة واخترط سيفه المجرد فقطع الحديد وفتح لهما طريقاً للدخول فدخل وقفز إلى أرض الغرفة وفعل مثله فيروزشاه وإذ ذاك أخذا في الدخول وأشغلا الصياح في القلعة لما شاهدا أن القوم قد احتاروا فيهما ولا سيما طوغان فإنه سمع الصياح وسأل عن الخبر فقيل له إن الأعداء دخلوا القلعة فتعجب ولم يعلم من أين دخلوا فأخذ سيفه وخرج من غرفته فوجد فيروزشاه ينادي باسمه ويضرب بالفرسان ويبددهم في الأرض وفهروز يسير من أمامه ساحباً بيده خنجراً وكل من وقع بطريقه ألقاه بضربة في صدره وهما يسيران إلى جهة الباب بغير قصدها وكانت القلعة واسعة وقد علق بجدرانها مصابيح كثيرة فوقع الخلل على فيروزشاه وطاب له القتال فاخترق الصفوف وقطع الرؤوس وشرد النفوس فعارضه في طريقه طوغان وظن أنه ينال منه مراماً ولا يعلم

أن فيروزشاه لا تثبت أمامه الجبال الراسيات وما حال معه إلا القليل حتى شعر أن سيفه يخترق صدره فوقع إلى الارض قتيلا وكان أكثر العسكر فى الطبقة السفلى ولما وصل بهروز إلى الباب فتحه فاندفعت الفرسان الى الداخل وأسرع من لمح البصر أهلكوا من كان باقيا داخلها وهنأوا فيروز شاه بسلامته لانه خاطر بنفسه بصعوده وحده على ذلك السلم ثم قال فيلزور الآن قد ملكنا القلعة فابعد عنايتك فيها ودعنا نرجع إلى الجيش فان أباك فى حالة يصعب شرحها ولاسيما بعد علمه بارسالنا الى هذه الجهة ولاريب أنه إذا علم بقدومك وشاهدك تفرح عليه الحال ويفرح مزيد الفرح فهو من أجلك على مقالى النار قال صدقت فانى أرغب فى السرعة مثلكم ثم أمر الفرسان ان تخرج من القلعة كل ماهو ثمين فيها ففعلوا ثم أمر أن تهدمها العساكر فاقتحموها بالفعدان وداروا بها من كل جهة وفيروزشاه وفيلزور وبقية البهلوانية يفعلون كفعلهم فانهم ماصبروا حائطا إلا ودمروه إلى أسفله ودام عمله العساكر فى القلعة الى ان أشرق الصباح فأصبحت خرابا لا حجر فيها فوق حجر فسروا من ذلك وشكروا الله على نوال غايتهم وبعد ان استراحوا وأكلوا شيئا من الزاد نهضوا وساروا الى جهة العساكر وهم يطلبون سرعة الوصول وفى أثناء مسيرهم وقف فيروزشاه وأطرق الى الارض فسأله فرخزاد وفيلزور عن السبب فقال على ان أصل أبى وخوادى الكمين فى المدينة قال فرخزاد ان خوادك لا ريب عند عين الحياة حيث أوصتها ان تطلبه من أبيها وتبقيه عندها ولذلك يصعب الوصول اليه ويمكنك بعد وصولنا الى حضرة أبيك ان ترسل أحد العيارين فيطلبه منها ويأتيك به قال لا بد لى من أن اذا نلت أبى على ظهره فان ذلك مما يسره ولا أريد أن أقاتل طوماروانا على غيره ولذلك سأعرج لجهة المدينة فاما ان تنظرونى هنا واما ان تسيرون امامى وتتقدمون فلللا وانا آتيكم من أن تدخلوا الجيش قبل ان اعود اليكم فقال فرخزاد اذا كنت لا ترعوى عن عزمك فانى اسير برفقتك ونصحب معنا بهروزا ولما اتفقوا على ذلك سار فيروز شاه ورفقاه الى جهة المدينة وفيلزور قام بانتظارهم على أمل ان يسير واياهم الى الجيش باحتفال وعظمة ولا زالوا سائرين حتى قربوا من ابواب المدينة فشاهدوا جثث الفرسان على ذلك البساط تحوم عليها البوم والغربان فقال فيروزشاه لا ريب ان القتال كان واقع هنا عندما كان الظفر بيد الاعجام وأما الآن فقد تأخروا وتقدم اليمنيون ولا بد لى من ان اعيدهم الى داخل المدينة بذل وانكسار وهذا أكبر دليل على انكسار قومنا ثم تقدموا مسرعين لجهة المدينة وقبل ان يدخلوا فى احدى أبوابها وجدوا رجلا من اهالى اليمن خارجا بها يقود حلقه الكمين وهو مسرج بسرجه الذهبى المرصع بالجواهر فلما رآه فيروزشاه انعطف قلبه اليه

وانقض عليه على غير وعى لأنه كان يحبه حدا ولم ير جوادا نظيره فى كل سفرته وتقدم من الرجل وسأله إلى أين يقود هذا الجواد قال انه كان عند ستى عين الحياة من قديم ففى هذا اليوم دعتنى اليها وقالت اريد منك أن توصل هذا الجواد الى أبى وقل له ان بنتك تذكرت أنه يلزمك أثناء الحرب فلا بد أن يركبه أحد فرسانك الشداد فيقاتل عليه وهو يعين راكبه على البراز لأنه نادر الوجود فى هذا الزمان قال فيروز شاه دعه عنك وارجع الى سيدتك وقل لها ان صاحب الجواد قد أخذه فكونى براحتك وهو يشكرك على حفظك اياه الى حين اياب فنظر اليه الرجل وأحدق به وهو مرتاب فى امره وقال له كيف أتخلى لك عن الجواد وستى قد أمرتنى أن أسلمه الى أبيها قال لا تفيدك الممانعة ولا تجديك نفعا فارجع واخبر عين الحياة بما رأيت ولا ريب فى أنها تسر منك وتجازيك بالخير والانعام والا اذا مانعت أخذته بالرغم عنك وربما فقدت حياتك لأجله فلما سمع الرجل كلامه خاف على نفسه فقال له خذه يا سيدى انما اعلمنى عن اسمك قال اسمى صاحب الجواد والصور ثم أخذ فيروزشاه قصبة من الذهب ودفعها الى الرجل وأوصاه بأن يهدى عين الحياة سلامه ويقول لها انه سيقاتل عليه كما أمرت وبعيد النصر الى أهله ويقبض طينته أينما كانت فرجع الرجل وسار فيروزشاه وهو يشكر الله على الهامه بالمسير الى أخذ جواده وفيما هو يفكر بعين الحياة وقد استحسن عملها قال له فرحوزاد ألا رأيت يا مولاى فعل عين الحياة فلم يكن فى عهدى أنها تحولك وقد صدق من قال ان النساء قليلات الأمانة قال لا أعهد فيك الغباوة الى هذا الحد فما عين الحياة الا حكيمة عاقلة خبيرة مع أنك تعلمت معى عند أستاذ واحد فكان من اللازم أن تدرك معنى بعث الجواد من أول سماعك كلام الرجل قال لم أدرك الا أن عين الحياة قد بعثت بالجواد الى أبيها ليستعين به على قتال أبيك مع أنك أوصيتها بالمحافظة عليه وان تبقه عندها الى حين رجوعك فكان من الواجب اذا كانت قطعت الرجاء منك أن ترسله الى أبيك ولا تسلمه الى عدوك وان كان أبيها قال لو كان فى زعم عين الحياة كما زعمت لسلمت الكمين الى أبيها من مدة القتال غير أنها حافظت عليه الا حين علمها بوصولى وتأكد عندها أنى سأقاتل فى جيشى بعثت بالجواد الى معسكر أبيها لعلمها أنى اذا رأيته لا أتخلى عنه بل اقتل كل من يملكه واخلصه منه ولو كان دونه الوف الوف من الفرسان وقصدت بذلك وصوله الى بهذه الطريقة وهى عين الصواب ولم يكن الا القليل حتى التقوا بفيلزور والعساكر وساروا جميعا نحو ساحة القتال وفيروزشاه فى وسط القوم تحت الرايات والأعلام تحدق به الفرسان من كل جهة ومن تحته جواده الكمين يرمح بجواهر كأنها النجوم ومن حوله فرحوزاد وأبوه فيلزور وكانا فرحين بلقائهما غاية الفرح والسرور وهما الى جانب بعضهما .

فهذا ما كان من هؤلاء. ولنرجع الى حديث عين الحياة لأننا ذكرنا كثيرا ما كانت تلاقي بعد حبيبها وما وصل اليها من الحزن حتى نحل جسمها وخارت قواها ولم يكن احد يعلم سببا لذلك غير هي وقهرماناتها اسبا وبنت قهرمان شاشريمه اللتين كانتا ملازمتاها في كل الأوقات وتسلياتها عن مصائبها وكان ابوها يعلم شيئا من ذلك غير انه كان لا يحب ان يظهره املا ان تتسلى نفسه وتترك ما هي عليه مع طول الايام خوفا من توبيخات ضميره بغدره بفيروزشاه ورفيقه وقد صرف جهده الى تسليتها وتعزيتها بالملاهي وعرض عليها السفر مرارا وهي تمتنع وتدعي ان مرضا داخلها لا يمكنها من السفر والتنقل من مكان الى مكان ولما وقعت الحرب بين ابيها والملك صاراب خرج ابوها ولم يعد الى المدينة انما كان يرسل دائما بالسؤال عن صحتها ويخبرها بالنصر الذي ناله بواسطة طومار الزنجي فكانت تتكدر من كل هذه الحوادث ولا ترغب في نجاح طومار

فذات يوم بينما كانت جالسة في غرفتها وبين يديها قهرماناتها وبنتها تعزيانها وتسألانها ترك البكاء والحزن وهي لا تزيد الا نوحا وتعدادا وقد قالت لهما كيف لا ابكي الم اخسر حبي فيروزشاه خسارة لا ترد بعد ان وصل الى يدي واملت قربه حتى على الدوام او كيف لا انوح وأنا التي كنت السبب في وقوع المصائب عليه لاني لم اتصرف تصرف العقلاء. ولو لم اقتل ذاك العبد على السطح لما جرى ما قد جرى ولا اطلع احد على حبنا ولا عرف به وهو داخل قصري بالقرب مني اوليس لاجل صوني من اللئام وخوفا من وقوعي بيد هولك او الشاه زور فعل ما فعل وصانني من السبي ومنع عني الخراب فاتنج فعله هذا وقوع العداوة بين طومار وهولك وبينه او كيف لا اقتل نفسي وانا التي جررت كل هذه العساكر الى الحرب حتى كاد يهلك اكثرها ومع كل ذلك لم يكن من سبيل الى الوقوف على خبر من جهة الحبيب يجعلني ان اعلق الامل برجوعه او بالحرى اسمع خبرا عن حياته وفيما هي على مثل ذلك واذ دخل عليها رسول ابيها خيرها بالسلام وقال لها ان اباك قد بعثني لاخبرك ان طومار قد اسر فيلزور البهلوان وعول على قتله في هذا اليوم ولذلك لم نعد من رجاء للأعداء وفي الغد او بعده يجلون عن هذه الديار وهم اذلاء مقهورون وتنهب عساكر اليمن والزنوج اموالهم وامتعتهم ولا تعود بعد ذلك تقوم لهم قائمة وما فرغ الرسول من كلامه حتى شعرت بانسحاب روحها من جسدها واشارت الى الرسول ان يذهب فذهب وعند ذهابه مزقت ثيابها ولطمت على خدودها وكادت ان تقتل نفسها وصاحت واخيبة الرجاء وقطع الامل كيف عاد من الممكن ان يرجع السلام بين هذين الدولتين وهل اذا قتل فيلزور سكت الملك صاراب عن الاخذ بثأره او هل اذا عاد فيروزشاه

وفرخوزاد وعلما بقتل فيلرور بصمران عن قبل أبي فالآن قد اشتدت العداوة واتسع خرق الخصام ولم يعد من أمل للصلح وبينما هي مثل تلك الحالة تندب حظها وتذم الزمان وتطلب الموت لتلحق بمن سبقها وإذا بأحد جندها وقد وقف بين يديها وقال لها اني أتيتك بخبر جديد قد وقع بين عساكرنا مما أضعف حالة الجيش ورماه بارتباك لم يكن بعده ارتباك فالتفت اليه بأذنيها وانفتحت علائق قلبها على غير قصد وشعرت كأن قواها قد تجددت وسرى في جسدها سارى روح جديدة منعشة وقالت له ما وراءك من الأخبار وماذا جرى في الجيش قال ان سيدي كان قد عزم على قتل فيلرور عندما أسره طومار وبينما الجلاد يدور من حواليه وإذا برجل عيار من عياري العجم لطم الجلاد لطمة قوية ألقاه إلى الأرض وأخرج من جيبه كتابا دفعه إلى أبيك مكتوب عند عنوانه أن يقرأ علنا بصوت عال مسموع من كل من حضر وقد رأيت العجب في بادىء الأمر فان أباك لما أخذ الكتاب اصفر وجهه ورجفت يداه وكذلك طيفور فقد أدركته رعشة عصبية كادت توقعه إلى الأرض قالت وما هو السبب لذلك قال هو لما نظروا على ظهر التحرير ختم فيروزشاه ابن الملك ضاراب ولما سمعت عين الحياة بذكر فيروز شاه وانه بعث بتحرير إلى أبيها لم تعد في وسعها أن تتمالك نفسها فوقعت إلى الأرض وغابت عن الوعي وحكمها نوبة قوية من تأثيرات الفرح كادت تذهب بحياتها لولم تداركها قهرماناتها اسمًا وتسكب ماء الزهر على وجهها وتضع في أنفها المشمومات وتسقيها من المنعشات والمرطبات ودامت أكثر من ساعة والخادم ينظر ولا يعلم لذلك سببا وقد ظن أن ذلك كان من ضعف جسمها وربما تكره مجيء فيروز شاه خوفا على أبيها منه لانه عدوه الالد

ولما انتبهت لنفسها وهدأ بالها وعادت الى حالتها الاولى التفتت إلى الخادم وقالت له انه حدثك فاني لا أعلم سببا لما أصابني قال يا سيدتي كفاك ما جرى عليك وأخاف أن يزيد عليك الحال أكثر من ذلك لان فيروزشاه تخلص من الاعداء وجاء قالت اخبرني بما حواه الكتاب مفصلا فلا خوف علي بعد وقد انفتح في جسمها ألوف من الآذان والأعين فقال لها لو كنت أعلم يا سيدتي أن هذا الخبر اذا وقع عليك بعثة يأتي لك بهذه الحالة لما خبرت أن أتيه دفعة واحدة وأما ما تضمنه التحرير أن فيروز شاه قد تخلص من السحر وأطلق سبيله فقتل هوربك وكل عاص في بلاده وقتل أيضا صفراء الساحرة وقطران شاه وإبران شاه وملك على كل جزائر الزنوج وأقام حاكما من قبله على جزيرة الطور وجاء بخمسة وعشرين ألف فارس من الزنوج منقادون لأمره وهو يأمر أباك أن يخرج الى ملاقاته فيسامحه عما كان قد أساء اليه وأن أبي يتهدده بالخراب والقلعان ولما سمع أبوك ما في التحرير أخر قتل

أسرى الأعجام وقر رأيهم على أن يبعثوهم إلى القلعة الجبلية ولذلك رجعت اليك أخبرك به قالت أصبت باتيانك إلى فانى أرغب فى كل دقيقة أن أعرف ماذا يجرى على ابنى وما يكون له مع فيروزشاه لعلمى أنه من أشد الابطال وأنى لا ينال بوجوده غرضا فعد أنت إلى الجيش وعد إلى عند سماعك الأخبار الجديدة أى بعد وقوع الحرب بينهما من أسر أو قتل فعد وأخبرنى به ثم أمرت له بجائزة وصرفته وأقامت بعده تصفق من الفرح والمسرة وقد عادت إليها قوتها وشعرت بلذة المعيشة وطلبت نفسها شرب الخمر . فقالت لقهرمانتها ان كان لك رجاء فى فاليوم هو لأنى لم أكن أسمع قبل الآن كلما تذكرينه لى حيث كنت لا أريد بعد حبيبى تعزية ولا أطلب سلوة ولم أسمع باسمه مرة إلا وتقطعت أحشائى وطلبت الموت تخلصا لمصائبى وكان اذ ذاك رجائى ضعيف جداً بحياته وأما الآن فقد رفعت عنى أثقال تلك الأوجاع فجاء جسمى صحيح لم يكن به ما يشتكيه وها قواى قد تجددت وقلبى مملوء من الفرح والسرور فاحضرى لى الصور التى حضرتها من حين غيابه وضعى لى بواطى المدام ور قى صافى الخمور وأكثرى لى من ذكر حبيبى فيروز شاه فها قد عاد الى والسعد يخدمه وعما قريب ترى هذه الحرب قد انتهت اما بالصلح والسلام واما بالنصر له وسوف يقتل طومار الخبيث العاتى ويكون له الاسم الأول بين الفرسان

فما صدقت قهرمانتها أن سمعت منها هذا الكلام حتى أسرعت الى انفاذ مقاصدها وهى تشاركها بالفرح والمسرة لأنها كانت ترغب فى راحتها وهنائها كونها ربتها وصرفت حياتها بقربها وقد قدمتها على كل جواريها وخدمها وأعهدت اليها بسرها واتخذتها مشيرة لها ومدبرة لأحوالها وبأسرع من لمحة نظر أحضرت لها كل طلبها ووضعت الصور الثلاث بجانبها ودعت سيدتها وجلست على كرسيها وتناولت قدحا من الخمر فشربته وهى تكاد لا تعرف نفسها فى يقظة أم فى منام وأنشدت

أيا قمرا من وجهه طلعة البدر ... ويا رشاء من لحظه صنعة السحر
حكيت القنا والبيض لحظا وقامة ... فمن أجل ذا ارتاح للبيض والسمر
وحقك لولا البدر يحكيك طلعة ... لما طمحت عينى الى رؤية البدر
ولولم يكن للخمر فى فيك نسبة ... لما كنت أصبو عند ذكراك للخمر
فيا نازحا عن مقلتى وهو حاضر ... بقلبى لقد افرطت فى الصد والهجر
ويا فاتكا عيناه قد طلتا دمى ... واسلمتا قلبى الى نوب الدهر
ترفق بطرف دمعه فيك مطلق ... وقلب من الأشواق فى اوثق الأسر

وشربت من الخمر ما كثر مقداره وفى كل دقيقة ترمى بنفسها على الصور وتقبلها وتمرغ بوجهها عليها وتضمها الى صدرها وقد طاب لها الوقت ولذ لها المدام وسهل لديها

تذكر حبيبها وأفرطت من كثرة ما رددت من الأشعار التي منها

ولي من الاشواق لاهب   والدمع من عيني د رف
أبكي ودمعي لم يزل   أحدا بحالي غير عارف
لولا المحبة يا رفيق   لم يلن قلبي لعاطف
ارعى الحرم ولي فؤاد   من دواعي البين خائف
أصبوا إذا عني على   أعلى غصون الدوح هاتف
ويشوقني برق بدا   من جانب الاحباب خاطف
فوحق اغصان القد د   ولين هاتيك المعاطف
وصباح مبيض الجبين   ن وليل مسود السوالف
ولواحظ فتاكة   في حبها هاروت عاكف
ومراشف معسولة   يا حبذا تلك المراشف
ومواقف الدل التي   عرفتني دل المواقف
أشكو الغرام وارتجي   من مثلي حسن العواطف
ما حلت عنك وليس يصـ   ـرفني من الاشواق صارف
وإذا أسأت فإنها   عندي تعد من اللطائف
سقى الاله زماننا   ورعى لياليا السوالف
أيام كنت لعاذلي   وللائمي فيها أخالف

ومنها تشكو ثقل البعاد وتتأوه عن حرقة فؤاد

فؤادي أبى إلا التوسع في الحب   ولم يرض بعد البين يسكن في جنبي
وطرف قريح جفنه قاطع الكرى   وواصله دمع يفوق حيا السحب
تساعد قلبي في تلاقي وناظري   فحد لي حقي مهما أنت يا ربي
فطرفي إذا ما رمت امساك دمعة   يزيد على خدي كما على سكب
وقلبي طالت منه الصبر فجاءني   فما للهوى ذنب إذا جاني قلبي

وكان كثر تناشد الأشعار يزيدها من شرب الخمر وهي لا تشعر بشمول ولا ترى في الرجوع عنه صوابا وقد غاب عن ذهنها كل ما مر عليها من الاحزان والاكدار ولم ترد أن تتذكر هاتيك التذكرات المؤلمة ولم تعد ترى في حالتها الحاضرة وفي مستقبل تعد نفسها به وتزحزحه عن قرب وهي لا تدري من دون ذلك من المصاعب بل كان كلما يخطر على بالها من المزايا قد زالت التجارب قد انتهت وتقلبات الدهر قد استوت وجاءت الايام تعبها حتى الهناء وتصالحها بالاجتماع بحبيبها عما جنته صدها قبل ذلك من خبايا التفريق والتباعد فكان يلوح لها من خلال تلك الاوهام قوام

فيروز شاه وهو يدنو منها بقدم ثابت وعزم جرى وهو ينظر اليها بعين مملوءة من الحنو ويبسم أمامها عن ثغر يفتر عن شنب بقوام يزرى بالاغصان وجبين ساطع أشرق بعض نوره النيران ووجه يتدفق شموخ المحاسن فيطفو عليه من الجواذب ما يذهب بعقل كل إنسان وكان ذلك يشغلها ولا ترى غيره أمام عينيها وقد رأته بعين التصور إذ ذاك ربما يتجلى عليها من سماء اللطف والكمال ويتقلب على بسط الجمال فى سائر الأحوال وكان لسان فكرها يناديه بقولها

هاتها هات نصطبح يا نديم قد تناهت خطوبنا والهموم
ليس تنفى الهموم غير شمول كم حساها فأبرأته سقيم
هى شمس والهم ليل وليس الـ ـليل والشمس فى الوجود يدوم
علنا نقطع الزمان سكارى لا نبالى بما جرى يا نديم
فلنا أسوة بهذه البرايا كيف تخشى البلاء وهو عميم
انما الأمر للاله تعالى وهو بر بالعالمين رحيم
ما لنا والحزن نحن أناس ما لنا طاقة لشىء يضيم
همنا شرب الطلا وهوانا من قديم هذا الشراب القديم
اترك الناس فى يصبر ويجرى ويجوا ويقعدوا و يقوموا
واسقنيها واشرب ثلاثا ثلاثا هكذا حكمها وأنت حكيم
لا تصل بالصبوح غير غبوق وتجنب فى شربها من يلوم
ان كل الحياة كأس مدار ونديم حلو وساق كريم

وكانت هذه حالة عين الحياة كل ذلك النهار وذلك الليل بطوله ولم تنم إلا فى صباح اليوم الثانى ودامت فى نومها إلى ما بعد العصر ثم قامت وأمرت بتجديد حضرة المدام وأن تؤتى إليها بالصور وأقامت بينها إلى آخر الليل وهى فى بحر من اللذة لا يعرف مقدار عمقه وعليها من حلل البهاء ما لا يلى بيد الأقدار وقد أعاد اليها بهاؤها ورونقها وبهاءها فكأنها لم تقاسى ما قاسته ولا لاقت شيئا من كل ما تقدم حدوثه أثناء غياب فيروز شاه وقد سرت من حالتها هذه أسما وشريفة وقالت لها أسما كنت أخاف عليك من جرى التحول الذى كنت واقعة فيه أن يصل بك اشده الحزن إلى درجة لا تمكنك من العود إلى سابق حالك ولا بزمان طويل فالآن أراك قد رددت عما قبل ولبست حلل الجمال الفائق واسترجعت بيوم واحد من حسنك البديع كل ما كان قد سلب منك أثناء أحزانك الطويلة قالت أتعجبين من ذلك مع أنك تعلمين أن ذكرى حبيبى بالخير تعيد إلى الحياة ولو فقدتها فلو كنت مدرجة بالاكفان وبالية العظام وذكر فيروز شاه عند مسمع من عظامى البالية لمعنى وهذا مشهور ومسوق

قوله من كثير من العاشقين والعاشقات الآن هي أدنى درجة بالحب مني وأقل وداداً أيضا وأضعف ميلا إلى الأحباء من ميلي قالت لها ان الله قد جاء بالفرج بعد الضيق وقرب يوم التلاقي واسأله تعالى أن لا يجد مانع يمنع اجتماعك ويسهل نهاية هذه الحرب التي ربما تأتي بعاقبة مشؤمة بجهلها قالت انى لا أعد أفكر مهما كانت العواقب ثقيلة بشرط أن تكون بعيدة عن فيروزشاه وأن يكون سليما منها فما زلت اسمع أنه بخير وانه على حبه باق لا يتغير أومل نهاية المصائب مهما كانت تقلباتها حسبه موافقه لي ومن المؤكد عندي أنه محبوب من الصدف موفق من الزمان لا تقدر ضرباته مهما كانت ثقيلة أن تؤثر فيه وأي خطر يمكن أن يكون بعد أعظم من الأخطار التي وقعت عليه وقد تخلص منها إلا سمعت قول الخادم أنه قتل صفراء الساحرة بعد ان وقع في أسرها ومن يظن أن مثل هذه الساحرة تغلب أو تقهر فمن خدمته الليالي وسالمته الأيام لا يخاف عليه من شيء ولا يرجى له غير الخير ولا يصيبه ضر ولو لم يكن الله قد كتب لي نصيبا عليه لما تمكن جسا من بعضنا هذا التمكن ونحن بعيدان لم ير أحدنا الآخر أليس ذلك كان من فعل العناية وإرادتها فاعتبرى بعناية الله وصدقي أن كل ما أقوله هو عين الحكمة والاصابة

ودامت في أطيب سرور وحبور بين شرب عقار ومشاهدة أشعار إلى اليوم الثالث وفيه جلست كعادتها ومن حولها الصور تنظر فيها وتتأمل في معانيها وإذ خطر في ذهنها أن فيروز شاه يكون قد وصل إلى معسكر أبيه ولا بد أن يكون مكدر الخاطر لأجل جواده الكميت فقالت لقهرمانتها قد غاب عنا في مدة هذه الأيام التي مضت علينا أن ننظر في أمر يرضى به فيروز شاه ويسرنا ويحمدنا عليه قالت وأى شيء فاتنا . قالت كان من اللازم أن نسعى في إيصال الجواد اليه لانه لابد أن يكون على مقالى النار من جرى ذلك ولا يعلم ماذا جرى على جواده ولا نعرف ان كان أبي سلمى إياه أو لا يزال عنده ولا سيما هو مزمع أن يقاتل رجلا جباراً وهو طومار على فيله فاذا لم يكن تحته جواد قوى كجواده النادر المثال لا تؤمل نجاحه قالت وأى طريقة يمكننا أن نستعملها لذلك أفي وسعنا أن نرسل الجواد إلى معسكر الأعداء ونسلمه إلى صاحبه مع خدمنا أو أحد رجالنا فذلك نلبس من العار ثوباً من العار لا تمحى وتحكي الناس بحقنا بما يفضح وتقول الناس انك منحت أ ك لأجل هواك وأنت على يقين من انقياد أبيك إلى طيمور واذا علمه ذلك لا تخلص من شره ولا لومه فيمنعك أبوك كل المنع من الوصول إلى غايتك وربما أبعدك إلى غير هذه البلاد فضعف بذلك حبك لفيروز شاه ونمته كمدا وينتقم منه باحتمائك عنه وليس عندنا من أصحاب فيروزشاه من يقدر أن يذهب اليه بهذا الجواد دون أن يشيع خبر دخلك بذلك واطلاعك

عليه فاقلعي إذاً عن هذا العزم ولا تسعى إلى الفضيحة وتركى الخطاء قالت انى سأرسل الجواد بطريقة تحولى شرفا وناموسا وتمنع عنى كلما تذكريه وذلك انى عزمت على أن أرسل الجواد إلى أبى مع أحد خدمى وأرسل إليه كلاما يقول له علنا فيعلم الجميع براءتى من هذه التهمة وهو أن تقول له ان ابنتك عين الحياة لما كانت فى شاغل من نحوك وكان همها الوحيد انتصارك على العدو تذكرت هذا الجواد وعلمت أنه لا يفيدها شيء وربما سمعك أثناء القتال فتركبه أو يركبه بعض الفرسان المشاهير فتنجو به من الموت لأنه يسبق ولا يسبق وتساعد راكبه وقت الحرب على الجولان لأنه سريع الحركات طالب الجرى فاذا بلغ أبى ذلك يحمدنى ويشكرنى . قالت وعادا نستفيد من ذلك فاحد أبيك الجواد يحيط فيروزشاه ويقلل أمله منك إذا عرف بارسالك الجواد لنستعين به عليهم قالت انى أعهد أنه من الحكمة والتبصر على جانب عظيم فاذا علم بذلك يعرف أن حزن قصدى أن يرجع اليه لأنه إذا رآه فى الميدان لا يقعد عن الوصول إليه ولو كان دونه كل عساكر أبى وألف طومار على انى مؤكدة أن أبى يدفعه إلى بعض القواد ليبارز عليه ويقاتل فيخلصه منه وغير ذلك لا رجاء لنا ثم انها دعت بالسائس فأمرته أن يمسح الجواد جيدا ويلبسه عدته الخصوصية ويسرجه بسرجه الذهبى ففعل حتى صار كأنه الكوكب اللامع وأتى به اليها فأعجبها عمله ودعت بأحد خدمها وقالت له أريدك أن تذهب إلى أبى بهذا الجواد وتقول له ما هو كذا كذا فاذا أوصلته اليه أكرمتك غاية الاكرام فأخذ الجواد منها وسار عنها قاصدا الشاه سرور إلا أنه عندما خرج من باب المدينة عارضه فيروزشاه كما تقدم الكلام وأخذ منه الكميت وأرجعه الى سيدته وكانت لا تزال فى مكانها وهى مسرورة بعملها وتطلب أن يصل الجواد إلى صاحبه وإذا بالخادم قد عاد اليها فخفق قلبها لما رأته قد عاد على عجل قبل أن يصل إلى أبيها وليس معه الجواد فقالت له أين الجواد وكيف عدت بالساعة قال ياسيدتى انى ما خرجت عن المدينة إلا قليلا حتى لاقانى ثلاثة أنفار عند باب المدينة نزعوا منى الجواد والرغم عنى فقصدت المقاومة فتهددونى بالهلاك إذا مانعت وقال لى أحدهم اذهب إلى سيدتك واخبرها ان الجواد قد رجع إلى صاحبه فارتعش من ذلك قلب عين الحياة وشغل بالها إلا أنها أظهرت الجلد فقالت للخادم كيف يكون قد أخذ الجواد صاحبه وهذا الجواد جواد أبى فمن هم هؤلاء الأنفار وما هى صفاتهم قال يا سيدتى ان اثنين منهما كانا يركبان على فرسين والآخر يمشى على قدميه بين يديهما وما أظنه إلا من عيارى الأعداء لأن ملابسهم جميعا كملابس الأعجام فأحدهما أبيض الوجه واسع الطلعة يشبه تقريبا ملوك الخواجة بان إلا أنه مغبر معفر يظهر أنه آت من أسفار بعيدة والثانى يكاد يشبهه تقريبا

وأما الرجل الماشي فهو أحمر الوجه واسع العينين رقيق الرجلين دقيقهما مع أنه كبير الجسم وقد شاهدت منه بعد أن ركب الجواد الذي أخذه مني وأطلق له العنان أنه يسبقه في الجري والسرعة ولذلك لم أقدر المتابعة وأرجوك المعذرة يا سيدتي فان لا سلاح بيدي لأدافع عنه فلو تكلمت بكلمة أخرى لهلكت وأخذوا الجواد بالرغم فلما سمعت منه هذا الكلام تأكد عندها أن الذي أخذ الجواد هو فيروز شاه وقد كان قصد المجيء اليها ليأخذه منها بالحيلة أو بأي طريقة كانت فطفح السرور على قلبها وكادت الدنيا لا تسعها من عظم الفرح وقالت لخادمها ألم يقل لك غير هذا الكلام قال بلى ياسيدتي فانه قال لي ان عين الحياة لا تؤذيك إذا أخبرتها بأن الجواد سلم إلى صاحبه وأنه سيقاتل عليه انقيادا إلى أمرك ويقتص طيبته أينما كانت فلم أفهم شيئا من ذلك ولا علمت الا أنه كذاب وقصد أخذ الجواد فزاد فرح عين الحياة وقالت للرجل اذهب إلى مكانك فان الحق علي حيث لم أرسل الجواد مع كثير من خدمي ويكون جميعهم مسلحون الا انني ما حسبت حساب الأعداء أن يكونوا عند أبواب المدينة وبعد أن ذهب الخادم رمت عين الحياة بنفسها على كرسي من الحرير محشو بريش النعام وهي في ابتهاج ومسرة وقد قالت لقهرمانتها ألا رأيت نجاح مساعينا فهل تنكرين بعد ذلك أن الله يدبرنا وأن الصدق تجد مسافاته لطرى كيف أن فيروزشاه جاء وقت بعثي للجواد مع اني كنت ألوم نفسي كيف قصرت إلى هذا اليوم عن بعثه مع اني كنت افكر انه كان من اللازم أن أبعثه من اليوم الأول فالحمد لله على بلوغ مقاصدي وأسأل الله النهاية إلى خير

فلنترك الآن عين الحياة في مزيد هناء وحبور تنكر وتحمر وتصبوا إلى الصور وتتعصب عليها وتقلبها وتصرف وقتها على ما تقدم جوها من تكدير صفائها ولنرجع بحديثنا إلى الملك ضاراب والشاه سرور أي إلى ساحة القتال كرنا قد تركنا هناك الآدمية تتدفق أنهرا ومددنا رواقا من الحزن على الايرانيين ونشرنا الوية من الفرح على اليمنيين والروبح والشاه سرور وطيفور وطومار في راحة ونعم بال وقد ثبت لديهم الفرح وتأكد عندهم النصر عندما قبضوا على فطرور الا انه تبدل ذلك بالخوف والاضطراب عند الشاه سرور وزيره ولما بلغهم قدوم فيروزشاه وكان طومار بعدهما بكل ما يريح بالهما وقد علما انه كبير أمل وباتا يومهما على أمل أن يصبحا إلى القتال إلى أن طومار قال اني أفكرت أن لا أحارب هذا النهار فاني عزمت أن أرتاح فيه وأي خوف يخافه أخاف من فيروز شاه وقد نظرتم بأعينكم فعلي بفطرور ورجاله فليطمئن بالكم وكونوا على يقين من ثبوت النصر لنا ومن كان مثلي لا يخاف من ألف رجل مثل فيروز شاه وفي الغد ان شاء الله نقضي الأحوال ونسير إلى العاصمة الجميلة

فنقتل من فيها وأنفرج عليها وأعود بعون النار وتركتها ناصرا مظفرا آخذا ثاري من عدوي . ولما مضى قسم من النهار ولم يخرج الهنديون إلى القتال تعجب الملك صاراب وقال لوزيره طيطلوس ان تأخر العدو عن القتال مما يظهر لنا أنه حدث فيهم حادث جديد أضعف منهم الآمال والا كانوا خرجوا إلينا في هذا النهار لفعلوا بنا العجائب لأن عسكري في تعب زائد وضعف وتراع بعد أن لاقى ما لاقى من الأهوال وشاهد بعينه أفعال طومار فوقع الرعب في قلبه وكاد يفقد كل قواه ولم يبق له رجاء إلا في وفي سيامك يا ليتهم يبقون أياما بلا قتال عسى يأتينا الله بالفرج ويكون قد ارتاح الجيش وسكن رعبه قال ان صح ظني تكون رجوع الأعداء عن القتال في هذا النهار هو من طومار لأنه تعب في اليوم الماضي من فلزور وقد رأيت منه ذلك ولو ثبت جواد فيلزور تحته لما تمكن من أسره غير أن الله أراد لنا هذا العذاب لغاية لا بد أن نعلمها فيما بعد

وصرفوا ذلك النهار وتلك الليلة وفي صباح اليوم الثاني نهض الملك صاراب باكر وجلس في صيوانه واجتمع عنده طيطلوس وسيامك ومن بقي من الفرسان وإذا أخبروا أن الأعداء ينهضون للقتال فأمر أن تنهض عساكره لملاقاتهم وقال لطيطلوس لا بد لي في هذا النهار أن أخرج الميدان وألاقي طومار وأكفي أمره وأفرج عن عساكري ورجالي فعارضه طيطلوس وقال له يا سيدي اني لا أقدر أوافقك على ذلك وأخاف عليك من طومار أن يغدر بك أو يلحق أذاه بذاتك لأنه يركب الفيل فما زلت أنت في الجيش فالجيش ثابت مهما تعب وهدمه وأما إذا اصبت بضر فالجيش يتفرق بالحال والساعة ويلحق بنا الخراب وربما نستعبد لهؤلاء الأعداء قال لا بد لي من كبح هذا الظالم العاتي فقد تجبر وظن بنفسه أن لا أحد بجيش الفرس يلقاه فمسك طيطلوس يده ورمى بنفسه عليه وهو يقبل يديه ويقسم عليه أن لا يفعل وبينما هما على مثل ذلك وإذا بجيوش الفرس تفر راجعة إلى الوراء وهي تصيح وتنادي الفرار ومن خلفها طومار الزنجي يضرب بعمده في أقفيتها لأنه ركب قبل أن تم انتظام الجيوش وعول على ان ينهي الأمر بنحو ساعة من الزمان فيهجم إلى صيوان الملك ويأخذه أسيرا ويذله بعد عزه فاقتحم الفرسان وصاح فيها فارتعبت وفرت من أمامه وما فيهم إلا من يعجل في الرجوع عن نظره حتى تفرق حرس الملك ولم يبق أمامه أحد ولما شاهد الملك أفعال طومار فعاله وقال لطيطلوس الا ترى هذا الخادع الغادر قد قصد الهجوم علي وأتاني صيرانى فلا بد لي من الانتقام ولم يبق في امكان الملك ان يصبر إلى أن يركب جواده بل صاح بصوت ارتجت منه تلك الوديان وحملت من عظمته اسود تلك الغابات وأخذ بيده دبوسه وهو

من الحديد ثقيل العيار فأداره بيده عدة دورات حتى تمكن من مقابلة طومار وحذفه نحوه بقدر الحال وريحها عن أما كنها فخرج الدبوس من يد الملك صاراب كأنه صاعقة فى اشتداد انقضاضها وأصاب صدر الفيل وفى الحال سمع له صوت قوى يدل على ألمه ووقع إلى الأرض من عظم الضربة وقد غاب عن الوعى كأن سهما قد اخترقه ولما سقط إلى الارض سقط طومار ونهض واقفا وعاد إلى الجيش وهو من الغضب فى مزيد عناء وقد أرهبته تلك الضربة وعجب من قوة زند الملك صاراب على أنه لو سقط حمل على فيله لما صرعه إلى الارض ولا أضعف من قواه وكان عنده فيلة أخر لاحمل ركبه قد احضرها خوفا من أنه إذا مات واحدا منها يركب غيره فأمر ان تقدم له فيل قوى معهود بالجرى وارتفاع وقد وقفت العساكر بأجمعها عن القتال لما رأت تلك الحال وحقق فاب الشاه سرور وقال لوزيره طيفور ألا رأيت إلى فعل الملك صاراب وكيف صرع الفيل عن بعد بضربة دبوس قد حذفه من يده ولو وقعت تلك الضربة على طومار لكانت أهلكته والقته قتيلا إلى الأرض فقبح الله الفرس فانهم فرسان أشداء لامثيل لهم فى هذا الزمان ولاريب أن الملك صاراب هو أشدهم بأسا وهو أعظم من فلزور وان فلى يخطر ببالى أننا سنخسر هذا الفوز ونرجع إلى الخيبة والفشل وذلك عندما يصل إلى الجيش فيرور شاه ابنه ومعه فرخوزاد وبقية الفرسان وكما ان جيش الفرس مرهب من طومار كذلك جيشنا مرهب من فيرور شاه قال لاخوف علينا من الخسارة فان النجاح ظاهر لأن طومار لو قابل الملك صاراب على مقربة منه لما مكنه من الوصول اليه وإلى فيله ولو وقعت الضربة مثل هذه الضربة عليه لما أثرت فيه لأنه يلقاها بطارقته ويمنع عنه قوتها ويضعفها بعرفه واما من جهة فيرورشاه فلا بد أن يقتله طومار لأن له عنده ثار قديم وإذا اجتمع به وتذاكر أنه هو قتل أخويه انتقم منه وكيف نظن أننا نخسر النصر وعندنا من الجيوش ما يكفل لنا المحاربة والثبات أمام الاعداء سنين وأعوام هذا إذا لم يكن بين جيشنا جيش الزنوج ولولم يكن فينا مثل طومار فلفطمش بالك وارتاح لذلك فكان وفى تلك الساعة شاهدت تلك العساكر عن بعد غبارا قد ثار حتى ارتفع إلى العنان ومن تحته جيش يسير إلى جهتهم فوقع الجميع ينظرون اليه وقد تأكد عند الشاه سرور وطيفور أن هذا فيرورشاه قد جاء إلى أبيه وأما الملك صاراب ورجال إيران فلم يكن عندهم علم به ولذلك أحدقوا نحوه بأبصارهم وفى ظنهم أنه آت لمساعدة الاعداء وقال الملك صاراب بعد ان تبين له عن بعد رايات القادمين ما اعجب يا بطلوس من هذا الجيش القادم فانى كنت متأكدا أنه لمساعدة العجم ولا أزال أرجح ذلك إلا أنى أرى عن بعد رايتين متلاصقتين فالاولى يخطر لى أنها فارسية والثانية لاأعلم صفتها

فمن أين ياترى تأتينا الحدثات من هذه البلاد ومن ياترى يسوق هذا الجيش ولولا تنبهات قلبي إلى أن فرجا متعلق بهذا الجيش لثبت عندنا أن الأعداء يحتالون علينا غير أني أرى قلبي يميل إلى الاثنين ولم يعد في وسعي ان أصبر إلى حين قدومهم قال وأنا الآخر معجب من ذلك فمن الموافق أن نرسل عيارا يكشف لنا الخبر لنكون على حذر قال أصبت ثم دعا شيرويك العيار وقال له اسرع إلى هذا الجيش القادم واكشف لنا خبره وأننا نعلم اليقين عنه وإذا أتيتنا ببشارة سارة أجزلت عطاك وردت من انعامي عليك فانطلق شيرويك بخفة الريح حتى قارب الجيش وإذا به يرى رجلا يتقدمه وهو آت لجهة الجيش فقرب منه ولما تنبيه أنه بهروز كاد يطير من الفرح وتقدم منه وسلم عليه وقال له أين تسير وماهذا الجيش الذي في أثرك قال انى كنت سائرا إلى سيدي الملك أبشره بقدوم ابنه فيروز شاه فارس هذا الزمان وسيد أبطاله وقد عاد منصورا مظفرا بعد ان قتل هوريك وملك بلاده ونشر فيها جميعها عبادة الله سبحانه وتعالى وجاء بعساكر الروح لمحاربة الشاهسرور وماعنده علم باتيان أبيه الى هذه الديار غير أني كشفت له الخبر بأمر فلرور وقد أرسل إلى القلعة الجيله فسار سيدي وخلصه مع بقية الفرسان وهدم القلعه إلى أساسها وعاد عن قريب يجتمع بأبيه فعد أنت إذا الى سيدي الملك واخبره بقرب الفرج واعلمه بمجيء ابنه وانى سأعود إلى خدمة سيدك وأطلعه على أمرك قال وقد زاد من العجب والفرح ان الله قد بعثه في وقت الضيق فان عساكرنا لا تثبت أمام الأعداء أكثر من هذ النهار فالحمد لله على كل حال ثم رجع شيرويك وهو يصفق من المسرة والفرح ويعد نفسه بالخير الجزيل والعطاء العزيز ولما قرب من الجيش وجد الملك صابرا بانتظاره فصاح به وقال بشراك يا سيدي فليهنأ قلبك ونعم بالك وقد جاءك الفرج وأتاك السعد وزال الضيق قال وقد كاد يطير شعاعا أوجز بن هذا الصبر ومن الفرج قال عن ابنك بانتظاره وهو البطل الأروع والبطل الصميدع وحيد هذا الزمان ومقدم فرسان الطعان من خدمت السعادة ركابه وتمت شوامخ الأفلاك ان تخدم جنابه وأصبحت الأسود في مرابضها تهابه وتجوهرت الحصى عندما لمستها رجلاه وتضعضعت من عظم هيبته أركان أعداء فخر بلاد فارس وقاهر كل جبار وفارس ومذل كل عنيد ومذل كل صنديد ابن تاج الملوك وفخرها ورأس المحسنات وصدرها وحامي الحريم ومكمد العريم ومن سحب النصر تحت الراية الفارسة وقرن اليها نسيبه التتار الراية السودانية وشاد لدولكم بيتا من المجد رفيعا ، أعد لعظمتكم بهمته السعد فجاء سامعا مطيعا قال ويلك يا شيرويك قد أدخلت في خبرك فقد فرغ صبري فمن الذي رأيت قال رأيت شمسا أضاءت بأمر الله وقمرا عم الأكوان نوره

وسماه . وأسدا تجتمع لديه كبار الأسود وتخشاه . أباك سيدى وهو ابنك فيروزشاه فما صدق أن سمع الملك ضاراب هذا الكلام حتى سقط على وجهه إلى الأرض يلثم التراب وهو يهلل ويكبر ويسبح الله وكان شبرنك يتكلم بصوته العالي والعالم تجتمع من حواليه وتزدحم ازدحاما كثيفاً لتسمع منه خبره ولما سمع الجمع بذكر اسم ابن مليكهم المحبوب والذين يقاتلون لأجله صاحوا صياح الفرح وصفقوا بأيديهم فاهتزت لأصواتهم تلك الأرض وسمع صوت عوغائهم إلى بعد عدة فراسخ فأوجف صياحهم جيش الأعداء وكانوا عرفوا بقدوم فيروزشاه فأخروا اعن القتال ووقفوا ينظرون ما يكون من الايرانيين

ودام الملك ضاراب ساجدا الى الأرض لاثما التراب عدة دقائق ثم رفع رأسه ودموع الفرح تترقرق فى عينيه . وجميع الفرسان واقفون حواليه وما فيهم إلا من بكى من الفرح والمسرة وقال الملك أصحيح ما تقول ياشبرنك من أنه جاء ولدى أى نقطة نحن أم فى منام قال نعم ياسيدى جاءك والنصر معقود على جبينه فانه قتل هورنك وملك بلاده وأقام حاكما فيها من قبله وعلم كل أهل تلك البلاد عبادة الله وجاء معه ٢٥ ألفا من عساكر الزنوج وليس فى علمه أننا نقاتل الشاه سرور ومعه فرخزاد وبهرور وإنى أبشرك بشارة ثانية ياسيدى وهو أن الأعداء بعد أن عولوا على قتل فيلزور ورفاقه ووضع فارور تحت سيف الجلاد أتى بهروز إليهم بكتاب من سيدى فيروزشاه يأمره به أن يخرج إلى ملتقاه فأرعب هذا الخبر الشاه سرورو وأخرعن قتل فارور واعتمدوا أن يرسلوهم إلى القلعة الخالية فيحبسوهم فيها ليروا ما يكون من أمر سيدى ابنك فرجع إليه بهرور بالخبر فسار بما أعطاه الله من التوفيق وخلص فيلزور وبقية الفرسان وهدم القلعة بيوم واحد وجاء نحوك وكان قبل وصولى قد بعث بهروز إليك ليعلمك بقدومه ويسألك السماح عن ذنبه وكان شبرنك يتكلم والملك يذرف دمعا شديدا حلوا صادرا عن فؤاد حنون رقيق مملوء من شعائر الحب والرأفة فقال فى آخر الكلام أبن ولدى فلنسر إلى ملتقاه فلباركه الرب وينعم عليه برضاه وفى الحال نهض الملك واعتلى على ظهر جواده . وسار إلى خارج الجيش ومن خلفه أمراؤه ووزراؤه وكان فيروزشاه قرب من عساكر إيران وهو يسير فى موكبه تحت الرايات والأعلام فلما شاهده جميع الايرانيين عن بعد وهو على تلك الحالة من العظمة والاجلال صاحوا فليحى سيد بلاد فارس فليحى فيروزشاه وترجلوا بأجمعهم وقدموا وأما الملك ضاراب فكان لا يصدق أن يرى ابنه وكاد يخسر عقله عندما رآه يسير كالقمر ومن تحته جواده الكميت كالكوكب وحوله الفوارس صفوفا وأجواقا وقبل أن يدنو منه ابنه ترجل عن جواده وتقدم اليه ففعل أبوه كفعله ليتمكن من مصافحته ورمى بنفسه وكاد يغمى عليه وكان يقبله والدموع

تندفق وفيروزشاه يقبل يديه ويقول اغفرلي يا أبي لم أشعر بعظم خطأي إلا بعد أن وقعت في المصائب فاحتجت الى رضاك وبادئتك فأفرح الله عني سندك خرجت من بلادي ولم أعلمك فكان ذلك عصيان على حقوقك الأبوية والآن قدجئتك فاقبلني فكان كلامه هذا مؤثرا في أبيه وفي جميع الواقفين وقد تقدم كل منهم بدوره وسلم عليه وساروا جميعا إلى صيوان الملك داراب فجلس فيروزشاه إلى جانب أبيه ومن حواليه ميمون وحمدون وطبل وطبلا وكذلك جلس فيلزور ورفاقه وقد هنأهم الجمع بسلامتهم وحمدوا الله على خلاصهم وكان يأتي المهنئون أفواجا فيقبلون أيدي ابن مليكهم ويرحبون وهو جالس يخبر أباه بكل ما وقع عليه من البداية إلى النهاية من حين خروجه إلى حين رجوعه والملك يتوجع لما قاساه ويحمد الله على خلاصه العجيب من مثل هذه المصائب فانه قد قدم إلى القتل مرارا ونجا بتدبيرات العناية وكذلك وقوعه في يد صمراء الساحرة وخلاصه منها واحتياله عدائها الأليم ثم نظر الملك فلم يرفرخوزاد وقد فطن إليه ولم يره من الأول فسأل عنه كيف لم يأت إليه ويسلم عليه فأجابه فيلزور انيسأته في ذلك عن أنه في خجل منك احتراسا أن تلومه على مسيره مع ولدك بدون علمك قال إني أمدحه ولا ألومه فلو لم يسر مع ابني لسار وحده بدون رفيق وربما كان في ذلك ضرر كبير لا يدفع فمسيره مع فيروزشاه هو نافع له وفي الحال أمر أن يدخلوه فدخل عليه وقبل يديه وهو مطرق الى الأرض مظهر على نفسه الحياء والخجل من الملك والحاضرين فقبله الملك وقال إني أشكرك على مرافقتك لولدي ومساعدتك إياه في سفاره ومشاركتك إياه في مصائبه لأنك لولم تسر معه لساروحده وما أخبرني فيكون بلا رفيق وذلك من الخطر العظيم والحمد لله على سلامتكما ثم امر الملك أن يؤتى له بثوب من ثياب فرسان الفرس وأن يرتب له معاش كافيه وأن يعد من ذلك الحين في مصاف فرسان فارس ويكون له رأي وقول في مملكته وبعد ذلك دعا بهروز العيار وشكره على فعله وقال له إني لا أقدر أن أكافئك على فعلك الجميل مع ولدي فأنت الذي خلصته من صمراء الساحرة وأنت مقدم على عياري بلادي وإني أرتب لك الرواتب الكثيرة وأقطع لك القطائع العظيمة فقال ياسيدي إني لا أستحق لعملي هذا الاكرام فما أنا إلا عبد نعمتك وقد نظرت في نفسي واجبا كبيرا لخدمة سيدي فيروزشاه وهذا الشرف الذي أطلبه وأتمناه وتحسدني عليه كل بلاد فارس من كبيرها إلى صغيرها فمن منهم يا ترى لا يرغب في أن يكون بين يديه سامعا لأمره مطيعا لنهيه وبعد ذلك دعا الملك بهزاد وأنعم عليه الانعام الزائد وقال له حيث قد بشرتني بمجيء ولدي فصار لك على حق البشارة فشكره على نازله ووداعته وقبل يديه ودعا له بطول العمر والبقاء

قال وكان الفرح عاما فى كل جيوش الفرس وقد أملوا النجاح والتوفيق وتأكدوا أن فيروزشاه يقهر طومار ويبدد جيشه ويرجع لهم فخرهم السابق وبعكس ذلك كان الشاه سرور ورجاله ولا سيما طيفور فانه كان لا يعى من شدة الغيظ والكدر وهو يذم الزمان الذى ساعد فيروزشاه على خلاصه ورجوعه بعد أن وقع فى عدة مصائب وترجح عنده أنه إن وقع فى يده لا بد أن يقتله لأنه هو الذى كان السبب فى إيصال كل ما وصل إليه من المصائب والنوائب وقد شاهد بعينيه تلك العظمة ورآه عن بعد وهو راكب جواده بين فرسانه وفوقه الرايات والأعلام وبين يديه الخدم والحشم فزاده ذلك بغضا على بغض ولولا رجاؤه بطومار وبما هو متجمع عندهم من الجيوش الكثيرة لدخل المدينة واختفى أو هرب منها إلى غير جهة من جهات العالم تحميه من شر عدوه وكان جل اهتمامه فى أن يحافظ على مداومة ما زرع من البغض فى قلب الشاه سرور بحيث لا ينقاد إلى أمياله لأنه كان يعلم أن الشاه سرور سريع التقليب وأنه لا يكره فيروزشاه ولا يريد له الشر وأنه يميل له بعض الميل وأنه إذا تركه يروحه بنفسه ويتفق معه فكان شغله الوحيد إلقاء الفساد وهو يعلم حق العلم أيضا أنه متسلط على عقل الشاه سرور وأنه يديره بيده كيفما أراد ولذلك كان يرتاح نوعا إلى الوصول إلى النجاح ذات مرة ويؤكد أنه لا يسلم بزواج بنته إلا برأيه وخاطره وكان بين جيش اليمن رجل حكيم عادل حليم رقيق الطبع ينظر فى صالح نفسه بعين خبيرة وهو الشاه سليم صاحب المدينة السليمية وقد سره جداً ما رآه فى جيش الفرس من الفرح باتيان ابن ملكهم وأكبر سروره كان بفرحوزاد لأنه كان يحبه الحب الزائد ويتمنى قربه منه وقد اتخذه كولد له خفظ عليه عهد التبنى ولا سيما أنه يكره طومار ويستقبح رأيه وعمله غير أنه يعلم بفوده فلا يقدر أن يأتى بأمر وينتظر أن تساعده الأيام فيقهره ويكمده

وبلغ الخبر الشاه سرور بما كان من أمر إطلاق سبيل الأسرى وهدم القلعة فتكدر جدا وقال لوزيره قد جاء فيروزشاه وجاء النصر يصحبه ولا بد من أن نلتقى مصائب من الآن فصاعدا وإنى على يقين أنما تعلب معه فيالينا قتلنا الفرسان أو الحورى فيثور البهلوان لأنه من طبقة طومار قال شتان بين ذا وذاك وسوف ترى ماذا يحل بفيروزشاه وغيره من فرسان العجم وتقلع عنك هذا الوهم الذى تتوهمه

ولما كان صباح اليوم الثانى نهض الملك صاراب إلى صيوانه فجلس فى صدره واجتمع إليه وزراؤه ورؤساؤه وعقدوا مجلسا فى ماذا يعملون فقال الملك إنى عزمت على أن أبعث بتحرير إلى الشاه سرور أخبره به أن غايتى كانت من قبل الوصول إلى

ولدي والمسير خلفه ولذلك رغبت فى الحرب وحيث الآن قد جاء فاسأله أن يرفق بنه
على ابى فأخذها ونعود ويرتفع بيننا الخصام فوافق الجميع على رأيه فامر طيطلوس
أن يكتب التحرير فكتبه وهو

بسم الله إله الفرس ورب الأرض مدبر الأكوان

من الملك صاراب إلى الشاه سرور صاحب بلاد اليمن اعلم أيها الشاه أنى قد
كتبت لك قبلا عدة كتب وكان حل ما احتوته أنى أسير وإياك إلى بلاد الروح لخلاص
ولدى فيروزشاه منها حيث كنت السبب فى ذلك وحيث لا أقدر أن أصل إلى تلك
البلاد إلا بالاتفاق معك وقد امتنعت ورغبت فى القتال مع أنى كنت أكره وقوع
حرب بيننا وأتمنى السلم احتراسا على هلاك عباد الله فانهم يموتون بحد السيف لأجل
تمهيد غاياتنا الذاتية وقد وقع بيننا من الحروب ما كان يكدر فى حدنا ولا أقدر أن أدفعه
أو أمنعه وصبرت على أحكام القضاء والقدر وسألت الله نهاية محمودة العقبى والله
سبحانه لم يخيب رجائى وقد نظر إلى وأنا فى حالة الضيق وسبب لى الفرج على يد أقرب
إنسان منى ولم يرد يفجعنى به وعاد إلى هيئة ملكية فانه هو الآن سلطان جزائر الروح
وملكها وقد جاء بهيئة من جيشه وعرض على أن أسألكم الصلح والسلام لأنه يكره
أن يوصل اليكم شرا ولا يرغب فى إراقة دم واحد منكم ولذلك لم يعد بيننا
سبب نتخاصم عليه فاذا رغبت فى الصلح ونظرت بعين الصواب احببت ما اسالك به
وهو ان ترف بنتك عين الحياه على ابنى فيروزشاه ونتصل النسب فيما بيننا وترفع هذه
الخصومة ونعود عنكم ولا نحاربكم فيما بعد ونكون يدا واحدة على السراء والضراء
وانت تعلم جيدا ان بنتك عين الحياه لا تكره الزواج بابنى وانك لا ترى لها زوجا
لو صرفت حياتك بطوله الى لها منه فكر بصيرا ولا تنقاد لغيرك فتندم والسلام ختام

ثم طوى الكتاب وسلمه الى شيرنك وامره ان يسرع به الى الشاه سرور ويأتى
منه بالجواب بما امكن من السرعة فاخذه وانطلق حتى وقف بين يدى الشاه سرور
وكان اذ ذاك فى صيوانه وعنده طيهور وطومار يتشاورون فى الركوب والحرب فسلم
الكتاب الى صاحبه فاخذه ودفعه الى طيهور فقرأه فقرأه الشاه سرور حتى جاء على آخره
وكان يفكر بما اذا يجيب وقد عول ان يوافق على طلب الملك صاراب وقال فى نفسه انه لا
يليق لبنتى زوجا غير هذا الاسد فقد اعطاه الله كل معنى حسن ولحظ ذلك منه طيهور
فاستدرك الحال ونظر الى طومار وقال له ألا رأيت كيف ان الملك صاراب يطلب
الصلح وقد اتخذ وسيلة مرضاة سيدى الشاه سرور بزواجه بنته ويدعى ان بذلك
يتعلق النسب بين الفرس وأهل اليمن فهل يمكن بعد عقد زواج بين أمتين أهلك ا

بعضهما وملئتا الأرض من جثث الناس واى نسب بعد إراقة الدماء وهلاك النفوس فى ما لم يكن له ثار عندهم ولا سيما انت وقد جاء وقت وفاء الدين ايظن الملك صاراب انه يحمى ولده فيروحه ويرجع به الايعلم ان عمر ولده قد فرغ فقال طومار انى اقسمت فلا بد لى من انفاذ القسم وهو ان اقاله واقتل الفرسان الذين يخلصوا من القلعة الجبلية واخرب هذه المملكة وسوف ترى ما يحل بفيروزشاه لانه وان كان يعد من الفرسان الا انه لم يبارز قط فارسا كطومار فلم يعد اذ ذاك فى وسع الشاه سرور الا الامتناع عن اجابة طلب الملك صاراب وبان له ان الحق مع طيمور وانه اذا قبل هو بالصلح لايقبل طومار ولا يقبل احد من جيشه وقد وقع بينهما اراقة دماء والكل يطلبون الثار فكتب للملك صاراب بالامتناع وانه لايقبل الا بمداومة الحرب والقتال فرجع شبرنك بالجواب ودفعه الى سيده فقصه وعرف قصد الأعداء وحكى له شبرنك ما قاله طيمور فقال انى اعلم ان كل هذه الامور مسببة من هذا الرجل الخبيث المحتال وانى اقسم ان وقع بيدى اذقه مر العذاب لانه يستحق الموت جزاء على رداءة عمله

وفى تلك الساعة نهض طومار فركب فيله واعتد بعدده وركبت حوله الزنوج وفعل مثل ذلك الشاه سرور وطيمور وأهل اليمن ولما رأى الملك صاراب فعلهم ركب بفرسان إيران وركب فيروزشاه على جواده الكميت وأمام بين الزنوج وإلى جانبه ميمون وفرحوزاد وبقية الفرسان وما ترتبت الصفوف واصطفت الألوف إلاوكان قد تعالى النهار وانبسطت الشمس بشديد حرارتها على تلك الروابى والقفار فانحدر طومار وفى يده العمد الحديدى وهو يزأر كالأسد وصاح بعساكر الأعداء وطلب منها البراز فحولت الفرسان أن تتسابق اليه وإذا بطل الرنجى قد سبق الجميع اليه فتعجب منه طومار وقال له ويلك ألست من طائفة الزنوج كيف تقاتل مع هؤلاء الكفار فأت بقومك إلى وأنا أحميكم ممن تخاونون فقال له إن من كان مثل فيروزشاه يهدى بالنفوس والأرواح وقد علمنا عبادة الله وأبعدنا عن عبادة النار وإذا دخلت أنت فى دينه وانقدت لأوامره أتوسط لك عنده وأجعله أن يعفو عنك وأن يجعلك كبير مقدميه وسيدا عليهم ويرفع منزلك فأغاظ هذا الكلام طومار وهجم على بطل فالتقاه ووقع بينهما القتال والحرب والنزال واتسع عليهما المجال وأكثرا من القرب والبعد والأخذ والرد حتى حمى عليهما الميدان ومضى عليهما ساعتان من الزمان وبعد ذلك صاح طومار بخصمه ورفع العمد بيده وضربه به فمنعه بالطارقة فلم يقدر على احتمال قوته فسحقه وألقاه قتيلا إلى الأرض ولما رأى فيروزشاه هذا العمل كاد يطير صوابه فصاح وحمل وحملت من خلفه فرسان الزنوج وكذلك

صاح فيلزور بعساكره فحملت وقد اشتدت قلوبها وفعل مثل ذلك سيامك سياقا وبهمرار قنا وبهمرار قلي ومرادخت الطبرستاني وشمس الشملي الطلقاني وخورشيد شاه وجمشيدشاه وميمون وحمدون وطيل وحملت أيضا عساكر إيران برمتها وعساكر الروح ولم يكن إلا كلمح البصر حتى اشتبك القومان ودار بينهما الحرب والطعان وارتفع الغبار إلى العنان وعلا صحيح الفرسان من كل صوب ومكان حتى صمت الآذان وصاح دلال الموت ينذر بالقلعان ويبشر بخراب البلدان وانهتاك الحريم والنسوان وما قل من ساعة من الزمان تغطى ذلك الميدان من جثث المتقاتلين من أهالي اليمن وأهالي إيران ولم يكن يرى بين ذلك الغبار إلا بريق ولمعان ورؤس تطاير وبدان وجثث تقع بالأبدان وسيوف تشرع وتغمد كأن يوم القيامة قد آن ونصب على الحق الميزان ودعيت النفوس ليوم الحسبان وتمنى الخائف الجبان والدليل المهان انه لا كان وزادت الأبطال والشجعان في الكر والجولان طلبا لعلو المنزلة ورفعة الشان وفعل فيروز شاه أفعال مردة الجان وقد قصد عساكر السودان وضرب فيها بقوة عزم وثبات جنان فمدد أكثرها على بساط الصحصحان ورماها من حر حربه بسهام النيران وفرقها في تلك البراري والقيعان وقد شاهدت منه الموت بالعيان وتلون لها الهلاك باشكال وألوان ولم تعد تعرف طريق الفرار من أي مكان ولم تر سبيلا الى الأمان ولا واسطة للاطمئنان وكذلك فيلزور البهلوان وسائر فرسان ايران وما منهم إلا من طاب لديه الموت وهان عشق فؤاده من الأعداء وبلاهم بالذله والردى ودامت الحرب على تلك الحال وهي تضطرم نيران الاحقاد والادغال وتقسعر نفوس الفرسان والابطال الى ان مالت الشمس الى الزوال واسرعت الى الاحتجاب لتمنع القوم من القتال وتصون ما بقي لهم من الراحة في حجر الليل وتدفع عن المقاتلين شر المصائب والويل فعرف نفير الانفصال ورجع القوم عما كانوا عليه وهم يشكرون اتيان الليل اليهم وعودته لهم إلا ان فيروز شاه فانه تكدر كيف فرغ ذلك النهار ولم تنته الحرب على ما يريد ورجع وهو مضرج بالدماء ومن خلفه فرخزاد وفيروز العيار يتطاير بين يدي الكمين وكان أفرح الناس بعمل فيروز شاه الملك صارات وقد شاهد منه أثناء ازدحام الرجال العجائب والاهوال وقال لططلوس وقد كان بالقرب منه الا رأيت كيف ان ولدي يخترق الصفوف وهو كالنجم يتساقط على القوم فيقصد جهة إلا وابادها من فيها فكيف لا تحبه امتي وهو فرس فارس في هذا الزمان واني قبل اليوم لم اره في حرب ولا قتال ولم يخطر في فكري انه يكون على هذا المنوال فقال له اعلم يا سيدي ان من كان ابن الملك صارات لا يستغرب انا خرج وحيدا بين اهل زمانه نعم اني شاهدته ورأيت انه يفعل بعساكر

الزنوج كما تفعل النار بالقش اليابس وهي تمر بين يديه كما تمر الجمال من الوثاق فلله دره فان النصر معقود بقوائم سيفه والظفر موقوف عند عوامل عمده ولولم يأتنا لكنا هلكنا عن آخرنا ووقع بينا الفشل وذلك من جرى الخوف الذي لحق بجيوشنا من أعمال طومار ولما وصل فيروزشاه إلى بين يدي أبيه أخذه إلى صدره وضمه وقبله وقال له لاعدمتك ياولدي فانت فخر فارس ومجدها فلا عاش من يريد لك شراً ويرمى بك ضرا فقال له بعد ان قبل يديه ان بركات رضاك تحميني من كل ضر وتدفع عنى كل خطر فأسألك دوام رضاك وما أنا إلا عبد بلادي وخادم وطني وشريك أمتي بالبؤساء والنعماء فهي مني وأنا منها وكلنا منك وفيك وعليك اتكالنا وبك فخرنا ثم عادوا إلى الصيوان ونزلوا فيه ليأخذوا لانفسهم الراحة ويأكلوا شيئاً من الزاد وكذلك عموم الأبطال والفرسان ومامنهم إلا من شخص أمام عينيه فعال فيروزشاه وتصوره في ذهنه وهو يطارد عساكر الزنوج ويقتل فيها القتل الذريع لانهم لم يروا فعله قبل ذلك الآن ولا شاهدوه في حرب ولا طعان فتأكد لديهم ما سمعوه بالعيان وترجح عندهم أنه يهلك طومار إذا التقى به تحت الغبار وبعد ذلك بساعتين اجتمع جميع الفرسان في صيوان الملك ضاراب وهم يتحدثون بأعمال ابن ملكهم ، قد شكروه على فعله وأثنوا عليه وهنأوا أباه به فقال لهم اني أقابل بسعيكم فأنتم ظهري وسندي وفخري فلولا كم لما اشتدلي عصب ولا خفت مني تعب ولازال عنى وصب غير اني تكدرت كيف لم ينته الحرب في هذا النهار إذ لا أرغب في التطويل وأحب الاختصار ولا أصبر على أعمال طومار فلابد من قتله بعد إبادة جيشه وتفريقه على أني تكدرت جدا من كسر شوكة الشاه سرور وقهره وأرغب في ترفيع مجده وفخره ولوكان ذو عقل لما ار تقى على ملوك الأرض لاني مستعد أن أعيره إياه إذا قبل بطلى ولصق بي ولذلك تروني لم أقصد جهة عساكر اليمن ولاقصدت لاحد منهم الضرر لولا العار وشرف الملك وناموس أبي الذي أفضله على حياتي لاخذت عين الحياة بالدسيسة وسرت بها إلى بلادي إلا اني أعرف ان ذلك عار يبقى على المملكة الفارسية مدى الأيام وعلى أيضا وأطلب الله تعالى ان يختم بذاهذه الحرب ويقرب السلام فقال طيطلوس لولا وجود طمور وطومار لانتهى بينا الأمر وانقضى أمر الزواج وعدنا إلى بلادنا وأوطاننا غير أن الأول لايقف في طريق نجاح ! ومتى قتل طومار تبطل الحرب وتنقطع اليمنيين ويلتزم الشاه سرور ان يفتدي بلاده ورجاله بنته عين الحياة فيروحها بالرغم عنه وعن وزيره فال لا بد لي من قتل طومار كيفما كان الحال

فهذه كانت حالة الأعجام في ليل ذلك النهار الذي أحرزوا فيه النصر والتقدم

وأما حالة الشاه سرور وقومه فانها كانت حالة يأس وقطع رجاء وقد اجتمعوا إلى طومار وتشاوروا فى أمر القتال وكان طومار قد زادت عليه الاكدار ومما أغصبه لأنه افتقد جيشه فوجده قد نقص كثيرا وسأل عن مقدميه فقيل له قتلوا وذاقوا الممات وشكوا له من أفعال فيروز شاه وزجال السودان فانه ماضرب الفارس أكثر من ضربة واحدة إلا أعدمه الحياة وقطعه إلى نصفين ولولم تنحل عنا لما وقع بنا هذا المصاب فقال لهم انى قصدت جيش الأعداء الخاص لأنتقم لنفسى من فيلزورو رجاله ولم يكن فى ظنى ان فيروز شاه يقدم على هذه الفعال ويحسر على الدنو من جيشى دون جيش اليمن ولما اجتمع بالشاه سرور وطيهور وهو فى حالة كدر وجدهما مثله يشتكيان ثقل ما وقع عليهما فى ذلك النهار وقالا له إذا دام علينا الأمر نهارا آخر فقدت قوة الجيش برمتها وما ذلك إلا برجوع فرسان إيران من الأسر إلى فرقهم فياليتنا كنا قتلناهم لكنا الآن فى راحة وفوق ذلك انهم يقاتلون على رغم ان ابن ملكهم بجميعهم ويمنع عنهم الأخطار فاذا لم نبادر القوم بالغرار وتصطادهم واحدا بعد واحد لما قدرنا على الثبات بين أيديهم وقد قتلت فى هذا النهار فارسا من الزنوج فوق العد إذا قتلت واحدا فأسرع بطلب الآخر فلا ينقضى النهار إلا بعد أن تكون قد قتلت أو أسرت كثيرا منهم وعسى تحرك دواعي المنية فيروزشاه فيبرز اليك ويكون ذلك آخر عمره قال انى انتظر ان أصادفه فلا أبقى عليه ولابد من هلاكه وهلاك جميع فرسان إيران بمعونة الماردات الشرار وسوف ترون فى الغد ما تحدثون به فيما بعد

وبات القوم فى ذلك الليل يتحارسان تحت مشيئة العزيز الرحمن وينتظران قدوم الصباح إلى أن آن مشرقا بانواره الوضاحة على سكان المكان فلما تنبهوا النهار هبوا من مراقدهم وتقلدوا باسلحتهم واعتلوا ظهور خيولهم وتقدموا الى ساحة القتال وقد اسلم كل فارس قيادة قومه ورتبهم على مقتضى الحال وما انتهوا من الترتيب والتدريب إلا وسقط طومار الى ساحة القتال وفى يده ذلك العمد وهو فوق فيله ورأسه يكاد يلحق بالسحاب ومن حوله جماعة من الزنوج خرجوا فى ركابه الى ان توسط الميدان ووقف فى موقف الجولان فعادوا عنه الى الوراء وبقى هو وحده فصال وجال ثم صاح بعساكر ايران وطلب منها البراز وسرعة الانحدار فما أتم كلامه حتى وافاه طيل أخو طيلا وصدمه صدمة قوية وتحاول واياه وقد عزم على أخذ ثاره منه لأنه قتل له أخاه كما تقدم فى الأمس ودام القتال بين الاثنين وقد تضاربا بالعمدين حتى أثقلا منهما اليدين وضعفت قوة الساعدين . وما مضى قسم من النهار إلا لحق بطيل الضعف والخوار وذل أمام خصمه الثقيل العيار وعزم على الهرب والفرار فلحظ منه ذلك طومار فصاح به وجاله وضربه بعمده فقتله .

وعجل من الدنيا مرتحله . وبعد ذلك نادى طومار بان يبرز اليه غيره فأحدث الحرية حمدون أخو ميمون وكان من الأبطال المعدودة طويل القامة عريض المنكبين وصدم طومار صدمة قوية . فالتقاها بهمة وحمية ودار بينهما الحرب والطعان إلى أن لحق عارهما إلى العنان . ونظرت إليهما الفرسان بالعيان تنظر ما يكون بينهما من نهاية الحال ومن يكون منهما الغالب ومن المغلوب فى هذا القتال وهما فى حر نزال ولهيب واشتعال إلى أن كاد يقرب الزوال وحينئذ أخذ طومار الحنق والكدر من أن ينتهى ذلك النهار ولا ينال من خصمه الوطر فمال نحيله عليه وطوحه نعمده إلى أن وصل اليه فوقع بقوة عزمه على عاتق حمدون فسقاه كاس المنون ورماه إلى الأرض قتيلا وفى دمائه جديلا وبعد ذلك دقت طبول الانفصال ورجع الفريقان إلى المضارب والخيام وكان أشدهم كدرا وأعظمهم قلقا فيروز شاه فقد أغاظته أعمال طومار ولا سيما قتله لفرسانه الذين جاء بهم من بلادهم بأمل أن يكونوا دائما فى ركابه وتحت حمايته مكرمين معززين ورجع إلى صيوان أبيه وهو لا يعى على نفسه من الغيظ والكدر وقد شاهد منه ذلك أبوه وطيطلوس وبقية الفرسان فطيبوا خاطره وعزوا ميمونا على فقد أخيه فقال لهم ان هذه عادة الحرب غيرأن النهار لم يساعدنى فى هذا اليوم لأخذ لنفسى بالثأر من طومار فقال فيروز شاه لا أريك أن تبرز اليه مطلقا ولابد من أن أنهى لكم عمره فى الغد لأن هذه المطاولة تزيده عتوا وتكبرا وانى لا أحب إلا حسم المسألة فى الغد وهلاك هذا الوغد ومن المؤكد أن ثارك ثارى وان فقد أخيك أعاظنى أكثرمما أعاظك فلعن الله طومار ولعن معه الشاه سرور وطيفور فانهم قد جبلوا على المكر والخيانة وعدم الانصاف والجور والاسراف فلما سمع الملك ضاراب ان ابنه سيبرز إلى طومار حقق قتله وخاف عليه وقال من الموافق أن ننظر فى طريقة تحول لنا النصر والظفر وتسهل علينا قتل هذا الجبار الذى لم يعد فينا من يقدر أن يثبت أمامه وإذا لم نصمه فى القتال نكون قد طلبناه أو أظهرنا العجز عنه فقال طيطلوس يا سيدى ان طومار من أبطال هذا الزمان الأشداء وليس فى وسع أحد من جيوشنا أن يفوقه إلا ابنك فيروز شاه وانى أؤكد حق التأكيد أنه يقتله ويريحنا من شره وتفرق هذه الجيوش متوجهة على قتله قال كيف يمكنى أن أخاطر بولدى واسمح له أن يقاتل هذا الرجل على انه يركب الفيل وهو عال بالنسبة لبقية الفرسان فالذى يقاتله يلاقى معه أكثر صعوبة وأشد تعب وهذا لا أقبل به أبدا ولا أرضاه ولو كان لى غيره لخاطرت به طمعا بالخلاص من فعل هذا الجبار فقال فيلزور انى فى الغد أبرز اليه لأن لى عليه ثار وقد يزعم أنه أسرنى فلا أقبل على نفسى لأن الجواد عثر بى ولو حملنى الجواد لما وصلنا إلى هذه الحالة بل كنت قتلته

فى نفس ذلك اليوم فلا يطمع احد غيرى بقتاله وسوف ترون ما سيكون بيننا من الاعمال

وكان الشاه سرور بعد رجوعه من القتال مسرورا بعمل طومار وقد اطنب فى مدحه وقال له هكذا يجب ان يكون القتال لان المطاولة تعيدنا وتضرنهم وانى أعلم جيدا انهم لو قاتلوك فارسا لفارس افنيتهم عن آخرهم لا سيما ونحن فى بلادنا لا تضرنا المطاولة فى القتال ولا تؤذينا كما تضرهم وتؤذيهم قال انى أعرف أنه كيف كان الحال انا نحن المنصورون وهم المقهورون ومتى قتلت منهم فيروزشاه لاعساكرهم قدر على الثبات فتختار الفرار وتفضل الرجوع إلى بلادها بالخيبة من أن ترى نفسها فى جهنم حربى فتلهمها نارى وتذيبها ولما كان الصباح نهض القومان إلى الحرب والكفاح عند ما شاهدوا شروق الشمس قد لاح وقل الظلام إلى جانبه ينتظر فرصة للرجوع بجيوش مسائه وركبت الفرسان واصطف القومان وترتب الفريقان واذا بطومار قد صار فى نصف الميدان وهو على ما هو عليه من العتو والفخر والادعاء بالتعظم والكبر ولما توسط الساحة نادى قوم فارس ان تبرز منها الفوارس فما انهى كلامه حتى صار فيلزور امامه وكان قد أخذ له جوادا من الخيول الجياد خوفا ان يصير به ما صار بذاك الجواد وصدمه صدمة قوية وصاح به صيحة فارسية وقال له إلى م هذا العتو فقد طال امرك ونحن عنك ساكتون فجاء اليوم الذى ينقرض فيه ذكرك وتعدم النظر إلى هذه الدنيا فيا ليتك قد ودعت قومك قبل الخروج لانك لا تعود فيما بعد فتراهم فغاظ هذا الكلام طومار وقال له ويلك يا فلزور اتجسر أن تقول لمثلى هذا الكلام وقد شاهدت حربى وقتالى ووصل اليك نبأ فعالى ووقعت فى اسرى ولولا مساعدة الصدف ان تخدمك لاعدمتك الحياة فكان من الواجب ان تتكلم مثل هذا الكلام وانت تحت يد الجلاد ثم صاح به وهجم عليه فالتقاه فلزور ودار بينهما دولاب القتال فى ساحة المجال واختلف بينهما الطعان باختلاف الألوان وكثر بينهما الكر والفر والقرب والبعد والأخذ والرد وهما تارة يلتطمان فيتضاربان بالعمدان وطورا يتباعدان فيصيحان ويزأران وقد شخصت نحوها الفرسان وتحولت اليهما أنظار الشجعان وأحدقت منتظرة ما يكون من النهاية ومن الفارسين يقدر على بلوغ الغاية فيقتل خصمه ويمحو اسمه ويبدد رسمه ودااما فى القتال اشد من لهيب النار حتى حجبهما الغبار عن الانظار ومد عليهما رواق الاستتار وزهقت منهما الارواح وقدحت حوافر

خيلهما الشرار . وكانا فى الحرب متقابلين وفى القتال متعادلين لا يصادف احدهما على الآخر فرصة فينالها ولا يمكن من خصمه ضربة قاصية الى ان مضى اكثر النهار وهما على مثل تلك الحال حتى ضاقت الدنيا على طومار ولا يرى بدا من الرجوع إلى الوسيلة بما كان قد اعتاد عليه من فرسان ذلك الزمان من ان يطلبون الانصاف على خطة عادلة وهو أن يضرب كل من المتقاتلين ثلاث ضربات فمن كان أشد قوى وأقوى عصبا نال الفخر وأخرز النصر على رفيقه وأوقع به وقتله ولذلك تأخر طومار ووقف عن القتال وصاح بفلرور وقال له ان هذه الحالة تذهب ارواحنا من الملل والضجر فاذا كنت ترغب فى الانصاف فاضربنى ثلاث ضربات بعمدك بقدر ما أعطاك الله من القوة واذا لم تنجح فى عدت فضربتك حلالها إلى أن ينتهى النهار ويعدم أحدنا حياته ويموت من ضربات خصمه قال الملك ما طلبت فهو منصف على كل حال فاحذر لنفسك منى واثبت لضربانى ثم اطلق لجواده العنان فخرج من تحته كالسرحان ومال به راجعا إلى جهة طومار وصاح به اثبت مكانك وخذ هذه الضربة من يد فيلرور البهلوان ورفع بيده العمد وضربه به فأخذها بالطارقة نحوا من ثلاثة أذرع طولا بعرض فلم تؤثر فيه ولا وصلت إليه وقال له أفرغ الثانيه والثالثه ففعل وضربه الثانية والثالثة ولم يبلغ منه مرادا وحينئذ قال طومار قد جاء دورى فاثبت أنت فى مكانك قال انى ثابت لك صابر عليك . فحرك الفيل وأخذ بيده عمده ورفعه بالهواء حتى حمى وأظهر فيه كل قوته ثم رفعه إلى ما فوق رأسه وضرب به فيلرور فثبت فى مكانه واحكم وقوع العمد على طارقته وارتد من عظم الضربة ولم تؤثر فى فيلرور وصاح بطومار أفرغ ما عندك فانى لا أعبأ بضرباتك فاغتاظ طومار من ثباته وأرسل اليه الثانية والثالثة ثم عمد إلى السيوف فضربا بها ثلاثا كلا بدوره دون أن ينال أحدهما نصرا أو يصل إلى خصمه باذية ودام الحال بينهما على هذا المنوال إلى أن قرب الزوال فافترقا على سلام ورجع طومار وهو لا يعلم من أى طريق يسير لأن حياته بطولها كان يقاتل ويحارب فلم ير من ثبت أمامه النهار بطوله ورجع من بين يديه وقد عاد وهو لا يدرى طريقة ولا يميز يمينه من شماله ولا زال سائرا حتى انتهى إلى صيوانه فنزل عن فيله وهو يرغى ويزبد ويعرق ويرعد ويندم الزمان كيف أوصل النذاله والانفدام إلى مثل فيلرور وهو قصير القامة صغير الجثة وصبر ينتظر الصباح ليعود إلى خصمه وما لبث الا ان أتاه الشاه سرور فهنأه بالسلامة

وقال له طيمور قد عجبت جميع فرسان اليمن كيف أن شيحا يقدر أن يثبت أمامك فاخبرتهم ان ذلك كان بقصد منك وأنك لو شئت الايقاع به لاهلكته من أول وهلة وألحقته بقومه غير أنك قصدت المطاولة معه لتفرغ له كل ما عنده من أبواب الحرب والطعان فيعلم عظم مقدرتك في فن القتال فقال طومار اني لا أنكر أن فيلزور البهلوان من أشد من لاقيت من الفرسان فهو فارس العجم بالحقيقة وحاميها الا انه ثبت أمامي كل هذا النهار وما ذلك إلا من عجائب الأقدار ولا اعلم ان كانت قد عصت على النار فقصدت محاماة هذا الايراني خوفا على من ان انساها ولذلك اني اندر لها ندرا كافيا وافيا وهو ان اقدم ضحية لها كل فارس يقع في يدي منهم ولا سيما فيلزور وفيروز شاه والملك صارات ولا ريب في انها تقبل مني ذلك وترضى عني وتمد لي في الغد يد المساعدة وتنتقم لي من احصائي وانما اعدكم الوعد الشافي ان في اليوم الآتي تنقضي الاشغال وينتهي القتال وتقهر الأعداء فيعلمون اي منقلب ينقلبون فحمده طيمور والشاه سرور وشكراه على قوله واطنبا في مدحه

اما فيلزور فانه ما صدق ان زالت شمس ذلك النهار حتى عاد عن طومار وهو لا يصدق بالخلاص من يديه وكان ساعداه قد تخدرا ولم يعد في امكانه أن ينهضه واصبح كالهائم السكران لا يعي على ما بين يديه ولما وصل إلى جيشه لاقاه الملك صارات ومدحه على ثباته فقال له اني قد لاقيت من شدة قتاله هذا النهار ما لو لاقاه الجبل الأحصر لانهدم واندك لأن عمده ثقيل جدا لا يثبت تحت ضرباته الا كل من خصه الله بالامتياز عن الجنس البشري وما عدت عنه الآن وانا على رجاء من السلامة والخلاص وليس في نيتي بعد ان ارجع إلى قتاله لترتاح جسمي وتقوى يداي على حمل العمد واحتمال شدة ضربه فلما سمع فيروزشاه أضمر في نفسه انه في صباح اليوم الثاني سيبارزه ويعجل أمره ويري فرسان قومه ما أعطاه الله من القوة الفائقة الوصف والادراك وكان الداعي الأكبر لتحريكه إلى برازطومار وروع صبره من المطاولة بالقتال وعلم أن لا فارس من العجم يقدر على طومار فاذا تخلى هو عن القتال استفحل أمر طومار وأوقع بقومه وزادهم الرعب والخوف وأكبر داع كان يدعوه إلى ذلك تذكره محبوبته عين الحياة وبعده عنها وكيف أنه حاد ولم تتصل به خبر منها ولا قدر أن يعرف شيئا عنها وكان قد ثبت عنده أنها علمت باتيانه وفكر انه لابد أن تكون واقعة بين العساكر وانها ترصد لها أحواله وتعلمها كل ما يكون من أمره ويوصل اليها كل حركة من حركاته الحربية وغير الحربية ولابد أنها تتكدر من هذا التطويل فلا يهون عليها فيه لعلمها أنه بقي قبل طومار طفئت نار القتال

ووقع الصلح بين القومين وربما قبل أبوها بعقد زواجها دفعا للشر والخصام وأكمن ذلك فى صدره ومات تلك الليلة وهو على تلك النية

ولما كان اليوم الثانى وأشرقت الشمس على تلك الروابى وانبسطت بكليتها على القوم نشر عليهم آية النور وتبعث لهم من خلال شعاعها حرارة لطيفة ممزوجة بهبوب نسيم بارد حضهم به سلطان الطبيعة ليستنشقوا منه رائحة ما حمله من أزهار تلك الأرض المحللة بالرياض العطرة والكثيرة الأحراش والادغال فهب القوم وقد سمعوا من تلك النسمات محاسن الطبيعة وبهجتها فأسرعوا إلى أسلحتهم فتقلدوها وإلى خيولهم فركبوها وانقادوا إلى قوادهم يطلبون الانتظام فى صفوف المتقاتلين ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى ترتبت تلك العساكر أحسن ترتيب وانتظمت أنظم نظام فحملت بأيديها العمد وأدارت رؤوس الخيول ووقفت تنتظر الأوامر غير أنه قبل أن يباشر بالقتال أو يبتدىء أحد بحرب أو نزال خرج طومار وهو راكب على فيله ومن حوله وبين يديه موكب من الزنوج يسير فى ركابه ويتقدم بخدمته إلى أن صار فى وسط الميدان وحينئذ أشار إلى رجاله أن تتأخر فتأخرت ودار برأس فيله إلى اليمين وأطلق له العنان فخرج يضرب الأرض بأخفافه فتهتز من تحتها اهتزاز الغصون عند هبوب الرياح ويلوح بدبسه فيضرب به إلى الهواء فيدفع الغبار الذى يثير بخرطومه إلى الجو فيتألف سحاب كثيف فوقه يكاد يحجبه مع طول قامته وكبر جثته عن العيان وبعد أن دار فى الميدان ثلاث دورات وقف فى وسط الميدان ونادى فرسان إيران أن تبرز إلى قتاله فتوقفت إذ ذاك ولم يجسر أحد على الدنو منه والتقرب اليه وعند ذلك تقدم فيروز شاه من أبيه وقبل الأرض بين يديه وقال له أريد منك يا سيدى ان تسمح لى بقتال طومار وتأذن لى بالخروج اليه فلم يعد فى وسعى ان اتقاعد عن قتاله وأتركه على تمرده وعتوه وقد فضح وشتا بكلامه وهتك ناموسنا بأفعاله وتأبى نفسى أن تراه على ما هو عليه وتتقاعد عن الانتقام منه فقال الملك كيف أسمح لك بأن تقاتل طومار وتخاطر بنفسك معه وماذا يا ترى يصير بى إذا وقع عليك أمر مكروه فقال طيطلوس دعه يا سيدى يخرج إلى طومار لانى أعلم يقينا أن سيدى فيروز شاه يقتله ويرتحا منه وقد تبين لى ذلك بعين الفراسة وسوف ترى بعينيك صدق مقالى وتتحقق أن ابنك هو وحيد هذا الزمان وفارس فرسانه وأثبت من وقف فى ميدان قتاله فليطمئن بالك وليسكن خوفك فاجاب الملك بانكسار فليفعل الرب ما يشاء ثم أمر ابنه أن ينزل إلى طومار فما صدق أن سمع منه ذلك حتى طار من الفرح فقبل يده وطلب اليه أن يزوده بالدعاء والرضا فاجابه وبينما كان طومار ينادى بعساكر الاعجام ويقبح فيهم بالكلام ويسم فرسانهم ويشتم ملكهم والشاه سرور مسرور

محمله لما شاهد وقوف الفرسان عنه وقد قال طيمور ألا رأيت كيف أن الأعداء قصروا عن الفرار ولم يعد فيهم فارس يجسر على الدنو من طومار وإذا بفيروزشاه قد صدمه صدمة تتعتع الجبال وصاح فيه بصوت أدوت له تلك السهول وصمت منه آذان الخيول وهو ينشد ويقول

هيا انظرى عين الحياة قتالى   فترى المنية تدهى بفعالى
وترى جيوش أبيك وهى جوافل   وجيوش طومار بأسوء حال
يتسابقون إلى الفرار فمن نجا   منهم بعد بفارس رئبال
ولقد فتكت بهم بقوة ساعد   وعزيمة جلت عن الأمثال
فأنا الذى لما بليت بعشقكم   أخلصت فيه مودتى ومقالى
وحفظت حبكم بصدر واسع   عند الخطوب وما تخلت بحالى
عين الحياة فدتك منى مهجتى   ترجوك حسن تعطف بوصالى
فاليوم يوم تشهد الفرسان لى   فيه ويذكر كلهم أعمالى
وتذل آساد المرائض إن رأت   ضربا يشيب هامة الأطفال
ولطالما رعمت بقائم صارمى   شم الرجال وقلت لمعالى

فلما سمع طومار كلامه كدره جدا وهاله أمره لما رآه يخطف فى الميدان من جهة إلى أخرى وهو كالبرق الخاطف لا تقدر أن تدركه الأبصار وكان لما خرج فيروز شاه إلى الميدان خرج بعظمة وجلال نادرى المثال لأنه كان راكبا على جواده

انتهى الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر

الجزء العاشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

الكمين المسرج بالسرج المرصع بأفخر الجواهر وأثمنها وقد تقدمت بين يديه العيارون والفرسان وفى أيديها السيوف والخناجر وفوق رأسه الرايتان راية الروح والراية الفارسية ومن حواليه نحوا من ألف رجل يخدمون ركابه ويحيطون به وهو يبسم كالبدر يشرق لمعان جبينه الوضاح فيسبى كل من شاهده وكالأسد تتساقط بين يديه من هيبته رسل البسالة والاقدام فلما شاهد الشاه هذه العظمة ورأى ما رأى من فيروز شاه قال إلى وزيره طيطمور وقد كان يحادثه ألم تر إلى جمال فيروز شاه وشجاعته وكيف أن الله قد خلقه بأجمل الخصال وكمله بالمآثر الحسنة فكل ما فيه يحب ويعشق وانى والحق يقال أميل اليه كل الميل وأعلم جيدا أنه لا يتوفق لدى عين الحياة زوج يليق بها مثله فكلاهما يوافقان بعضهما وانى لمخطىء بأعمالى وامتناعى عن إجابة طلبه لاسيما وهو البادىء بالجميل والمعروف معى وقد قابلناه بعكس ما استحق من الاكرام والاعزاز فحقق قلب طيطمور عند سماعه هذا الكلام وتكدر خاطره وعلم أن فيروز شاه هو فوق ما وصفه سيده غير أنه كان يكرهه ويحسده على اتفاق الآراء بوحدانية صفاته وتمنى له الشر والأذى وعرف ان الشاه سرور سقاد اليه ويحبه وربما زوجه بنته إذا ترك النميمة والفساد فعاد إليهما وقال لسيده انى أعجب منك يا سيدى ومن قولك هذا كأنك لم تصب من الدهر بنكباته فأقل من لمحة ناظر ترجع عن عزمك ويضعف رجاؤك وما ذلك إلا من عدم الثبات فى الأمور فلولاى بدون شك لكنت الآن قد أذللت نفسك للأعداء وانقدت إليهم وتحكموا فيك وفى بلادك وأخذوا بنتك عين الحياة بالرغم عنك وأضعت ناموس ملكك وطالما حفظه آباؤك وأجدادك وقاتلوا عنه بثبات وعزم وجنان فكيف تسلم بنتك لقوم قد جاءوا يحاربونك ويناز لونك نعم لو بدا من الأول بما هو لازم على أن يجرى بين الملوك أى انه لو بعث الملك ضاراب بواحد من وزرائه يخطب بنتك منك لابن سيده ويأتيك بالهدايا ويقود إليك الجنائب وفاخر الجواهر لكان فى الامكان أو الأجدر أن يجيب سؤاله . فصغى اليه وأما الآن فقال اننا ما زوجناه بها إلا خوفا من سطوته وخشية من بأسه ونصبح بين يديه دليلة كمن أحدث بالسبى لا يحق لها أن تدعى بالشرف وتفاخر بأبيها فأسكت هذا الكلام الشاه سرور وأقنعه ولم يعد يجيب بكلمة وقد مال إلى قول وزيره وصبر ينتظر نهاية القتال

قال ولما قرب فيروز شاه من طومار تعجب منه وقال له من أنت من فرسان إيران ومن تدعى بين أبطالها قال ويلك ألم تعرفنى حتى الساعه وقد أهلكت قومك وأنزلت بهم الدمار وفتكت بجيشك حتى لم تعد تقوم له قائمة وأنا الذى قتلت أخويك بهروز وميسرة وجئت الآن لأرسلك اليهما على عجل فاستعد لنفسك واعلم أن يومك هذا هو الأخير من حياتك فأنا هو فيروز شاه الذى سمعت بذكره وحدثك قومك بفعلى وسترى بعينك فوق ما سمعته بأذنيك وتعلم أن ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء فحمة

فلما علم طومار أنه فيروز شاه أظهر الفرح والانتهاج وقال له ريب فى أن هذا اليوم هو آخر الايام لأنى مؤكد أن ثبات قومك فيك وقد صار لى عندك ديون كثيرة فأستوفيها منك دفعة واحدة وانى عند ما كنت أسمع بذكرك كنت أظنك كبير الجثة وعليك من السلاح ما يقارب الذى على ولا أراك الآن الا تحمل سيفا صغيرا ورمحا لا يمنع وطارقة لا تدفع وأين عندك فانى أراك بلا عند أشهده الحالة قبلت أخوى فكيف كان ذلك وكيف أصدقه فقال ويلك يا طومار أتظن أن القتال بكبر الدماغ أو بحمل السلاح الثقيل ألا تعلم أن هذه الطارقة تدفع ألوفا من مثل عندك إذا كان يحملها ابن الملك ضاراب . وهذا السيف الذى استصغرته بعينك يقطع درعك وطارقتك إذا كان الضارب به حبيب عين الحياة فأنت لقتالى واستعد لملاقاة المنية فلم يعد بينك وبين الموت إلا ساعات قليلة فتنقضى وكان كلام فيروز شاه هذا مؤثرا فى طومار فلم يجبه بل هجم عليه وصاح به ورمى نفسه يطارده فالتقاه فيروز شاه بقلب كالجبال الراسيات وعزم يزعزع ثابتات الأرض من الأساسات وكان لهما ساعة من أشد الساعات ووقت من أعظم الأوقات كثر فيه بينهما الصراخ والصياح واتسع باب الحرب والكفاح وسدت أبواب اللعب والمراح وطارت اليهما الفرسان من كل جهة ومكان وارتفع فوقهما الغبار إلى أن لحق العنان وغارت تحتهما الأرض ومالت وأى ميلان واحتجب نور الشمس عنهما وما بان وأظهر كل منهما ما عنده من الحرب والطعان وأجهد نفسه بالمصادمة والجولان وكانا وهما يتناطحان ويهمهمان ويدمدمان كأنهما أسدان وقع بينهما الخصام والعدوان فاشتبكا للصدام والتحيا للانتقام وصاح فوقهما طير الحمام وقد صدق من قال ممن رأى تلك الحال انه لم يقع قط قتال بين بطلين من الابطال مثل ما وقع بين طومار وفيروز الأسد الرئبال منذ قديم الأجيال ولا حكى الحاكون ولا سمع السامعون بما فعل فيروز شاه ابن الملك ضاراب من الفنون فى الحرب والتسارع بمحاتف الطعن والضرب حتى اندهل طومار مما شاهد منه ونظر فوق ما سمع عنه لانه

كان يضربه بعمده ضربات قوية فيصيبها بهمة وحميـــة وقد أتعبه وأكربه وهو يدور من حوله كما يدور دولاب الأشغال عند اشتداد البخار المدفع بقوة الاشتغال ويخطف انخطاف البرق إذا برق أو النجم إذا ارزق فلا يتمكن من إيقاع نظره عليه ولا يراه إلا كاللولب من حواليه وثبت عند الجميع أن فيروزشاه أعرف بمواقف الطعان وأثبت في ساحة الميدان . وقد شاهدوا أعماله مع طومار واستطالته عليه بما أوقعه بالانبهار وتأكدوا أنه يريده قد طار هذا والحرب عاقدة بين الاثنين أي انعقاد ونيرانها تتزايد لهيباً وأي ازدياد وأحقادهما تشتد وأي اشتداد وكانا في التحام وافتراق ورجوع وانطاع وتقصير وساق وكر ولحاق حتى قصر طومار مع خصمه وعلم أنه هالك لا محالة إذا دام معه على تلك الحالة ولذلك توقف عن القتال وصاح يستوقفه عن النزال فأجابه إلى ما به أشار وقال له كيف رأيت نفسك يا طومار فلا بد من أن أسقيك كأس البوار وألحق بقومك من بعدك الهلاك والبوار قال إني لا أزال على عزمي وإني أحب الانصاف مع خصمي فان رغبت فيما أقوله لك وكنت منصفا انتهى بيننا القتال وعرف كل منا مقدار نفسه وتبين الجميع من منا الرابح ومن الخاسر قال يعلم الله أني لا أكره أن أجيبك إلى طلبك فاسأل ما أنت سائله واطلب ما أنت طالبه واعرض على ما خطر لك كي لا تبقى بنفسك حاجة ولا يقال أني جرت عليك في هذا المجال قال ان شرط الانصاف أن يكون الضرب بيننا متبادل بالاستواء فتضربني ثلاثا وأضربك ثلاثا فمن كان أشد عزما وأقوى عضدا يظهر لدى الجميع ويبان الفرق فيّ وبك قال اليك ما طلبت فاضربني ثلاث ضربات بعمدك الحديدي وسيفك الثقيل وإني أضربك بعدها ثلاثا بسيفي هذا الصغير الذي احتقرته وسوف يكون به القضاء عليك قال إذن اثبت في مكانك واستعد لضربي ثم رفع طومار عمده بقوة ساعد وفؤاد مدفوع إلى الانتقام حتى سمع لعمده في الجو رعد وهدير وزلزلة بهم ى وكل العساكر تنظر اليه وما منهم إلا من قال ان فيروزشاه قد سحق ومحق تحت تلك الضربة وصاح الملك ضارات يستجير بالإله القدير ان لا تصب الضربة ولده إلا أنها وقعت على طارقته واندفعت راجعة من تصادم القوتين إلى ما فوق رأس طومار وكان يظن أنها تقضي على خصمه لا محالة لأنه لم يضرب بزمانه قط ضربة مثل تلك الضربة ولما لم تؤثر فيه وشاهدها وقد اصطدمت بعزمه فيروزشاه إلى الأعلى انفطرت مرارته وعلم أنه هالك لا محالة لأن يده تخدرت وضعف ساعده ولم يعد في وسعه أن يأتي بواحدة ثانية كالأولى وقد استصغر نفسه بعد تلك العظمة وعلم أن الفرسان تتفاوت وإن خصمه من أشد الأبطال وأقواها فغاب صوابه ولم يع إلا وفيروزشاه قد

صاح به وقال له ويلك ياطومار اضرب ضرباتك فانى بالانتظار فأين ضربتك الاولى وماجرى عليك فزاده هذا الكلام غيظه وعرف أنه يتهكم عليه وقد أظهر كأنه لم يشعر بضربته فقال له قد بعثت اليك بالاولى فاذا كانت لم تقص عليك فالثانية بمساعدة النار ذات الشرار ثم رفع العمد ورماه فى الهواء وضربه به ضربة ثانية قوية فدفعها فيروزشاه بقوة ساعده فلت العمد من يد طومار واندفع إلى بعد أكثر من عشرين ذراعا ووقع إلى الارض فأشغل قسما من تلك الساحة وقد غاب وعى طومار وكاد يقع عن ظهر فيله إلى بساط الوهاد ولم يعد يعى إلى ما بين يديه ولا يعلم فى اى موقف هو ولو شاء فيروزشاه الايقاع به وكان من شيمته الغدر لفعل وأماته قبل أن يتم ضرباته غير أنه صبر عليه إلى أن هدأ باله وسكن جأشه فقال له إن هذا التطويل مما يضيع فرصة نتوقعها أنا وأنت فخذ الآن سيفك واضرب به فقد قرب دورى فاجابه أصبت غير انى كنت لا أحب أن أجرد سيفى على من هو مثلك لانه ثقيل العيار فاذا وقع على طارقتك قطعها وقطعك وقطع الجواد من تحتك إلى شطرين ثم أخذ بيده السيف فهزه حتى لاح الموت فى افرنده وضرب به فيروزشاه فالتقاه بطارقة ومنع فعله بمعرفته فلم يؤثر فيه ولا نال منه مراداو اذ ذاك صاح فيه وقال له اثبت ياطومار فقد جاء دورى وأنت ترغم الانصاف فاستعد فى موقفك الى أن أفرغ قال افعل ماأنت فاعل وكان من الغيظ فى بحر عميق لاقرار له فاستوى فى بحر سرجه وأخذ طارقته بيده وقد ظن أنها تحميه من خصمه لانها كما تقدم كانت كبيرة سميكة مانعة مغطاة بمسامير من الحديد ملدلدة الى بعضها وصبر ينتظر ما يكون من فيروزشاه ومن ضرباته وأما فيروزشاه فانه أطلق عنان الكميت ولعب به فى الميدان ذهابا وايابا وقد شخصت نحوه كل عين وانتظر الجميع ما يكون من أمره فازدحمت الاقدام فوق بعضها وعلق الايرانيون آمالهم بالنجاح وخاف الهندون من أن يقضى على طومار من يد بطل ذلك الزمان وبينما كان الفريقان على تلك الحالة كان فيروزشاه يصول ويجول حول عدوه الى أن صدمه وجاء أمامه وصاح بصوت صمت له آذان الجبل وانعطفت نحوه أعين الرجال ونهض بخفة البرق الى أن وقف بسرعة محكمة فى بحر سرجه ثم ضرب بحامه ظهر الجواد فار مع عنه عدة اذرع وقد شهر الحسام وقال بصوته العالى وقد ضربه بسيفه ضربة قويه جدها من يد فيروزشاه حتى عين الحياة وكان بارتفاعه فى الهواء قد علا الى ما فوق طومار فنزل ونزل سيفه يهوى وله بريق ولمعان فانبهر طومار من عمله وارتبك فى أمره خصوصا لما شاهده قد علا الى فوقه وكادت تعمى عيناه فلم يشعر الا والسيف قد وقع على درقته وكان سقوطها فسمع لوقعها فرقعة ورعيد ثم شعر بالسيف بعد أن قطع الطارقه الى نصفين

قد وقع على كتفه فقطع الحديد ودخل اللحم وخرج من تحت إبطه فاندفعت يده التي كانت تحمل الطارقة إلى الأرض وهي كجرع نخل واندفعت الدماء كالشئوب من جسده فألوى عنان فيله وعزم على الهرب وقد تألم من عظم الوجع وغاب عن صوابه فلم يتركه فيروز شاه أن يهمل العنان بل استوى في بحر سرجه واستلم لجام جواده وطوحه بسيفه فوقع في صدره واخترقه فمال عن ظهر فيله ووقع إلى الأرض فانعطف فيروز شاه إلى سيفه فاقتلعه من صدره وفي تلك الساعة علت أصوات أهالي إيران ونادت عن فرد شفة ولسان لا شلت يداك ولا كان من يشناك يا فارس الأنام وحامي الأعجام وسيد سادات الزمان واتسع صدر الملك صاراب من الفرح والمسرة بعد ان كان يحسب ألف حساب واندفعت دموع الفرح من عينيه وقال بصوت سمعه كل من حواليه فليحفظك الرب يا ولدي من كل عين وحاسد وليساعدك في أيام حياتك ويدفع عنك طوارق الحدثان وغدرات الزمان ثم أمر عساكره أن تقتحم عساكر الأعداء وتساعد ابنه فيروزشاه لانه رآه وقد اقتحم بحر تلك الجيوش الملاطم وهو شاهر سيفه يقاتل ويصادم وينادي مفتخرا بحسبه مباهيا بنسبه فهرت عساكر الأعجام البيارق والاعلام واقتحمت ساحة القتال والصدام كأنها أسود الآجام لا تخاف الموت الزؤام ولا تهاب من ضروب فواعل الحسام وفي مقدمتها فيروزشاه الأسد الضرغام وفلرور الليث الهجام وبهمرار قلي وطهمور الفارس المقدام وجمشيدشاه وأخوه خورشيدشاه ومرادخت الطرستاني وشيرين الشبلي الطلماني وعبد الخالق القيرواني وسيامك سياوشا وبهمرارقيا وميمو فارس السودان وبقية الابطال والفرسان فلتقاه جيش الاعداء وهو باسوأ حال وقد وقع بالخيبة وانقطاع الآمال لما شاهد طومار قد قطع بسيف فيروز شاه الأسد الرئبال وفي تلك الساعة اشتبكت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وسطا سلطان الموت وجد ل يطلب رواح الأرواح ورواح الآجال وقام سوق القتال على قدم الاستعجال ... فيه الشجاع ومال وتكدر منه الجبان المحتال وكثر بين الفريقين القيل والقال وعظمت المصائب والأهوال وزادت نار الحرب بالاشتعال وفاضت فيوض البلايا وصال الفارس البطال ودارت دراعي المنايا تشير بالهلاك والوبال ... القلعان والرجال ونادى على القوم بالرحيل من الاطلال ومفارقة هذه الدنيا الدانية الاعمال والقاسية الافعال وامتلأت من جثث المقتولين تلك الرمال وتعطلت أكثر ... تلك السهول واحداب وسبحت الخيل فيها فضاق عليها المجال وقد تقطعت من الفرسان الاوصال ومال فيروزشاه وجال وفعل أفعالا ترمى بالعجب والاندهال وتحدث بها الناس إلى نهاية الآجال فانه اقتحم جيش العدو فمال وضرب فصرعا عجب الاحوال

قصرت عن الاتيان بمثله أسود الأدغال وتذكر محبوبته عين الحياة ذات الجمال وقد لاحت له من خلال كثيب صاف المعمعة تميل بثياب الدلال وتبتسم مبتهجة بعمله عن ثغر أنقى من اللآل وهي تنظر اليه بنظرة الشكر وتطلب اليه الاستعجال والرجوع اليها عاجل الحال فجدد الطعن والضرب وأنشد وقال

يا عين لا تبكي بعدي عن اليمن | مهما رجعت كأن البعد لم يكن
وها حسامي يشق الجيش عن حنق | ويبرع القلب مفصولا عن البدن
وها جيوش أبيك اليوم أهزمها | فيسقط البعض بعضا وهو في محن
وتنفر القوم قطعانا مجفلة | إلى الفرار بقلب الذل والحزن
وقد تخلت عن الأوطان تاركة | تحت المذلة حب الدار والوطن
أرديت طومار مقتولا يعض بما | حديه وجه الثرى ملقى بلا كفن
تدوسه وهو كالطود الممدد في | وسط المجال جديلا أرجل الحصن
عيناك تنظرني والجيش منهزم | لدى من وجل عيناك تنظرني
لولا ادكارك والبيض الصفاح لها | وميض برق كبرق الثغر فيجني
لما قدمت على الاخطار ممتطيا | جواد عزم لعظم الجرى لم ين
خضت الربوع ومزقت الدروع وهو | قت الجموع وجند السعد يخدمني
دل على إذا أبقيت قط فتى | من الربوع ومن نضارة اليمن
ان تهجرى فسبيني وان هجرت فني | عهد الوداد وما أعطيت من حسن
أقمار وجهك لاحت لى مخالة | من المحاسن فى عهد وفى دمن

وكان ينشد وهو يطعن فى الصدور ويخرق الاكباد والنحور ويحط سعود الابطال من بروجها ويسقط باسود الفرسان من سروجها

قال وكانت عيون عين الحياة وأرصادها يشاهدون ما كان من قتل طومار وكيف أن فيروز شاه ضربه بسيفه تلك الضربة المهولة فعولوا على الرجوع اليها وان يخبروها بقتل طومار وما جرى عليه وقد تقدم معنا أن عين الحياة كانت تصرف أوقاتها بين الكاس والطاس وليس لها شغل ولاهم إلا مناشدة الاشعار والشكوى من حالة سده الحرب وطولها وقد وضعت بين يديها الصور فتشرب على صحة صاحبها وفى كل ساعة تصل اليها الاخبار وما كان من الحوادث بين الجيشين إلى ان كان ذلك اليوم فنهضت فى صباحه ودعت بهرمانها الكبيرة وبنتها وقالت لهما انى أشعر هذا اليوم بلذة داخلية وقد انتبهت من فراشى مسرورة وأنا لا أعلم سببا وظنى ماأظن انه سيأتيني خبر جديد مفرح يزيد مسرتى فهيا لى بواطى المدام وروق لى صافيها وارقبا لى جواسيسى ان تأتيني بالاخبار فقالا لها السمع والطاعة وأحضرا لها كل م

طلت وأقامت على شغلها من تذكر الحبيب وقد لاح لها ان تنشد فأنشدت وهي تحدق بنظرها إلى الصور وتميل بكل عواطفها وجوارحها اليها

قسما بصبح جبينك المتنفس ما شيب ثوب محبتي بتدنس
يا من إذا هزت معاطف قده هزأت بأعطاف الغصون الميس
رشقت لحاظك في فؤادي أسهما قد فوقتها عن حواجبك القسي
حتى م أبذل في هواك حشاشتي وتصان عني يا شقيق الانفس
لو شئت ما عذبت قلبي بالجفا يا موحشا سواك لم أستأنس
أيحل في شرع المحبة أنني أجني الصدود من الصباء الآنس
أو أن يبيت الطرف بعد رقاده يرعى السهاد من العيون النعس
أو أنني أعتاض يا كل المنى بالصبر عن لثم الثغور اللعس
من لي ببدر قد جلا شمس الطلا في كوكب فمحا ظلام الحندس
غصن ولكن بالفكاهة مثمر بدر ولكن بالمحاسن مكتسي
لم أنسه إذ رف بكر مدامه لأجل ندمان بأبهج مجلس
وسعى بشمس في رمان زجاجة وأدار راحا في محاجر نرجس
وغدا يعارلني بسحر لواحظ أزرت بألحاظ الجوار الكنس
وسكرت لما أن سقيت بلحظه أضعاف ما أسقيته بالأكوس
عني بكأسك يا نديم فإنما سكري بكأس جفونه في مجلسي

وأنشدتها شريفة بعد ان ناولتها كاسا من الخمر ممزوجة بالسكر والثلج تعرض لها بذكر حبيبها

مذ مال جرت له الاغصان ساجدة حوط له من رحيق الثغر أسكار
خط اللثام نقاب البدر من خجل وقد بدا في الدجى للصبح اسفار
وشاحه مثل قلبي خافق أبدا ولحظه فاتك للعشاق سحار
أضحى كجسمي منه الخصر ليس يرى ومقلته من العشاق أبصار
كأنما شعرة في خال وجنته دخان قطعة ند تحتها نار

وصرفت قسما انس تتملل من الهيام وهي على جانب كبير من المسرة والحبور تنتظر أخبار ذلك النهار وما كان من أمرهما ومن مرور شقيقها وطريق المسك صارات وما كان من حاله الحرب وبينما هي على مثل ذلك وإذا بالخدم وقهرمانة بين يديها مظهرين كدرهم فقالت لهم وقد مالت كل أمالها إلى معرفة الخبر ماذا حتم اليوم من الاخبار قالوا لها اعلمي يا سيدتي ان النصر الذي كان رجح لنا وكلل لنا طومار قد زال بزواله وعادت أحوالنا إلى التأخر والانعكاس وقد قتل طومار

وشرب كاس الدوار قالت ويلكم ومن الذى قتله وأظهرت كدرا عظيما وغضبا زائدا قالوا لها قتله يا سيدتى الرجل الذى لا يوجد له نظير فى هذا الزمان ولا نظرت من قبل عين مثله وهو فيروزشاه ابن الملك ضاراب فنزل هذا الكلام على قلبها أطرى من الماء الزلال وشعرت براحة عظيمة فى كل بدنها لم تشعر بمثلها مند الليالى الثلاث التى اجتمعت به فيها وقالت لخدمها وكيف قتـــله وهو طويل عريض يركب فوق فيل يكاد لا يدركه الفارس العظيم من رجالنا قالوا انه بارزه فى الميدان والناس تنظر اليهما فكان مع كبر جثته وضخامة هامته وعلو فيله لا يطيق أمامه حراكا ولا قدر أن يقتل عنانا بخصوره فقد اتعبه وأكربه فصيح منه صوابه ولما ضربه بسيفه فر عن ظهر جواده فى الهواء حتى علا إلى مافوق رأسه وضربه يا سيدتى ضربة قوية شغلت الجيش برمته فتحدث بها الكبير والصغير وهو ان السيف وقع على طارقة طومار فقسمتها إلى قسمين وقطعت الدرع وخرج السيف يهوى فى الهواء من تحته فوقع الى الارض جديلا وداسته حوافر خيل الأعداء ومن ثم هجمت العساكر إلى بعضها واشتبك القتال بين قومنا وبين الاعداء فأسرعنا إلى أن نخبرك بالخبر ونطلعك على قتل طومار لعلنا انك ترغبين فى أن تعرفى ذلك فى وقته وقد أوصية انه قالت انى اشكركم على فعلكم وأمدحكم على الاسراع بالجارى فارجعوا الآن إلى ساحة القتال وعودوا إلى كيف تدبرى الحال وإذا وقع صلح أو فارق قومنا او الاعداء أو وقع أمر آخر مهم فعجلوا إلى به وإنى أجزلكم العطاء وأرفع منزلكم فقبلوا يديها ورجعوا من حيث أتوا وأقامت هى بعدهم بمزيد فرح وقالت لقرمانتها ألا سمعت كيف أن حبيبى سائد على العالم برمته فهل يوجد فى زمانه من يماثله أو لايحق لى ان أقدم نفسى بين يديه وأفاديه كلى بأجمعى أو كيف لا أصرف الوقت بذكره وأقطع الليل والنهار على تردد اسمه وهو يقاتل الوحوش ويقتحم بحور المنايا ويرمى بنفسه بين مشتبك القنا ويسلك طرق الاخطار أملا بالحصول على ورجاء منه بأن يزيل الموانع التى تحول بينى وبينه ويقلع الاسباب بقائم سيفه الصمصام. فقالت لها اسما انى اعلم انك تحبه محبة وقد نظرت فى صالح نفسك موقع النظر فغيره لا يليق بك من كل أبناء هذا الزمان فقد جمع الله به الكمال بأجمعه وبالحقيقة ان لا بد عيون مفتحة تنظر وجه الحقيقة فترى فيروز شاه من حيث هو وتقدره حق قدره فيعرف أنه أهلا لك وأنه خير له إذا سمح له بك وزوجك منه ولكن عدو فيروز شاه لا يزال يعمى أباك عن ان ينظر إلى وجه الصواب بأعين الرغبة قالت انه مثبوت الذى ان طيطلوس الخبيث يكره حبيبى ويرغب فى هلاكه ولذلك صار من الصعب نهاية الحال قبل ان تزول كل الصعوبات والموانع والأمل منه تعالى ان الحرب تنتهى بوقت

قريب بعد قتل طومار ولابد من أن يعرض الملك صاراب بعد ذوره الصلح على أبى ويسأله رواح ابنته من فيجيه بالرغم عنه إذ يعلم أنه لابد له من إحدى على أى طريقة كانت قالت شريفة إن طيمور واسع القدر كثير الاحيال يأتى بالمصيبة من حيث لا ندرى فلابد من وضع مصائب وعراقل فى طريق الصلح وسوف ترى ذلك بعينك فاذا لم يقتل طمور أو يكرهه أبوك الشاه سرور لا تنقضى الامور قالت انى أعلم أن فى النهاية لابد من قراننا مع بعضنا مهما كان من طمور وأنى فقط يكفانى أن أسمع وأعرف أن فيروز شاه بخير وانه محرز النصر والفوز لايكدرنى إلا وقوعه فى مايكدره وهذا الحمد لله مكفول الآن ولابد أن يكشف لنا بعد أو بعد الغد عن حقيقة الأمر وما يكون من أمر الصلح وعدمه ويظهر لنا ما وراء هذا الحرب من الخفايا الكامنة فى زوايا الغيب

ودامت الحرب عاملة بين المتقاتلين بعيط واحتدام حتى قرب الظلام ودقت طول الانفصال تعلن بالرجوع عن الصدام فعادت عساكر الأعجام بعد أن أشفت غليلها من الاعداء وأنزلت بهم المصائب والبلاء وأرجعتهم أميالا إلى الوراء ولاسيما الزنوج أصحاب طومار فقد وقع بهم الهلاك والدمار وتشتت حشمهم بين الروابى والقفار لأن فيروز شاه مارجع عنهم إلا بعد أن وقع فيهم أى إيقاع وجعل حالهم عبرة لكل من قصد وقام يحدثون فيها أجيالا وأعواما ولم تعد تقوم لهم بعد ذلك قائمة فتبددوا وانتشروا كالهباء المنثور ونزلت العساكر تلك الأرض واجتمع أهالى إيران بملكهم وهنأوه بالنصر وأتوا من فيروزشاه فقبلوا يده وشكروه على فعله ومدحوه على قتله طومار وخلاصهم من شره ومثل ذلك أبوه ولوزراء فانهم قبلوه بين عينيه وقال له طيطلوس لقد أبيت الجيش الفارسى فخر فعقدته على رؤوس الاشهاد بما فعلته مع طومار وضربك له هذه الضربة العجيبة ألقت الرعب فى جميع الدين شاهدوها ولا سيما الاعداء فانها لم تسبق قط من أحد قبلك ولا أظن عاد أحد يقدر أن يأتى بمثلها فنشراك على ما عطاك الله من السرعة فى القتال والخفة والبسالة الممتاز بها على كل من دب وهب قال انى ضربت تلك الضربة وأنا مستعين بها ببركة أبى ورضاه على وعى ولولا دعاه لى لما فعلت ما فعلت وأظهر لك الآن أميالى من جهة نفسى فانى لا أحركونى على جانب من الاقدام والمقدرة العجيبة وانه يحق لى المباهاة بذلك غير انى أعلم تماما أن الله أوصل إلى ما أنا فيه وأوجدنى بهذه الحالة تعزز الجيش إيران وافتخارا لبنى فارس فما وجدت إلا لأحدمهم ولا أعطيت نصيبا كاملا من البسالة إلا لأدفع عنهم عدوهم وأحرسهم بسيفى وعينى من نكبات الدهر وضرباته فما منهم إلا من أثنى على كلامه وتأكدوا أن الله جمع فيه كل المآثر الحميدة وخصصه

باللطف وكرامة الأخلاق وحسن السجايا فهو عجب الأطوار رقيقها . وبعد ذلك قال فيلزور ان الجنيين لا يقدرون على الثبات أكثر من يوم أو يومين فقط وبعد ذلك يدخلون المدينة ويحاصروننا بها فيلزم أن نقيم أياما على الحصار . قال الملك صاراب إنى لا أظن أن الشاه سرور يقدم بعد أن لحق به ما لحق فى النهار على قتالنا وهو يعلم أن لا ثبات له فى وجهنا وعلى ما أظن أنه فى الغد يرسل إلينا بكتاب الصلح أو يعقد هدنة لتدبير أمره وإنى سأجيبه الى كل ماهو طالبه لعلمى أن ابنى لا يرغب فى أذية الجنيين ولا يحب أن يكون ظالما عليهم إلا إذا احتجنا الأمر إلى ذلك قال فيروز شاه إنى لا أكره من الجنيين إلا طيمور ولا ارغب فى أذيته لأنه هو واقد هذه النار ومسعرها ولا بد من منع الشاه سرور عن التسليم إذا رغب إلا فيه وتحريكه إلى القتال حتى إلى آخر نفس من حياته ولولا رغبتى بالتقرب منهم لما قصدت فى القتال سواهم ولا سعيت إلا فى نكدهم وفناهم غير أنى أعلم أنه لا بد لى من زواج عين الحياة واتصال حبل النسب بنا فالمراعاة لهم واجبة وقلبى لا يطاوعنى على الانتقام منهم لعلمى أن عين الحياة هى جنية وأنها تحب أبناء جنسها قال الملك فلنصبر حتى صباح الغد لنعلم ما يكون من أمر العدو وما يصل إلينا من أخباره

وأما الشاه سرور فإنه ما رجع عن القتال إلا وهو فى سوء حال تكاد لا تسعه الدنيا من الغيظ والغضب يذم الزمان ويلعن الأيام التى أوقعته فى هذه المصائب وقد تبين له أن رحا الحرب تدور عليه وأن النصر يكون لأعدائه فعقد مجلسا اجتمع به أمراء الحرب ورجال الدولة وقال لهم أرأيتم ماوقع بنا هذا النهار وشاهدتم ما حل بطومار من ضربة فيروز شاه وفى ظنى أن أسعى بالصلح والسلام وأجعل قتل طومار ختام الحال وبعده لا تقام لنا قائمة ولا عاد يمكننا أن نثبت أمام الأعداء أكثر من يوم واحد فتنقطع آثارنا ويحل بنا الويل والتشتيت كما حل بجيش طومار فقد تفرق واندثر فمن الرأى أن تنظروا فى أمر صالح بلادنا بما يكفل لنا البقاء دون أن يحملنا المذلة والعار قال طيمور أظن أن الصلح والسلام موقوف على إرادتك فمن أخبرك ان الملك صاراب [illegible] به بعد أن رفضنا طلبه هذا من البداية وأرجعنا رسوله بالخيبة والفشل [illegible] لا تكون إلا بطلبهم فلو رغبوا فيه لطلبوه فإنهم فى حاجة إليه أكثر منا أولا لبعدهم عن بلادهم وأهلهم وغيابهم فى بلاد بعيدة كبلادنا وهم غرباء [illegible] عن [illegible] وأولادهم ثانيا لأن ملكهم يرغب فى زواج عين الحياة فمن الواجب [illegible] مراعاتنا إنما [illegible] الآن انهم يرغبون فى أن يأخذوها [illegible] أن يتقووا [illegible] ويخربوا بلاده وهذا بعنايته تعالى لا يمكن [illegible] أولدى من [illegible] بكسح [illegible] ويخيب أملهم وعند الحاجة [illegible] من مشورتى

والآن ارى ان نداوم القتال فاذا اظهرت علينا الغلبة لجئنا إلى المدينة وحاصرنا فيها وبعد ذلك نرى ما أتانا الله به من المقادير الحسنة وإذ ذاك نهض الشاه شجاع ابن الشاه سرور واقفا على قدميه وقال اهل نصبر ونكف عن القتال وجيشنا لا يزال برمته محفوظا ونحن فرسان اليمن وشجعانها فاذا قتل طومار لم نقتل غيرنا فعندنا الأمير قتيل وهو من الفرسان الشداد وقد احرى به ان يرغب ان يأخذ على نفسه معى فى الغد عهدة القتال وما اتفق انفسنا الى مثل هذا الوقت الا لنعلم واعظم مرارتنا وانتم فى حال الضيقة اهل لولا طومار كنا لا نقاتل ولا نحارب وهل طومار كل عمره بجيشنا فسوف يبان لكم فى الصباح ما يكون فتعلمون صدق ما نقوله لكم فقال الشاه سرور كفانى يا ولدى ان القى بكم إلى الأخطار فقد فقدت منكم الشاه غضنفر مقتولا والشاه زور اخذ اخاك إلى بلاده اسيرا ولا اعلم بعد ذلك ماذا جرى عليه وعلى ما اظن انه قتل أو يقاسي عذاب الهوان والشاه هرمز هو فى بلاد إيران اسيرا وانت لا تلبث اذا غررت فى الغد ان تؤسر او تقتل فتزيد مصائبي وويلاتى قال لا خوف علي فانى اعلم عظم منزلتى فى الحرب وكيف ان فيروز شاه لا يخاف عليه ابوه اليس هو وحيد عنده ومثل ما هو فارس كذلك انا ايضا فسكت الشاه سرور وصبر على حكم القدر وارفض المجلس على دوام القتال فى الغد وان يكون ضد الشاه شجاع والأمير قيل امر الفرار

وفى صباح اليوم التالى نهضت العساكر من مراقدها ، فى نظر فيما يكون من امر ذلك اليوم وإذا بطبول حرب اليمنيين ضربت ورجالهم تتهيأ وتستعد فقال الملك ضاراب انى اعجب من عمل الشاه سرور وسوء عقله وتدبيره اظن فى نفسه انه يقدر على الثبات وان يقابلنا يوما آخرا مع انه لو سعى بما فيه خلاص نفسه وطلب الينا الصلح لأحييناه ولكن لا يزال يرى فى نفسه بعضا من القوة فلا يرعوى عن القتال ما لم تضعف تلك القوة ضعف الموت ثم امر فى ترتيب عساكره وملاقاة اعدائه فعملت و أول من ساعة اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وتعددت بالسلاح وتقدمت طلاب الحرب والكفاح وإذا بالشاه شجاع قد توسط الميدان فعرض و... وطلب براز الفرسان فما اتم كلامه حتى صدمه فرخزاد واخذ معه فى الصدام والطراد وكان فيروز شاه قد خرج وأرسل ان لا يرده وان يأتي به اسيرا كونه اخا من خاله ولذلك طرقه وضاربه وحربه فتقاتلا باليدين وتضاربا بالسيوف حتى خاضا بالعرق وتمنى كل واحد منهما انه لاحق بزوبعة وتيقنا [illegible] [illegible] وإذا بصيحة من جهة الميدان قد ملأت الجو كل عين وبيت ما كان من الاثنين وإذا بفرخزاد حمل الشاه شجاع كأنه اصبع الخروف فى يد أقوى السباع ...

لايستطيع حراكا ولايقدر على الافلات . وكان قدضعف منه العزم والثبات فاقتلعه كمايقتلع العاشق الحسور من بحور الهواء المعمور . وأتى به إلى أمام الفرسان . وألقاه إلى بساط الصحصحان . فتسابقت اليه الرجال وأوثقته بالحال وقادته بالقهر والاذلال ثم عاد فرخوراد إلى جهة الميدان يستنزل الأبطال والفرسان وإذا بالأمير فتيل قد صاح فيه واندفع عليه يطلب أخذ الثأر لرفيقه الشاه شجاع فالتقاه فرخوراد وقام بينهما سوق الحرب والطراد وكان القتال عظيما والنزال جسيما والاثنان فى أخذ ورد وقرب وبعد وقد حمى عليهما الحر وأتعبهما الكر والفر وزاد عليهما من نار القتال لهيب الاشتعال ورمتهما سهام الملال بأصوب نبال وداما على تلك الحال إلى قرب الزوال وإذ ذاك هجم فرخوراد على خصمه وقبض عليه من جلباب درعه وفعل به كما فعل بالشاه شجاع وإذ ذاك ضربت طبول الانفصال ورجع القومان إلى الخيام وأمر الملك صاراب أن يسلم شجاع والأمير فتيل إلى طود الايرانى السجان ليحافظ عليهما ولا تغافل عنهما وأقام فى الخيام وقد فرح غاية الفرح بأسر ابن الشاه سرور لعلمه أن أباه يسرع إلى إنقاذه فيفتديه بأخته عين الحياه ويسرع بالصلح ويرغب بالسلام ومثل ذلك فيروزشاه فانه سر غاية المسرة وثبت لديه انقياد عدوه وقهره وكان أعظم سروره سلامة الشاه شجاع من يد أخيه فرخوراد وشكره على ذلك وصبروا تلك الليلة على نية أن لا يعودوا إلى القتال فى غد اليوم التابع شفقة منهم على أهل اليمن وإظهارا لهم رغبتهم فى الافراج عنهم والتساهل معهم

وأما الشاه سرور فانه رجع إلى صيوانه وهو فى حالة كدره جدا وقد عظم عليه أسر ولده لأنه كان يحبه كثيرا ويفضله على إخوته وأقام لا يريد أن يكلم أحدا ولا يكلمه أحد نحو ساعتين وبعد ذلك سأله طيمور وقال له لما ياسيدى هذا الأمر فان سيدى الشاه شجاع لا يزال حيا فى جيش الاعداء وقد يمكن أن يتخلص بأقرب طريقه والحمد لله لم يقتل كما قتل غيره من الفرسان ومن الواجب أن نتبصر فيما يجب اتخاذه من التدابير اللازمة لخلاصه ولمنع القتال فقال إنى أفضل خلاص ولدى على كل شيء فمن قدر من عيارى بان الذى أن يأتينى به انعمت عليه وأكثرت عطاه وأوصلت إليه مناه فتقدم اليه فى الحال هلال العيار وقبل الأرض بين يديه وقال له إذا أمرنى سيدى خلصت له ولده والأمير فتيل بوقت قريب وإنى أعدك وعدا ثابتا أنى لا أعود من جيش الأعداء إلا معهما وسوف ترى منى مايسر خاطرك وتعلم أن هلالك شرارة طافى نار كل عيار قال إن فعلت ياهلال كما أنك على فعلك بالحيل وشكرتك على طول الحياة وإذ ذاك ودعه هلال وانطلق إلى جيش الايرانيين بعد أن تزيا بزيهم واختلط بهم فلم يعد يعرف ولا يميز منهم ولا زال

فى مسيره إلى أن وقف عند صيوان الملك صاراب وحده محتكا بالناس من كبار الوزراء والأمراء وكلهم فى صفوف مرتبة على حسب مراتبهم فوقف ينتظر الفرصة الموافقة وإذا به سمع الملك صاراب قد أمر أن يؤتى اليه بالشاه شجاع والأمير قبيل فأتوه بهما وهما مكبلان بالحديد مقيدان الايدى ولما وقفا بين يديه قال الملك صاراب للشاه شجاع أرأيت عتو أبيك وكبره إلى أين أوصله وبينت جهله وقد أوقعه بالمصائب وأوصل اليه الأذى والضرر مع أننا لم نقصد له ضرا ولا نوينا له شرا وما كنا إلا أمرا واحدا سهلا عليه له به الشرف والفخر والمجد بين ملوك الزمان فمن يكون صهره فيروزشاه ولا يفتخر على ملوك الأرض بأجمعها ويباهي به عزا وشرفا قال اعلم ياسيدى أن أبى منقاد لرجل كثير الشر والخداع ولذلك لا يمكن زواج أختى بفيروزشاه لأنه يحبه أكثر منها ولا يأتى رأيا بغير علمه وإنى أسأل الله أن ينهى هذا الحال على طريقة تحفظ لنا ولكم سلامة المصير قال فيروزشاه لا بد لى من قتل طمور وكل خصم يمانع فى منعى من الوصول إلى غايتى وسوف يعلم الأعداء أى منقلب ينقلبون وأما أنت فلا بأس عليك فإنك تبقى عندنا إلى حين النهاية لاخوف عليك من بؤس ولا ضرر ولولا رغبة فى سرعة الانتصار والوصول إلى حرمة الشرف ملك أبى لأطلقت سبيلك غير أن ذلك يكون مع قوم لاتضيع عندهم الحسنات فإن أطلقت سبيلكم الآن يعتبر أبوك ذلك من قبيل الواجب اللازب فلا يحسب أن ذلك من كرامة أخلاق ولا يعدها من قبيل المعروف لأنى عملت معه من الأعمال المحمودة ماعمله الناس بأجمعهم ومدحونى عليه إلا هو ووزيره طمور فإنهما مطبوعان على الشر مطويان على الغدر قال الشاه شجاع إنى لا أسألك إلا شيئا واحدا وهو أن تأمر بنقلى من عند هذا المحافظ الذى أقمته على فإنه ظالم غادر لم يطعمنى منذ إقامتى عنده حتى خارت قواى ولم يعد فى وسعى أن أنقل قدمى فتعجب من هذا الكلام فيروزشاه والملك صاراب وقال الملك لا بأس مما كان فإنه لم يكن اختيارنا وسهونا ثم دعا بأحد الأمراء وأمره أن يضعهما عنده وأن يكرمهما ويحسن معاملتهما ويكثر لهما من المآكل الطيبة فأجابه إلى ما أمره وسيرهما مع خدمه إلى خيمته فخرجوا بهما إلى خارج الصيوان وساروا وساروا من ورائهما هلال العيار وقد شاهد وسمع كل ماكان مما تقدم ذكره ولا زال سائرا حتى وجدهما قد أدخلا إلى الصيوان وأقيم عليهما الحرس وإذ ذاك أسرع إلى فتيلة من البنج فأشعلها ورماها بين الحراس فصاعد دخانها وهم لا يعلمون ما هى وما لبثوا أن سقطوا إلى الأرض كالأموات وكان قد اغتنم فرصة خلو الصيوان فأسرع إلى دخوله واحد من وسطه مجرد العيارين وكسر به قيود الشاه شجاع والأمير قبيل وقال لهما اتبعانى فإن الحراس نيام وإنى آخذكما إلى جيش أبيك فأنا هلال العيار

فلما سمع الشاه شجاع أنه هلال العيار كاد يطير من الفرح فأسرع إلى الخارج وكان ظلام الليل يسترهما عن العيون لأنه كان حالكا جدا لا يقدر المرء أن يرى رفيقه فسار هلال العيار بهما يخترق المضارب والخيام إلى أن خرج من آخرها وأوسع من جهة البر حتى قرب من عين ماء وهناك رمى بنفسه الشاه شجاع إلى الأرض وصاح إني وقيعك يا هلال قال لماذا ياسيدى قال أريد منك أن تأتيني بقليل من الخبز فان قواى قد خارت حتى لم يعد في وسعي أن أتحرك أو أقدر على المشى قال هذا لا يمكن ياسيدى فانى لا أقدر أن أتركك خوفا من أن يراك أحد عيارى الأعجام فيعيدك إلى أسرك ولا أقدر بعد على خلاصك فهلم بنا فان الجيش قريب من هنا ومتى وصلنا إلى طلائعه أتيتك بكل ما تطلب قال لا يمكنني ذلك فانى الآن في حالة نزع وموت فاذا لم تستدركني بالأكل تعدمني ومثل ذلك فعل الأمير قتيل فتكدر هلال من ذلك وخاف لها كثيرا دون جدوى وارتبك في أمره وحار ماذا يفعل وبالصدفة صادف وجود شيرك العيار في ذلك المكان لأنه كان في جيش اليمن وجاء عند آخر الليل منه وهو لابس لبس درويش بعمامة كبيرة ولحية واسعة وثياب ممزقة وبيده كشكول فيه من الخبز كسر كثيرة ولما قرب من تلك العين دنا منها ليشرب وبعد أن شرب سمع صوت مشي فاختبأ في زوايا العين عند شجرة هناك ليعلم من الآتين وصبر إلى أن سمع ما دار بينهم من الكلام وتأكد أن ذلك العيار هو هلال وقد خلص الشاه شجاع والأمير قتيل فانفتح له باب الأمل وقال في نفسه كيف أعود إلى سيدى الليلة بلا خبر جديد ثم انسحب إلى جهة الطريق المؤدية إلى العين وجعل نفسه كأنه آت من جهة اليمن واخذ بعد أمر جه فجعلوه يضعه في كشكوله وجاء يدرج في مشيه وهو يسبح الله ويصلي وهو ماش كأنه لم يشعر بوجود أحد في تلك الأرض فسمع هلال العيار صوته فقال للشاه شجاع اصبر ياسيدى فانى أشعر بقدوم درويش علينا فلا بد من أن يكون معه شيء من الخبز وقد ساقه الله إلينا من أقرب طريق ثم تقدم منه شيئا فشيئا حتى وصل إليه وتبين حالته وعلم في نفسه أنه درويش مسافر في ظلمة الليل يصلي لله ولا يفترق تسبيحه فكلمه بالحسنات وأراد أن يدعوه إلى جهة [illegible] أحمل وقال له [illegible] من الأعداء يقطع على الطريق [illegible] هذا [illegible] لا [illegible] من الأعداء [illegible] الله [illegible] هلال العيار من قوم اليمن ومعى الشاه شجاع والأمير قتيل [illegible] إلى أعدائنا [illegible] في حالة جوع [illegible] ملك [illegible] كسره من الخبز [illegible] لأننا آتون من جيش الأعجام ولم نعد الجوع فسمع [illegible] ورفيقه أن يخطر خطرة إلى الأمام قال عن منكم فما أنتم إلا قطعة

طرق مسافرين تقصدون لي الأذى فماذا يا ترى تأملون أن تأخذوا مني وأنا لا أملك
غير هذا الكشكول وفيه معجون الدراويش وقطع من الخبز وصوانة وقداحة وصوفانة
كبريتة وشمعة وبصلة ونصف رأس ثوم وبادنجانسان ومكب خيطان فيه ابرة ارقع
بها ثوبي وأخيطه فاذهب عني والا دعوت الله سبحانه وتعالى عليك لينتقم منك فان
الله يسمع من رجاله ولا يحب أن يظلم الظالمون ولاسيما الأشرار الذين يقطعون الطرق
ويخشون الناس فأين أنت وأين هلال العيار فانك إيراني لا محالة وهذا برهان على
صدقك وأنك تريد لي سوءا قال لا كذب يا عابد الله في قولي فأنا هلال عيار الشاه سرور
وقد أتيت إلى بين الايرانيين ولبست مثلهم لئلا أعرف بينهم وخاصة من الأسر ابن
الشاه سرور والأمير قتيل فيأتي معي إلى مولاي واني اقسم لك بالرب العظيم القدير خالق
الليل والنهار اني ما تسلطت لذلك الا واقعة الحال والله شاهد علي ولو كنت ممن تزعم
لما صبرت عليك إلى الآن بل كان في وسعي ان أبطش فيك وانزع ما معك غير اني
أعلم أن الذي مثلك لا يقرب منهم ولا يطمع فيهم وما عاينا إلا بعض كسر من الخبز
فأظهر شيرنك أنه اطمأن باله منه وارتاح اليه وقال له ان كان صحيحا ما تقول فمعي
معجون اسمه معجون الدراويش إذا أكله المرء يقيته مدة أسبوع فساراحتى وصلا
إلى الشاه شجاع فوجداه يأنه من الجوع فقال له قد توفقت يا مولاي إلى طلابك فهذا
درويش من أهالي البين آت ومعه معجون وقد سألته أن يعطيك بعضا منه قال عجل علي
يا درويش وخذ مني عن كل قطعة منه قطعة من الذهب . قال ماذا نعمل نحن بالذهب
ألا تعلم أن عباد الله لا يرجون غير قوتهم الضروري ولا يقربون من مجد هذا العالم
ولا يرغبون في شهواته فهاك المعجون بدون عوض لأنه أناني مجانا ومسلما خذ أعطى
فأنها من فضلات المحسنين ثم دفع اليه كسر الخبز ومثل ذلك للامير فتناول
تناول الثلاثة منه وأكلوا بنهمة واشتياق وبعد ذلك رفع عصاه وضرب بها هلالا
ضربة كادت تعدمه الحياة فضاع عقله ثم صرعه إلى الأرض وأقام عليه يشد كتافه
فصاح من تحته وذلك يا درويش ما هذا العمل ولما غدرت بي و[illegible] أوصل لك
[illegible] وقد خدمت حتى [illegible] اصابك [illegible] طرك قال واي درويش [illegible] لا تعلم اني
انا شيرنك عيار [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] كالأصنام لا [illegible]
الدت والبس لا [illegible] قت كلام [illegible] فلما سمع هلال كلامه [illegible]
كبرى وأن [illegible] قد درى [illegible] واعلم [illegible] كما أصعب [illegible]
في تلك الساحة [illegible] تلك [illegible] ثم صاح [illegible] وأما شيرنك [illegible] الشاه إلى

شجاع والأمير قتيل فوجدهما ملقيين إلى الأرض فربطهما بأيديهما وحمل هلالا على كتفه وأسرع به عائدا إلى جيش إيران وكان الصباح قد قرب أن ينشق نوره المرهج شيئا فشيئا فدعا بعضا من العساكر فأقامهم حراسا على هلال وأخذ معه رجلا وعاد إلى جهة العين فحمل الشاه شجاع والأمير قتيل وكرراجعا إلى أن دخل الجيش وسار بأسراه الثلاثة حتى انتهى إلى صيوان الملك صاراب فوجد الملك والامراء في اضطراب لان الامير عاد إلى صيوانه في آخر الليل فلم ير أسيريه ووجد الحراس منبطحين نياما إلى الارض فعلم ان حيلة وقعت عليه وان الشاه شجاع والامير قتيل تخلصا وعينا فارتبك وعصب العصب الزائد وطاف في نواحي الجيش شرقا وغربا وهو يسأل فلم يهتد أحد إلى الصواب وكان الناس نياما وليس غير الحراس فقط منتبهون وما واحد منهم راى إلى ان كاد ينفرج الليل وإذ ذاك إلى الملك صاراب فايقظه واطلعه على فقدان الاسيرين فتكدر جدا ولم يهن عليه هذا الامر واجتمع عنده وزراؤه وامراؤه وعلموا جميعا ان الذي فعل ذلك هو من عياري العجميين وبينما هم على مثل ذلك وإذا فشربك العيار قد وقف بين يدي الملك وطرح امامه هلال العيار وهو موثوق اليدين فقال له من هذا يا شربك قال هذا يا سيدي عيار بلاد الشاه سرور وقدوقع بين يدي فأتيتك به دليلا حقيرا انتقاما له على فعله لانه خلص اسيريك وهما الشاه شجاع والامير قتيل وقد صادفته في الطريق فاسترجعتهما منه وقدته قود المعير قال واين الاسيرين قال هما هنا يا سيدي ثم امر بأن يدخلا عليه وكانا قد استيقظا من البنج بنصده فلما شاهدهما الملك فرح فرحا لا يوصف وشكر شربك على عمله وقال له كيف قدرت على ذلك فحكى له كل ماتوقع له مع خصمه إلا ان اوصله إليه فقال له خيرا ما فعلت لانه يصعب على ان يدخل عيار العدو إلى جيشي ويجري غايته فيه ويخرج منه ولا ينتبه أحد إليه ولذلك لا بد لي من قتل هلال العيار والانتقام منه وفي الحال أمر ان يوضع في نطع الدم فقال له هلال وأي ذنب فعلت يا سيدي لاقتل اهل لا يحق لي ان اخلص سيدي وهو عندك اليس ذلك من واجباتي وصرب مفروض علي وما هي مهمتي الا ترى غير هذه فاذا قتلتني تكون قد ظلمتني لان مثل ذلك يفعل عيارولك فدخلون جيشنا يصفاتهم الغريبة المنوعة ويجرون كل ما يقدرون عليه من الحيل والمكر وتلك مهمة العيار فهل يقتل الذي يخدم سيده بأمانة ولو كنت من عياريك لرأيت مني ما يسرك وفوق ما يسرك فأعجب الملك صاراب كلامه وقال له قلت صوابا ياهلال واني ارغب في ان اشدك إلى عياري بلادي واصل اليك بانعامي فتكون محترما معظما عندي مقدما بين عياري مملكتي فقد اعجبتني صفاتك فاذا كنت تقلع عن خدمة الشاه سرور وتخدمني اريد مرسك واعطيك

أمورالا حيلة قال إن هذا جل ماأرغبه ياسيدى وأطلبه من زمان وأى شرف لى أعظم من هذا الشرف بأن أكون دائما فى ركابك وتحت أمرك وطوع إرادتك وإنى أعدك الوعد الثابت من قلب طاهر إنى لا أخونك وأنى أصرف حياتى خادما طائعا لك ولامرك وأقسم لك بالرب العظيم القادر أنى لا أخلف فى قولى ولا أرجع عنه وان شئت أن تبقى على قصدى فى سجنك الى نهاية هذا الحرب ان كنت تخاف منى خيانة أو ظن فى سوءا قال الملك صارات انى أحتاج الى قولك ولا أريد أن أبقيك فى سجنى بل أرغب أن أسمع فيك أثناء هذا الحرب ويكون لك اليد الطولى فى كل الاعمال والاجراءات اللازمة انما اريد منك كفيلا على صدق قولك هذا وأطلقك لهذه الساعة ثم التفت الملك يمينا وشمالا فى الامرا والفرسان فوجد مهرور العيار واقفا بالقرب من سيده فيروزشاه وهو ينظر اليه وعيناه تقدحان شرار النار فقال له أتكفله يا مهرور بأنه لا يعود الى خدمة الشاه سرور ولا يخون بنا ويكون محافظا على صوالحنا أمينا على أقوالنا قال كلا ياسيدى فانى لا أكفله مطلقا لانى أعلمه أنه خبيث محتال وأن فى نيته ان يغدر بنا ويوصل شره الينا وسوف يكشف لك المستقبل عن الحقيقة وتعلم صدق ماأقوله لك الآن وتتذكره فيما بعد فقال هلال اخطأت يامهرور فقد طعنت فى على غير حق فانى اقول الصواب ولا اريد ان اخرج من الآن وصاعدا عن خدمة الملك صارات وستأتى الايام بالحقيقة وانى من زمان تطلب نفسى ان انضم الى عيارى الاعجام لما اعلمه فيهم من الشجاعة والاقدام ولاسيما انى اعرف ان الملك صارات يعرف قيمة عياريه ويقدرهم حق قدرهم ولا يضيع لهم نفعا بخلاف الشاه سرور فانه لا يظهر منه للجميل دليل ولا يمدح احدا على صدق خدمته وقد اقسمت الآن بالرب العلى العظيم انى على ما اقول صادق فقال الملك ان كنت يامهرور لا تقبل ان تكفله لدى فطالى وفرسانى وتخاف من خيانته وغدره فأنا اكفله واضمنه انه يكون من جملة عيارى فلا يغدر احد من رجالى ولا يؤذى احدا فاجاب هلال مظهراً شكره وممنونيته للملك الآن زدت رغبة ياسيدى فى خدمتك فقد يمكن لو كان مهرور ان يتحدثني نفسى بالرجوع الى خدمة الشاه سرور اما الآن وقد ضمنتنى انت فلا عاد قط يخطر لى ان اذكر الشاه سرور وبلاده بخير لاسيما وانى اعلم ان نجم سعده قد قرب على الزوال فلا عاد يقدم على النجاح ولا يتوفق فى امر من الآن وصاعدا

فلما سمع الملك كلامه ركن اليه كل الركون فأمر ان يؤتى بصدرية مزركشة من الذهب فقدمها الى هلال وكذلك امر له بخنجر مجوهر من قبضته بالحجارة الكريمة مجوهر القبضة فدفعت اليه وقال له انزع عنك ثياب عيارى الغير والبس ملابس عيارينا وكن واحد منا وقد عينت لك عن كل شهر خمسة وعشرين ورقة من

الذهب ورتبت تلك العلوفات المقتضية فما صدق أن سمع هلال هذا الكلام حتى وقع على قدمي الملك يقبلها وقد شكره على معروفه وكان خبيثا محتالا قادرا على المداهنة والخداع وأقام من ذلك اليوم بين القوم كعيارهم وسوف نعود اليه وإلى ما يكون منه فيما يأتي

وأما الشاه سرور فانه كان معلقا كبير أمل بهلال وهو يعد نفسه أنه يعود اليه ومعه ابنه والأمير قتيل إلى أن كان الصباح ومضى قسم من النهار ولم يرجع فعلم أنه وقع في يد العدو أسيرا فأمر باحضار وزيره واستشاره بماذا يفعل قال لا نعلم إن كان ذلك حقا فان هلالا قال انه لا يرجع إلا بهما فربما لم يتوفق إلى الصواب ولا اهتدى إلى طريقة تمكنه من خلاصهما فصبرا إلى هذه الليلة وإنما اشكر الله حيث الايرانيون لم ينادونا بقتال في هذا النهار الا أنهم في الغد لا بد من أن يكرون الى قتالنا فقبل كل شيء يجب أن نرسل الجواسيس تكشف لنا خبر هلال العيار وبعد ذلك ندخل المدينة وننظر في تدبير أمرنا قال أصبت بحسن الراى ثم أمر أن تسير الجواسيس الى جيش الأعداء تستكشف له الخبر عن هلال وتأتيه بالحقيقة فسار العيارون الى ان دخلوا بين جيوش الأعجام وكل منهم قد تزيا بزى كي لا يعرف وما جاء آخر النهار الا ورجعوا على أعقابهم فوقفوا بين يدي الشاه سرور وأخبروه أن ولده لا يزال أسيرا عند عدوه وأن هلال العيار هو قائم بخدمة الملك صاراب لابس ملابس عيارى العجم متقلد بأسلحتهم لا يفرق عنهم وقد صار كواحد منهم فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام قلب الضياء في عينه كالظلام وقال ما الذى أوجب هلال الى الانقياد الى الأعداء والمخالفة علينا قال له أحد العيارين قد سمعت أنه بعد أن خاص الأمير هـ ل والشاه شجاع وعادهما القاه شريك العيار فاسترجعهما منه بالحيلة وأسره ايضا وقاده الى بين أيدى الملك صاراب فتكدر من عمله وأراد الانتقام منه على عمله فدافع عن نفسه وعرض خدمته على الملك صاراب وقال له انى أرغب في أن أكون دائما بين يديك لعلي أربح بخدمتك بتشرف وأن سعد الشاه سرور قد زال فأخذ منه الملك صاراب العهود والمواثيق وأنعم عليه بزائد الانعام وشمله بين عياريه فزاد غيظ الشاه سرور وقال اطيفور انى أعجب من الزمان كيف يأتى بما لا أنتظره ... على عيادى عامل على أخيرى ولم يكن في ظنى أن لدى عيارين لا يعمل على الغدر في ويوافق عدوى وكنت أظنه من أحب الناس الى ومصالحى وأشدهم رغبة في صوالحى ونجاحى قال طيفور انى لا أظن أن هلالا أطاع الملك صاراب عن خلوص نية ولا بد من أن يأتينا بالنجاح وسوف تظهر لك الحقيقة الآن نرى من الواجب أن نأتى على ما فيه نجاحنا وننظر في ما هو أهم من مسألة هلال

قال بماذا فكرت وعلى ماذا عولت قال فكرت بأن نجمع الجيش وندخل تحت ظلام هذا الليل المدينة ونقيم على أسوارها ومن قرب منها نرميه بالنبال وندبر الخنادق بالمدينة وفى أيدينا سهام المنايا فاننا نرى فى ذلك نجاحا مكفولا مدة أيام إلى أن ننظر إلى ما يأتينا به الزمان وعلى الأمور الآيلة إلى رجوع فوزنا محققة لنا فنظهر فيما بعد قال افعل ما بدا لك وانى أستصوب هذا الرأى لعلنى أن قياما خارج المدينة يوقعنا بالبلايا والمصائب وربما لا نتمكن فيما بعد من الدخول إلا بعد فقدان كثير من عساكرنا ورجالنا وإننا متى كنا على الأسوار نقدر أن ندافع أعواما لاسيما وإن جيشنا كثير وان القتال يكون بالسهام والنبال فهم على بساط الأرض مكشوفون لنا ونحن فى الأعالى نتمكن منهم ونبطش فيهم جميعا والله يعطى النصر لمن شاء وأراد

وبعد ذلك صبروا إلى أن اشتد ظلام الليل فأقبلوا راجعين على الأعقاب بدون أن يبدوا حركة أو يأتوا بما يظهر للأعداء انهم قد أخلوا تلك الأرض وكان جل خوفهم أن يعلم الأعجام بهم فيمنعوهم من الدخول ولا زالوا يدخلون من الأبواب أفواجا أفواجا إلى أن دخلوا برمتهم وأخلوا تلك الأرض حتى لم يبق فيها إلا آثارهم وأقفلوا من خلفهم الأبواب وتسلقوا الأسوار فأقاموا عليها وتفرقوا على الحصون يترتبون ويتدبرون وقد أخذوا قسيهم وأكثروا من نبالهم وكانوا كالجراد المنتشر فى كثرة العدد وقد أملوا بعض النجاح بالمدافعة والممانعة وثبت فى أعينهم أنهم يثبتون على تلك الحالة زمانا طويلا كأنهم قد تيقنوا قوة أفعالهم وتدابيرهم الفعالة القوية . ولما كان الصباح نهض الملك صارات ورجال إيران وفرسانها ونظروا إلى جهة الأعداء فلم يروا أحدا منهم بل نظروا إلى آثارهم فوجدوها باقية فى تلك الأرض فتأكدوا أنهم قد دخلوا المدينة من الخوف والجزع وعزموا على الحصار والدفاع من داخل المدينة فكدرهم هذا الأمر وقال الملك صارات لم أر فى زمانى قوما أكبر جبنا من الهنديين وأعظم غدرا منهم وخيانة وأضعف عقلا ورأيا فهم جهلاء لا يحسنون التدابير ولا يعرفون ما فيه صلاحهم وخيرهم وظنوا أن القلاع والحصون تحميهم منا أو تمنعهم عنا وقد جهلوا شدة حربنا وإننا لا تمتنع الحصون والقلاع عنا ولا تحول بيننا وبينهم كالنجوم المنتشرة فى كبد السماء فقال طيطوس انه من الصواب أن نتقدم إلى الأمام ونقف مقابل الحصون ونحاربهم ونلجئهم إلى القتال وقد ثبت عندى أننا ننتصر عليهم بعد صعوبة كلية لأنهم قد تحصنوا فى مراكز على الحصون ويمكنهم أن يقاتلوا بالنبال ويرمونا بالسهام فتعوقنا عن التقدم ونخسر كثيرا من جيشنا وليس لنا مراكز نحتمى بها منهم فالمذهب أولا إلى تحت المدينة ونظر هناك فى أمر القتال لعلنا نتوفق إلى طريقة نقربها نجاحا وكان ابن ورتاد فيروز على

كل ما بسط أمامه بل كان غائصا فى بحر من الهواجس وقد رآه أبوه على تلك الحالة وشاهد فيه دلائل الغيظ والتأثر الناتجين عن عوامل الحب فانفطر قلبه له وأمر فى الحال ان تتقدم العساكر الى الأمام وتقف فى مراكز تكون مقابلة لحصون المدينة ومعاقلها ولم يكن غير ساعة من الزمان حتى نهضت تلك الجيوش فعلت فوق ظهور الخيول ورفعت الأحمال فوق ظهور الجمال والبغال ونقلت الذخائر إلى جهات المدينة وحطت عساكر ايران بالقرب منها بحيث تشاهد كل ما يكون منها وما هو فيها وضرب الملك صارات صيوانه فى نصف جيشه وضربت من حواليه صواوين حرسه وكل قائد ضرب صيوانه فى قلب جيشه وكذلك فيروزشاه فانه ضرب له صيوان فى قلب جيوش الروح وإلى جانبه صيوان الأمير ميمون وما انتهى آخر ذلك النهار الا وهم على غاية ما يكون من التهيء والأهب وقد انتهوا من النقل واقاموا فى تلك الارض كالبساط المبسوط على وجه القفار فى ايام الربيع الخصبة ولما رأى الملك صارات الى الحصون وشاهد مناعتها ورأى الذين عليها ينفخون وصحون وبايديهم القسى والنبال وشاهد حول المدينة خندقا عميقا لا يمكن للخيل ان تتعداه ولا للمشاة تجتازه تكدر جدا ودعا اليه وزراءه ورجال دولته وعقد مجلسا فى صيوانه واستشارهم فى ماذا يفعلون وكيف رأوا فى سبيل خرق هذه الحصون باقرب وقت ومنع الحصار بما امكن من السرعة قال طيطلوس وأى شيء رأينا غير القتال والدفاع انما من الواجب على القواد والفرسان ان تتحد قلوب الاسود فتقاتل فيها امام جيوشها كى لا تضعفها سهام الأعداء ولا تضعضعها نبالهم وعندى يقين اننا لا نلبث ثلاثة ايام ما لم ندخل المدينة قال الملك وكيف ذلك والحصون منيعة وحول المدينة خندق واسع قال اننا باثناء القتال نعين رجالا مخصوصين يشتغلون بسد الخنادق بالتراب وطمره وفى تلك الساعة نهض ميمون وقال لا يرهب سيدى الملك عظم هذه الحصون فهى سد قوم من اخس رجال العالم ولو كانوا من الأشداء لدافعوا فيها ملايين من العالم احيالا كثيرة وانى قد جئت اليها مرة مع فيروزشاه وكدنا نخربها بوقت قريب لضعف الرجال الذين عليها لو لم يبادروا الينا بالصلح والطاعة ويدفعونا عن المدينة بان سلموا الينا سيدى فيروزشاه وذلك كان رحمة من الله على بلادنا ورجالنا ولذلك اعد سيدى الملك انى برجالى أقدر على فتح المدينة بهمة رئيسنا فيروزشاه ولا اريد منكم الا من يدفع عنا سهام الأعداء وذلك بأن يقاتلوهم بالمثل ويكثروا عليهم من رمى سهام فيخافون ويقاتلون بضعف قلب فليعين سيدى امامك اناسا لرمى السهام والنبال من حولى نرميهم الخندق وهدمه ونحن نكمل لكم هذه الحصون بعمدنا والصعود عليها قبل ذوات بهار غد وانا لا ارجع ما لم نفتح المدينة دفعة واحدة فتشكر الملك ميمونا

على قوله وقال ان ماأشرت به صوابا فلننتخب لنا قوما ماهرون برمى النبال يدورون على الثبات عليه فنقيمهم يدافعون عما فهص سيامك سياقا وقال ان أمر سيدى الملك أحدث على نفسى هذه العهدة لأنه مقرر عندكم أن حيشى هو أشد الرجال معرفة برشق السهام النارية وقد صرفت جهدى إلى أن جعلته فى أول درجة فهو وحده قادر أن يوقع بجميع من على الحصون ويعمى أبصارهم عن أن يعودوا إلى الثبات على الحصون وأثبت قولى هذا بوعد أثبت منه انى لاأدع النهار يمضى وعلى الحصون رجل من اليمنيين مع كثرتهم فشكره الملك صاراب وفيروزشاه وجميع الحاضرين وعهدوا اليه بهذه المهمة ثم أمر الملك بأن يتقدم مرادجت الطبرستانى وشيرين الشيبلى الطلقانى برجالهما إلى هدم الخندق وأن يزحف الباقون على الأسوار وفى مقدمتهم ميمون بجيش الزنوج والزور بجيش إيران وانتهى الحال على هذا المنوال ونفض المجلس وكل يهيء نفسه ويتأهب فى الصباح إلى إجراء مهمته وما أعهد اليه ما فيروزشاه فانه كان ينظر إلى تلك الحصون ويعض على أسنانه من الكدر والغيظ كأنها قائمة على قلبه لأنها كانت المانعة القائمة بينه وبين حبيبته ولولاها ولولا من عليها لدخل المدينة وشاهد عين الحياة ونال شوقه من النظر اليها فانه فى تحرق زائد إلى ذلك وقد مضى عليه كثير من الايام دون أن يسمع عنها خبرا أن يصل اليه من نحوها علم وقد أرق تلك الليلة ولم يعد يخطر على باله غيرها وكيف دار بوجهه يرى شخصها يلوح لعينيه وقد زادت بهاء ورونقا واكتسبت من أثواب الجمال حللا لاتبلى مع توالى السنين والأيام وهى منكسرة الخاطر محصورة البال تطلب الوصول اليه ولاتقدر عليه حتى ضاق صدره وعيل صبره وعول أن يلهى نفسه بالنوم فلم تطعه ولاحى عنه خيال محبوبته وهو ملاصقه يدعوه إلى الدنو والمصافحة والعتاب على طول الغياب فلم ير داعيا لعلاج غرامه وإسكان بعض جأشه إلا بعد مناشدة الأشعار فعدد كثيرا منها مشيرا إلى الحب ودواعيه .

هجوت بعد بينهم حرام	وان كثر التعرض والملام
فما يخلى أحشاء سليم	كما نفى أضر به السقام
لقد أخفى الهوادج بدر تم	وكان الأمس مطلعه الخيام
عهادا نفتديه وما لدينا	عقيب رحيله إلا العظام
أنهنه أدمعى فيه ويعرو	فؤادى من تحببه الأوام
وتروى الكاس من شفتيه [illegible]	ويحى ورد خديه اللثام
نواصل ساعة ويصد دهرا	فما عماؤه إلا [illegible] عام
ونأنس طيب وصل [illegible]	[illegible]

إذا هي أقبلت فالصبح باد ... وإن هي أدبرت جن الظلام

وقوله أيضا

إلى م الجفا تالله أحلى الهجر ... وإن اصطباري قد قضى ذلك العمر
أيا ريم وادي الهجر من صلوعنا ... ترفق فإن الصب أعجزه الصبر
بعيرك إن اتهمت أني أحبه ... يمينا فما للغير في خاطري ذكر
خذا لي كونا لي فما الخل غير من ... يعين خليلا عندما دابه العسر
وقولا كثيرا قد تركناه باكيا ... ومن شربه خمر الهوى جاءه السكر
لكي تعتريها رأفة وترق لي ... ويظهر في ليل النوى ذلك البدر
يمينا وإن جد الزمان بعدنا ... فلا أنتهي عن حبها ما بقي العمر
سقى الله أياما لنا ولياليا ... وسرا خفي عن كل واش له سر

وبالحقيقة انه لم يكن في زمان فهرور شاه من هو مثله في كل مزاياه فانه كما كان أفرس أهل زمانه وأشدهم إقداما وأجملهم شكلا كان أعظمهم حبا وأكثرهم غراما وكان أصبرهم على الحب وأقدرهم جلدا عليه وعلى احتمال المكاره وهو يعد نفسه من يوم إلى يوم بالاجتماع بعين الحياة بعد نهاية الحرب ورجوع أبيها عن عناده ونظره إلى الصواب فموافقته على غايته وتقضى بينهما العداوة ويقلع الشر والفساد فكان كلما قرب آماله كلما طالت وبعدت وتصعبت وهو يجهد نفسه في أن يخفي شدة حبه ولا يظهره أمام أحد إلا فرحوزاد وبهرور غير أن عموم الجيش كان يعلم بحالته ويعرف ماهو عليه وأنه بات في كل ليلة على نار من الهيام تتسعر بشدة كلما طال المطال وتوقد بأيدي الفراق والجفا وكان أعرف الناس بحالته أبوه لأنه كان ينظر اليه بعين حبه فرأى أن له ماهو عليه من العشق المفرط فيتأثر من جرى ذلك ويضيق صدره ويتمنى أنه فدى بلاده ورجاله في سبيل بلوغ مراده ولولا شرف نفسه واعداد الملك لانه لعرض على الشاه سرور أن يعطيه بلاده وملكه وجميع ما تصل اليه يده في مقابل زواج ابنته لابنه وكان ذلك يأمل عليه فلا يدع حاجة في نفس ابنه الكريمة إلا أن الرجاء كان يهون عليه المصاعب فظهر له أن الشاه سرور سيقاد صاغرا ويسلم ابنته رغما وقهرا

وفي صباح الغد نهضت عساكر إيران على نية القتال فصرفت طبول الحرب إعلانا للابتداء كي لا يقال بأنهم غدروا بهم وتهيأت الصفوف واستلم كل فارس قيادة جيشه ووجهه في طريق عدوه وما عهد اليه عمله وأما سيامك فانه جمع جيشه وعدده ثلاثون ألفا كما تقدم الكلام وقال لهم اني ماصرفت هذه الأيام الطوال في تعليمكم رمي النبال إلا لمثل هذا اليوم وقد عهد الينا الملك صارات بحماية الجيش

كله لما كان يحق الركون لنا ويعلم ماتحن عليه من البسالة والاقدام فكانه قد اختارنا عن سوانا فلا تصيبوا حتى تركونه ولا تتأخروا أو تفتروا عن تصويب سهامكم إلى الاعداء القائمين على الاسوار بل أريد منكم أن لا يصيب سهم دون مرمى أي دون أن يشك صدرا وأن تكون سهامكم كصائب في وجه الاعداء يعطي بقية الجيش فأجابوه عن فرد لسان انما نكون فوق ما تظن ليعلم ملكنا أنا نحبة جيشه فشكرهم وسار بهم إلى أكمة تجاه إلى الاسوار عرف أن سالهم تصل اليها منها فاتخذ لهم مراكز فيها ومراقب من الرمال وأحكموا عملهم وما انتهوا من تدبير أحوالهم إلا كان بقية الجيش قد بدأ بالزحف وتهيأ الآخر لطمر الخندق وتقدم جيش الروح تحت إمرة فيروزشاه وميمون بقصد هدم الأسوار وفي تلك الساعة تساقط النبال من على الأسوار كما تتساقط الأمطار واندفعت اليها سهام سيامك النارية كما تندفع الكلل من فم المدافع واشتعل عمل القوم وعلا صياحهم ونواحهم وكان دخان النبال يرتفع ويتكاثف شيئا فشيئا حتى أعمى الأبصار وحجب المدينة عن الانظار ولم يعد يرى الرجل خصمه ولا يعرف أين تقع يده وقد عظم الحال واشتدت الأهوال وحال بين القوم عزرائيل يقبض الأرواح ويبعث بها إلى مستقرها حتى عجز وضعف من كثرة العمل ولم يقدر ان يقوم بمهمته لكثرة القتلى فاستعان برفاقه على تتميم مهمته وكان جيش المدينة من على الاسوار يرمي بالنبال وهو لا يعلم إلى أي صوب تقع لأنه كان قد عميت أبصاره من كثرة رمي السهام النارية المرسلة من قسي رجال سيامك سافيا واحتجب الجيش عن أعينهم بما ثار من غبار حوافر الخيل وكانت ساعة مهولة زهقت بها نفس الابطال وتقطعت أوصال الرجال وقام منادي الويل واقفا على الأقدام ينشر ذيول الهلاك والاعدام ويعجل سلب الارواح عن تلك الاشباح ولم يكن إلا القليل من الوقت حتى تمكن رجال الخندق من سده واجتازته العساكر وقربت من الاسوار واشتغل ضرب المعاول بها حتى صمت الآذان من قرقعة وقع الحديد على الاحجار فلم تعد ترى في تلك الساعة إلا عمد تشرع وقطع الحجارة تطاير وتدفع وصياح وعويل وهمهمة وزئير واحتدام ووعيد وانتشرت رجال العجم على تلك الحصون انتشار النجوم واندفعت تهدم فيها قلوب الأسود الكواسر وقد عزمت على أن لا ترجع ما لم تهدمها إلى أساساتها وتدخل المدينة وكان أشد القوم عملا جيش الروح فانه بذل جهده مرصاة لفيروزشاه ورغبة في أحد الفوز والظفر لنفسه ودام الحال على ذلك المنوال حتى بان وجه النصر وحققت الآمال وانهدم جانب من الحصن الأول واندفعت العساكر إلى الذي بعده وأحدثت في العمل فيه وسهام سيامك سافيا بجملتها وهي دون مهملة لا تنقطع

مطلقا فتحدث طلقات طلقات وتنحدر على الرجال فتلقيها من أعالي الحصون وتحترق المتاريس والمعاقل وتتهدم الجدران بإحكام وعناية حتى ضاق الحال على المحاصرين وعلموا أن المدينة لا تقدر على الدفاع أكثر من ساعتين أو ثلاث وبعد ذلك تدخل رجال إيران المدينة لا تقدر فيه ون ويساون ويسبون وتوهموا أنهم لا يبقون على أحد فارتفع صياح النساء وبكاء الأطفال واشتد العويل من كل صوب وعرفت عين الحياة بقرب فتح المدينة وانتدكاك أسوارها فارتاعت وإن قلبها يميل إلى نصر فيروزشاه وجاءت من انحطاط قدر أبيها وأن تؤخذ سيدة وتتروج على طريقة غير التي تحب وأقامت بين الرجاء واليأس إلا أنها كانت تشوق رائد إلى الدنو من الأسوار لتنظر فيروز شاه وهو في القتال وتشاهده وهو بين قومه يصادم ويدافع وقالت إلى قهرمانتها الآن قد محت الآمال ولا أظن عاد يطول المطال فالمدينة على وشك الافتتاح وبعد ساعات ترين فيروزشاه يخترق برجاله أسواق المدينة ويخربون قصور أبي وإني أعلم أنه لا يقصد غير هذه الجهة ولا يلتفت إلى كل ما في المدينة وإني أعلم أنه إذا وعى إلى نفسه لا يدع أحدا من رجاله يؤذي من المدينة أحدا غير أنه يلتهي عن ذلك في فيسق الخيع للوصول إلى ولا يرجع عن غايته وأعرف ذلك من نفسي لأني مضطرة الفؤاد لأجله مشتاقة إلى النظر إلى جمال وجهه ميالة جدا إلى القرب منه فكيف نصبر وقد ذلك الحصن سده وأزال المانع الذي كان يمنعه عن أن يراني فقالت شريفة لا بأس مما تخافين فأنت تعلمين أنه أكرم الناس أخلاقا فإنه لا يقبل على نفسه أن يحدث سده فيسرع أولا إلى مسك أبيك وإجاره على إجابة طلبه بعد أن يقتل طيمور جرثومة هذا الفساد ومتى قتل طيمور وشاهد أبوك سوء حاله يقاد إلى الملك صاغرا ويفعل بإرادته

وكانت نار الحرب لا تزال في اشتداد وعساكر الأعجام تفعل في الحصون كما تفعل النار في القتاد وهي تتسلق الأسوار من جهة وتهدمها من جهة وتحرقها من أخرى وبلغ الشاه سرور هذا الخبر فتكدر وضاقت عليه الدنيا وقال لوزيره طيمور قد أصبحنا على شفير الخراب والدمار وإني عما قليل واقع في قبضة الأعداء فلا يبقون علي ومثل ذلك يفعلون فيك وقد كان في ظننا أن تثبت الحصون مدة مديدة فلم تثبت يوما واحدا فلله در الأعجام فإنهم أشد رجال الدنيا إقداما وبسالة وأعرفهم بمواقع الحرب فمدني يا طيمور برأيك الصائب قبل أن نقع في يد الأعداء فنعدم الحياة ولم يعد من ثم خلاص قال لا بأس علينا ولا خوف وقد خطر لي خاطر فيه السلام والأمان وأن نسالم الأعداء مؤقتا ريثما نكون قد دبرنا أمرنا قال كيف نسالم الأعداء وهم على هذه الحدة وأي فائدة لنا فيها بعد فوزه ووقرعنا لهم ومن يأتي

يقدر أن يصل اليهم ليحاربهم بصلح وسلام قال عندنا الخواجا اليان وهو بالسجن فاذا أحضرناه وأطلقناه وسلمناه هذه المهمة يقوم بها حق القيام لأنه أمين على حب بلاده سليم الطوية فاذا اعتذرنا إليه قبل عذرنا وأجاب طلبنا ووافقنا على قصدنا ثم بعث إليه من يحضره بالسرعة والعجلة

وكان قد تقدم معنا أن الخواجا اليان قد سجن فى سجن عميق بطلب طيفور الوزير لأجل فيروز شاه بعد أن كان قد نوى على قتله فبقى فى سجنه يقاسي عذاب الهوان لا يطعم ولا يشرب إلا من المساء إلى المساء وهو متروك منسى من الناس ولم يعد يلتفت إليه أحد وغاب عن ذهن الشاه سرور أمره ولم يعد يفكر فيه إلا عين الحياة فانها آنت قد اتخذت الوسائط اللازمة لتطمينه وإيصال المأكل الطيبة إليه من وقت إلى آخر غير أن ذلك لم يكن كاف لدفع الشدائد عنه وتخفيف ويلاته لأنها كثيرا ما كانت تنساه وتلتهي عنه بما كان يطرأ عليها من الحوادث فكانت حالته من أصعب الحالات لا يرى وجها للخلاص ولا سبيلا لاطلاق سبيله فقطع رجاءه من الحياة وتبين فى نفسه أنه سوف يموت فى السجن فصبر على مصيبته مسلما أمره إلى الله سبحانه وتعالى فملأ منه فرحا ودام على مثل ذلك إلى أن دخلت عليه رسل الشاه سرور فأخذته من سجنه بالعجل وأسرعت به وهو لا يعلم الخير أو لشر فكان تارة يقول فى نفسه لا بد من أن يكون الوزير طيفور أقنع الشاه سرور فوافقه على قتلى وأجابه إليه وقد دعيت لأقتل وطورا يقول ربما تكون سيدتى عين الحياه قد سألت فى فأجابها إلى إطلاق سبيلى والعفو عنى ولا زالت هذه الأفكار تتناوله وتتلاعب به ولم تكن يخطر فى فكره قط أمر فيروز شاه لأنه كان مقتنع كل القناعة بأنه هلك ومات إلى أن وقف بين يدى الشاه سرور فخفق قلبه ووقع الرعب فى ركبه عند ما شاهد طيفور الوزير بقربه كاد يقع إلى الأرض لولم يسارع طيفور إلى تطمينه فهش فى وجهه وبش وقال له لقد أخطأنا إليك يا خواجا اليان فنريد منك المعذرة والمسامحة

قال انى عبدكم فتفعلون بى ما شئتم وليس لى أن أعارضكم فقال الشاه سرور لا بد من التعويض عليك بالاكرام الزائد وارجاعك إلى منصبك وليس الآن وقت عتاب أكثر من ذلك وإنما ما دعوناك إلا لأمر خطير وسبب كبير نحن فى حاجة الآن إلى تدبيره ودفعه وعلمنا يقينا أنك أنت وحدك القادر عليه فهل تعدنا بالجميل وبالمحاماة عن وطنك وبلادك لأنك مثلنا فى المصيبة وشريك لنا عليها قال انى أرهن نفسى لخدمة بلادى وسيدى فأمرنى بكل ما أنت طالبه من قضاء هذه المصلحة التى أنت طالبها فتجدنى أسرع بكل جهدى إلى إتمامها قال اعلم أن الملك صاراب قد فتحا

بلادنا فحاربناه كثيرا وكدنا ننتصر عليه ونرجعه بالخيبة غير أن السعد لم يخدمنا كما خدمه فبينما نحن فى فرح وسرور نرتع فى رياض الفوز وإلا بفيروز شاه بملوك قد جاء من بلاد السودان مظفرا منصورا ففتك فينا وأهلك منا قوما كثيرا فالجئنا إلى المدينة وقفلنا أبوابها فهجم برجاله على الحصون وهم كالأسود الكواسر فدك البعض منها ولا يزال القتال الآن قائم عند الأسوار وإذا لم نتدارك أمرنا تفتح المدينة بأهل من نصف ساعة وتدخل الأعداء إلينا فينهبونا ويسبون نساءنا ويفعلون بنا القبائح وليس فينا من عاد يقدر على الدفاع ولذلك رضينا بالصلح والسلام فدعوناك لتكون الصلح بذلك لعلمنا بمنزلتك عند فيروزشاه فسر الآن بالراية البيضاء فارفعها على الأسوار وإذا رآها الأعداء فلابد من أن يقفوا عن القتال وبعد فواعن التقدم فانزل إلى بين يدى فيروز شاه وأعرض عليه السلام واننا مستعدون لأن نعقد معه صلحا ونسلمه عين الحياة عروسا له ونلهى الخلاف بدا ونقلع جرثومة الشر فقال الخواجا اليان انى أفعل يا سيدى كلما أشرت إليه وأعدك بالنجاح لأنى أعلم صدق نية فيروز شاه وسلامة طويته فهو لا يكره صلحا كهذا ويرغب فيه مثلكم فادفعوا إلى الراية لأرفعها وبعد ذلك ترون منى ما يسركم فأمر الشاه سرور أن تسلم راية الأمان إلى الخواجا اليان فأخذها وتقدم إلى جهة الأسوار وهو فى مزيد فرح ومسرة لأنه كان فى شوق إلى رؤية فيروز شاه ومما زاده سرورا علمه بخلاصه من الأعداء وانتصاره على عدوه وثقته لديه أنه يسر به ويكرم منزلته ويقربه منه ولا ينكر ما بينهما من سابق المودة فيكون بعمله هذا قد خدم الشاه سرور وبلاده وخدم أيضا فيروز شاه وعين الحياة وقرب منهما ماهما فى التياع وشوق إليه فيمسى الأمر على يديه وتنقضى الحاجة بواسطته وبمسعاه

قال وكانت سهام الايرانيين تقع على أسوار المدينة كالصواعق ورجال الربوح والأعجام تهدم فيهـا وتقرب منه شيئا فشيئا ولم يعد إلا السور الداخلى وقد بدأ فيروز شاه يهدمه مع رجاله وهو يعرف أن ما وراءه إلا محبته تنتظر مجيئه فكان يهيج كما تهيج فحول الجمال ويزأر كما تزأر الأسود ويضرب فى السور فيرتج من أساساته وتتساقط الحجارة من أعاليه كأن الزلازل تزلزله والأرض تدفعه عنها لثقله وليس لها طاقة على حمله هذا والملك ضاراب واقف فى موقفه تحت الرايات والأعلام وإلى جانبه طيطلوس ودوش الرأى وزيراه وبيده نظارة ينظر إلى القتال وقلبه مملوء من الفرح وقد قال لوزيره ومن حوله ها هو ذا قد فتحت المدينة وعما قريب تدخل رجالى البلد براية النصر والفخر تحت امرة ولدى البطل القسور وانى أراه وغ ار القتال بحالة متوجا بالنصر مكللا بظفر ولم يكن فى عهدى أن الشاه سرور يحمل كل هذا البلايا والمصائب

ويخالد عليها ولا يطلب صلحا ولا يرغب فى سلام فقبح الله الجهل فما أشره فى الملوك فانهم يقودون بلادهم إلى الخراب ورجالهم إلى الهلاك وهم لا يعرفون السبل المؤدية إلى تحسين صوالحهم فلو كانت سياسة الشاه سرور حسنة لكان الآن فى راحة وطمأنينة مرفوع المقام بين الملوك وعنده مثل ولدى وفرسانى بأجمعهم ينقادون إليه ويرغبون فى خدمته كل ذلك لأجل نفسه عن الحياة وأما الآن فقد حرق فيديه بيده وأضاع ناموسه وعما قليل يقع فى أيدينا فيلتزم أن يروح نفسه بأنى عصا عنه ورغما عن أنفه وبينا الملك صارات يحاكى وزراءه وينظر إلى الأسوار وإذا به قد رأى علماً أبيض قد رفع عليه فحققه وإذا به علم الأمان فعلم أن المدينة وهى فى أشد ضيق تطلب اليه الأمان فأمر فى الحال أن تضرب طبول الانفصال لأنه شاهد رجال اليمن قد اكتفأت عن القتال وامتنعت من رمى النبال وفى الحال ضربت الطبول ونفخ نفير الانفصال مشيراً الى الوقوف عن الحرب وفى الحال توقفت العساكر عن القتال تنتظر معرفة السبب لهذا الامتناع وقد نظرت إلى الراية مرفوعة فعلمت أن الشاه سرور يطلب الأمان ويرغب فى الصلح ووقف أيضا فيروزشاه ناظراً إلى مافوق السور وإذا بالخواجه ليان ينادیه فحققه وعرفه وقال له ماذا أتيت قال إنى لشير السلام وقد جئت إلى مولاى بهذه المهمة لما نعلمه من ارتباطى بحكم وميلكم إلى ولذلك أسألك يا سيدى أن ترفع الحرب عن المدينة وترجع إلى الوراء فان الشاه سرور قد أنعم لك بطلبك وانه راغب إليك يرجوك فى عقد صلح يحمد لكم وله وقد أخذت على نفسى العهدة بأن أمل أيديكم وأسألكم العفو عن المدينة وقبول طلب سيدى فما صدق أن سمع فيروزشاه هذا الكلام حتى أجابه إلى طلبه وقال له انى لا أضيع لك طلباً فى وإنى لا أزال أتذكر ما كان منا من صدق الولاء وإنك أنت الذى أوصلتنى إلى بلاد اليمن وأهديتنى إلى طريقها وقربتنى من قصورها ودورها فاخرج إلى لنذهب إلى أبى ونعرض عليه طلب الشاه سرور وترى على أى شرط يرغب فى صلحه ولما صدق الخبر الخواجه ليان خرج فى الحال من باب المدينة وهو فى فرح لا يوصف لقضاء مهمته ولاجتماعه بفيروزشاه وقربه منه فسلم عليه فترحب به وأكرمه وسارا معاً والعساكر واقفة فى مراكزها وقد ثبت لديها أن السلام قريب وأن الخواجه ليان هو رسوله فأقاموا ينتظرون النهاية وفى الحال دخل ليان على الملك صارات وقبل الأرض بين يديه وجلس إلى قرب فيروزشاه ثم أطلق لسانه شاكراً مراحمه وأفضاله السابقة وقال له فى آخر حديثه إنى كنت مسحوبا بسببه إلى هذه الساعة ظلما وتعديا من الشاه سرور وذلك وشأنه مغرور لأنه مبدء كل شر وفساد وخبث وشر وفى هذه الساعة تذكرونى بعد أن كانوا قد نسونى وأهملونى فى زوايا العذاب وعلموا إلى أن

اطلب اليوم منكم عفوا وأسألكم رجوعا عن الحرب وأسهل عقد صلح بينكم تحت شرط أن الشاه سرور يزف بنته على سيدي فيروز شاه فوعدته بذلك وكفلته له أملا ان أخدم بذلك سيدي فيروز شاه ولما سألته الرجوع عن القتال أجاب قائلا لكرامة أخلاق ندرت فى مثاله وجاء بى إلى مابين أيديكم ألتمس الموافقة على وعده وقبول سؤالى وليس ذلك من رغبة فى خدمة الشاه سرور ووزيره طيهور إنما حبا بدفع الشر عن وطنى ومنع الخراب عن قوم صرفت العمر بينهم وإنى أعلم حق العلم انكم لا تكرهون ماعرضته عليكم لأنكم جبلتم على العفو والحلم وكرامة الأخلاق فأجابه الملك ضاراب انى أرغب فى هذا السلام ويعلم كل العالم أن غايتى الوحيدة هى أن أزف ابنى على بنت الشاه سرور واصل النسب بيننا لأنه أخذها بالرغم عنه اجابة لطلب العناية الالهية وإنفاذا لمقاصدها ومن المقرر فى العقول انى اكره هذه الحرب ولا احب فتح المدينة وطالما عرضت على سيدك الصلح والسلام وسألته فى منع إراقة الدماء وصون نفوس العباد التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيكابر بنفسه ويحاول المكر بنا ويخدعنا حتى كان ماكان من امرنا وقد شاهد بعينه عظم بأس رجال إيران وعلم انهم أسود لا تدفع صدماتهم ولا تمنع والآن فانى أجيبه الى طلبه اكراما لك وحبا براحة أمته بشرط ان يكون صدر المعاهدة زواج بنته بابنه فمتى انتهى ذلك اخذناها ورجعنا إلى بلادنا

انتهى الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر

الجزء الحادى عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

وانى أخاف من غدره وخداعه لانه ينقاد إلى طيهور ويعمل بأفكاره ولا ينظر فى الصواب ولا يراعى مصلحة رعيته كيف كان الحال قال لا أظنه بعد أن وصل إلى هذه الحالة يعود إلى الغدر وهذا الطلب الذى أتيت بطلبه كان برأى طيهور وإرادته فانه أظهر ندامته وعرف خطأه وأظهر لى كل ذلك قال فيروز شاه وأى شىء يقدر بعد أن يفعل على أننا لا نمكنه من الغدر والخيانة بل نعقد معه الشروط المقتضية ونقيم على حالنا إلى أن ينقضى الأمر ومع ذلك فلندعه يعمل ما يعمل فاننا قادرون عليه فى كل دقيقة ولا نفوتنا فرصة الانتصار عليه والانتقام منه فأجاب الملك ضاراب ان كان شيمته الغدر فشيمتنا الانصاف والوفاء فلو طلب منى الاقالة ألف مرة فى الأسبوع لأجبته إلى طلبه لأعلمه رقة الأخلاق عله يقتدى بى وينظر إلى سوء أطواره وخبث مراميه ويعرف من نفسه أنه ردىء الطباع ثم قال للخواجه اليان سر إلى مولاك وأخبره انى بانتظار رسله فليقترح من شروط الصلح ما يخطر له فاوقع عليه وأجيبه اليه وأوافقه على كل ما يوافق غرضه وغرضى فانى أحب أن أحفظ ناموسه كما أحب أن أحفظ ناموسى وأخبره أن الشرط الأول هو وجوب زواج ابنته بابنى ومهما شاء غير ذلك فليخبر ويسأل فيه فشكر الخواجه اليان الملك ضاراب وقبل يديه وخرج من حضرته بعد أن ودعه وعاد إلى المدينة وهو يتعجب من الطاف الملك ضاراب ورقة طباعه وكرامته وكيف أنه نازل إلى منع عساكره عن المدينة بعد أن فتحها وتسليم عقد الاقتراح لعدوه . ودخل على الشاه سرور وطيهور فوجدهما على مقالى الجمر من أجله وهما لا يعلمان نتيجة مأموريته وما كان من أمره إلى أن نظراه قد عاد إليهما فانعطفا اليه وسألاه بلهفة ماذا كان من الملك ضاراب وابنه فيروزشاه قال لهما كان منهما الخير العظيم والاسراع إلى إجابة سؤالكم كيف لا وهما أكرم خلقا من كل هب ودب وأحسن مآثر وصفات فلله درهما فلهما تحت السيادة والرئاسة ولهما تقدم النفوس والنفائس ويخدمان على الرأس قبل العين فان هذا النصر لم يرق فى أعينهما ولا دوخهما الظفر والكبر بل قالا اننا نرغب فى صالح سيدك كما نرغب فى صالح نفسنا مثله فى السلام وطالما عرضناه عليه شفقة منا على عباد الله وحفظا لناموسه من الاحتراق فلم يرعو عن عمله ولا أجاب إلا بالعناد حتى رأى الموت عيانا ولكى لا نطلبه نسرع إلى طلبه ونوافقه عليه ولا نقترح عليه إلا شرطا

واحدا وهو أن ترف بنتك عين الحياة على فيروز شاه زفافا مقدسا بكل كرامة واحترام واحتفال ومهما شئت فاقترح أنت فيوافقك على طلبك ما عدا الامتناع فلا يوافقك عليه فما صدق الشاه سرور ان سمع هذا الخبر حتى ملىء من المسرة وأمل زوال الحرب فقال لوزيره ان طيمور هو ذا قد أخبرنا الملك صاراب إلى سؤالنا وعدنا في الرجوع عن المدينة وسألنا عمل شروط السلم فقال انى كنت أعرف منه ذلك لأنه محتاج إلينا وراغب في مصاهرتنا فلا عائق في أمر به الخير له أكثر مما لو فتح المدينة وخربها إلى آخرها لما نال بغيته بدون موافقتك على عقد الزواج لأن ابنه لا يقبل أن يزف على عين الحياة بطريقة مهينة لناموسه وناموسها ثم التفت الى الخواجا اليان وقال له اكتب شروط الصلح وهي أولا ان الشاه سرور قد أنعم وأجاب لطلب الملك صاراب وخطب بنته من كل رضاه وخاطره إلى فيروز شاه ابن الملك صاراب وقبل به صهراً شرعياً ثانياً يعين يوم الزفاف بعد أربعين يوما من حين عقد المصالحة وذلك لتدبير شأن العروس وتهيئة ما يلزمها ثالثا ترجع العساكر عن المدينة في كل هذه المدة وتقيم في سفح الجبل الأخضر إنما تكون أبواب البلد مفتوحة لاتمنع أحداً من الدخول ولا من الخروج فيمكن أن يختلط القومان فاليمنيون يذهبون إلى الايرانيين والايرانيون يذهبون إلى اليمنيين يشترون ويبيعون كأنهما قوم واحد لا فرق بينهما رابعا يكون تقديم المهر الى عين الحياة منوط ارادة الملك صاراب فمهما شاء أن يقدم مهرا فحمله الى عين الحياة في نهاية المدة ولا شرط عليه في ذلك

وبعد أن كتب الخواجا اليان ما أمر به طيمور دفعه الى الشاه سرور وطلب اليه أن يوقع عليه بامضاه ففعل ثم دفعه الى الخواجا اليان فامره أن يسير إلى الملك صاراب ويسأله التوقيع على نسخة ثانية مثله فقدم له شكره والثناء عليه منه فاخذه الخواجا اليان وذهب الى حضرة الملك صاراب حتى وقف بين يديه وهو بين بطانته وحاشيته وكبراء دولته ينتظرون رجوعه فلما دخل دفع الشروط الى الملك فاخذها ودفعها الى طيطلوس فقرأها علنا فوجدها موافقة مطابقة وقال ان الشاه سرور ما يظهر في هذه المرة قد نظر موضع النظر وأبعد عنه ما كان واقع فيه من الغباوة والجهالة فان كل ما يذكره صادر عن قلب سليم ونية صافية وانى أشكره عليه وأعاهده على الحب الأكيد الدهر بطوله ولم يكن في شروطه ما نكرهه الا تطويل المدة والاجل الى أربعين يوما غير أن وقوع زفاف كزفاف ابنى بنته لا ينتهى في ذلك ولا يمكن أن تدبر أمرها باقل من هذه المدة وأما من جهة المهر فلدينا من الجواهر والتحف مالا يوجد عند أكبر ملوك هذا الزمان وكفى ماأتى به فيروزشاه من قصر صفراء الساحرة

فانه يبهر العقول ويأخذ بالخواطر وفى الحال كتب طيطاوس نسخة ثانية من المعاهدة أمضاها الملك ودفعها الى الخواجا اليان وأنعم عليه الانعام العزيز وسأله فيروزشاه أن يعود اليه ويلازمه فى كل هذه المدة فاجابه وأمر بعد ذلك الملك صاراب أن ترجع العساكر عن المدينة وتتاخر الى جهة الجبل فتتخذ لها مقاما فيه وتنتظر نهاية الأربعين يوما ففعلت وقفلت راجعة الى سواحل الجبل فانتشرت فيه وتفرقت عليه وضربت خيامها فى ظله وكذلك الملك صاراب ضرب صيوانه الى عين ماء هناك تحت شجرة كبيرة تظلله من حرارة الشمس وفعلت كفعله جميع الفرسان وفتحت أبواب المدينة وخرجت منها أهلها واختلطوا بالايرانيين وهم فرحون بهذا السلام والوفاق وكذلك الايرانيون دخلوا المدينة آمنين من كل شر وغدر فكانوا يشترون منها كل مايروق فى أعينهم ويعودون الى خيامهم وهدأت الحال وراق البال

ولما عاد الخواجا اليان الى الشاه سرور دفع اليه الرقعة بعد أن بلغه تشكرات الملك صاراب وبعد أن ذهب قال لوزيره طيمور انى لو أجبت الملك صاراب الى زواج ابنه من بداية الأمر لما وصلنا الى هذه الحالة ولا لبسنا هذه المذلة وأهلكنا قسما من رجالنا وخربنا حصوننا ودمرنا أسوارنا فقال طيمور أظن الآن أن هذا العقد ينتهى ونزف بنتك على فيروزشاه قال وما المانع الذى يمنع ذلك وقد خطبها منه ووعدته بزواجها واشترطت على نفسى برأيك شروطا سلمة موافقة اوهم قال ألا تفكر أن ماسألناهم فى هذا الصلح الا لنا وقعنا فى ضيق الخناق وأشرفنا على الخراب وأى زواج بعد وصولنا الى مثل هذه الأحوال وقد يخطر فى بالهم أننا أجبرنا الى ذلك فقدمنا بنتك عين الحياة فدية عن المدينة وضحية فى سبيل خلاصنا على أن أعظم ملوك الأرض يرغب فى زواجها بحالة شريفة ويدافع عنها بماله ورجاله ولدى من التدابير ما يظهر لك أن فى الزوايا خبايا ليس يعلمها الا الذى حنكته الليالى والايام قال وعلى أى وسيلة عزمت وبماذا فكرت قال الا تعلم أن الوليد ملك مصر هو الآن أرفع الملوك قدرا وأعظمهم سلطانا وأكثرهم رجالا وأجمعهم فرسانا وأحكمهم عقلا ورأيا وقد بعث اليك يطلب منك بنتك لابنه زوجة فرددت رسله بالخيبة ولم تجب سؤاله لبعد البلاد وعدم رغبة بذلك فيه بما جعل ابنه صالحا فى حالة يأس وعدم عقله وجن ولم يكن له غير ذكر عين الحياة واذا بعثنا واعتذرنا له عن السبب وأخبرناه بما كان من أمر الاعجام ودخولهم لبلادنا فى طلب عين الحياة وطلبناه أنا اخترناولده على فيروزشاه ورغبنا فيه وعدنا بالعساكر وسرع الينا بالفرسان على أنى أعلم أن عنده فارسان من فرسان هذا الزمان لا نظير لها فى كل هذه الاقطار وقد

قدمهما على كل رحاله وسارت بذكر شجاعتهما الركبان وتحدثت السياح بعجائب أعمالها فاذا أتيا الينا لاشك فى أن النصر يكون على يديهما وينال بهما الغاية المطلوبة وعندى أنهما أبسل من فيروزشاه واشجع مقتلابه ويعدمانه الحياة . قال وهل يمكن للوليد ملك مصر أن يوافينا على سؤالنا بعد أن قطعنا آماله وردد نا رسله بالخيبة والفشل وهل يمكن أن تدرك اعساكره إذا أجاب طلبنا قبل انقضاء الأربعين يوماً قال لا ريب فى ذلك فانى أعلم يقينا أنه يسرع إلى إجابة طلبنا ويبعث بعساكره لنا وهو يظن أن ذلك مكرمة منا وفضيلة يشكرنا عليها وأما المدة فان الأيام كافية لهذه المسافة ولو كنت أعلم أنها تحتاج لأكثر من ذلك لجعلتها إلى شهرين غير أنى أعرف أكيدا أن فى نهاية الأربعين يوما يكون العساكر المصرية فى بلادنا تقاتل عنا الأعجام وندافع عن عين الحياة لنأخذها لابن ملكنا فانقاد الشاه سرور إلى هذه المشورة وسلم بها ووافقه عليها وقال له اكتب أنت الكتاب إلى الوليد ملك مصر وأنا أوقع له عليه على الصدق تساعدنا فى هذه المرة فننال مرادنا وندفع عدونا عنا وفى الحال أخذ طيفور قلما وقرطاسا فكتب

من الشاه سرور صاحب بلاد اليمن إلى الوليد ملك مصر وصواحيها

بعد السلام ومزيد الاحترام أخبركم أنى راغب فى القرب منكم مرتاح إلى الالتصاق بكم ولذلك دعتنى الضرورة أن أطلعكم على كل ما وقع على وما أنا فيه فتطرفون بسلك نظر الصواب وتختار لنا الموافق لأمرنا ولكم وذلك أنكم تعلمون فى غابر الأيام تطلبون منى عين الحياة زوجة لابنكم وكان فى ذلك حل إرادتى ورغبتى إلا أنه لسوء الحظ صادف وصول رسولكم وطلبكم هذا يوم وصول رسل ملك كشمير العجم يطلب أيضا منى لابنه الشاه زور وأيضا وصول رسل الملك قيصر يخطبها لابنه ايوش ولوقوعى اذ ذاك فى هذا المشكل العظيم اعتمدت على أن لا أجيب أحدا الى طلبه دفعا للشر ومرضاة للجميع لأن كلا منكم من الملوك العظام وكان يلوح لى دائما أنكم تعودون الى طلبكم مرة ثانية فأنعم بها ويكون قيصر قد امتنع وملك قندهار عرف أنى لا أرغب فيه ولم يمض على ذلك إلا أيام قليلة حتى جاءنا ابنه الشاه زور بعساكره وأجناده وقد استنصر علينا طومار الزنجى فبعث معه عساكره الزنوج تحت إمرة أخويه يبرور وميسرة وفى نيتهم أن يسبوا بنتى ويأخذوها بالرغم عنى فدافعت دفاع الأسود لاحفظها لابنكم الشاه صالح إلا أننا ونحن فى أثناء القتال برز رجل من بين الجبال لا نعلم إن كان هبط من السماء أو اخترق الارض فطلع علينا فقتل يبرور وميسرة أخوى طومار وفرق العساكر . وبعد ذلك تبيته واستسميته فاذا هو ابن الملك صاراب ملك إيران العجم وصواحيها وجل غايته أن يخطب عين الحياة لنفسه فمنعتها منه فلم يمتنع وكان قد قتل هو لملك ابن الملك

هورنك فقضت عليه وسلبته لانه ليتقم منه إلا أن الظروف خدمته وساعدته التقادير فقتل هورنك وتسلط على بلاده وقتل صمراء الساحرة وعادانا بالعساكر والأجناد وصادف وصوله عند وقوعنا بالحرب مع أبيه وفى عساكرنا طومار الزنجى سيد بلاد الزنوج بجيوشه وفرسانه فقتله وأهلك قومه وفعل فيهم فعلا دريعا وسألنا أن نرفع عين الحياة عليه فامتنعنا وبعد وقائع عديدة دخلنا المدينة وحاصرنا صمصما وفى بيتنا أنه يرعوى عن عزمه ويعلم عن نفسه أنه لا يليق به أن يتزوج بفتاة من أكرم فتيات هذا العصر أدبا وجمالا وشرفا دون رضا أبيها وخاطرها بالرغم عنها وعن أميالها لانها لا تميل إلا إلى ولدكم الشاه صالح وترغب فيه لعلمها أنى أنا أرغب إلى ذلك وأختاره وأريده فما كان من فيروزشاه وأبيه إلا أنهما هاجما المدينة واندفعا علينا بالرجال فدافعنا إلى أن كادت تفقد قوتنا وقد دكت بعض الحصون والبعض الآخر أصبح على وشك التسليم فجمعت قومى واستشرتهم فأشاروا على بزواج بنتى بفيروزشاه فأبيت على بذلك وأظهرت لهم غاتى وبينت لهم مقاصدى فتبار على وزيرى طيطور وهو محب لكم مثلى راغب فى مصاهرتكم أن أوافق القوم وأعقد معهم شروطا على السلام والصلح وأضرب لذلك أجلا يطول مدته إلى أربعين يوما وبعد ذلك نرسل إليك ونعلمكم بكل ما هو حاصل علينا حتى إذا كان لا يزال بخاطركم أن تزوجوا ابنكم بنتى تسرعون إلى إنقاذى من هؤلاء الأوغاد فتدفعونهم عن بلادى وتبعدونهم عن طلبهم وإذا كان لم يعد فى خاطركم تجاوبونى على كتابى هذا لأزف بنتى على فيروزشاه وأخلص بلادى من شره لانه لا قدرة لى على مقاومته ان لم تمدونى بالعساكر والرجال ولا أظن أنكم ترجعون رسولى بالخيبة وقطع الرجاء ونودى أنكم تفضلون القرب منى كما أنى أفضل الرغبة اليكم وأطمع فى مصاهرتكم ولا يخلصنى من هذه الورطة الا سرعتكم لان أبناء الملوك أجمعهم طامحون الى الزواج بنتى وكلما رددت واحدا يأتينى اثنان فلا بد من زواجها بأقرب زمان انما لا أرى من يوافق أن يكون لى صهرا الا ولدك صالحا وذلك لما بيننا من سابق المودة وصادق الولاء والسلام ختام

وبعد أن انتهى طيطور من كتابة التحرير دفعه الى الشاه سرور فأخذه ووقع عليه بامضائه ثم ختمه ودعا عيارا من عيارى بلاده اسمه خفيف العيار فقال له أريد منك أن تأخذ هذا التحرير وتسرع الى مصر الى الوليد حاكمها فتدفعه اليه وتأتينى بالجواب وانى أرغب منك السرعة الممكنة فلا تتأخر يوما واحدا واذا وصلت اليه وعدت لى بالجواب وكان ذلك قبل انقضاء الاربعين يوما أكرمتك ورفعت مرتبتك فضلا عن أن تكون قد خدمت البلاد وخلصتها من خطر عظيم وأنقذتنى

وفعلت قصدي ومشتهاي قال سوف تراني عائد اليك بما يسرك قبل انقضاء هذه المدة ثم أخذ التحرير منه وسار مسرعا في مصر يقفر قفرات الغزال وينطلق انطلاق الريح بعد أن أصحب معه كل ما يحتاجه من مواد السفر ولا زال يخرج من مدينة ويدخل في أخرى وهو لا يستقر في سيره ولا يفتر عن سرعته يوصل سير النهار بسير الليل فلا ينام إلا كل ثلاثة أيام ثلاث ساعات حتى دخل مصر ووقف بين يدي الوليد وهو في ديوانه بين فرسانه وأعوانه فحياه بالتحيات والاكرام وقبل يديه ثم دفع اليه التحرير ووقف إلى الوراء ينظر منه الجواب وما يكون من أمره وأخذ التحرير وتلاه عليا حتى فهمه الجميع الكبير منهم والصغير وبعد أن قرأه التفت إلى من حواليه وقال لهم ان هذا الأمر مشكل لا ينهى إلا بشفاء ابني صالح لأنه مختل الشعور لا يهدأ له بال ولا يقدر على التمييز بين الخير والشر فكيف أجيب الشاه سرور وعدا فان الرجل راغب في مصاهرتنا راض في التقرب منا وقد فضلنا على سوانا وكنت في الأول قد أعرضت عن هذا القصد لعلمي أن الشاه سرور لا يرغب بابني وقلت في أن أراه محروما من أن أغصب ملكا على زواج ابنته به واني أعرف ذلك من نفسي ولا أريد أحداً يغصبني على ما أملكه ولا يعارضني في أمر أولادي وحيث الآن قد أنعم وأجاب فاني أحب أن أسرع إلى طلبه وأساعده على دفع عدوه وأحصر بابنته إلى فأزوجها على ولدي إنما أريد منكم من يذهب إلى ولدي ويعرض عليه هذا التحرير ويطلعه على مآله حرفا حرفا ويشرح له عن طلب الشاه سرور فان عاد إلى عقله أسرعت إلى انجاد غايته وزوجته بعين الحياة بالرغم عن ملوك الأرض بأجمعها لأن فرساني من أشد فرسان العالم بأسا وجيوشي من أكثر جيوش ملوك الأرض برمتها ولا ريب في أن ولدي يرجع إلى عقله متى سمع مثل هذا الحديث لأنه جن بهذا المعنى فلا يعقل إلا بانقضاء غرضه فاستصوب كلهم رأيه ودفع التحرير إلى وزير من وزرائه عاقل حسن التدبير وأمره أن يوجه نحوه مع العبار الى منزل الصابغة بما يمكن من اعطائه الجواب وسار الوزير الى قصر ابن سيده فوجده على حاله وهو ممزق الثياب منتش الشعر حافي الاقدام وحوله الحرس ورجال الشرطة وقد قيدوه خوفا منه على نفسه لأنه كان كثيرا ما كان يسرع ليلقي بنفسه الى ... ويأمر ... وكثيرا ما يجرح جسمه باظفاره ويهشم بدنه وليس له شغل الا الصراخ والصياح فينادي عين الحياة ويطلب قربها ويأمرها بالقدوم اليه حتى كانت حالته هذه كافية لأن تصدع صم الجلاميد وترق لها كل قلب فاس فلما اقترب منه الوزير وحده اذ ذاك هادئا الى الارض وقد فارقته النوبة فتقدم منه وقال له بشراك يا سيدي فقد جاء الى أبيك كتاب من الشاه سرور يعرض عليه زفافك على ابنته عين الحياة ويدخل في

الطلب بالمسير إليه فأحدق به الشاه صالح ونظر إليه محلقا بعينيه كأنه يسمع شيئا لا يصدقه فدام الوزير فى حديثه وقال له ان أباك أحد الكتاب وهو يريد السرور والفرح وعول على اجابة طلب الشاه سرور وبعثنى إليك لطرق الجواب وها الكتاب اقرأه عليك فتسمعه وتنظره ثم قرأه عليه الكتاب بتأن وقال له فى آخر قراءته لم يعد مانع إلا قبولك برواح عين الحياة فسارع أبوك إلى حلها إليك واجتماعك بها فانتبه إلى كلامه كل الانتباه وقال له وقد بكى بكاء مرا أى شيء أطلبه فى هذه الدنيا غير عين الحياة فان كان أبى يعدنى برواحها فانا على أتم انتظام وتعقل وها أنا ذاهب إليه من هذه الساعة ليرانى على ما يرام أملا لان أجتمع بحبيبتى فليس من مانع يمنعنى وأحب أن أسمع منه كلمة واحدة يشير بها إلى رواحى بعين الحياة فأبات الدهر صار منتظر وقوع ذلك

ثم ان الشاه صالح نهض واقفا وظهر انه صحيح الجسم والعقل كانه لم يصب بشيء وسار متقدما فى طريقه ومن خلفه الوزير حتى وقف بين يدى أبيه فقال له انى قد عرفت بكتاب الشاه سرور ووعته جدا ولم أعد أرى مانعا يمنعنى عن أن أروح بنته ألا تقاعدك عن السعى لى والاهتمام بزواجى وها أنا الان بصحة عقل أكبر مما كنت فى وأريد أن تعدنى بانك تحضر لى عين الحياة إلى هنا فاصبر على حبها ولا أبدى حركة ومتى قطع الرجاء منها فانى لا محالة هالك فسر أبوه من كلامه وكذلك كل الحاضرين لانهم كانوا يأسفون على حالته ويعرفون ما لحق به وقال له أبوه كن مطمئنا يا ولدى فانى ساع من هذه الساعة إلى قضاء غرضك وسوف تتم مقاصدك وأنت فى قصرك فعد بنفسك بالاجتماع بها وعما قليل تراها فى بلادنا قريبة لك فما صدق أن سمع هذا الكلام حتى صفقت أكفه فرحه من الفرح وكاد يطير شعاعا ورمى بنفسه على قدمى أبيه يقبلهما بحركة منه ... وأمر فى الحال أن يجمع إليه فرسانه وأعيانه وعقد مجلسا حافلا واستشار الجميع فى ماذا يفعل فى جواب الشاه سرور فقر الرأى أن يكتب له كتابا ويرسل مع حاجب مآله أن العساكر سائرة إليه تحت إمرة الفرسين المشهورين خاطر وخطير وإذا كان لم يقدر على أحدهما لأمر وكان العدو ... من وجه العدو ويقيم فى بلاده إلى أن تروق حاله وينتظم أموره وترجع الاعجام عن بلاده وفى الحال أخذ الوليد فكتب إلى الشاه سرور ما أتى

من الوليد حاكم مصر وسلطان الصعيد والارياف إلى الشاه سرور سيد بلاد اليمن وحاكمها

بعد السلام عليك والمحاماة إليك أبدى أنى كنت سابقا بعثت إليك برسالة حاملة هداياى وتحاريرى أخطب منك كريمتك عين الحياة إلى ولدى الشاه صالح

وكان بعهدى لما هو راسخ بيننا من الحب القديم أن لا تعود رسلى الا بالايجاب تحمل الى العروس لازفها على ولدى فكان منكم عكس ما املت وهو انكم رددتم رسلى بالفشل ولم اكن اعلم لذلك سببا ولا اعرف المانع بل انكم لا ترغبون مصاهرتنا وربما لا تقبل عين الحياة بالشاه صالح فكدرنى ذلك شفقة على ولدى غير انى قلت فى نفسى ان لا حق لى فى التعرض لكم بأذى لانكم احرار وقد سلم اليكم أمر الاعتناء بولدكم فلا يحق لى أن أطلبكم بأن أسير اليكم عسكراً لمحاربتكم فينسب إلى التعدى والغدر ولما رأى ابنى منى ذلك وقع فى اليأس والقنوط وخسر عقله وجن لشدة عشقه وحبه اذا لم يرنى أسرعت إلى قضاء مصلحته فزادتنى حالته كدرا ولبثت على حالى وأنا صارف الجهد إلى مداواته دون جدوى لأن العلاج لم ينجح فيه وكان بعهدى أنه يسلو كريمتكم مع تداول الأيام فكان بعكس ذلك اذ كان يزيد غراما يوما فيوما وبينما أنا فى بحور من الأكدار والهموم بسببه جاءنى كتابكم وبه تعرضون زفاف عين الحياة عليه وبينتم المانع الوحيد الذى دعاكم قبلا إلى الامتناع ولما عرضت تحريركم هذا على ولدى وهو فى حالة ضعف جداً سر به وعادت اليه قواه الطبيعية ورجع عقله بأحسن مما كان وامل النجاح والفوز فى انفاذ مقاصده ولما رأيت منه ذلك بادرت الى طلبكم فبعثت اليكم بخمسين الف من فرسان بلادى الاشداء تحت إمرة الفارسين الخطرين الشهيرين خاطر وخطير وقد تعهدا لى أنهما وحدهما كافيين لقضاء هذه المهمة الا أنى لم أقصد أن أمدكم بكثرة العساكر لعلمى أن جيوشكم كثيرة لا تزال متجمعة انما حالفة من الكمات والابطال فاذا انتهى الامر ورجع العدو مقهرا واحرزتم النصر والظفر ارجوكم أن ترسلوا إلى مع رجالى عين الحياة لأزفها على ولدى ونتصل بيننا حبل النسب فنأخذ بناتنا ونأخذ بناتكم ونصير يدا واحدة نتساعد فى السراء والضراء واذا وجدتم أن العدو لا يزال قادرا على التغلب عليكم فسيروا بابنتكم الى مع من يرافقكم من جيشكم فتقيمون ضيوفا فى بلادى ويجرى عقد الزفاف على أتم ما يكون من المسرة والفرح وعندى أن الملك صاراب لايجسر أن يطأ بلادى ولا تحدثه نفسه ان يتأثركم خوفا من الهلاك والدوار فيرجع الى بلاده خائبا مأيوسا يعض كفيه من الغيظ والاحتدام واذا شاء القدر وحركه جهله فأثركم لقى الموت الأحمر فى بلادى فيدفن مع ولده ورجاله تحت رمال مصر لأن فرسانى كثيرة وجيشى لا يحصى وانتم تعلمون انى لو قصدت أن أبعث اليكم بكل جيشى لكانت طلائعه عندكم تقاتل وتناصل ومؤخرته لا تزال تتهيأ وتستعد وليس فى ذلك مبالغة ولم يكن أوثق لى من أن تأتوا الى بلادى وتشاهدوا مجد ملككم والى ما تصل اليه من العظمة والاحتشام

ثم ختم الكتاب بخاتمه ودفعه إلى خطف العيار وقال له سر أنت فى هذا اليوم على عجل إلى مولاك وأخبره أنه فى الصباح تسير العساكر على أثرك بالسرعة الممكنة فلا تمضى الأيام المضروبة إلا ويكونون فى بلاده يحاربون ويقاتلون عنه ويقاتلون عنه وعن بنته فشكره العيار وقبل يديه وخرج من حضرته فرحا مسرورا بنجاح مسعاه ومهمته وهو يشكر الله على اجابة الوليد إلى سيده ولا زال فى مسيره السريع ينهب الأرض نهبا ويطوى البرارى كشحا إلى أن دخل على سيده الشاه سرور وهو مجتمع مع طيمور على انفراد فدفع اليهما الكتاب وبشرهما بالخبر والنجاح وان خاطرا وخطيرا سائران على أثره بالعساكر والأجناد فسرهما هذا الخبر وفتحا التحرير وعرفا ما به فزاد فرحهما وقال طيمور ألا رأيت ياسيدى كيف أن أعظم ملوك الأرض يرغب فى أن يلوذ الكم ويدافع عنكم رغبة بالوصول إلى عين الحياه فكيف يمكننا أن نسلمها لمن يحاربنا ويقتل فى رجالنا ويأسر أولادنا فلا كان ذلك أبدا ولا طاوعتك عليه ولو عدمت الحياة وانى مسرور كون ملك مصر دخل معنا بهذه الحرب ولذلك صار من المؤكد الثابت أننا سنقهر هذا العدو العاتى ونرجعه بالخيبة فاما أن نضيق عليه فنديقه الشدائد والأهوال واما نرحل عن المدينة ونوقعه بمرارة القحط والقهر ونحرمه من عين الحياة ولا ريب أن فيروز شاه إذا عرف برحيلنا إلى مصر يلحق بنا يلحق بالشاه صالح فحن ونسلك البرارى ولا يطاوعه أحد على أثرنا خوفا من الوقوع فى وهدة الهلاك والعطش لأن مصر واسعة الجهات كثيرة الفلوات خارجة الارض لا يحسن الاقامه فيها إلا كل صبورا جلودا خبيرا بمراكزها عالما بخطوطها وبلدانها قال الشاه سرور انى أعرف كل ذلك إنما أقول لك ان فيروز شاه لا يصعب عليه أمر فى الدنيا فانه موفق فى كل أعماله قد خصه الله بوحدانية كل شىء فاذا عرف أننا سرنا إلى تلك البلاد لا ريب فى أنه يأثرنا بجيوشه ويدع أباه أن يرافقه لانه يحبه جدا وأهالى إيران قوم لا يلويهم عن عزمهم مانع فهم والحق يقال أشداء أقدر من غيرهم على ملاقاة المصائب والأهوال لا تقعدهم الحدثان عن نوال مقاصدهم ولا يرجعون عنها إلا بنوالها فقال ولو فرض أنهم ساروا إلى تلك البلاد فنبقى نحن على حدة ونتركهم يتقاتلون مع رجال مصر وفرسانها وعندى أنهم لا ينجحون مطلقا ولا يثبتون فى تلك الارض هذا إذا لم نقهرهم فى هذه المرة ونصدهم على أعقابهم وانى أرى من خلال الآمال ما يشغل لى أفكارى دائما ويبرهن لى عن الحقيقة أن خاطرا وخطيرا يقضيان العرض وينهيان أمر الاعدا ويقتلان فيروز شاه وكل فرسان إيرانه ثم أنهما بعد أن دار بينهما هذا الكلام أخذا بانتظار ورود جيش مصر المتقدم ذكره ولم يكن فى عساكر الاعجام من يعرف هذا العمل وهم مطمئنون من ناحيته ينتظرون

فوات الفرصة وانقضاء الغرض بانقضائها وفيروزشاه جالس على بساط من نار شديد الحرارة وليس له شغل الا التفكر بحبيبه ومحاسنها وفى كل طيه أن أباها سيزفه عليها بعد أيام قليلة فكان لا يسليه الا مشاهدة الاشجار والتوغل فى الاحراش والبرارى يلاهى نفسه بصيد الوحوش والغزلان فكان يرافقه فرخوزاد ويسليه على بعاده عن محبوبته وكذلك الخواجا اليان فانه كان يصرف أكثر أوقاته عنده ويبعده من ذكر عين الحياة بما يريبه الآمال والرجاء لانهما كانا مطلعان على سره من الداية مساعدان عليه وكان كلما مضى يوم تزيده الاشجان ويشعر بحلول السعادة ويكذب نفسه من نفسه وهو لا يصدق أيقرب ذلك اليوم المعهود ويرى نفسه الى قرب عين الحياة الى أن كان ذات ليلة وهو فى صيوانه وليس عنده الا بهروز العيار لانه كان لا يفارقه لا بليل ولا نهار لعبت به دواعى العشق وحركته محركات الغرام وهزته هزات الاشواق فجلس يتذكر ما كان من محبوبته وما لقيه من خلوص محبتها وكيف سمحت له بنفسها على رضا منها وذلك لتبادل الحب الواقع بينهما على وتيرة واحده ولم يضعف هذا الحب مع ما طرأ عليه من الحوادث والتقلبات فخطر فى باله الشعر فانشد

حلا وجهها الديجور لما تجلت   لتهدى نفوس فى الهوى قد أضلت
ولاحت وقد أرخت ذوائب شعرها   فحلت شعاع الشمس تحت الدجنة
وسلت جفونا كالسيوف ولم ار   لعمرى جفونا كالقواضب سلت
مياه تثنت اذ تبدد جسمها   فاثنت عليها الورق لما تثنت
تبدت وقد هز الشباب قوامها   ألم تر أن الشمس بالغصن حلت
وماست بعطف بانه قد سلاهما   هلال حين لاح فى ليل طرة
أيا سامح الله العيون وان تكن   احدت ظبى تلك اللحاظ لمقلتى
ولا واحد الاصداغ فيما تحملت   عقاربها بالفك من لسع مهجتى
حلا لى فى عاينها او سمعتها   فما براه الشوق قبل المحبة
مليكة حسن لك فى شرعة الهوى   خضوعى لديها وانكسارى وذلى
وسقمى وسهدى وشوقى وأدمعى   ووجدى وبعدى ونوحى وانتى
ولم يستطع قلبى امتناعا عن الهوى   ولم تستطع روحى سبيلا لسلوتى
سأصبر حتى تنقضى مدة الجفا   وما الصبر إلا من حلاى وحلى
فما كل من نادى أجيب نداءه   ولا كل من نودى اجاب بسرعة
أيا راكبا تطوى عزائمه الفلا   بحب اشتياق لم تقد بادمة
رويدا بطرف ناظر كل مهجة   ورفقا بقلب قابل كل صورة

فطورا أرى فى كل سرح ومربع　　وطورا أرى فى كل دوح وروضة
وطورا أرى فى كل درس ومعبد　　وطورا أرى أرى فى كل دير وبيعة
أدين بدين الحب فى كل موضع　　وأصبو لذات الحسن فى كل جهة
وألثم مابين اللثام وثغرها　　وتم كؤوس راحها فيه راحتى

وما انتهى من مناشدة شعره هذا إلا دخل عليه الخواجا اليان فوجده على حالة قلقة من حرى الارق وقلة النوم فحياه فرد عليه تحيته وتعجب من حضوره اليه فى مثل هذا الوقت وسأله عن السبب الداعى إلى ذلك قال لا شىء مرعج يا سيدى إلا انى قصدت ان آتيك لأخبرك عن عين الحياة الاحبار السارة المروضة للفكر وأشرح لك عن حالها وشوقها قال ومن أين عرفت ذلك قال دعتنى فى هذه الليلة مع خادمتها شريفة لتسألنى عنك وعن حالتك فذهبت اليها وإذا هى قائمة بين الكاس والخمر تشرب على ذكرك وقد صفت عند مائدتها صورك الثلاث التى أوصلها اليها شياغوس النقاش وهى تشرب عليها وتنشد الأشعار وقد داومت ذلك فى كل فرصها فلا ترفعها إلا عندما يأتى اليها أبوها وبعد أن يذهب من عندها تعود اليها وعندما وقفت بين يديها سألتنى عنك بعد أن جلست بالقرب منها فأجبتها أنه فى حالة جيدة من جهة صحته وأحواله إنما يشغله أمر حبه فلا ينام الليل ولا يهدأ بالنهار حتى عرف حالته القريب والبعيد وذاع خبر عشقه بين كل من رجال قومه فهو منقطع فى هذه الايام لا يجتمع بأحد قط إلا بى وبهرجورا د فيذهب كل وقته إلى البرية فيشغل نفسه بالصيد ومطاردة الوحوش ولم تكن هذه الحالة كافية لأن تشغله عن اضطرابه وقلقه وقد بات ينتظر بفروغ صبر نهاية المدة المتفق عليها مع أبيك لأجل حصوله على تطلبات قلبه فقالت لى انى أتأثر لحالته وأرغب راحته غير انى لا أرى أبى مهتما بأمر زفاف ولا أحد يهيأ نفسه إلى ذلك بل أراه قد ضرب صفحا عن الاهتمام بمثل هذا الامر وتصل إلى الاخبار من خدمى دائما بأنه يجتمع إلى صغور بالليل والنهار وأخاف من أن تكون عاقبة هذا الاجتماع عائدة بالشر والرجوع إلى الخصام ولا أعرف بعد نهاية المدة ما يكون من أمره فأخبرتها أن أبيك لا يثبت على حالة ولا بد من أن يدبر أمرا جديدا يعود به إلى الخراب والدم ومادلت الامير أنه دخل إلى آراء طيمور واصغائه إلى أقواله وأعماله على ان الآن ليس فى ظواهر أعماله ما يدل على الاحداث بوعده إلا تهامله عن القيام بأمر تدبير حوائجك ولا بد بعد نهاية الأربعين يوما أن يعطى جوابا عن ذلك ولا أظن إلا أنه يطلب تمديد المدة وتأخير الأجل إلى أجل آخر قالت انى أسألك أن تطالع فيروز شاه على ذلك وتخبره أن لا يقبل بعد نهاية المدة بمدة ثانية احتسابا من الوقوع فى المصائب لأن طيمور كالأفعى لا يؤمن جانبه

ولا يركن اليه ومثل ذلك أنى ولا يعلم ماذا دبر إلا الله تعالى جل وعلا فبقيت عندها نحوا من ساعة إلى أن طلبت الانصراف من عندها فأذنت لى به وسألتنى أن أبلغك أشواقها وقد أنشدت لدى :

لى فؤاد على المودة باق　　لم يرع عن تذكر الميثاق
غير ان البعاد جار عليه　　فبراه ولم يدع منه باق
وجفون جفت لذكراها　　واستعاضت بمدمع غيداق
كلما طال عهد طال منها　　مدمع يرتقى وليس براق
ان دنا أودعتموه بأبى　　رد مذ بنتم من الآماق

وأنشدت بحضورى أيضا لأجله اليك :

حديث غرامى فى هواك صحيح　　وقلبى كأقوال الوشاة جريح
وشوقى إلى لقياك شوق حمامة　　لها فوق أغصان الغصون صدوح
فتندب أطلالا لها ومعاهدا　　وتظهر أشجانا لها ونصيح
فلا مؤنس الدار لى غير صوتها　　إذا هاج وجدى والدموع تسيح
كلانا غريب يشتكى الدهر والنوى　　فيبكى على إلف له ونوح
فقلبى وجفنى ذا يذوب صبابة　　حزينا وهذا بالدموع قريح
ولو كان أمرى فى يدى عنانه　　سعيت ولكن عن مناى جموح

وكان الخواجا اليان ينشد شعر عين الحياة وفيروز شاه يذرف دمعا لديذا لما خامر قلبه من طلاوة كلامها ورقة معانيها لما يعهد منه من الثبات على الحب والهيام فيه بخلوص لانظير له ثم قال الخواجا اليان وقد فارقتها وأنا متأثر من حالتها العشقية التى هى قائمة عليها وعلمت يقينا انكما فى قلب واحد تعشقان بعضكما فلا يفرق حب أحدكما عن الآخر قط وأتيت اليك أردد أقوالها وقد يخفى منها انتباهها لأبيها وعدم ركونها اليه لما تعلمه فيه من النكث والخيانة قال فيروز شاه انى لا أعرف حتى الساعة كيف أطوار هذا الرجل وعلى ما أظن أنه من الحوق الانسانى وكيف أن تلك الدرة اليتيمة قد أوجدت منه فعين الحياة هى البنت الوحيدة بين عموم هذا الجنس التى أقامت على صدق القول وبذلت حياتها فى سبيل المحافظة على شرف وعدها وخلوص حبها وبغضها لمثل هذه الخيانة برهن لى فوق ما أراه فيها من الصفاء والوفاء وأبوها أخبث رجل بين جنس الذكور ومن الغرائب أن تكون عين الحيـــاه المجملة باللطف والمزايا بنتا للشاه بهرور المتلبس بأقبح الاعمال وأرداها ومع كل ذلك فانى لاأخاف من غدره وأخشاه لأننا منتظرون له قادرون على كبحه والايقاع به فى أى ساعة شئنا فسر إلى عين الحياة فى الغدو بلغها تحياتى وأشواقى وطمنها عن انقباضها إلى أن تهاون الأيام قربة الموعد ولولا رجائى ان وفاقا سيكون قريبا وتحصل

على السعادة المطلوبة لما صبرت كل هذه المدة عن أن أستتر بظلام الليل وانسحب اليها في كل ليلة ولو ركبت أعظم الأخطار وأكبرها إنما لها عندي رسم مطبوع في فؤادي فلا يمحى قط إلا بالموت وبلغها أيضا قولي

أيا مربعا عهدي به وهو آهل ... سقاك من الغيث الملث هواطل
لك الله من ربع تفيأت ظله ... وواصلني فيه الحسان العواطل
ألفت به نشوان من خمرة الصبا ... تفوق الصبا في اللطف منه الشمائل
أقام بقلبي منه حب مبرح ... وما القلب إلا للغرام منازله
وخضت بحار العشق حيران تائها ... وما لبحار العشق ولاه ساحل
وما كنت أدري يا انسه القوم ما الهوى ... وهل يعرف الانسان من لا يزاول
رضيت بأن أقضي قتيل يد الهوى ... إذا كان يرضى الحب ما أنا فاعل
رعى الله أياما تقضت بقربكم ... إذ العيش غض والحبيب مواصل
زمانا به غصن الشبيبة يانع ... برف وطرف الدهر وسنان غافل
وحبي على رغم الوشاة لياليا ... أطعت الهوى لما عصاني العوادل
ليالي لا ريحانه العشق طوحت ... ولا رنقت عن وارديه المناهل
أيا برق سل عن زفرتي بسنا كبي العصا ... ويا غيث سل عن مدمعي وهو سائل
ويا بانة الوادي تشممت بالصبا ... لديك هل الركب اليماني قافل
ويا ظبيات القاع لولاك لم أبت ... وفي القلب من قول الوشاة شواغل
ويا نسمة الأحباب هل فيك نفحة ... تحي بها صبا شجته البلابل
ترى يسمح الدهر الخؤون بأوبة ... وأمنيتي منه غرور وباطل
فما كان فيه صادقا كان كاذبا ... وما كان منه مخصبا فهو ماحل
لحى الله دهرا أثقلتني صروفه ... بديت الرواسي بعض ما أنا حامل
فيا دهر قد برحت بي وتركتني ... ترامين في ملك الضحى والأصائل
وأشمت بي الأعداء حتى تعمدوا ... بأني لا عون لدى يحاول

وبلغها مدائحي لبديع معناها وقيامها على عهدها وحبها وحفظها الشروط الحب التي درعتها يد العناية بقلبها فحملت مديونا لها الدهر بطوله كما اني أعجب من رقة معانيها وطيب أخلاقها وفصاحة أقوالها

بدت بديعة وصف في معانيها ... وكل كل بيان من معانيها
كأنما نظم در في لطافتها ... أو النجوم التي تبدو مرائيها
عزاء أدرت نفس في فصاحتها ... وقد رقت رتبت عزت مراقيها
بل جملت كل منطق بلاغتها ... يحلو لقلب محب مدح باريها

فكل ما تسمعه مني أنشده أمامها وردها شرح حالتي وما أنا عليه من القلق والهيام وما

فظل فى السعد وبعد أن فرغ فيرور شاه من كلامه ذهب عنه الخواجا اليان وأقام هو بعد قيامه على زيادة أرق لأنه أثر فيه كلام محبوبته بأثيراتها وأشغل منه فكره شغلا مريحا للقلب فصرف باقى ليلته على تلك الحال وهو مسرور بما سمعه عن عين الحياة من المداومة على ذكره وأنها مقيمة والصور بين يديها ليلا ونهارا وعظم سروره لعلمه أن الخواجا اليان سيذكر لديها حالته ويحكى من ما أنشده من الشعر فتعلم فوق علمها أنه غير مقصر فى الحب قائم عليه يصرف كل أوقاته به وهكذا كانت حالة المحبين فيرور شاه وعين الحياة فان الدهر والمصائب بذلت جهدها فى سبيل عنادهما وهما حليفا شوق سمو محبتهما نموا عجيبا لم يسبق أن سمع بمثله قبل ذلك الحين

وفى صباح اليوم التالى نهض فيرور شاه وسار إلى الصيد ثم عاد واجتمع بأبيه ولم يرد أن يذكر له ما سمعه من رسول عين الحياة عن الشاه مسرور أنه هامل أمر ابنه غير مفكر إلى الاهتمام بأمر عرس ولا زفاف وذلك كتما للسر الذى يطلبه الحب الصحيح الثابت وتستدعيه واجبات وسائل الأحباب السرية وقال فى نفسه لا بد أن يظهر بعد أيام قليلة فيعلم به أبى فأما أن يكون فى نيته أن يروح بنته دون اهتمام ولا احتفال وأما أن يكون فى فكره خاطر آخر لا تلبث الأيام أن تظهره وكان فيرور شاه جلودا على نكبات الأيام فكان ينظر إليها بين الأرزاء قليل الأهمية بحوادث الزمان ولا زالت الأيام تتقلب يوما بعد يوم ولا يمضى يوم إلا ويسر به فيرور مزيد سرور كما تسر أيضا عين الحياة إنما كانا ينظران إلى اليوم القادم كعدو مفاجىء قد جاء لتعذيبهما فيخافان قطعه ولا يصدقان بانقضائه وهو عليهن أطول من شهر الصوم حتى يصادفان غيره وهكذا إلى أن انقضت المدة

فى ذات يوم بينما كان الشاه مع طيمور فى خلوة وقد اجتمعا إلى بعضهما قال الشاه انى أخاف من أن تنقضى الأيام ولا يعود جمعفر العيار بالجواب من الوليد حاكم مصر إذ لم يبق من الأجل المضروب إلا بضعة أيام لا تلبث أن تنقضى وحتى الساعة لم يأتنا خبر وأخاف أيضا أنه بعد انقضاء الأربعين يوما يطالبنى الملك صاراب بالوفاء بالزفاف فماذا يا ترى أجيبه عنه وأنا لم أهيىء نفسى إلى ذلك وانى أقول عن صدق نية أنه إذ لم يأتنا خبر من جهة الوليد ولم يبعث من قوم مصر بنا زففت عين الحياة على فيرور شاه وأنهيت هذه المشاكل وأرجعت الأمن والسلام إلى بلادى فقال له طيمور انى أعلم أكيدا أن الله لم يقسم نصيبا لفيرور شاه على مثل ذلك وان الاحق بها هو صالح بن الوليد وبعد قليل من الأيام أى بعد يومين أو ثلاثة أيام ترى عساكر مصر آتية للقتال عنك والدفاع عن وطنك وسوف ترى بعينك ما لا تصدقه الآن

وأنت تعلم جيداً أنى ما نظرت فى شىء وأبديت فيه رأيا إلا وكان به الصواب . وبينما كانا على مثل هذا الكلام وإذا بخفيف العيار قد دخل عليهما معلنا تباشير الهناء فسأله الشاه سرور عما وراءه من الأخبار وقد صادف دخوله عليهما بوقته فانعطفا اليه كل الانعطاف وصغيا إلى جوابه فقال لهما إن ورائى العساكر قادمة وفى مقدمتها خاطر وخطير ثم أخرج كتاب الوليد حاكم مصر ودفعه إلى سيده فأخذه وقرأه مع طيمور وسر به غاية السرور وفرحا به مزيد الفرح وقال طيمور للشاه سرور ألم أقل لك أن الوليد يلاقى هذا الخبر بلهفة ويحله محله المقبول ويسر به عظيم المسرة ويبادر فى الحال وهو غير مصدق بهذا الخبر إلى إغاثتنا وإنقاذنا فهو ذا النصر قادم علينا آت إلينا لا يلبث أن يسود منا على عدونا فنقهره وبذله قال الشاه إن الرجاء ضعيف فى ذلك لأن عساكر مصر لا تتجاوز الخمسين ألفا من الفرسان فهؤلاء لا يثبتون ساعة أمام أهالى إيران وفرسانهم ولا سيما فيروزشاه وفيلزور وفرحوزاد أو بالحرى الملك ضاراب قال إن الوليد يعرف عظم بسالة خاطر وخطير فلو لم تكونا من أشد الفرسان وأقدرهم فى مواقع الطعان لما اكتفى بهذا العدد القليل لانه يزعم كما قادر أن يحمل العساكر متصلة من بلادنا إلى بلاده فلا لزوم إذا لكثرة العساكر لأن عساكرنا كثيرة وهى لا تزال متجمعة بنظر نهاية الأمر بنا وأخيراً إذا وجدنا أنفسنا فى علة نرحل إلى مصر ونترك المدينة بضعة أشهر ونأخذ معنا عين الحياة ولا بد للايرانيين بعد ذلك من الرجوع إلى أوطانهم أو نتبع آثارنا فاذا رحلوا ارتاح ربكونوا قد قطعوا الرجاء لرواح عين الحياة مني الوليد فلا نراهم فيها بعد وإذا تأثرونا يصادفون فى مصر جراء أعمالهم وبروق فضلا عن لهب حرارة نرها المستعر شرار موت أحمر من جيوش فرسان الوليد حاكمها فتأكلهم وحوش تلك النواحى وتطويهم حيات أرضها فسكت الشاه سرور وصبر ينتظر قدوم المصريين ليرى ما يكون منهم وكان مرجح عنده أنهم لا يقدرون على الثبات أمام الايرانيين ولذلك كان مرطدا كل العزم على الذهاب إلى مصر بابنته وقد مال كل الميل إلى رواجها بصالح ابن الوليد واشتاق إلى الفرجة على تلك الديار .

وفى نهاية الأربعين يوماً وهو اليوم الآخر الأجل المضروب بين القومين كان الشاه سرور ه ش ... كدرجرها من أن يمضى ذلك النهار ولا يأتيه أحد وتأتيه العساكر ... وقتها ولا ... بها ولا ينال بواسطتها مرادا واجتمع بطيمور وأخبره بما تقدم ... كره وقال له أخاف من أن تتأخر العساكر أياما فلا تحضر فى هذا الوقت ويسألنى الملك ضاراب وفاء الشروط الموقع عليها والمتفق بها فماذا يا ترى أجيبه قال إذا لم تحضر العساكر نرسل الخواجا اليان ونطلب تمديد المدة إلى عشرة أيام ونظهر اهتمامنا بعمل

العرس ونقيم الدعوات فيرتاحون إلى ذلك ويصدقونه وفي هذه المدة لا بد من وصولهم لأنه على ما يذكر في كتاب الوليد أن العساكر سائرة في أثر رسولنا ولا بد أن تصل إلينا وقد فكرت الآن أن ترسل لناس يكشف أخبارها ويعود إلينا بالعلم اليقين ويوضح لنا وقت وصولها ولا أرى من يقدر أن يقوم بذلك إلا خفيف العيار ثم دعاه إليه وقال له اسرع عائدا إلى الطريق التي أتيت منها واكشف لنا خبرا عن المصريين وفي أي يوم يكون وصولهم وعين لهم مكانا يقيمون فيه وهو إلى جهة المدينة فنخرج إليهم ونجتمع بهم ونتفاصد وإياهم وفي الحال سار خفيف العيار بمهمة ولم يغب إلا القليل حتى رجع يصفق من الفرح وقال للشاه سرور بشراك يا سيدي فإنك في حساب وهم وعساكر مصر قريبة جدا من المدينة فلا ينقضي هذا النهار إلا ويكونون في المركز الذي عينته لهم فإني ما بعدت عن المدينة إلا القليل حتى شاهدتهم فأدميت بهمة وحمية وعجلة كلية فاخبرتهم بانتظاركم لهم وعينت لهم المكان الموافق للقتال الواجب فيه انضمامكم إليهم وعدت على عجل فأمهوا وتتعددوا ففرح طيمور لهذا الخبر وقال الشاه سرور إلا رأيت أن التوفيق قد بدأ يصالحنا وأخذنا السعد في أن يخدمنا ولا بد من أن يكون قد فرغ النحس واختار بدلا منا الإيرانيين وسترى بعد ذلك تدابير وبرك طيمور قال إلى أعلمها ولم يبق علينا الآن إلا أخذ الأهبة للخروج في صباح الغد وقد يفعل الله ما يشاء ومن تلك الساعة أمر الشاه سرور بالاستعداد للخروج وقد تعجبت أهل المدينة من ذلك ولا أحد منهم عرف ما دبر ولا سيما الشاه سليم وتعجبوا كيف عاد يمكنه الوقوف أمام الأعجام وهم يفوقونه بالقوة أضعافا أو كيف يخنث بشروطه وينكث بعهوده . وعرفت عين الحياة بذلك فتكدرت من عمل أبيها جدا ، لعنت الغدر والخيانة ولم تكن عارفة السبب الموجب لهذا الاستعداد وقالت في نفسها ان ذلك لأمر غريب ولا بد من أن يكون قد استند إلى معين يعينه والا فقوته لا تساعده على النهوض والقيام في أمر حرب ثقيلة لا يقدر على حملها أقوى ملوك هذا العالم ثم بعثت برسلها تكشف لها الأخبار وتعود إليها بعلم اليقين ومن أين لأبيها القوة المساعدة له على الحرب وصبرت على ذلك وهي تريد غيظ من عمل أبيها

وأما فيروزشاه فانه كان قد سر مزيد السرور لانقضاء الأربعين يوما وقال في نفسه هوذا اليوم الأخير قد وافانا وما من سبب جديد نراه ولا بد من الزفاف بعد اليوم وكذلك الملك صار أب قد عول في أن يبعث في صباح اليوم القادم إلى الشاه سرور طلب إليه سليم عين الحياة وزفافها على ابنه وأمل كل الأمل من الرجوع إلى بلاده بأقرب وقت ولم يكن يخطر في ذهنه أن دون ذلك صعوبات جمة فإن أمامه

سمر طويل لا ينقضى لسنين وأعوام ممزوجا بمشقات وأتعاب وأكدار وأثقال يعجز القلم عن وصفها وفى صباح اليوم الاول من بعد الاربعين نهض الملك صاراب من فراشه وجلس فى مكانه واذا بالعيار شبربك قد وقف بين يديه وقال له اعلم ياسيدى أن الشاه سرور قد غدر بوعده ولم يقم به وذلك أنه ماطلب اليك أن تمهله أربعين يوما الا وفى نيته أن يستنجد بالوليد حاكم مصر والصعيد وها أن شردمة من عساكر مصر قد نزلت فى ضواحى المدينه فقال ومن أين عرفت بذلك قال انى نظرت فى آخر الليل وأنا فى أطراف جيوشنا أدور كعادتى الى اضطراب فى جهة المدينة وسمعت حركة جديدة فاستحببت واذا أنا بقوم قادمون الى يمين المدينة يضربون خيامهم ويعدلون أنفسهم فسألت منهم عن أسباب قدومهم وقد شاهدت من صفاتهم ولغتهم أنهم مصريون فقيل لى انهم جاءوا من مصر لمحاربة الملك صاراب تحت امرة الفارسين المشهورين خاطر وخطير وذلك أن الشاه سرور قد بعث بتحرير الى ملكهم يعرض عليه بنته عين الحياة وأن يزفها على ابنه صالح لانه كان قد خطبها منه قبل الآن فردوا بالحسنة واخبره بما هو واقع بيننا وبينه واستنهض همته فى ان يخلصه منا فبعث اليه بخمسين الف من العساكر المصرية المنتخبة فلما سمع الملك صاراب هذا كدره غاية الكدر ولعن الشاه سرور وجهالته وكان قد اجتمع اليه كل وزرائه وفرسانه واخذوا يتحدثون بعمل الشاه سرور وخداعه فقال لهم الملك صاراب انى اعلم ان عساكرنا ستنصم الى هؤلاء القادمين ويعود الحرب الى بدايته الاولى لكن لا ملبث ان ننتصر عليهم ونهلكهم غيران ذلك يكدرني جدا لانى اكره ان تقع العداوة بيني وبين الوليد ملك مصر على غير سبب ونكون سببها فساد طيهور والشاه سرور واعظم شيء يزيد فى كدرى هو ان ولدى فيروزشاه لا يقبل ان ياخذ خطيبته الا بطريقة محمودة عند الملوك ولا يرغب فى ان يفعل سيئة فى قوم عين الحياة الا بكراهة وكدر وقد تعلم ايضا ان عين الحياة لا تقبل بذل نفسها كما انها لا تقبل بذل ابيها واهانته وهذا الذى يحملني على الغيظ والغضب من اعمال هؤلاء الاوباش داخل المدينة وتمسكت الشاه سرور لااقدر ان اعمل معه عملا اذا امتنع عن الموافقة وما زال ممتنعا لا تسلم عين الحياة نفسها كسبية فهى من اعقل بنات عصرها واحكمهن ترغب فى الشرف والناموس وتتعلق فى كل الاوقات على اميالها كما يرغب ابى ايضا وعلى ذلك فانى ارى صعوبة كلية فانا لا نقدر ان نزفها زفافا محمدا دون ان نلتجىء الى السوف وبذل الشاه سرور ونقهره ونرغمه الى الموافقه فقال طيطلوس ان المصريين والهنديين لا يثبتون اكثر من يومين او ثلاثة ايام وبعد ذلك لا بدلنا من الدخول الى المدينة فاذا رأينا الشاه سرور قد دخلت يرجع الى الحيلة والخداع فلا نوافقه عليه واذا وعد بزواج بنته طلبنا اليه التعجيل

والسرعة المحكمة فلا تترك له مجالا لاستعمال الحيلة والخداع وقال فيلزوور إنى لأعجب كيف أن الدهر يخدمنى فى آخر زمانى ويجمعنى بفرسان كنت أطلب منذ كنت فى عنفوان الشبوبية أن التقى بهما وها هذا الأمير خاطر وأخوه خطير قد حضرا ليحربا بنفسهما معى وطالما قيل لى أن فرسان مصر من الأشداء ولا سيما هذين الاثنين فلا بد لى من أن أبارزهما وحدى فى الغد فلا تبقى حاجة فى نفس يعقوب وعندى انى بعونه تعالى سأحرز النصر والظفر عليهما وأهلكهما بيوم واحد

وكانت عساكر مصر لا زالت فى مسيرها حتى أتى الغيار وأخبرها بمكان نزولها فسارت كما قدم ونزلت إلى يمين المدينة وضربت اطنابها بين سواد الليل وانشاق الصباح ولا زالت حتى علت الشمس وارتفعت فى القبة الزرقاء وإذا بعساكر اليمن قد فتحت ابواب المدينة وخرجت احواقا وزمرا وفى مقدمتهم الشاه سرور ووزيره طيهور وضربت اطنابها الى جنب المصريين حتى امتلأت بهم تلك الأرض واصبحت تعج بكثرتهم وتضج من غوغائهم واجتمع الشاه سرور بخاطر وخطير فسلم عليهما مزيد السلام وشكرهما على قدومهما وسألهما عن سيدهما الوليد فاعاه سلامه واخبراه بانه راغب فيه وانه اوصاهما بخدمته والجد فى سبيل نصره وقهر عدوه ثم طيبا قلبه ووعداه بكل جميل وخير واظهرا لديه انهما قادران على تفريق الفرس باقرب وقت وتشتيت شملهم فسر الشاه سرور من كلامهما واقام ينتظر الغد ليرى من عجائبه ما يكون بين فرسان مصر وفرسان الأعجام الى ان انقضى ذلك النهار وجاء النهار الذى بعده بأنوار اظهرت لكل عين مكنونات الخبايا فنهضت العساكر من مراقدها وتعددت وعلت فى ظهور خيولها وتقدمة طالبت القتال والحرب والنزال وكان الملك ضاراب قد امر فى الصباح ان تنتقل مراكز جيشه الى الوراء مقدار ساعة ليتسع المجال عليهم فلا يختلطون بالأعداء وبذلك يعرفون كيف يأخذونهم ومن اى باب يدخلون اليهم ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان سقط خاطر الى نصف الميدان وكان افرس من اخيه فصال وجال ولعب بالرمح اشكالا والوانا حتى تعجب منه كل من شاهده ثم بعد ذلك وقف فى الساحة واشار الى عساكر الفرس بالبراز فى اول من طرقه عين صدمه فيلزور صدمة تزعزع الجبال الراسيات وقال ويلك من انت من الفرسان وما تدعى وما هو اسمك قال ان كنت لا تعرفنى انا اعرفك بنفسى انا الأمير خاطر فارس بلاد مصر وجئت ها وقد جئت سيدى نصرة للشاه سرور لانتقم له منكم فمن انت يا برى قال انا فارس رأسك وحربة قال انا الذى طالما بلغك حديثى واخبرت بشجاعتى انا فيلزور البهلوان رئيس مقدمى بلاد فارس وسيد سيافيها فاستعد الآن لضربى واحمل جر نار حربى وبأقل

من لحظة عين انطبقا على بعضهما انطباق الغمام وأخذا فى الطعان والصدام وكان فرخوراد قد نظر إلى الأمير خطير وهو مستعد ويتهيأ كأنه يرغب أن يساعد أخاه إذا قادته الظروف وأحوجته الضرورة فقصد أن يبارزه لينهى أمره بدنما أبوه ينهى أمر أخاه وفى الحال توسط الميدان وأشار اليه بالبراز وناداه للقتال فاجاب دعوته وصدمه صدمة جبار عنيد بعد جدال وتهديد فانسحبت الأفكار وتوجهت الأبصار إلى ماهو حاصل فى مضمار القتال بين فلزور وخاطر وبين فرخوراد وخطير فارتفع الغبار وامتد إلى السماء وتأججت النار وثارت منها ثوائر البلاء. وعلت الصيحات أى وعلاء وامتلئت القلوب حنقا وأى املاء وأملت عساكر الشاه فرحا على يدى هذين الفارسين وأوعب قلبهما فرحا لما شاهداه منهما بمرأى العين لانهما ثبتا ثبات الأبطال الشداد أمام فيلزور البهلوان وابنه فرخوراد وقيامهما فى مواقف الصدام والطراد. على رسوخ قدم واستعداد ومثل ذلك انتظرت عساكر الاعجام أسود الهجوم والصدام وقد قوم كل من المحاربين الاسنة وهيء لاطلاق الأعنة ينتظر عند بيان وجه الظاهر فرصة الهجوم على الخصوم هذا وفلزور مع خاطر تضرب عمدان وطعن شراكر وأفعال تبهر العقول وتسيح البواطر وتشعل الأوهام وتحير الخواطر وفرخوراد مع خطير بحرب آخر من نار السعير وكل منهم يبذل جهده ويظهر ماعنده ويطلب الفوز على خصمه ويرغب فى قهرة واعدام رسمه وكان خاطر أشد من خطير بأسا وأقوى قلبا وأصعب مراسا فكان يقابل قتال الأسود ويقض انقضاض البواشق وفلزور يلقيه كطارد من الأطواد ويكثر له من أبواب الحرب والطراد. وبينما هما على مثل ذلك الايراد اختلف بينهما ضربتان قاطعان وطعنتان فاصلتان وقعت ضربة خاطر على درقة فلزور فأضاعها بمعرفته وكثرة اهتمامه ومحبرته ووقعت ضربة فيلزور على درقة خاطر ورجعت عنها فوقعت على رأس الجواد فسحقته ووقع خاطر إلى الأرض فأراد فيلزور أن يهجم عليه وينهى أجله وإذا بعساكر مصر قد صاحت وجالت ومثل ذلك فعلت عساكر الفرس وعساكر اليمن فالتقى القومان فى ساحة العدوان وعمت السيوف بنغمة الميدان عماء طب الالحان ورقصت الخيول فى ساحة الميدان على صوت دمدمة الفرسان وهمهمة الشجعان وكان القتال عظيما والخطب جسيما سالت الدماء كالسواقى وانهلت الدموع من الاماقى وفارقت الأرواح الأجسام وانتشرت فى عالم الاعدام وانتشرت محجوبة فى سماء الاوهام على أمل أن تعود إلى ديجور القتام وتجدد أيام صفاها وتعمد بمارونقها وبهاها وكان كل فارس من فرسان الاعجام يقابل بثبات واقدام واجتهاد واهتمام. وكذلك خاطر فانه كان قد أدركه قومه فقدموا اليه جوادا من الخيل المعدة فركبه

واندفع يأخذ لنفسه بالثأر من الأعداء ونفى ما لحق به من العار واما خطير فانه تخلص من فرخور زاد وسار كل منهما يقاتل فى جهة ودامت نار الحرب فى اشتعال الى ان قرب الزوال ودقت طبول الانفصال ورجع كل من القومين إلى مضاربه وخيامه وهو لا يصدق بالخلاص من التهاب لهيب ذلك اليوم الشديد المصائب والأهوال ولما هدأ الشاه سرور فى ديوانه اجتمع بوزيره طيمور وقال له ألم أقل ان خاطراً وخطيراً لايثبتان أمام فرسان الأعجام وقد كاد فى هذا النهار ان يقضى عليهما ويذوقا كأساً من الموت مرة ذاقها قبلهما من هو أشد منهما بأساً هذا ولو نزل فيروزشاه اليوم إلى الميدان والتقى بخاطر وأخيه لما أبقى عليهما ساعة واحدة وعندى أن من الواجب ان نتخذ التدابير اللازمة لصيانة الشرف والناموس والعرض وحيث قد صممنا النية على الذهاب فصار من اللازم أن نكون دائماً على أهبة المسير حتى اذا بان لنا وجه التأخير وخطت مساعينا أقلعنا وخرجنا عن هذه البلاد إلى جهة بلاد مصر قال طيمور لقد أصبت بذلك فارسل خبراً الآن بيتك عين الحياة وأطلعها على رغبتك فى السفر وأمرها بأن تكون فى الغد أو ما بعده على أهبة المسير فنبعثها أمامنا مع بعض من الأمراء والقواد قبل أن يعلم بها الأعداء فنمنعونا عن السفر وربما استخلصونا ونحن فى الطريق وأخذوها اليهم فنقع من أجلها فى البلايا ونكون قد ارتكبنا أعظم الخطأ

فى الحال دعا عفيف العيار وأوصاه أن يبلغ بنت الحياة أوامره بطريقة سرية ويخبرها أن تستعد لأن تسافر فى وقت قريب وبعد أن سار عفيف العيار من حضرته نهض مع طيمور ودخلا خيام المصريين حتى انتهيا إلى صيوان خاطر وخطير وعندما اجتمعا بهما سلما عليهما وهنآهما بالسلامة وبخلاصهما من الاعداء فقال خاطر انى لم أكن أعهد أنه يوجد بين فرسان الفرس من يقدر أن يثبت أمامى ساعة أو يلقانى فى ميدانى وكنت أسمع عن هذا فيلزور بانه من أشداء الحرب وكانها غير انى كنت أزدريه فى عقلى والحق يقال انه من أعظم ما شاهدت فى حياتى وعدم اهتمامى به كان فى غير محله لانه وإن كان شيخ بهو فتى الحرب ورحاها وتهاملى هذا أوقعنى تحت طائلة الخسران والندم وحيث الآن قد عرفت مقدار قوته ومعرفته وطنت الدرم فى الغد ان شاء الله ان لا أرجع عنه الا ظافراً به منصوراً عليه فاما أقتله وأعدمه الحياة وأرفع عنى الذل الذى القاه على بين هؤلاء الفرسان واما انى اذله واقوده ماسوراً مهاناً - انه كل عين وتنصر به فشكراه على ذلك وهما يعلمان أنه مقصر عن كل ما يدعيه وأما أخوه خطير فانه قال إلى أخيه الا تذكر ياأخى ان سيدنا الوليد أمرنا أن نعود اليه بعين الحياة وبانها اذا وجدنا أنفسنا غير قادرين على القيام بنصرته عليه فدعنا نرجع لأن على أعقابنا فاخذ نرفقتنا ظلب سيدنا ونترك الاعداء يعصون الا كنف

لا سبيل لهم إلى الوصول الينا وبذلك نحقن دماء رجالنا ونكيد الأعجام وحتى الساعة لم يكن بيننا وبينهم ثار تحترق له أكبادنا فانظر بعين البصير الخبير . قال لا أرعوى عن عزمى ولا يكون ما قلت إلا بعد أن أقتل فيلزور وأنتقم منه وأذله بين جميع قومه وأما الرجوع إلى مصر فلا بد منه فليهيء الشاه سرور نفسه وبنده وبعد البعد نرى فى ذلك

وبات القومان فى تلك الليلة يتحارسان تحت مشيئة الرحمن ينتظران الصباح وقدومه بأنواره الوضاحة ليعودا إلى القتال وفى الصباح نهض فيلزور قبل جميع من نهض واعتد بعدته ولبس لامته وقد عزم كل العزم فى ذلك النهار أن لا يرجع عن خاطر ما لم يذقه كاس المخاطر وقد تكدر كيف خلص منه بالأمس ونجا من بين يديه وخلصه قومه ثم اصطف القومان وترتب العسكران وقام الصحيح والصياح من كل مكان وإذا بفيلزور قد أطلق لجواده العنان إلى أن توسط الميدان فعرض وبان ولعب أشكالا وألوانا حتى حير العقول والأذهان وأشغل البصائر والأعيان ثم وقف وأشار إلى خاطر أن يبرز إليه ويلتقيه فى ساحة القتال لتنتهى بينهما الحال . ويقضى الأمر على حسب الطلب فما أتم كلامه حتى صار الأمير خاطر أمامه وصدمه صدمة قوية بكل عزيمة واتحد معه فى الكر والفر والقرب والبعد والهزل والجد . والتقابض والتماسك والأخذ والرد والصياح والسكوت والالتحام والافتراق والهمهمة والدمدمة والزئير والتحرق وهما على فروع صبر من هذا القتال وقد ضاقت منهما الأنفاس وأيقنا بهلاك النفوس وتمنى كل واحد الخلاص من خصمه والرجوع عنه إلى الوراء ولولا عوامل الشجاعة الموجودة فى صدريهما لطلبا الاقالة وعادا عن الحرب مخافة من الهلاك والعطب لأنهما كانا ككفتى ميزان أو فرقتى قبان لا يرجح أحدهما عن الآخر ولا يزيد ثقلا ولا عيارا وما زالا يضربان بعضهما بالعمد حتى كلت منهما الأيدى وخدرت السواعد وقد أفرغا كل الأبواب بدون جدوى ولا نتيجة ولذلك عمدا الى السيوف الصقال لأنهما أقرب إلى خطف الأرواح وتقريب الآجال وتقصير الأعمار فأكثرا من لمعان السيوف وبرقها وهى تشرع وتندفع كالنجم عند انحطاطه فى ظلام ليل حالك ولا زال هذا العمل عملهما وهذه الحالة حالهما حتى تبين لفيلزور أن خصمه قد كل وملّ ولم يعد له من قدرة على الثبات أمامه وظهر وجه الطمع فيه والظفر عليه فصدمه وصاح فيه ودار من حواليه وكان مع كبر سنه قوى القوائم متين العزائم كلما طال وقوفه فى القتال زادت همته واشتد عصبه فضايق خصمه وزاد عليه العيار حتى لم يعد يعرف يمينه من شماله وخارت قواه وعميت نواظره وضعفت أعصابه وغاب وعيه فلم يشعر إلا وسيف فيلزور قد وقع على رقبته فأراحها

عن جسده وانحدف إلى الارض بقوة ثقل جسمه وما عليه من الحديد وقد شاهد القومان تلك الضربة ونظروا ما حل بخاطر فاندهشوا وأما خطير فانه صاح وناح وبكى وحمل برجاله يأخذ لنفسه بالثأر من قاتل أخيه واذ ذاك حملت عساكر اليمن وعساكر الفرس ودار دولاب الحرب من كل ناحية وعمى السيف القرضاب . فى محكم الصدور والرقاب ولعبت طوال المردان . فى نواعم الابدان فألقتها على بساط الصحصحان ومددتها على تلك البرارى والقيعان وتركتها مأكلا للوحوش والعقبان ودام القتال إلى أن جاء الزوال ونشر الليل ظلامه فعطى القوم عن العيان فدق طبول الرجوع فعاد القومان عن القتال وقد أشمت الاعجام عليها من الاعداء وقتلت فيهم قتلا ذريعا وتركتهم بحالة العدم لا يرى لهم بدا من الهلاك أو الهرب وقد مدح الملك صاراب وبقية الفرسان فيروز البهلوان على قتله خطر وأثنوا عليه بين يدى الشاه فقال انى بسيفكم أضرب وبعزمكم أقاتل فلا احسب لى فخرا فى قومى إلا تركوا على قصاء مثل هذه الخدمة لانى لا أرغب أن أموت فى بيتى بين حريمى ونسائى إنما أرغب أن أموت وعين الناس تنظر إلى نظر المتعجب المسرور أى إنى أرغب أن أموت فى نصف الميدان وأنا أخدم بلادى وقومى وعيون الناس تحدق فى وتشخص إلى فتعجب الجمع من قوله وعلموا أنه رب الحرب وهمامها وان الكبر والشيخوخة لم تضعفا من عزمه بل لا يزال على نمو بسالة وشجاعة وأقام الفرس تلك الليلة فى فرح وسرور وهم على أتم ما يكون من المسرة

وأما الشاه سرور وطمور فانهما عادا الى الخيام وفى فؤادهما نار الاضطرام لا يريان ما بين أيديهما ولا امامهما ولما اجتمعا إلى بعضهما قال الشاه سرور ان هذا الذى كنت أحسبه وأخافه قد وصلنا اليه ولا بد لعساكر الفرس من أن تبطش بنا وتهلكنا عن آخرنا إذا داومنا على قتالها ولم نرجع عن الحرب ونطلب منهم الصلح والامان قال طمور لم يعد فى الامكان أن نطلب منهم صلحا إلا بتسليمهم عن الحياة لاننا لو سألناهم ذلك لا يكون سؤالنا إلا نطلبون على ذلك ضمانة أو انهم يسلموننا عين الحياة وانى أرى الآن من الموافق أن نبعث بعين الحياة أمامنا فى هذه الليلة ومتى راحت وبعدت عن هذه البلاد على نوع ما يمكننا أن نسير بعد ذلك فى أثرها أى وقت أردنا وكان قصد طمور أن يبعد عين الحياة قبل كل شيء خوفا من أن يقع الشاه سرور فى أيدى الملك صاراب ويطلب اليه أن يسلمه إياها فيجيبه حالا ويقضى غرض فيروزشاه وينقم منه إنما إذا بعدت وصارت فى بلاد مصر تقصر عنها كل يد ولا سيما يد أبيها ويلتزم أن يسير فى أثرها إذا لم يكن مانع . فوافقه الشاه سرور الى إرادته ودعا بولديه الشاه أسد والشاه حارث وقال لهما الآن ادخلا المدينة

ودخلا ماحب وعلا وأرفعا أختكما عين الحياة على هودج وسيرا فى هذه الليلة على طريق مصر أمامها وحذار كل الحذار من أن تطلعا أحدا على أمركما أو تدعا أحدا يعرف مقصدكما فيطلع العدو على ذلك فيقف لكما فى الطريق ويأخذ عين الحياة منكما ومتى أنهيتما عملكما وخرجتما أرسلا إلى بالخبر لابعث معكما الأمراء ونحو . . . نفس تكون فى ركابكما فأجاباه إلى طلبه وخرجا من حضرته ودخلا المدينة يقومان بأمر أبيهما

وكانت عين الحياة على أطيب ما يكون من العيش وراحة الضمير وهى تأمل ان الحرب تنتهى نهاية موافقة لمشربها كما تقدم معنا الايراد ولئن كانت قد تكدرت من جرى إتيان المصريين إلا أنها علمت أنهم سيمرقون درى الرياح لقلتهم وشجاعة الفرس ودامت على معاطاة الحبور فى الصباح والمساء وبين يديها الصور قائمة على أعظم إكرام وأرفع مقام إلى أن بلغها أمر أبيها بأن تستعد للسفر وتهيء نفسها للرحيل فشعرت أن الأرض قد خسفت فيها والسماء قد هبطت على رأسها وضاع ولم تعد تعرف ماذا تجيب أو ماذا تقول بل بقيت نحوا من ساعة كالصماء الخرساء تردد هذه الكلمات السفر الرحيل وقد أفرغت حالتها فبرمانتها أيضا وبدنها شرعة وخافتا من أنها تخسر عقلها فتجن وتفضح نفسها فوقفتا أمامها ولم تجسر إحداهما أن تفاتحها بكلمة لما شاهدتا فيها من فواعل الغيظ والغضب وقد احمر وجهها حتى كادت تختنق واحمرتا عيناها وهما تقدحان شرار النار ودامت على ذلك أكثر من ساعة ثم اخذت تتمشى فى القاعة ذهابا وإيابا وهى تضرب برجلها الارض فى كل دقيقة وتنادى الرحيل السفر ولا نستطيع بنا أن نصف حالة عين الحياة وصفا مدققا فى وقت كالوقت الذى عرفت فيه بمفارقة وطنها وقصرها وبلادها ولا سيما بمفارقة من كانت تعد نفسها بالتقرب منه وقد نامت حبا بها لأجله وفدته حق قدره وسلمته زمام قلبها وأخذت كل المحبة بل بالحرى عبدته وخصصت له كل محلتها وقد رسخ فى ذهنها أنه بعد أيام قليلة تكون عروسه فى قصره هذه وهى تعرف أكيدا أنه يقابل قوال الاسود ويواصل مواصلة الابطال للوصول اليها والحصول عليها فماذا ترى يصير به اذ عرف أنها أجبرت على السفر إلى بلاد بعيدة وقد حال بينهما فئات من الفراسخ وربما لا يطاوعه أبوه بالمسير خلفها لاستخلاصها من الاعداء فكل هذه الافكار كانت تتراكم عليها بوقت واحد فتذهب بوعيها وتصيح بعقلها وتحرمها راحة الضمير وصرفت وقتا ليس بقصير على مثل هذه الحالة وهى فى نوح وتعداد وهياج وارتداد وغضب وكدر وأنين وحنين حتى أخذ منها الجرى مأخذه فرمت نفسها على كرسى من الحرير المحشو بالريش النعام والقت برأسها على وسادة ناعمة من الحرير

ونظرت إلى قصرها نظرة الحزن والكآبة وتنهدت من فؤاد أحرقته حوادث الاقدار وأنشدت

ما احمل القلب للاوى واصبره لا بين إلا وتاتى منه أعسره
قد فرق بين البين ما كل مجتمع من أنبأ البين لقيانا وأخبره
ليت الذى روع المضى بفرقتنا بين المون وبين الصد حيره
أوليت من كثرة فيما إساته أبق لنا من نفيس العيش أيسره
مانت أرقب ليلا صبح موعده إلا أن الحشر أبقاه وأبدره
غض الشباب رخيم الدل طلعته حوت من الحسن أبهاه وأنضره
تبا لمن بهلال الافق شبهه أو بالكثيب وبالخطى نظره
لقد وهبت له قلبى فأنكرنى من بعد معرفتى طلها وأنكره
مالى وللدهر لا أبقى به طلبا إلا وضيق ما أرجو وعسره

قد انتهى الجزء الحادى عشر من سيرة فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد فارس وبه انتهى المجلد الأول من هذه السيرة وسيأتى إن شاء الله المجلد الثانى مبدءاً به الجزء الثانى عشر